

بناسبة سنة الإمام علي عليه السلام ( ١٣٧٩ ش )



(٢)

# المؤتمر الدولي للإمام عليّ (ع) و العدالة والوحدة والأمن

(مجموعة مقالات)

المجلد الأول

باعتناء

الدكتور مهدي كاشني



معهد العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية



[www.haydarya.com](http://www.haydarya.com)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# المؤتمر الدولي للامام عليّ (ع) و العدالة والوحدة والامن

(مجموعة مقالات)

المجلد الاوّل

باعتناء

الدكتور مهدي گلشني

المراجعة و التصحيح

قيس آل قيس



معهد العلوم الإنسانية و الدراسات الثقافية

طهران ١٤٢٢ ق



BP  
۳۷ / ۷  
/ ۴۹  
۳۸

کنگره بین‌المللی امام علی (ع) و عدالت، وحدت و امنیت (۱۳۷۹: تهران).  
International Congress on Imam Ali and Justice,  
Unity and Security (2000 : Tehran).

مجموعه مقالات مؤتمر الإمام علی (ع) الدولي / باعنتاء مهدي گلشنی: المراجعة و التصحيح  
قیس آل قیس. - تهران: معهد العلوم الإنسانية و الدراسات الثقافية، ۱۴۲۲ ق = ۱۳۸۰.  
ISBN 964-426-163-1 (دوره). - ISBN  
ج  
964-426-162-3 (ج. ۱).

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.  
Proceedings of the International Congress on Imam Ali  
ص.ع. به انگلیسی: and Justice, Unity and Security (Arabic Articles).

کتابنامه.  
۱. علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - کنگره‌ها. ۲. علی بن  
ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - مقاله‌ها و خطابه‌ها. الف. گلشنی، مهدی،  
۱۳۱۷ - ، گردآورنده. ب. آل قیس، قیس، ۱۳۱۹ - ، ویراستار. ج. پژوهشگاه علوم  
انسانی و مطالعات فرهنگی. د. عنوان.

۲۹۷ / ۹۵۱

BP ۳۷ / ۷ / ۵۹

الف ۱۳۸۰

کتابخانه ملی ایران

م ۸۰-۲۸۳۲۶



## مجموعه مقالات مؤتمر الإمام علی (ع) الدولي، المجلد الاول باعنتاء الدكتور مهدي گلشنی

المراجعة و التصحيح: قیس آل قیس  
الناشر: معهد العلوم الإنسانية و الدراسات الثقافية  
مدير النشر: رحمت الله رحمت پور  
الطبعة الاولى: شتاء سنة ۱۴۲۲ ق / المطبوع: ۲۲۰۰ نسخة  
الشؤون التنفيذية: مهدي يزدان پناهي  
التنضيد: فريال امراني زاده / تنظيم الصفحات: اعظم صادقيان  
الناظر على الطبع: سيد ابراهيم السيدعلي  
الطبع و التجليد: شركة طباعة بهمن  
تسلسل النشر: ۲۸-۸۰

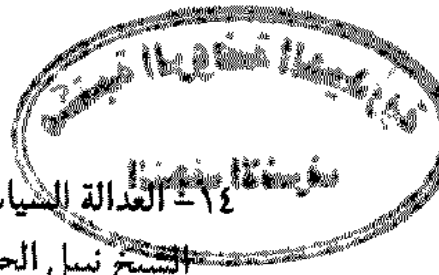
حقوق الطبع محفوظة لمعهد العلوم الإنسانية و الدراسات الثقافية

شابک ۳-۱۶۲-۴۲۶-۹۶۴ (ج ۱) شابک ۱-۱۶۳-۴۲۶-۹۶۴ (دوره)

العنوان: طهران، صندوق البريد: ۶۴۱۹-۱۴۱۵۵، تلفون: ۳-۸۰۶۶۸۹۱، فاكس: ۸۰۳۶۳۱۷

## الفهرست

- ١- المقدمة ..... ١  
الدكتور مهدي گلشنی
- ٢- أسس و مبادئ الحكومة الاسلامية عند الامام علي (عليه السلام) ..... ٩  
آية الله نوري همدانی
- ٣- مكان العدالة و معناها في كتاب (نهج البلاغة) ..... ٣١  
الدكتور عبدالكريم الاشر
- ٤- العدالة السياسية عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ..... ٣٩  
الدكتور علي مهدي زيتون
- ٥- العدالة السياسية عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ..... ٥٩  
الدكتور حامد العبدالله - الدكتور عبدالله سهر
- ٦- الحقوق السياسية عند الامام علي (عليه السلام) من منطلق العدالة ..... ١٢١  
السيد احمد صبري السيد علي
- ٧- علي (عليه السلام) والعدالة الاجتماعية ..... ١٩٥  
الدكتور احمد راسم النفيس
- ٨- العدالة الاجتماعية في نهج الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ..... ٢٢٣  
الاستاذ محمد امين أبوجوهر
- ٩- الامامُ عليُّ العادلُ الحكيمُ - حاملُ عِلْمِ العدالةِ العظيمِ ..... ٢٤١  
الحاج محمد شمس الدين
- ١٠- الإمام علي (عليه السلام) والعدالة ..... ٢٤٩  
الدكتور محمد القيسي
- ١١- العدالة الاجتماعية عند الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ..... ٢٧٥  
الدكتور عاطف حميد عواد
- ١٢- العدالة والحرية في منظور الإمام علي (عليه السلام) ..... ٢٩٥  
الاستاذة زهره دشتی
- ١٣- القضاء طريق العدالة الانسانية عند الامام علي (عليه السلام) ..... ٣٢١  
الدكتور حسن عباس نصرالله



٣٣٧ ..... ١٤- العدالة السياسية (العلاقة المتبادلة بين الحكومة والشعب)

الشيخ نبيل الحلباوي

٣٥٩ ..... ١٥- العدل في تجربة الإمام علي (عليه السلام)

الاستاذ علي حسن مرعي



## المقدمة

بقلم الدكتور مهدي گلشني

السكرتير العام لمؤتمر الإمام علي (ع) الدولي

تحيّة خالدةً أسد الإسلام!  
تحيّة خالدةً قدّيس الإسلام!  
تحيّة خالدةً أبا الحسن!  
تحيّة أيّها الرّجل العظيم!  
تحيّة لبطلتِكَ!  
تحيّة لإنسانيتِكَ!  
تحيّة لتسامحك!  
تحيّة لصبرِكَ!  
تحيّة لحكمتِكَ!  
تحيّة لعدلك!

تحيّة خالدةً لهذه المزايا التي اجتمعت في شخصيتِكَ الفدّة!<sup>١</sup>  
أقيم في طهران بمناسبة عام أمير المؤمنين مؤتمراً دولياً من ١٧ - ٢٠ ذي الحجة  
١٤٢١ هـ. ق تحت عنوان:

١. العزيزي، روكس بن زائد، ١٣٩٩ هـ. ق، الإمام علي أسد الإسلام وقدّيسه، بيروت: دار الكتاب العربي، ص

## «الامام علي (عليه السلام) والعدالة والوحدة والأمن»

والسؤال الذي يطرح نفسه هو لِمَ احتلت مواضيع «العدالة — الوحدة — الأمن» مركز الصدارة، وأشتخوذت على الأفكار واستولت على العقول. ألم يكن السبب أن شعوب العالم الإسلامي — وحتى الشعوب غير الإسلامية — قد أبتليت بمصائب أحد هذه المواضيع أو بنوائبها جميعاً.

يتفق الجميع أن العدالة مفقودة في السياسة العالمية الراهنة في هذا اليوم، حيث يعاني عالمنا الإسلامي الظلم بشكل والدول الموسومة بالتمدنية والحضارية بشكل آخر. فقد أباحت الدول العظمى لنفسها الظلم والجور بحق أقطار سُكَّان المعمورة، كما أن شعوب دول العالم الثالث تُعاني و بشكل واضح أنواع فقدان العدالة في سياسات حكوماتها كوجود قطبين مختلفين اقتصادياً أو حرمان الكفاءات من الوصول إلى دفعة المسؤولية. و يسري عدم الإنصاف و عدم العدالة والقسط حتى يشمل شعوب العالم الموسوم بالمتحضر والتمدن أيضاً، ولكن بشكل دقيق و ظريف لا يجلب إليه الأنظار و لم يفتن إليه شارع تلك البلاد.

ولا يزال في عالمنا الراهن دول ترمي بالفائض من حاصلاتها الزراعية في البحر كي تحافظ على مستوى الأسعار، في حال كون الشعوب الفقيرة في العالم الثالث ترزخ تحت نير الفقر المُدقِّع والجوع المُصقِّع.

أما عالمنا الإسلامي فسادت عليه التفرقة حيث شنته السياسات، وشرذته التفرقة العنصرية والتعصبات القومية وأوهنته الاختلافات المذهبية، مما أدّى إلى عدم تمكن الدول الإسلامية أن تتخذ موقفاً موحداً أمام الحملات السياسية والاقتصادية والثقافية الاستعمارية للدول العظمى.

و من النادر أن تجد مُعضلةً اتفقت عليها الدول الإسلامية بشكل موحد يدعمها العزم والإرادة، وأغلب اجتماعات القمة تنتهي بقرارات باهتة اللون ضعيفة العزم مهزولة الإرادة، لذا نرى الفوز دائماً حليف الجانب الآخر، و من الجدير بالذكر هنا هو أن السلام والوفاق لم يُنحر على دكة المؤتمرات الإسلامية فحسب بل تعدها إلى دول العالم

الأخرى بسبب التناحر الطائفي والاختلاف الديني العقائدي.

نعم، من السهولة أن نشاهد فقدان الأمن على المستوى العالمي و بكافة أنواعه: الأمن الوطني، و الأمن الإجماعي والأمن الفردي، ذلك الأمن الذي يُهددُ الاستعمارُ والقوى العظمى أرجاء كيانه في بلدان العالم الثالث. على هذا فإنَّ الأمن قد فُقدَ لدى كافة طبقات اقطار المعمورة ممّا أدى إلى فقدان الأمن الفردي على المستوى العالمي بشكل ظاهر للعيان، واعتقد أن هذا الأمر واضح في البلدان المترقيّة وضوح الشَّمس في رابعة النهار، وإنَّ الغرق في بحر الماديّات والإنجراف مع افكار المذهب المادي قد سلب البشريّة أمن النفس وطمأينة الروح، ووهم من تصور أن شعوب البلدان المترقيّة يرفلون بسعادة الأمن الشامل لأن الحقائق قد برهنت عكس ذلك.

كان معدل الدخل الفردي السنوي في امريكا سنة ١٩٥٧ م ٨٧٠٠ دولار، أمّا اليوم فقد ارتفع إلى ( ٢٠٠٠٠ ) عشرين الف دولار وخلال ٤٥ سنة ارتفع عدد السيارات لكل فرد ضعفاً، وكان عدد المواطنين الأمريكيين الذين يملكون الأدوات الضرورية للحياة اليوميّة كالغسالة والسيارة وأمثالهما قليلاً جداً، أمّا الآن فإنَّ الغالبية العظمى من الأمريكيين قد امتلكوا هذه الأدوات وربما أكثر. ولكن مركز البحوث والإحصاء الوطني في جامعة شيكاغو قد أصدر احصائيّة حول الأشخاص الذين يعتقدون أنهم سعداء جداً في هذه الحياة يقول الإحصاء إنَّ مستوى السُعداء قد انخفض من ٣٥ إلى ٣٠، وإنَّ الطلاق قد تضاعف عمّا كان عليه سابقاً بنسبة مائة بالمائة، وإنَّ عمليات الإنتحار قد ارتفعت نسبتها إلى ثلاثمائة بالمائة، وميزان الجنائيات قد ارتفع إلى نسبة اربعمائة بالمائة، أمّا نسبة مرض الكآبة وخاصة بين الشباب فقد ارتفعت ارتفاعاً عظيماً، أو بعبارة أخرى: إنَّ الرفاه المادي لا يؤدي إلى الراحة النفسيّة والروحيّة.

ومصادقيّة هذه الإحصائيات في دول أوروبا واليابان ظاهرة للعيان ولا أختلاف في

مصادقيتها.

في المهرجان الألفي للسلام العالمي المنعقد في صيف سنة ٢٠٠٠م طرِحَ موضوعُ حاز

تأكيد أصحاب الأديان المختلفة المشتركة في المؤتمر، يقول :

إذا لم يكن للإنسان أمان نفسي، فكيف يتمكن أن ينصرَ السلامَ العالمي؟! نعم، تمكَّنَ الإنسانُ خلال القرنين الماضيين أن يتقدَّم في عالم العلوم والتكنولوجيا (التقنيَّة) تقدماً كبيراً، حيث ازلت العلومُ الطبيَّةُ الحديثةُ كثيراً من الأمراض، وساعدت وسائط النقل الحديثة من ايصال المساعدات الطبيَّة والعينيَّة الى منطقتي الهزات الأرضيَّة والمناطق التي غمرتها مياه الفيضانات والقحط بشكل وسيع وسريع، وسهلت الفضائيات ووسائل الإتصالات الحديثة ربط أقصى نقاط العالم بأدناها. ورغم كلِّ هذا يمكننا القول برباطة جأشٍ واطمئنان كبير أن إنسان القرن العشرين قد دَمَّرَ وهدمَ المعمورة تدميراً لم يسبقه إليه أبناء جلدته من عصر «الدينا سورات» التي يومنا هذا — فقد انقرض نسل حيوانات كثيرة، وانخرق جدار الأوزون، وقُتل ملايين الأبرياء خلال الحربيَّين العالميّين والحروب الاقليميَّة والداخليَّة، وخلاصة القول أن تسخير قوى الطبيعة أصبح مardاً مسلطاً على البشريَّة جمعاء وهذا أمر واقع لا مفرَّ منه ويجب الاذعان له، كما أضحى ترسيخُ القاعدة التحتانيَّة للإقتصاد والسياسة في عصرنا الحالي مُبرراً رئيسياً لإِنفاق الأموال الطائلة في سبيل العلم .

والسؤال المهمُّ هنا هو: لِمَ لَمْ يَكُنْ تقدم العلم والتكنولوجيا وسيلة تؤمِّن أوسع الرفاه الروحي والفكري للبشريَّة؟

وللإجابة عليه نقول: إنَّ أغلب حكماء الغرب والشرق في عصرنا الحاضر يعتقدون أنَّ البشريَّة قد غيرت نظراتها الدينيَّة للطبيعة عن أصولها المعنويَّة والإنسانيَّة، وانفصمت عرى العلوم الطبيعيَّة عن أصولها المعنويَّة. ومن أجل اطمئنان القلوب وتلطيف مشاعر الخليقة، وإقامة العدل، واحترام كرامة الانسانيَّة، والقضاء على الفقر والمرض، وحفظ البيئة، يجب العودة الى الدين والإيمان، ويجب البحث عن وصفة الدواء الناجعة كي تعالج مشاقَّ عصرنا المُهلِكَة .

هُنا يظهر دور الامام علي (عليه السلام) الذي نشأ وترعرع في حجر الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وكان أقرب الناس اليه وابل تلامذة مدرسته العُلَيَا، ومَنْ خاض عباب بحر المعارف ونطق بكافة العلوم .

قال الاستاذ عباس محمود العقاد:

قَلَّمَا تَجَدُّ فَرْقَةٌ مِنْ فَوْقِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَكُنِ الْإِمَامَ عَلِيَّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) رَائِدَهَا وَمَحْوَرِ آرَائِهَا، وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ:

إِنَّ التَّوْحِيدَ وَالْعَدْلَ وَالْإِلَهِيَّاتِ لَا تَعْرِفُ إِلَّا عَنْ هَذَا [الامام علي (عليه السلام)]، وَلَا تَجِدُهَا فِي كَلَامِ الصَّحَابَةِ الْآخِرِينَ ١.

كَانَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَمِيدَ الْمُسْتَضْعَفِينَ، قُطْبَ الْعَارِفِينَ، قُدْوَةَ الْمُتَأَلِّهِينَ، إِمَامَ الْأُمَّةِ، وَهُوَ الْوَحِيدُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ذُو نَظَرِيَّاتٍ صَائِبَةٍ حَيْثُ نَفَّذَ تِلْكَ النِّظَرِيَّاتِ عَلَيَّ أَرْضَ الْوَاقِعِ عَمَلِيًّا.

وَقَدْ عَرَّفَ الْإِمَامَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الْعَدْلَةَ نَظْرِيًّا، وَنَفَّذَهَا أَيَّامَ خِلَافَتِهِ عَمَلِيًّا، وَكَانَتْ الْعَدْلَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ فِي أَيَّامِ حُكُومَتِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) تُعَدُّ مَنَارًا وَهَاجًا يُضِيُّ دَرَبَ النَّاسِ كَافَةً.

وَمِنْ أَجْلِ ضَمَانِ وَحِدَةِ الصِّفِّ الْإِسْلَامِيِّ نَرَاهُ قَدْ بَدَلَ الْعَفْوَ الْأَكْبَرَ وَالصَّفْحَ الْأَعْظَمَ وَعَلَى رَغْمِ أَحْقِيَّتِهِ بِخِلَافَةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نَرَاهُ قَدْ تَرَاجَعَ حَفِظًا لِكَيَانِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، نَاهِيكَ عَنْ دَعْوَتِهِ الْمُسْتَمِرَّةِ مِنْ أَجْلِ حَفِظِ وَحِدَةِ الْكَلِمَةِ وَتِرَاصِّ الصُّفُوفِ.

أَمَّا الْأَمْنُ (بِشَقِيَّتِهِ: الْأَمْنُ الشَّعْبِي، وَالْأَمْنُ الشَّخْصِي) فَلِلْإِمَامِ فِي هَذَا الْمَجَالِ أَكْمَلُ وَأَشْمَلُ وَأَعَمُّ الْبَيِّنَاتِ وَالْإِيضَاحَاتِ وَالتَّنْصَارِيحِ كَمَا خَطَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَوْسَعَ الْخَطُواتِ الْعَمَلِيَّةِ فِي هَذَا الْمَضْمَارِ.

نَعَمْ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَحْدِقُ الْخَطَرُ بِالْأَمْنِ الْوَطْنِيِّ لِلْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالتَّفْرِقَةُ أَصْبَحَتْ عَامِلًا مَهْمًا مِنْ عَوَامِلِ الضَّعْفِ أَمَامَ الْقُوَى الْإِسْتِعْمَارِيَّةِ، وَأَمَسَتْ الْحَقُوقُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ وَالْفَرْدِيَّةَ فِي عَالَمِنَا الْإِسْلَامِيِّ عُرْضَةً لِلْإِنْهِيَارِ وَالغُصْبِ الْقَهْرِيِّ، هُنَا يَفْرُضُ الْوَاقِعُ الْمُرُّ عَلَيْنَا التَّنَاسِيَّ وَالْإِقْتِدَاءَ بِسِيْرَةِ إِمَامِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، أَسَدِ اللَّهِ الْغَالِبِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَأَقْوَالِهِ، لِإِنَّ هَذَا الْإِقْتِدَاءَ وَالتَّنَاسِيَّ يُعْتَبَرُ أَنْجَعُ وَأَفْضَلُ الطَّرِيقِ لِإِعَادَةِ

١. العقاد - عباس محمود - ١٣٨٦ هـ ق - عبقرية الإمام علي (عليه السلام) - بيروت: المكتبة العصرية - ص ٧.

٣١، ٤٧.

٢. ابن أبي الحديد - عز الدين - ١٣٨٦ هـ ق - شرح نهج البلاغة - بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - بيروت: دار احياء التراث العربي - ج ٦، ص ٣٤٦.

الأمة الإسلامية إلى جادة الصواب و طريق الفلاح الذي رسمه الرسول الكريم (ﷺ) لأمتيه ودينه.

وقال حافظ عليه الرحمة :

از هر طرف که رفتم جز وحشتم نیفزود از گوشه‌ای برون آی ای کوب هدایت و معناه:

سلكت كافة السبل فلم أحصل إلا على الفزع والرهبه والخوف — فظهر لنا جلياً يا كوكب الهداية.

منح سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنه أي قائد الثورة الثورة الإسلامية سنة ١٣٧٩ هـ ش فخراً حيث اطلق عليها سنة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وإثر ذلك شكل المجلس الأعلى للثورة الثقافية هيئة خاصة لهذه الذكرى العطرة. كما وافق المجلس المذكور على اقتراحي حول إقامة المؤتمر الدولي تحت عنوان «الامام علي (عليه السلام) و العدالة و الوحدة والأمن»، وألقى سيادة الدكتور كي نژاد السكرتير العام لمجلس الثورة الثقافية مسؤولية إقامة المؤتمر على عاتقي.

في بداية الأمر شكّلت هيئة علمية حيث اتخذت قراراً بتعيين الموضوعات الفرعية، وتهيئة مقالات المؤتمر. وفي شهر «شهر يور» من العام الشمسي (23 August) ارسلت سكرتارية المؤتمر طلباً إلى كافة المراكز العلمية — الثقافية، والدينية في داخل القطر وخارجه ناشدت فيه ارسال مقالات للمؤتمر، ومن أجل منح الفرصة الكافية للأساتذة والباحثين كي يهيئوا مقالاتهم تقرر أن يُقام المؤتمر في العقد الأخير من شهر «اسفند» سنة ١٣٧٩ هـ (= March - 2001) المقارن لأيام عيد الغدير السعيد. ومع هذا نرى أكثر الباحثين والمحققين وخاصة الأساتذة الفضلاء في خارج القطر قد أبدوا عتابهم على قلّة الوقت المناسب من أجل تهيئة مقالة قيّمة.

وصلت إلى المؤتمر ٢٥٠ مقالة من خارج و داخل القطر. وارسل بعض الأساتذة الفضلاء خلاصة عقالاتهم؛ ولم يسعفهم الوقت في تدوين أصل المقالة؛ لذا قدّموا اعتذارهم عن الاشتراك في المؤتمر. أمّا المقالات التي وصلت إلى المؤتمر فقد ارسلت

كُلُّ مقالة إلى ثلاثة محكمين من أجلة أساتذة الجامعات والحوزات العلمية. وإنَّ المقالات المدوّنة بالفارسيّة والعربيّة والتي أُلقيت في المؤتمر كانت قد حازت على قبول الآراء الثلاثة بالإجماع كفيّة وعلميًّا. أمّا المقالات المدوّنة بالإنجليزيّة فقد نُظر إليها بنظرة سَمِحَةٍ و ذلك لأسباب خاصة. كما تقرّر طبع المقالات التي حازت على تأييد أستاذين من المحكمين في الكتاب الخاص بالمؤتمر والذي سيصدر باللّغات الثلاث: الفارسيّة — العربيّة — والانجليزيّة.

ونظرًا لكثرة مقالات المؤتمر حدّد وقت المحاضر بعشرين دقيقة، ومراعاة إلى الطلبات المتكرّرة أصبح الوقت المقرّر عشرة إلى خمس عشرة دقيقة كي يحصل المشاركون على وقت لطرح الأسئلة الضروريّة والاستفسارات اللازمة واجابة المحاضر عليها.

وصلت إلى سكرتاريّة المؤتمر بعد انتهاء الزّمن المخصّص لاقامة المؤتمر بعض المقالات المميّزة علميًّا لذا تقرّر طبعها ضمن مقالات المؤتمر. وهناك مقالات حازت قبول المحكمين ولم تشارك بالمؤتمر لتشرّف اصحابها باداء فريضة الحجّ لذا تقرّر طبعها ضمن مقالات المؤتمر أيضاً. وممّا تجدر الاشارة اليه هو أنّ المقالات التي وصلت إلى سكرتاريّة المؤتمر كانت كما يلي:

١. ٧٥٪ بحثت موضوع العدالة.

٢. ٢٥٪ بحثت موضوع الوحدة وموضوع الأمن، وبالشكل التالي: ثلثا المقالات بحثت موضوع الوحدة، والثلث الباقي بحث موضوع الأمن.

كما عرضت سكرتاريّة المؤتمر مواضيع مهمّة ولكنها لم تحظى بتوجه المحققين رغم أنّ بعضها يحتل موضوع السّاعة كالأمن السيّكولوجي (الأمن الروحاني — الأمن النفساني)، لذا من الأولى واللاحق والأحرى على الجامعات ومعاهد البحث العلمي — الأدبي، أن تولي اهتمامها لبحث وتحقيق هذه المواضيع.

وممّا يدعو إلى البهجة والإرتياح أنّ سعادة الدكتور مصطفى معين وزير التعليم العالي

(وخلال الأيام الأخيرة للمؤتمر) قد أصدر أمراً وافق بموجبه علي تأسيس «مؤسسة بحوث الامام علي (عليه السلام) الدولية» في معهدنا (معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية)، واخيراً صدق «مجلس تطوير التعليم العالي» علي هذا القرار.

و نرجو أن تتمكن هذه المؤسسة من أن تقدم ابحاثاً حول المشاكل السائدة في مجتمعنا هذا اليوم وبالهام من نظريات أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام).

و هنا لا يسعني إلا أن أقدم جزيل شكرى لسماحة المرجع الموقر آية الله العظمى «نوري همداني» علي تقبله مسؤولية خطاب افتتاح المؤتمر حيث ألقى محاضرة في غاية السمو والعظمة .

وكما أقدمُ أسمى آيات الشكر لسماحة آية الله «جوادى آملی» علي محاضرته القيمة التي القاها ارتجالاً وبدون تحضير حيث نالت استحسان ضيوف المؤتمر .

و ختاماً نعلن أن كافة المقالات المؤيدة من قبل المحكّمين (الفارسيّة — العربيّة — الانجليزيّة) ستطبع بفضل الله سبحانه و تعالی بعدة مجلّدات، وهذا الكتاب باكورة المقالات العربيّة المقدّمة للمؤتمر، نتمنى أن تكون نافعة مجدية في تمهيد و نشر المعارف العلويّة ان شاء الله تعالی.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



## أسس و مبادئ الحكومة الاسلامية عند الامام علي (عليه السلام)

آية الله العظمى

الشيخ حسين نوري الهمداني

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه واشرف برئته سيدنا و نبينا ابي القاسم محمد صلى الله عليه و على اهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين المنتجبين المكرمين واللعن على اعدائهم اجمعين .

اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لئرد المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك.

بعد تقديم التهئة والتبريك بمناسبة عيد الغدير السعيد، والشكر للسادة المحترمين الذين كان لهم دور في تأسيس مؤتمر الامام علي (عليه السلام) الدولي.

وكلنا امل ان تأخذ هذه المؤسسات في كل عام صفتها الرسمية و تستمر لنجلس الى جانب بعضنا و في مقابل بعضنا لتتحدث في ذكرى مولى المتقين الامام علي (عليه السلام) .

و حديثي في هذا المجمع المحترم يدور حول اسس و مبادئ الحكومة الاسلامية عند الامام علي (عليه السلام) . و سوف استعرض في البداية فهرست العناوين الخاصة بالبحث، و بعدها ساتحدث - حسب ما يسمح به المجال - بالتفصيل في كل واحد من تلك العناوين .

ان المتحدث المامكم قام بتصنيف اسس و مبادئ حكومة الامام علي (عليه السلام) في

اثنين و ثلاثين اساساً، وهي كالتالي:-

دوافع تأسيس الحكومة العلوية، الحرص على بيت المال والدقة في انفاقة، الاحتراز من كنز المال عند المتصددين للحكومة زهد مسؤولي شؤون الدولة و بساطة عيشهم، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الاهتمام بالفقراء، والمعذّبين والمحرومين في المجتمع والسعي لازالة الفقر، وحدة المسلمين واتحادهم، عدم اخفاء الاعمال عن الناس ووضعهم في مجريات الاحداث، عدم فسح المجال والفرصة للحاشية والمقربين من اجهزة السلطة، لكسب الامتيازات و سوء الاستفادة من المواقع، والسعي لنيل رضا عموم الناس، حب الناس واحترامهم والمحافظة على كرامتهم، الاهتمام الخاص بالقوات العسكرية والدقة في اختيارهم، نشر العدل والاحتراز الشديد من الظلم، الاطلاع على الاوضاع ومخططات الاعداء، تجنب الغفلة في مقابل اعمالهم، عدم ترك دعاية الاعداء بدون جواب، ضرورة سهولة الوصول الى المتصددين في الحكومة الاسلامية، وعدم وضع الحُجّاب، الحرية وضمانها للناس، التوصيات المؤكدة الاخلاقية والاجتماعية لموظفي الدولة عند تعيينهم، الاشراف الدقيق على اعمال واوضاع موظفي الدولة، تشجيع و تمشين المحسنين، التأكيد الشديد في امر القضاء ووظائف القضاة في النظام الاسلامي والسعي لانتخاب القضاة الذين تتوفر فيهم الشرائط، الاهتمام باحوال المزارعين، والتجار والصّناع و رفع مشكلاتهم الحياتية والمهنية، الاستشارة على انها مبدأ في الحكومة الاسلامية، عدم فسح المجال لاولئك الذين يبحثون عن التقرب والمواقع العالية عن طريق المديح والتملق، التعليم والتربية تزامنها مع الالتزام الاسلامي، الوعظ والارشاد والبلاغ والنصيحة، السلم والامن، الوفاء بالعهود والمواثيق، السعي لإعمار البلاد، نشر ثقافة الجهاد و طلب الشهادة وترسيخها، اسلوب استيفاء الضرائب، الزعيم و شرائط الزعامة.

و سوف نشرع بتوضيح هذه الاسس الاثني والثلاثين مستنديين في اغلب ذلك على آراء الامام علي (عليه السلام) المذكورة في نهج البلاغة.

## دوافع تأسيس الحكومة العلوية:

نورد في هذا المجال العبارات التالية المأخوذة من خطبة الامام علي (عليه السلام) (الرقم ٣١)، والتي ذكرناها في مفتتح الكلام<sup>١</sup>. وهي قوله (عليه السلام):

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافِسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلَا أَلْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْخَطَامِ ، وَلَكِنْ لِنَرْدِ الْمَعَالِمِ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمَعْظَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ».

و في الخطبة الثالثة والثلاثين يوضح الامام علي (عليه السلام) هدفه من اقامة الحكومة بالشكل التالي:-

قال عبدالله بن العباس - (رضي الله عنه) - دخلت على امير المؤمنين (عليه السلام) بذي قار وهو يخصف نعله ، فقال لي :

«ما قيمة هذا النعل؟» قلت : لا قيمة لها. فقال (عليه السلام) :

«والله لهي احبُّ إليَّ من امرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً»

## الحرص الشديد على بيت المال والدقة في انفاقه :

يقول الامام علي (عليه السلام) مخاطباً المسؤولين في ادارة الدولة:

كتب (عليه السلام) الى عماله :

«ادقوا اقلامكم، وقاربوا بين سطوركم، واحذفوا عني فضولكم، واقصدوا قصد

المعاني، واياكم والاكثر، فإن اموال المسلمين لا تحتل الاضرار»<sup>٢</sup>.

و توجد على هذا الصعيد امثلة كثيرة، من رسائل الامام علي (عليه السلام) وهو يخاطب بها

عماله، و كمثل على ذلك ما ورد في الرسالة الواحدة والاربعين في نهج البلاغة مخاطباً

بها ابن عمه:

فإني كنتُ اشركتُك في امانتي، وجعلتُك شعاري و بطانتي... فاتق الله واردد إلى

هؤلاء القوم اموالهم، فانك إن لم تفعل ثم امكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك،

ولأضربك بسيفي الذي ما ضربتُ به أحداً الا دخل النار!

و في الخطبة (٢٢٤) يذكر الامام علي (عليه السلام) قصته مع عقيل و تقريبه الحديدية المحميّة

من بدنه، و في الرسالة العشرون يخاطب زياد بن ابيه الذي كان نائباً لعبد الله بن عباس في

البصرة:

واني أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً

صغيراً او كبيراً، لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةً تَدْعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهِرِ، ضَّئِيلَ الْأَمْرِ،  
والسلام .

ونلاحظ مثل هذه العبارات في الرسالة السادسة والعشرين .  
وإنَّ اعظم الخيانه خيانه الامية، وَاَفْطَعُ الْغِشَّ غِشُّ الْاِثْمَةِ، والسلام .

### تجنب كنز المال:

ان على المتصددين لشؤون الدولة ان يتحركوا باخلاص وصدق، ولا يكتنزوا الاموال  
لانفسهم، يقول مولانا الامام علي (عليه السلام) حول هذا الموضوع<sup>٣</sup>:  
قال علي (عليه السلام):

دَخَلْتُ بِلَادَكُمْ بِأَسْمَالِي هَذِهِ وَرَحَلْتِي هَا هِيَ فَإِنِ أَنَا خَرَجْتُ مِنْ بِلَادِكُمْ بِغَيْرِ مَا  
دَخَلْتُ فَانْتِي مِنَ الْخَائِنِينَ .

### زهد مسؤولي الدولة و بساطة عيشهم:

يرتبط الزهد بنفسية الشخص، والزاهد مع امتلاكه لامكانية الاستفادة من النعم الكثيرة  
فانه يصرف نظره عنها في سبيل الله ليجعل حياته متساوية مع حياة الفقراء والمحرومين،  
وقد نقل عن الامام علي (عليه السلام) قوله<sup>٤</sup>:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرَضَ عَلَيَّ اِثْمَةَ الْعَدْلِ اِنْ يَقْدَرُوا اَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ  
بِالْفَقِيرِ قَرْنُهُ .

ونقل عنه (عليه السلام):<sup>٥</sup>

وَاللَّهِ لَقَدْ رَقَعْتُ بِدِرْعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحَبْتُ مِنْ رَاقِبِهَا.

### الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وفي هذا المجال يقول الامام علي (عليه السلام)<sup>٦</sup>:

فَإِنَّ اللَّهَ شَبَّحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقُرْنَ الْمَاضِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرِفِ  
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

ويقول (عليه السلام) في مكان آخر<sup>٧</sup>.

لَا تَتْرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُؤَلَّى عَلَيْكُمْ اِشْرَارُكُمْ ، ثُمَّ تَدْعُونَ  
فَلَا يُسْجَابُ لَكُمْ.

## الاهتمام بحال الفقراء والمحرومين والسعي لازالة الفقر:

جاء الحديث في اماكن عديدة من نهج البلاغة عن الفقر والمشكلات التي يواجهها افراد المجتمع بسبب خلو ذات اليد، كما ثم التعرض لبيان العلاقة بين الفقر والجهل والألم والمرض والحرمان الاجتماعي وغيرها من المشاكل .

وَالْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِينَ عَنْ حُجَّتِهِ وَ الْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلَدِيهِ

(الكلمات القصار ٣).

الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ، وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ (الكلمات القصار ٥٣)

يَا بَنِيَّ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقُصَةٌ لِلدِّينِ، مَدَهْشَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ (الكلمات القصار ٣١١).

في العبارات اعلاه، تُذكر بوضوح المشاكل والنتائج الناجمة عن الفقر، ولا تصور أنها تحتاج الى بيان و توضيح، و خلاصته كلام الامام علي (عليه السلام) هو انه يعتبر الفقر الموت الاكبر، فالفقر وضيق ذات اليد، ذات أثر سلبي في الدين، وهو يُحير العقل و يسبب النفرة عن الفقير.

ينقل انه (عليه السلام) مرّ احد الايام على رجل عجوز اعمى كان يمد يده الى الناس، و عندما علم انه نصراني، قال<sup>٨</sup>:

إِسْتَعْمَلْتُمُوهُ حَتَّى إِذَا كَبَرَ وَ عَجَزَ مَنْعْتُمُوهُ أَنْفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ .

و الامر الآخر المهم، هو عهده لمالك الأشتر فهو شافٍ و كافٍ في آن معاً، و يكفي لمن يريد ان يتعرف على شمولية الاسلام ان يقرأه، إنَّه عهد يكشف العلاقة الوثيقة بين الاسلام والسياسة.

و اعتبر جورج جرداق المسيحي في كتابه عند مقارنته بين عهد الامام علي (عليه السلام)

لمالك الأشتر (الرسالة الثالثة والخمسون من نهج البلاغة) و ميثاق الامم المتحدة، أنَّ الاول متقدماً على الثاني بعدة نقاط .

الاولى، إنَّ الامام علي (عليه السلام) كتب عهده قبل اكثر من الف عام - حيث لم يكن العلم و

المعرفة بهذه السعة التي نشهداها اليوم، والثانية، ان ذلك العهد كتبه الامام علي (عليه السلام) بمفرده و لكن عندما ارادوا ان يكتبوا ميثاق الامم المتحدة فانهم جمعوا المفكرين والكتاب من جميع انحاء الدنيا، و لم يتوصلوا الى ذلك الا بعد الحذف والاضافة و في خلال عدة سنوات. و الثالثة، إنَّ الامام علي (عليه السلام) لم يمنَّ على الناس بل كتب عهده

ووضعه بكل تواضع تحت تصرف مالك الاشر، ولكن الذين كتبوا ميثاق الامم المتحدة يعتبرون جميع الناس مدينون لهم .

والرابعة والأهم من كل ما تقدم هو ان الامام علي (عليه السلام) كتب عهده و بقي حتى آخر قطرة من دمه ملتزماً به و عاملاً به، ولكن ميثاق الامم المتحدة لم يجف الحبر الذي كتب به حتى قام من كتبه بهدر الدماء و نشر الفساد.

وفي وسط الرسالة المذكورة، يقول الامام علي (عليه السلام) مخاطباً مالك الاشر<sup>٩</sup> :  
 «ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى» ففي هذه الطبقة أناسٌ اشراف ولكنهم من الناحية الاقتصادية يعانون من ضيق المعيشة، ثم يقول له :  
 «فَأَنْ لِّلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِّلْأَدْنَى» وكلُّ قد استرعيت حقه» و.. فلا يشغلنك عَنْهُمْ بطر».

ان هناك حديثاً واسعاً في هذا الموضوع، ولكن على اي حال نجد هناك أن الاهتمام الاكبر منصَّبٌ على المحرومين والسعي من اجل ازالة الفقر والعوز عنهم .

### وحدة المسلمين واتحادهم:

ان الوحدة والاتحاد هي من العناصر الاساسية للحكومة الاسلامية عند الامام علي (عليه السلام)، فالافكار يجب ان تتضافر لتحقيق النجاح في تقدم الحياة، ولكن الاختلاف يؤدي الى قيام الافكار بتخريب بعضها الآخر.  
 الخلاف يهدم الرأي<sup>١٠</sup> :

ونجد في الخطبة القاصعة وهي اطول خطب نهج البلاغة الكثير من التحذيرات على هذا الصعيد<sup>١١</sup>.

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء مجتمعة، والاهواء مؤتلفة، والقلوب معتدلة، والايدي مترادفة، والسيوف متناصرة، والبصائر نافذة، والعزائم واحدة..»  
 و يقول :

ألم يكونوا أرباباً في اقطار الارضين، وملوكاً على رقاب العالمين؟ فانظروا إلى ما صاروا اليه في آخر امورهم، حين وقعت الفرقة، وتشتت الألفة، واختلفت الكلمة والافئدة، وتشعبوا مختلفين، و تفرقوا متحاربين، قد خلَعَ اللهُ لباس كرامته، وسلبَهُمُ غضارة نعمته، وبقي قصص اخبارهم فيكم عبرة للمعتبرين منكم .

ويقول (عليه السلام) في الخطبة ١١٢ ايضاً<sup>١٢</sup>.

أسس ومبادئ الحكومة الإسلامية عند الامام علي (ع) ١٥

وانما انتم إخوان على دين الله، ما فرّق بينكم إلا خُبثُ السرائرِ، وسوء الضمائر.

**عدم اخفاء الامور عن الناس:**

على المتصددين لأُمور الدولة ان يضعوا الناس دائماً في مُجريات الامور، لذلك فإن الامام علي (عليه السلام) عندما يخاطب مالك الأُشتر يؤكد عليه<sup>١٣</sup>.

وان ظنّنت الرعيّة بك حَيِّفاً فاصْحِرْ لَهُمْ بِعُدْرِكَ، واعدِلْ عنك ظنّونَهُم باصْحارك.

**عدم فسح المجال للاستثثار بالامتيازات و سوء الاستفادة من المنصب :**

و على هذا الصعيد و في نفس الرسالة ينبّه الامام علي (عليه السلام) مالك الاشر<sup>١٤</sup> :

ثم ان للوالي خاصّة و بطانة. فيهم استثثار و تطاول، و قلة إنصافٍ في معاملته، فاحسبم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال .

كما جاءت التوصيات الكثيرة في كلام الائمة الاطهار (عليهم السلام) المؤكدة بالوقوف في مواجهة الاستثثار في كل الظروف .

**السعي لنيل رضا عموم الناس :**

وحول هذا الموضوع يخاطب الامام (عليه السلام) مالك الأُشتر<sup>١٥</sup> و ليكن احبُّ الامور اليك اوسطها في الحقّ واعمّها في العدل، واجمعها لرضى الرعيّة و على نفس الصعيد يرى الامام علي (عليه السلام)<sup>١٦</sup> :

فان سخط العامة - يُجحفُ برضى الخاصّة.

ان نيل رضی عدد من الافراد ليس هو الميزان، بل المعيار هو رضی عموم الناس، لذا فإنه (عليه السلام)، يؤكد<sup>١٧</sup>.

وانما عمود الدين، وجماع المسلمين، والعدّة للاعداء، العامة من الامة، فليكن صغوك لهم، وميلك معهم.

و يقول (عليه السلام)، على نفس الصعيد<sup>١٨</sup>.

وان افضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعيّة.

**حب الناس واحترامهم و حفظ كرامتهم:**

و يقول مولی المتقين في هذا الخصوص<sup>١٩</sup> :

واشعر قلبك الرحمة للرعيّة، والمحبة لهم، واللطف بهم، و لا تكوننّ عليهم سبباً

ضارياً نَعْتِنِمُ أَكَلَهُمْ، فانهم صنفان: اما اخُ لك في الدين، واما نظيرُ لك في الخلق .  
وجاء في الكلمة السادسة والثلاثين من كلماته القصار، ان الامام (عليه السلام) عندما  
ذهب الى الشام في حرب صفين أن الدهاقين والمزارعين في مدينة الأنبار  
ترجلوا احتراماً له واخذوا يسيرون في ركابه ويركضون امامه (وقد لَقِيَهُ عِنْدَ  
مسيره (عليه السلام) الى الشام دهاقين الأنبار فترجّلوا له واشتدوا بين يديه» فتألم  
(عليه السلام) وسألهم

(ما هذا الذي صنعتموه» فقالوا «خُلِقُ مِنَّا نُعَظَمُ به امراءنا» فقال :  
«والله ما ينتفع بهذا امراؤكم: وانكم لتشقون على انفسكم في دنياكم، وتشقون به  
في آخرتكم».

وهنا أكد أن الزمان اليوم اختلف، ولكن في ذلك الزمان كان هذا العمل يُعد اهانة،  
وهو عند الامام علي (عليه السلام) يتنافى مع كرامة الانسان .

### الاهتمام الخاص بالقوى العسكرية والدقة في اختيارهم:

وجاء في رسالة الامام علي (عليه السلام) الى مالك الاشراف أيضاً ٢٠ .  
فالجند باذن الله، حصون الرعيّة وزين الولاية، وعزّ الدين، وسبيل الامن و ليس تقوم  
الرعيّة الا بهم .

في هذا الخصوص شواهد كثيرة لكننا نكتفي بما ذكر اعلاه .

### نشر العدالة والاحتراز الشديد من الظلم:

نجد نهج البلاغة مليئاً بالتأكيد على هذا الامر، ففي الخطبه ١٦٣ جاء:

«فاعلم من افضل عباد الله امام عادلٌ هُدي و هُدى، فاقام سنة معلومةً وامات  
بدعةً مجهولةً، وان السننَ لنيرةً لها اعلامٌ، وان البدعَ نظاهرةً لها اعلامٌ، وان شر  
الناس عند الله امامٌ جائرٌ ضلّ و ضلّ به، فامات سنةً مأخوذةً، واحيا بدعةً  
متروكة، واتي سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول:

و يوتئى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في نار جهنم،  
فيُدورُ فيها كما تدور الرحي، ثم يربطُ في قعرها.

لقد اقترح بعض الافراد على الامام علي (عليه السلام) ان يقدم لبعض الناس الاموال ليقوموا  
بدعم واسناد الحكومة العلوية، لكن الامام علي (عليه السلام) رأى ان هذا العمل ظلم وتمييز، و  
قال عن ذلك في الخطبة ١٢٦:



«أتأثروني ان اطلب النصر بالجُودِ فيمن وُلِّيتُ عليه؟ والله لا اطُورُ به ما سَمَرَ سَمير وما أُمَّ نجمٌ في السماءِ نجماً».

أو ما تُقل من انه في عهد عثمان كانوا قد وزعوا بيت المال على الناس بدون أصول، وانه (عليه السلام) اقام باعادة تلك الاموال الى الخزينة، وهو قوله «والله لو وجدتُ قد تُزَوِّجُ به النساءُ ومُلِّكُ به الإيَّاءُ لرددتهُ، فإنَّ في العدلِ سعة، ومن ضاق عليه العدلُ فالجورُ عليه اضيق»<sup>٢١</sup>. وفي نهاية المطاف عندما ضربَ ابنُ ملجم، امير المؤمنين (عليه السلام) أوصى بعدم إراقةِ الدماءِ بحجة أن أمير المؤمنين قد قتل<sup>٢٢</sup> «يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماءَ المسلمين خوفاً، تقولون: «قُتِلَ امير المؤمنين، قُتِلَ امير المؤمنين، الا لا يُقتلَنَّ بي الا قاتلي» ثم يؤكد على ضرورة ان لا يقتل الا شخص واحد فيقول: «انظروا إذا انا ميتٌ من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة» وهذا منتهى العدالة، فهو يوصي بأني اذا استشهدت فالحق للورثة و لكن بشرط ان لا يتعدى الورثة العدل، وان لا يلجأوا الى المثلة، فضربة في مقابل ضربة تكفي «اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور».

### الخبرة بالظروف والاوزاع ومخططات الاعداء :

في الخطبة السادسة، يجيب الامام علي (عليه السلام) من قال له ان لا يذهب الى قتال طلحة و الزبير، بالقول: «والله لا اكون كالصَّبُعِ تنامُ على طُولِ اللِّدَمِ، حتى يصل اليها طالبُها ويختلها راصدُها» انه يقول انني لست كذلك، بل يجب عليَّ النهوض .  
«ولكنني اضربُ بالمُقْبِلِ الى الحقِّ المُدْبِرِ عنه، و بالسَّامِعِ المطيعِ العاصي المريبِ ابدأ»  
ثم يقول<sup>٢٣</sup>:

«والله ما أستغفل بالمكيدة ولا أستغمرُ بالشديدة»<sup>٢٤</sup>.

ويمكن استخراج امور اخرى من كلام الامام (عليه السلام).

### عدم ترك دعايات الاعداء بدون جواب:

كان الامام علي (عليه السلام) يتلقى الناس دائماً بوجه طلق و عطوف ، و لهذا السبب اراد عمرو بن العاص ان يشيع بين الناس ان الامام علي (عليه السلام) فيه دعاية كثير المزاح ، لكن الامام لم يسكت على ذلك ، فاجاب على ذلك بالقول<sup>٢٥</sup> «عجبا لابن النابغة! يزعم لاهل الشام ان في دُعابة، واني امرءٌ تلعبه اعافِسُ وأمارسُ، لقد قال باطلاً، و نطق آثماً» .  
وهنا بعض النقاط المهمة ومنها ما اشار اليها الامام بقوله « اما والله اني ليمنعني من

اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ» و يقول ايضاً « وانه لَيَمْنَعُهُ من قول الحق نسيانُ الآخرة» .

### ضرورت عدم احتجاب المتصدين لامور الدولة :

يجب على اصحاب المناصب والمواقع في الدولة ان لا يحتجبوا عن الناس ، ولا يضعوا على ابوابهم الحُجَاب والبوابين، و حول هذا الامر يقول الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشر: «فلا تُطَوِّلَنَّ احتجابَكَ عن رعيتِكَ فان احتجاب الوُلاة عن الرعية شعبةٌ من الضيق، و قلة علم بالامور»<sup>٢٦</sup> ثم يقول (عليه السلام) : «واجعل لذوي الحاجات منك قِسْماً تُفْرَغُ لهم فيه شَخْصَكَ، و تجلس مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك و تقعدُ عنهم جُنْدَكَ واعوانك حتى يكلمك متكلمهم غير متنتع ، فاني سمعتُ رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول في غير موطن : « لَنْ تُقَدَّسَ امةٌ لا يُؤَخَذُ للضعيف فيها حقه من القوي غير متنتع » .

### الحرية و توفيرها للناس:

توجد تأكيدات كثيرة حول هذا الامر، ومنها الامام علي (عليه السلام) في الرسالة «(٣١) :<sup>٢٨</sup> «ولا تكن عبد غيرك و قد جعلك الله حُرّاً» .

ان الحرية داخل اطار الشريعة الاسلامية هي من عناصر الحكم الاسلامي.

### التوصيات الاخلاقية والاجتماعية المؤكدة لمسؤولي الدولة حين تعيينهم:

و هنا يمكن ان نذكر كمثال على ذلك ما اوصى به امير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) محمد بن ابي بكر حين ارسله الى مصر<sup>٢٩</sup> :

«فاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَالْإِنُّ لَهُمْ جَانِبُكَ وَأَبْسَطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ» .

و نجد مثل هذه العبارات والوصايا تتكرر كثيراً عند تعيين الامام علي (عليه السلام) للولايات والعمال، و نجد ما يشبه ذلك في الرسالة «(٢٧)»، حيث نقرأ<sup>٣٠</sup> :

«فليكن أحبُّ الذخائرِ اليك ذخيرة العملِ الصالحِ وَأَمْرُهُ ان يكسِرَ نفسه عند الشهواتِ ، وَيَزَعَهَا عند الجمحاتِ ، فان النفس امارَةٌ بالسوءِ الا ما رَجِمَ اللهُ و اذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك اُبْهَةً او مخيلةً ، فانظر الى عِظَمِ مِلْكِ اللهِ فوقك» .

## الاشراف الدقيق على اعمال و اوضاع مسؤولي الدولة:

و نُشير هنا الى رسالة الامام مولى المتقين (عليه السلام) الى شريح بن الحارث احد قضاة الامام، فقد علم الامام ان شريح اشترى بيتاً بثمانين ديناراً فاستدعاه و قال له <sup>٣١</sup>:

«بلغني انك ابتعت داراً بثمانين ديناراً، و كتبت لها كتاباً... فقال شريح . قد كان ذلك يا امير المؤمنين . قال، فنظر اليه نظر، المغضب، ثم قال له: يا شريح، اما انه سياطيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسألك عن بنيتك حتى يخرجك منها شاخصاً و يُسلمك الى قبرك خالصاً» ثم يقول له « فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، او نقدت الثمن من غير حلالك، فاذا أنت خسرت دار الدنيا و دار الآخرة...»

و جاء في مكان آخر « وبنى رجلٌ من عمّاله بناءً فخماً، فقال (عليه السلام): أَطْلَعَتِ الْوَرَقُ رُؤُوسَهَا، إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنَى . فَارْفَعِ الْيَّ حِسَابَكَ ، وَاَعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ اعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ » <sup>٣٤</sup>.

ومن جملة المسائل الاخرى المتعلقة بالاشراف على مسؤولي الدولة، هي القضية المتعلقة بعثمان بن حنيف الذي دُعي فاجاب الى طعام لم يُدع له الا الأثرياء، فقال الامام (عليه السلام) <sup>٣٥</sup>:

وما ظننتُ انك تجيبُ الى طعامِ قومٍ ، عائلُهُمْ مجفُوٌّ ، و غنيُّهُم مدعُوٌّ.

## تقدير و تشجيع المحسنين:

و حول هذا الموضوع يقول الامام علي (عليه السلام) موصياً <sup>٣٦</sup>:

«ولا يكوننَّ المُحْسِنُ والمسيءُ عندك بمنزلة سواء فإنَّ في ذلك تزهيداً لاهل الاحسان في الاحسان . و تدريياً لاهل الاساءة على الاساءة».

## الوصايا المؤكدة في امر القضاء و وظائف القضاة في النظام الاسلامي:

لقد وردت في الحكومة الإسلامية الوصايا المؤكدة في مجال القضاء، و من جملة ذلك ان يكون القاضي من افضل الناس، وان يحكم بدقة و انتباه، وأن لا تلتبس عليه الامور، وأن يتبع عن اللجاجة و الانزلاق و الخطأ، وان لا يتعد في اي وقت عن الحق، وان يعزم على اصدار الحكم معتمداً على الدليل القاطع و المعرفة الكافية، وان لا يقع تحت تأثير الطمع، وان لا يتأثر بالمديح و الثناء من قبل الآخرين لكي لا يقع في ورطة الانانية و كبر النفس . و على هذا الصعيد، فإن القاضي عندما تتم ضمانته معيشته فإن و سوسة الرشوة لن

تمو عنده و بدون شك فانه سيبقى مصاناً من الفساد والانحراف ، كما نقرأ كل ذلك في عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشر ٣٦ .

«اختر للحكم بين الناس افضل رعيك في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكة الخصوم ، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحضر من الفياء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه ، واوقفهم في الشبهات، واخذهم بالحجج، واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، واصبرهم على تكشيف الامور، واحرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه اطراء ، ولا يستميله اغراء، واوولئك قليل، ثم اكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علته و تقل معه حاجته الى الناس» .

### الاهتمام بالزراع والتجار واهل الصناعة:

يجب الاهتمام بهذه الشريحة ومساعدتها واذا كانت لهم في اعمالهم مشكلات فيجب حلها، وبما ان توفير الغذاء في الدولة يتحمل مسؤوليتها المزارعون، لذلك فان من الواجب الاهتمام بهم بشكل خاص :

«وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع، و سوء ظنهم بالبقاء، وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة، و من طلب الخراج بغير عمارة اخرج البلاد، واهلك العباد.

### المشورة باعتبارها احد اساس الحكومة الاسلامية:

لقد جاء التأكيد في الحكومة الاسلامية على المشورة كثيراً، ونشاهد ذلك في كلام امير المؤمنين (عليه السلام) ٣٩ :

«من استقبل وجوه الآراء ، عرف مواقع الخطأ».

وجاء ايضا ٤٠ : «من استبد برأيه هلك ، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها» .

### عدم فسح المجال للمتملقين:

روي عن الامام علي (عليه السلام) قوله : « وان من اسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان يظن بهم حُب الفخر، ويوضع امرهم على الكثير... فلا تكلموني بما تكلم به الجابرة.. ولا تخالطوني بالمصانعة ٤١ ، وقال (عليه السلام) لرجل افراط في الشناء عليه و كان (عليه السلام) له

متهماً: إنَّ ادون ما تقول، و فوق ما في نفسك<sup>٤٢</sup>.

### التعليم والتربية الى جانب الالتزام الاسلامي:

و الحديث في هذا الموضوع حديث واسع، و قد اكدَّ عليه امير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) حيث قال<sup>٤٣</sup>:

«ايها الناس، ان لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق : فاما حقكم عليّ فالنصيحة لكم، و توفير فيثكم عليكم، و تعليمكم كيلا تجهلوا، و تأديبكم كيما تعلموا.»  
و توجد هناك شواهد كثيرة تدلُّ على ضرورة ان يكون التعليم والتربية متزامناً مع الالتزام الاسلامي واستعرض كل تلك الشواهد يطول البحث فيه .

ان خطب امير المؤمنين (عليه السلام) في معرفة الله وامثالها ذات مستوى عالٍ، ولكن يجب الالتفات الى ان الخطبة هي غير الكتاب ، بمعنى ان العالم يؤلف كتاباً لاهل العلم ، اما الخطبة فهي تتضمن مقاطع مختلفة و هي موجهة لمختلف الاصناف والمستويات ، و من ذلك الخطب في ساحة القتال حيث توجه الى الجنود، و في السوق الى اصحاب السوق ، و في المساجد الى عموم الناس، و بناء على ذلك، فأن خطب امير المؤمنين (عليه السلام) تنطوي على مضامين راقية وقيمة يجب عدم الغفلة عنها، ان الثقافة العلوية، و المدرسة العلوية، و الحكومة العلوية رفعت ثقافة الناس الى مستوى عالٍ، حتى ان كثيراً من الناس يفهمونها من خلال التأمل فيها، مع انها عالية المستوى الى درجة بحيث ان امثال المرحوم صدر المتألهين الشيرازي، و المرحوم البحراني، و المرحوم الخوئي و هم ممن شرح نهج البلاغة يقضون بعض الاحيان عاجزين عن ادراك معاني بعض الكلمات ، فكيف استطاع اهل السوق ان يفهموها كما فهمها كذلك الجنود في ساحات القتال ؟ و هنا نقول ان الخطيب يجب ان يتحدث بما يقتضيه حال الناس حتى يفهم المخاطبون ما يقال .

ان الامام علي (عليه السلام) هكذا قال<sup>٤٤</sup>.

«بتشعيره المشاعير عُرِف ان لا مشعر له ، و بمضادته بين الامور عُرِف ان لا ضدَّ

له، و بمقارنته بين الاشياء عُرِف ان لا قرين له.» .

و هنا نلاحظ ان معنى هذه الجملة عميق جداً، ولكنه في نفس الوقت يستطيع اصحاب

السوق و اولئك الذين هم في المسجد ان يفهموها .

و قد جمعت الكثير من هذه النماذج، و هنا اکتفي بنقل بعض الموارد منها:

نوف البكائي قال :

خطبنا بهذه الخطبة امير المؤمنين (عليه السلام) بالكوفة و هو قائم على حجارة، نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من ليف، كأن جبينه ثفنة بعير<sup>٤٥</sup>، فقال (عليه السلام):

« .. فمن شواهد خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ مُوَاطَّاتٍ بِلا عَمَدٍ، قائماتٍ بِلا سَنَدٍ، دَعَاهُنَّ فَاجِبِن طَائِعَاتٍ مُدْعَنَاتٍ، غير متلكئاتٍ ولا مُبْطِنَاتٍ »<sup>٤٦</sup>.

وهذا دليل على أن الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول بأن كل الجمادات لها ادراك وشعور و لهذا السبب فإن الله سبحانه و تعالى يدعوها فتجيب<sup>٤٧</sup> « فاجبن طائعاتٍ مُدْعَنَاتٍ، غير متلكئاتٍ ولا مُبْطِنَاتٍ، ولولا اقرارهنَّ له بالربوبية واذعانهنَّ له بالطواعية لما جعلهنَّ موضعاً لعرشِهِ. »

وهذا الامر مهم جداً و هو ان يكون الادراك والشعور يسري على كل الموجودات في العالم . و نلاحظ الكثير من مثل هذه الخطب في نهج البلاغة .

يقول ابن ابي الحديد وغيره من الشراح ان الامام علي (عليه السلام) هو المبتكر الواقعي لهذا الموضوع، لان العرب قبل الامام علي (عليه السلام) اذا كانوا قد قالوا شيئاً فانه يدور حول الجبل والشجر والسهول والصحراء، لكن اول من تكلم عن السموات والملائكة وعظمة الخلق وابتكر هذه الموضوعات هو الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام).

### الوعظ والارشاد والتبليغ والنصيحة:

ان قسماً مهماً من نهج البلاغة يدور حول المواعظ والارشادات ، حيث يتلو الامام في البداية آية من آيات القرآن ثم يخطب بعدها، فمثلاً في احدي خطبه يبدأ بتلاوة الآية الشريفة « يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا نَعَّمَكُ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » ثم بدأ بعدها بإيراد خطبته<sup>٤٨</sup>، وكذلك فإنه بعد قراءة آيات « الهاكم التكاثر، حتى زرتم المقابر» اورد خطبة اخرى<sup>٤٩</sup>. وهذه الخطب تتضمن في بعضها مضامين عجيبة جداً.

وكمثال على ذلك، يقول ابن ابي الحديد عن بعض هذه الخطب :

«واقسم بمن تقسم الامم كلها به لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة والى الآن اكثر من الف مرة»<sup>٥٠</sup>.

وابن ابي الحديد نفسه بعد ان يورد الخطبة ١٠٨ وفيها «سبحانك خالقاً و معبوداً! بِحُسْنِ بِلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ، خَلَقْتَ دَاراً...» يقول :

«فجزى الله قائلهما عن الاسلام افضل ما جزى به ولياً من اوليائه»<sup>٥١</sup>.

و بعد ان يتحدث عن فصاحت و بلاغة الامام (عليه السلام) يستعرض الخدمات التي قدمها الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، فيقول :

«فما ابلغ نصرته له ، تارةً بيده و سيفه، و تارةً بلسانه و نطقه، و تارةً بقلبه و فكره،

ثم ينطلق فمه بعد هذه العبارات بتمجيد.»

علي (عليه السلام) <sup>٥٢</sup>:

ان قيل جهاد و حرب فهو سيد المجاهدين والمحاربين ، وان قيل وعظُّ و تذكيرٌ فهو ابلغ الواعظين والمذكرين ، وان قيل فقهٌ و تفسيرٌ فهو رئيس الفقهاء والمفسرين، وان قيل عدلٌ و توحيدٌ فهو امامٌ اهل العدل والموحدين .

ليس على الله بمستنكرٍ ان يجمع العالمَ في واحد

السلم والامن:

و هذا الموضوع يحظى في هذا المؤتمر باهمية اكبر ايضاً، وقد وردت في نهج البلاغة قضايا كثيرة تتعلق بالسلم ، ومنها:

«اللهم اِنَّكَ تَعْلَمُ انه لم يكن الذي كان مِنَّا مُنافسةً في سلطان ، ولا التماس شيءٍ من

فُضُولٍ ..»<sup>٥٣</sup>

و هنا يجب الانتباه الى ان الحركة الاصلاحية التي يعتبر الامام علي (عليه السلام) مؤسسها ، هي جزء من عناصر الدين .

و قال الامام الصادق (عليه السلام) «و من استوى يوماً فهو مغبون»<sup>٥٤</sup>، اي يجب التحرك دائماً

نحو الامام و تحقيق التقدم والاصلاح .

وفي باب هدف مولى الموحدين (عليه السلام) من تأسيس الحكم ، نقرأ<sup>٥٥</sup> :

«و لكن لِنُرُدَّ المعالِمَ من دينك ، و نُظهِرَ الاصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من

عبادك...»

و يروى عنه (عليه السلام) قوله<sup>٥٦</sup>

«فالجَنُودُ باذن الله، حُصُونُ الرعيَّةِ و زين الولاة، و عِمْرُ الدين، و سَبُلُ الامن ..»

و روي عنه (عليه السلام) « وهذا اخو غامدٍ و قد وردت خيَلُهُ الانبارَ، و قد قتل حسان بن حسان

البكري، و ازال خيلكم عن مسالحها، و لقد بلغني أَنَّ الرجلَ مِنْهُمْ كانَ يَدْخُلُ على المرأةِ

المُسلمَةِ، و الاخرى المُعاهِدةَ، فينتزعُ حجلها و قَلْبَها و قلائدَها و رَعْنَهَا ..»<sup>٥٧</sup> ثم يقول «

بمجامع القلوب في اواخر عهده (عليه السلام) لمالك الاشر<sup>٥٨</sup> «ليس من فرائض الله شيء  
الناس اشد عليه اجتماعاً، مع تفرق اهوائهم و تشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود...  
ولا تخيسن بعهدك....»

### السعي في اعمار البلاد:

يقول الامام علي (عليه السلام) في مقدمة عهده لمالك الاشر<sup>٥٩</sup>.

هذا ما امر به عبدالله علي امير المؤمنين، مالك بن الحارث الاشر في عهده اليه حين و لاه  
مصر: «جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح اهلها، و عمارة بلادها.»  
ان الدولة ان يتوفر فيها المال، والضرائب، والميزانية تكون قادرة على الدفاع بصورة  
اقوى، و عندها تكون ظروف الناس قد تحسنت والمدن قد تعمّرت، وهذا هو اساس  
الحكومة العلوية.

### اشاعة ثقافة الجهاد و طلب الشهادة و ترسيخها:

و هذه المقولة تحتل فصلاً مهماً من نهج البلاغة<sup>٦٠</sup>:

«ان اكرم الموت القتل، والذي نفس ابن ابي طالب (عليه السلام) بيده، لألف ضربة بالسيف  
اهون علي من ميتة علي الفراه.»

و نجد مثل هذه العبارات في آخر عهده لمالك الاشر<sup>٦١</sup>:

«وانا اسأل الله بسعته ورحمته وعظيم قدرته، على إعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما

فيه رضاه... وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة»

لقد قال الامام علي (عليه السلام) عبارات و كلمات في الجهاد و هي من وجهة نظر الكاتب  
لو جمعت فانها ستكون كتاباً مستقلاً في ثقافة الجهاد و طلب الشهادة، فمثلاً عندما  
استحوذ جيش معاوية في معركة صفين على نهر الفرات و منعوا عنه جيش الامام علي  
(عليه السلام)<sup>٦٢</sup>:

«قد استطعموكم القتال، فاقروا على مذلة، و تأخير محلة، او رووا السيوف من الدماء

ترووا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين.»

ان الموت والحياة في قاموس علي بن ابي طالب (عليه السلام) يفتح فصلاً جديداً:

«الموت في حياةكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين.»

انه لأمر عجيب، و خصوصاً انه (عليه السلام) في نهاية ذلك يقول «العار وراءكم والجنة



«قد استطعموكم القتال ، فاقروا على مذلة، و تأخير محلة، او رؤوا الشيوف من الدماء ترووا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين».

ان الموت والحياة في قاموس علي بن ابي طالب (عليه السلام) يفتح فصلاً جديداً:

«فالموت في حياءكم مقهورين» «والحياة في موتكم قاهرين».

انه لأمر عجيب، و خصوصاً أنه (عليه السلام) في نهاية ذلك يقول «العار وراءكم والجنة امامكم»<sup>٦٣</sup>

وهو نفس المعنى الذي رده طارق بن زياد عندما اراد فتح اسبانياً فقد خاطب جيشه بالقول « العدو امامكم والبحر وراءكم»<sup>٦٤</sup>، وعند ذاك فتحت اسبانيا.

### طريقة استيفاء الضرائب:

يقول السيد الرضي في مقدمة الرسالة ٢٥ من نهج البلاغة « كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات، وانما ذكرنا هنا جملاً منها ليُعلم بها أنه (عليه السلام) كان يُقيم عماد الحق و يشرع امثلة العدل، في صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها».

ان هناك نماذج كثيرة و مهمة على اسلوب و طريقة الامام علي (عليه السلام) في استيفاء الضرائب، ولكننا هنا نشير الى بعضها.

انه (عليه السلام) كان يأمره بالتالي: «انطلق على تقوى» «ولا تروعن مسلماً» « ولا تجتازن عليه كارهاً» ؛ «فاذا قدمت على الحي»، « فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم » ثم امض اليهم بالسكينة والوقار»، « حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، و لا تُخدج بالتحية لهم »، ثم تقول :

عباد الله : ارسلني اليكم ولي الله وخليفته، لاخذ منكم حق الله في اموالكم»، «فان قال قائل : لا : فلا تراجع»، «وان انعم منعم فانطلق معه من غير ان تخفه او توعده او تعسفه او ترهقه فخذ ما اعطاك من ذهب او فضة ، فان كان له ماشية فلا تدخلها إلا بأذنه ، فان اكثرها له، فاذا اتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة ولا تُفزعنها»، « فاذا اخذها امينك فاعز اليه ان لا يحول بين ناقة وبين فصيلها»، « ولا يجهدها ركوباً»، « وليوردها ما تمربيه من العدر ولا يعديل بها عن نبت الارض الى جواد الطرق».

## الزعيم و شروط الزعامة:

و النقطة الاخيرة في هذه المقالة تدور حول شروط الزعيم والوالي ، حيث نقرأ حول ذلك للامام علي (عليه السلام) ما يلي ٦٦:

«وقد علمتُم أنه لا ينبغي ان يكونَ الوالي على الفُرُوجِ والدماءِ والمغانمِ والاحكامِ وامامةِ المسلمين، البخيلُ فتكون في اموالهم نَهْمَتُهُ، ولا الجاهلُ فيضِلُّهمُ بِجَهْلِهِ ولا الجافي فيقطعُهمُ بِجَفائِهِ، ولا الحائفُ لِلدُّولِ فيتخذُ قومًا دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويَقِفَ بها دون المقاطعِ، ولا المعطلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكُ الأُمَّةَ»  
وقال ايضاً ٦٧: لا يُقيمُ امرَ الله سبحانه إلا مَنْ لا يُصانعُ، ولا يُضارعُ، ولا يَتَّبِعُ المطامعَ

و في الخاتمة ارجو ان يعذرني القراء على ما أجهدتهم به من جهد القراءة، لقد كان الهدف هو ذكر نماذج من رؤية الامام علي (عليه السلام) حول الحكومة الاسلامية .  
أسأله سبحانه و تعالى أن يوفقكم جميعاً، وفي الختام أيضاً أكرر شكري للذين أقاموا مثل هذا المجمع .

اللَّهُم أَنْصِرِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاقْهَرِ أَعْدَاءَ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَعَجِّلْ فِي ظَهْوَرِ إِمَامِ الْعَصْرِ (عليه السلام) ، وَاَرْفَعْ دَرَجَةَ شُهَدَاءِ الْإِسْلَامِ، شُهَدَاءِ الثَّوْرَةِ، إِمَامِنَا الرَّاحِلِ وَوَفَّقْنَا لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْلَامِ وَاِذَاءِ وَاجِبَاتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ.

## المصادر

١. الخطب، والرسائل والكلمات القصار، المنقولة من نهج البلاغة، طبع المرحوم علي نقي فيض الاسلام: (الشريف الرضي محمد بن الحسين: نهج البلاغة، ترجمته و شرح علينقي فيض الاسلام؛ تهران؛ مطبعة آفتاب) .
٢. ابن بابويه (الشيخ الصدوق) ، أبو جعفر محمد بن علي .: ١٣٨٩ هـ ق ؛ كتاب الخصال ؛ صححة و علق عليه أكبر الغفاري ؛ تهران ؛ مكتبة الصدوق ؛ ج ١ ، ص ١٤٩ .
٣. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي؛ ١٤٠٣ هـ . ق . بحار الانوار ؛ بيروت ؛ دار احياء التراث العربي؛ ج ٤٠ ، ص ٣٢٥ .
٤. نهج البلاغة ؛ (الخطبة ٢٠٠) ص ٦٦٢ .
٥. نفس المصدر (الخطبة ١٥٩) ص ٥١٢ .

٦. نفس المصدر الخطبة (٢٣٤) ص ٨٠٨.
٧. نفس المصدر (الرسالة ٤٧) ص ٩٧٨.
٨. الحر العاملي ، محمد بن الحسن ؛ ١٣٧٦هـ ق؛ رسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ؛ طبع  
عبدالرحيم الرباني الشيرازي؛ بيروت : دار احياء التراث العربي؛ ج ١١ ، ص ٤٩ .
٩. نهج البلاغة .. الرسالة ٥٣ ؛ ص ١٠١٩ .
١٠. نفس المصدر (الكلمات القصار) ٢٠٦ . ص ١١٨٢ .
١١. نفس المصدر (الخطبة) ٢٣٤ . ص ٨٠٢ و ٨٠٣ .
١٢. نفس المصدر؛ ص ٣٤٩ و ٣٥٠ .
١٣. نفس المصدر «الرسالة ٥٣»؛ ص ١٠٢٦ .
١٤. نفس الرسالة ص ١٠٢٥ .
١٥. نفس الرسالة ص ٩٩٦ .
١٦. نفس المصدر السابق .
١٧. نفس المصدر السابق .
١٨. نفس الرسالة؛ ص ١٠٠٦ .
١٩. نفس الرسالة؛ ص ٩٩٣ .
٢٠. نفس الرسالة؛ ص ١٠٠٣ .
٢١. نفس المصدر «الخطبة ١٥» ص ٦٦ .
٢٢. نفس المصدر «الرسالة ٤٧» ص ٩٧٨ .
٢٣. نفس المصدر «الخطبة ٦» ص ٥٨ و ٥٩ .
٢٤. نفس المصدر «الخطبة ١٩١» ص ٦٤٩ .
٢٥. نفس المصدر «الخطبة ٨٣» ص ٢٠٠ .
٢٦. نفس المصدر «الرسالة ٥٣» ص ١٠٢٤ .
٢٧. نفس الرسالة ص ١٠٢١ .
٢٨. نفس المصدر «الرسالة ٣١» ص ٩٢٩ .
٢٩. نفس المصدر «الرسالة ٢٧» ص ٨٨٦ .
٣٠. نفس الرسالة ص ٩٩١ و ٩٩٢ و ٩٩٣ .
٣١. نفس المصدر «الرسالة ٣» ص ٨٣٤ .

٣٢. نفس المصدر السابق .
٣٣. نفس المصدر «الكلمات القصار ٣٤٧» ص ١٢٥١ .
٣٤. نفس المصدر «الرسالة ٤٠» ص ٩٥٥ .
٣٥. نفس المصدر «الرسالة ٤٤» ص ٩٦٦ .
٣٦. نفس المصدر «الرسالة ٥٣» ص ١٠٠٠ .
٣٧. نفس الرسالة؛ ص ١٠٠٩ و ١٠١٠ .
٣٨. نفس الرسالة ؛ ص ١٠١٤ .
٣٩. نفس الرسالة ص ١٠١٣ .
٤٠. نفس المصدر «الكلمات القصار ١٦٤» ص ١٦٨ .
٤١. نفس المصدر «الكلمات القصار ١٥٢» ص ١١٦٤ .
٤٢. نفس المصدر «الخطبة ٢٠٧» ص ٦٨٦ و ٦٨٧ .
٤٣. نفس المصدر «الكلمات القصار ٨٠» ص ١١٢٢ .
٤٤. نفس المصدر «الخطبة ٣٤» ص ١١٤ .
٤٥. نفس المصدر «الخطبة ٢٢٨» ص ٧٤٢ .
٤٦. نفس المصدر «الخطبة ١٨١» ص ٥٨٧ و ٥٨٨ .
٤٧. نفس الخطبة؛ ص ٥٨٨ و ٥٨٩ .
٤٨. نفس الخطبة؛ ص ٥٨٩ .
٤٩. نفس المصدر «الخطبة ٢١٤» ص ٧٠٧ .
٥٠. نفس المصدر «الخطبة ٢١٢» ص ٦٩٤ .
٥١. ابن أبي الحديد، عز الدين - شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، قم مؤسسة اسماعيليان ؛ ج ١١ . ص ١٥٣ .
٥٢. نفس المصدر؛ ج ٧ ؛ ص ٢٠٠ .
٥٣. نفس المصدر . ج ٧ . ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .
٥٤. نهج البلاغة «الخطبة ١٣١» ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .
٥٥. بحار الانوار؛ ج ٧١ . ص ١٧٣ .
٥٦. نهج البلاغة «الخطبة ١٣١» ص ٤٠٧ .
٥٧. نفس المصدر «الرسالة ٥٣» ص ١٠٠٣ .

٥٨. نفس المصدر «الخطبة ٢٧» ص ٩٥ .
٥٩. نفس المصدر «الرسالة ٥٣» ص ١٠٢٧ .
٦٠. نفس الرسالة؛ ص ٩٩١ .
٦١. نفس المصدر «الخطبة ١٢٢» ص ٣٨٠ .
٦٢. نفس المصدر «الخطبة ٥١» ص ١٠٣٤ .
٦٣. نفس المصدر «الخطبة ٥١» ص ١٣٨ .
٦٤. نفس المصدر «الخطبة ١٧٠» ص ٥٥٣ .
٦٥. في (ابن خلّكان ، احمد بن محمد ؛ (١٣٩٨ هـ . ش ) ؛ وفيات الاعيان و انباء ابناء الزمان ، بسعي احسان عباس ؛ بيروت ؛ دار صادر. ج ٥، ص ٣٢١) جاءت العبارة بقليل من الاختلاف، حيث جاءت كالتالي «ايها الناس، أين المفرّ والبحرّ من ورائكم والعدو امامكم؟».
٦٦. نهج البلاغة ؛ «الرسالة ٢٥» ص ٨٧٩ - ٨٨١ .
٦٧. نفس المصدر «الخطبة ١٣١» ص ٤٠٧ .
٦٨. نفس المصدر «الكلمات القصار ١٠٧» ص ١١٣٦ .



# مكان العدالة ومعناها في كتاب (نهج البلاغة)<sup>١</sup> للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

إقامة ميزان العدل، وسطوع دور الإرادة فيها، هما لبّ لباب الكتاب

الدكتور  
عبدالكريم الأشر  
سوريا

أيها السادة: السلام عليكم ورحمة الله!

وبعد، فلأني أقرأ (نهج البلاغة) في هذا العام، وحال المسلمين كما رأى صاحب الكتاب نفسه، في خطبته التي كأنه لا يريد بها اليوم أحداً غيرنا:

أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم.. أيّ دار بعد داركم تمنعون؟<sup>٢</sup>

قصدت أن أرى الإنسان كما رآه الإمام في كتاب «النهج»، فشخصت لي أفكار تبلورت من حولها حقائق تدور كلها من حول محور واحد هو سطوع دور الإرادة فيه، إرادة الإنسان، بوصفها خلاصة التعبير عن وعيه بذاته وبمجتمعه وقضاياه وعنه كما أرى، تتفرع أكثر حقائق الكتاب في كل ميدان: في الاجتماع والسياسة والإدارة وتربية الذات.

أخذت، في البدء، أستجلى حقائق هذه النفس العظيمة التي حملت قدرها النامي. ووقفت وحدها تلتفت في كلّ اتجاه، كالصارخ في البرية. في عالم يرفضها، لأنه لم يعد يقبل من يتمسكون بأخلاق النبوة

١. كتبت لتلقني في عام الامام علي (عليه السلام) في دمشق وطهران، سنة ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م.

٢. ص ٣٨ - ٩ من الطبعة التي أعود إليها في هذه الكلمة. وهي طبعة البنياد (مؤسسة نهج البلاغة) بمناية الشيخ عزيز الله الطاردي.

وقيمها، فيلبسون الإزار المرقوع، ويخصفون نعالمهم بأيديهم. ويرونها أحب إليهم من إمرة الناس، إلا أن يقيموا حقاً أو يدفعوا باطلاً<sup>١</sup>. كأن قضية إقرار الحق وحرب الباطل شغلها الشاغل: «فلأنقين الباطل حتى يخرج الحق من جنبه»<sup>٢</sup>. لأنها تعني، في النهاية، قضية العدل الذي هو اساس الاستقرار الاجتماعي في كل مجتمع إنساني متحضر، تحكمه قيم وأعراف ودرساتير.

## ١

والإصرار على إقامة العدل، في جوهره، إرادة. إذ هي وحدها التي تقيمه في سياسة المجتمعات الإنسانية، بوصفها السبيل إلى تحقيق إنسانية الإنسان والارتفاع بروحه إلى مستوى النفحة الإلهية التي نفحها فيه. بتحريره من ربة الأهواء، وتقوية قدرته وإصراره على إقامة ميزان العدل الذي به يتم حفظ الحياة وازدهارها في المجتمع من حوله.

لقد كان من قدر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو القدر الذي تنبني على مثله أقدار خطيرة تتحدد بها وجهة التاريخ في أعمار الأمم - أن يعيش في واحدة من أصعب مراحل التاريخ الإسلامي، فالفتن تأخذه من كل جانب، بعد مقتل الخليفة الثالث :

١- معاوية والأمويون ومن انحاز إليهم، وقد اهتملوا فرصة القتل، فرفعوا القميص، ولو حوا للناس بالدنيا، بعد أن انساحت خيرات الفتوح وتفتحت شهوات النفوس بعد انحباس طويل، وتفتقت الأطماع التي قربها افتقاد معنى الشرع. فأصبح أقوى الناس أكثرهم قدرة على تجاوز الحق، وأضعفهم أكثرهم تحرجاً من مساس الحدود.

٢- الخوارج، وهم في الأصل أصحاب الإمام الذين رفضوا التحكيم الذي نهى هو منذ البداية عن قبوله فكانوا، في حساب النتائج السياسية، عوناً لمعسكر معاوية.

٣- الطامعون في الخلافة الذين أغرتهم بها الفرصة السانحة، ورأوا أن حقهم فيها أقرب من حق معاوية، وقريب (في رأيهم) من حق الإمام.

٤- الانتهازيون الذين ركبوا موج الأحداث، وتصيدوا غنائمها، وتسلبوا إلى من وفّر لها لهم<sup>٣</sup> ففي هذه المرحلة أدرك الإمام أن جذور الفتنة تضرب في أعماق النفس. فتوجه إليها

١. ص ٤٢. (من خطبته عند خروجه لقتال أهل البصرة).

٢. ص ٤٢-٣ (الخطبة نفسها).

٣. انظر مثلاً من كتاب للإمام إلى سهيل بن حنيف عامله على المدينة ص ٣٩٧-٨، وانظر أيضاً مثلاً من كتابه مع الأشتر إلى أهل مصر، ص ٣٨٩ وانظر أيضاً ص ٣٨٩.



في خطبه وكتبه ومواعظه، ومن يقرأ ما في كتاب النهج منها تنكشف له هذه الحقيقة التي هي أم الحقائق فيه :

«أيها الناس: لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله. فإنّ الناس قد اجتمعوا على مائدة

شبهها قصير. وجوعها طويل»<sup>١</sup>.

«لقد بُصِّرْتُمْ إن أبصرتم، وأسمعتهم إن سمعتم. وهديتهم إن اهتديتم»<sup>٢</sup>.

«تخفّفوا تُحقّوا»<sup>٣</sup>.

«إن أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى. وطول الأمل. فأما اتّباع الهوى فيصد عن الحق. وأما طول الأمل فينسي الآخرة.. فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا أبناء الدنيا، فإنّ كلّ ولد سيلحق بأمه يوم القيامة»<sup>٤</sup>.

وفي كتبه يقول لابنه الامام الحسن بن علي (عليه السلام): «أحْي قلبك بالموعظة. وأمّتهُ بالزهادة. وقوّه باليقين، ونوّره بالحكمة، وذلك بذكر الموت.. وبصره فجائع الدنيا.. فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك.. وعود نفسك التصبّر.. وإياك أن تغترب بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، وتكال بهم عليها...»<sup>٥</sup>.

وللاشتهر النخعي لما ولاه مصر: «وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات، ويزعها عند الجمحات، فإن النفس أمّارة بالسوء إلا ما رحم الله»<sup>٦</sup>.

ويقول لنفسه: «إليك عني يا دنيا، فحبلك على غاربك. قد انسلت من مخالبك، وأفلت من حبالك.. اغربني عني، فوالله لا أذل لك فتستذلّيني، ولا أسلس لك فتقوديني»<sup>٧</sup>.

## ٢

ولكنه، (عليه السلام)، كان يسبح ضد التيار و يقف وحده في وجه الأمواج التي ركبها عبدة الأهواء في هذه المرحلة الحائرة من مراحل التاريخ الإسلامي. فمن هذا تنضح سمة هذه

١. ص ٢٣٧.

٢. ص ٢٣٧.

٣. ص ١٩٩ وانظر أيضا ص ٢٩.

٤. ص ٣٧ وانظر أيضا ص ٤٩.

٥. ص ٣٣٦.

٦. ص ٣٦٧. ووزع: كفّ

٧. من كتابه إلى عثمان بن أبيصيف ص ٣٥٩ - ٦٠.

المرحلة التي هي أكثر مراحل هذا التاريخ دلالة على امتداد الصراع بين المثال والواقع، حتى ما تكاد تشبهها مرحلة أخرى من مراحلها، في قوة دلالتها عليه .

وقد أدرك معاوية سر هذه المرحلة واستكان له، إذ كان الشاهد عليه في معسكر خصمه أشدّ شخوصاً منه في معسكره هو. ولكن الإمام أبى أن يستكين: «والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليتُ عنها.. وسأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس. حتى تخرج المدرة من حب الحصيد...»<sup>١</sup>.

«مالي ولقريش والله لقد قاتلتهم كافرين. ولأقاتلنهم مفتونين، وإنني لصاحبهم بالأمس، كما أنا صاحبهم اليوم»<sup>٢</sup>.

«إن أبوا أعطيتهم حدّ السيف، وكفى به شافياً من الباطل وناصراً للحق»<sup>٣</sup>.  
«والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم.. ولكنني أضرب بالمقبل إلى الحق المدبر عنه، وبالسامع المطيع العاصي المريب أبداً، حتى يأتي عليّ يومي»<sup>٤</sup>.

والسؤال المطروح: أكان الإمام قادراً على أن يكون أقلّ التزاماً بنصرة الحق الذي يراه. وهو. بحكم التكوين النفسي أولاً. ربيب بيت النبوة وتلميذها؟ فكيف يكون إذن وهو أمير المؤمنين. وفي يديه أمانة التاريخ الإسلامي كله. وأمانة تراثه الخلقى؟ من هنا نفهم، على الوجه الصحيح، المعنى الكبير لشيوع الشكوى من الواقع ومرارته في كتاب النهج:

«فيا عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم. فقبحاً لكم وترحاً.. يا أشباه الرجال ولا رجال! حلوم الأطفال و عقول ربات الرجال. لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم.. قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحاً (انظروا مرارة التعبير) وشحنتم صدري غيظاً»<sup>٥</sup>.

«أيها الناس. إنا قد أصبحنا في دهر عنود، وزمن كنود، يُعدّ المحسن فيه مسيئاً ويزداد الظالم فيه عتواً»<sup>٦</sup>.

١. المصدر نفسه. المدرة: قطعة الطين اليابسة، والمركوس مثل المنكوس.

٢. ص ٤٣.

٣. ص ٣٠.

٤. ص ١٩ - ٢٠. واللدم: ضرب الشيء حتى يستوي بالأرض.

٥. ص ٣٦.

٦. ص ٤٠. والكنود: الكفور.

«أفّ لكم. لقد سئمت عتابكم. أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً، وبالذل من العز خلفاً. ما أنتم إلا كإبل ضلّ رُعاتها، فكلما جُمعت من جانب انتشرت من آخر»<sup>١</sup>.

«مُنيتُ بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت. لا أبا لكم! ما تنظرون (تنتظرون) بنصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تحمّسكم؟ أقوم فيكم مستصرخاً، وأناديكم متفوئاً، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً. فما يُدرك بكم ثأر، ولا يُبلغ بكم مرام»<sup>٢</sup>.

### ٣

فهكذا إذن بدأ هذا الرجل العظيم الذي يحمل على كتفيه ثقل هذه المرحلة التاريخية الصعبة، يدرك أنه يحارب في معركة خاسرة. وأنّ القدر اختاره ليكون الشاهد عليها وعلى الإنسانية المغلوبة فيها على أمرها، الطامحة أبداً إلى تجاوز واقعها وتثبيت ميزان العدل فيه. وفي ضوء هذا الإدراك السامي نفهم مثل قوله في النهج: «أما والذي خلق الحبة وبرأ النّسمة. لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاتروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم. لألقيتُ حبلها على غاربها، ولسقيتُ آخرها بكأس أولها، ولألقيتُم دنياكم هذه عندي أهون من عقطة عنز»<sup>٣</sup>.

وما العدل، إن لم يكن، في معانيه المتسعة، لباب الدين والسياسة والاجتماع؟ ومن يقيمه وينهض به إلا الذين استعلوا على شهوات أنفسهم؟ وهل تعني إقامته في النفس غير تثبيتها على جادة الحق؟ وكيف يقوم للإنسان معنى بغير العدل والمجاهدة فيه؟ وهل يكون للحياة وللوجود معنى بغير العدل الذي هو أساس توازنهما؟ وكيف يتم الحرص على إقراره إلا بالإرادة التي هي لب الإدراك؟ وهل يعني توازن الأجرام في أفلاكها، وتوازن الأفلاك نفسها في حركة الكون إلا معنى من معاني العدل التي تعني في اللغة نفسها: التوازن<sup>٤</sup>؟

فتطهير النفوس بالإرادة، في آخر الأمر، يعني تهيتها، لتقييم هي مجتمع العدل المتوازن. ولست أجد في كتاب النهج معنى يتصل بسياسة الناس في أنفسهم وأموالهم

١. ص ٤٣ (عند خروجه لقتال أهل الشام).

٢. ص ٤٧ وحمشهم: جمعهم.

٣. ص ١٦. (من الخطبة الشقشقية) والسغب: الجوع، وعقطة العنز عطستها.

٤. في اللغة: عدل الشيء يعدله عدلاً؛ وازنّه. والعدل المعدل. وعدلت الشيء، اعدله عدولاً؛ ساويته به.

وأهلهم ومن يكرهون ومن يحبون إلا والعدل أساسه :

«اعلموا أنه من لم يُعن علي نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ»<sup>١</sup>.

«والله لو أعطيت الأقاليم السبعة، بما تحت أفلاكها، علي أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت.. نعوذ بالله من سُبَات العقل وقبح الزلل»<sup>٢</sup>.

«يا بني عبدالمطلب! لا أُلْفِيَنَّكُمْ تخوضون دماء المسلمين خوفاً، تقولون: قُتِل أمير المؤمنين. ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي.. انظروا إذا مُت من ضربته (لاحظوا تقييد الفعل بوقوع ضرر الجرم) فاضربوه ضربة بضربة. ولا يمثّل بالرجل، فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»<sup>٣</sup>.

فإذا أقيم العدل في مثل هذا الموقف، ففي أي المواقف يغيب؟ وإذا أقيم في الأموال وتقسيم فيء المسلمين فيهم، وفي النفس والأهل، علي نحو ما نقرأ من كتاب له إلى أحد ولاته في فارس :

«وإنَّ حَقَّ مَنْ قَبْلَكَ وَقَبْلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا الْفِيءِ سَوَاءٌ»<sup>٤</sup>.  
وإلى عامله علي البصرة (عثمان بن أنيف):

«ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به.. ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه. ومن طعمه بقرصية. ألا وانكم لا تقدرّون علي ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد»<sup>٥</sup>.

وإلى عماله علي الخراج :

«أنصفوا الناس من أنفسكم.. فإنكم خُرَّان الرعية ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة»<sup>٦</sup>.

وإلى الأشر لما ولاء مصر:

«أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعبتك، فإنك إلا تفعل تظلم.. ولكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في

١. ص ١٩.

٢. ص ٣٦٥. وجلب الشعيرة: قشرتها.

٣. ص ٣٦٢ (من وصيته إلى ولديه الامامين الحسن والحسين بعد ضربة ابن ملجم). والمثلة: التمثيل بالجنة.

٤. من كتابه إلى مصقلة بن هبيرة. عامله علي اردشير ص ٣٥٦.

٥. ص ٣٥٨. الطمر: الثوب البالي، والقرص: قرص الشعير.

٦. ص ٣٦٥.

العدل، وأجمعها لرضى الرعية.. ولا يكن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة»<sup>١</sup>.  
«وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة. ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد»<sup>٢</sup>.  
أقول: إذا أقيم العدل في الأنفس والأموال، على هذا النحو الذي نراه في (النهج) تحققت تبعه المسؤول عنها، على أوضح سبيل.

#### ٤

والنهاية أن العدل، بهذه المعاني كلها، هو القصد، وإرادة الإنسان في اقامته هي السبيل. والغاية الكبرى هي تحفظ الحياة وازدهارها. فبتحرير النفس من الشهوات، والارتفاع بها عن درك الأهواء، تسطع حقيقة الله فيها وفي ما تقيمه من المؤسسات، وتتحق إرادته في الأرض وذلك، في رأينا، هو لبّ لباب الكتاب.  
والذي يمكن استخلاصه من هذا هو سعي الإمام إلى كسب المعركة الصعبة في داخل الإنسان، إدراكاً منه لأبعادها الحقيقية، على حين كان الآخرون يرمون إلى كسبها العاجل في أسهل ميادينها: استقطاباً للسلطة الزمنية.  
ثم هو تفكير الإمام المتصل بصيانة قواعد المجتمع الإسلامي الروحية والخلقية والمادية، إخلاصاً منه لا حدّ له لحقائق الرسالة التي نشأ في أحضانها وتعلّم منها أن الدنيا طريق لو استقامت وصلت بسالكها إلى دار القرار. وهو، بصفته الراعي، مسؤول عن تقويم الطريق إليها بنهاياتها.  
وهو أيضاً تقويم الإنسان بحقائقه الداخلية وقدراته الروحية التي تصله بروح الله، ووثوق الصلة بينها وبين صور السلوك والفعل، بحيث يكون للإرادة مكانها في تنمية إحساسه بإنسانيته تلك وقدرته على الصمود في وجه المغريات.  
وهو أخيراً تمسك بالزهد في متع الحياة ومغرياتها وشهواتها ونشوتها دون أن يعني هذا، التفريط بحقوق الناس فيها وحفظها ورعايتها، حتى تتم للناهض بتبعات العدل، المسؤول عن إقامته، حقائق الوعي بتكوين الإنسان الذي يعلو صوت الغريزة فيه على

١. ص ٣٦٨ - ٧٠ (فقر متتابعة).

٢. ص ٣٧٥ (من فقر العهد المتتابعة).

صوت العقل أكثر ساعات العمر، في أكثر الأحيان.  
ولعلّي لا أحتاج أن أقول، في آخر الأمر، إني، وأنا أنظر في تراث الماضي، لم أكد  
أغادر الواقع القائم فهل نفتقدُ نحن المسلمون، في حياتنا اليوم، في الداخل والخارج،  
قيمة من قيم الإنسان المتحضر، أكثر مما نفتقد قيمة العدل؟ وهل نحتاج نحن العرب  
والمسلمون، في صراعنا مع قوى البغي والعدوان والغزو، إلى قوة الإرادة الإنسانية، في  
الإصرار على المواجهة، إلى أن «نُظهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم  
المركوس، ونخرج المدرّة من حبّ الحصيد» كما يقول الإمام؟.

# العدالة السياسية عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

## العلاقة المتبادلة بين الحكومة والشعب

الدكتور

علي مهدي زيتون

لبنان

### ١. في مفهوم العدالة السياسية

إنَّ كلمة (سياسة) غير محدّدة الدلالة بما فيه الكفاية. واللبس الذي يكتنفها لا يتعلّق باختلاف استعمالاتها بين الخاصة والعامة فحسب<sup>١</sup>، ولكنّه يتعدّى ذلك إلى استخدام المتخصصين<sup>٢</sup>، ولذلك فإنّها تضعنا، ومنذ البداية، على طريقٍ غير واضحة، خصوصاً وأنّ التركيب (علم السياسة) هو الآخر غير مستقرّ على مفهوم واحد. فالخلاف قائم حول كونه علم الدولة بمقدّماتها الثلاثة: الأرض - والشعب - والسلطة<sup>٣</sup>، ولا تأتي الصعوبة من التعدّدية الدلالية التي تتصف بها كلمة (سياسة) فحسب، ولكن من تداخل حقول معرفية اجتماعية واقتصادية وحقوقية معها إذ لا ينفك السياسي عن الاجتماعي والاقتصادي والحقوقية.

والانتقال من كلمة (سياسة) إلى كلمة (عدالة) يضعنا أمام وضعية أكثر صعوبة؛ لأنّ التحديدات التي وضعها لها المختصّون لا توصلنا إلى الوضوح المعرفي بقدر ما تسلّمنا إلى مشكليات. أن يكون العدلُ حَمَلُ النفس على إيتاء كل ذي حقّ حقه بشباتٍ ودوام<sup>٤</sup> لا يعني ما هو يقيني؛ لأننا سنواجه أسئلة دقيقة. ما الحق؟ وكيف ترتّب بصاحبه خصوصاً إذا تعلّق السؤال بآلية الأنظمة الوضعية في تحديد الحقوق والواجبات؟ ولا يقل

تحديددهم (العدالة السياسية) تعقيداً. فهي عندهم حق كل فرد في أن يساهم في مسؤوليات الحكم بسلطاته وسلطانه<sup>٥</sup>. وفي هذا الكلام غموض، يتعلّق بالمساهمة و حدودها؟ أضف إلى ذلك أن الإطلاق يعطي جميع الأفراد هذا الحق. إذ كيف يستطيع كل فرد فعلاً أن يساهم فيه بشكل سليم؟ وهل يمتلك جميع الأفراد أهلية التصدي لمسؤولية خطيرة كهذه المسؤولية تطل مصلحة المجتمع برمته؟ وندخل هنا مجال التجربة البشرية، ونتوقّف عند التجربة الغربية الرائدة في هذا المجال لنجد أنّها لم تصل إلى النتائج المرجوة؛ لأنّ البرلمان الذي يفترض فيه أنّه يمثل الشعب وحقوقه حيال الدولة قد تحوّل، في العديد من الدول الأوروبية إلى أداة طيّعة في يد الحكومة التي تنتمي وإيّاها بأكثرية إلى حزب واحد<sup>٦</sup>، ويعني ذلك أنّ ميزان العدالة السياسيّة الذي طرفاه الحاكم والمحكوم (ممثلاً بالبرلمان) قد اختُصِرَ بطرف واحد هو الحاكم. وفي ذلك هيمنة لذلك الطرف ما فيه؛ خصوصاً وأنّ حاجات السلطة كانت تعطي معظم الحقوق والحريات التي نالها الناس من الناحية الحقوقية هويّةً سرابيةً ليس بسبب فقدانهم الوسائل الماديّة التي تساعد على ممارسة تلك الحقوق والحريات فحسب، ولكن لأنّ السلطة قد أعطت نفسها حقّ مصادرتها في الظروف التي تراها استثنائية<sup>٧</sup>. ويعني ذلك استحالة تحقق العدالة السياسية في ظلّ أنظمة سياسيّة من إنتاج الإنسان؛ لأنّها تابعة لمتغيّرات ميزان القوى الاجتماعيّة، وهي فريسة محاولات الالتفاف عليها من خلال الثغرات والفجوات التي تؤمنها النصوص التشريعيّة<sup>٨</sup>، وذلك بعكس النظام الإسلامي الذي أوحى به العليّ القدير فلا يأتيه الباطل لا من أمامه ولا من ورائه<sup>٩</sup>. وهو إلى ذلك، فيما يتعلّق بحقوق الإنسان وحرياته، ككل ما فرضه الرّحمن الرّحيم،

ليس محدّداً بما يفهمه بشر منه في زمان ومكان محدّدين، ولكنّه أوسع وأشمل يُكتشف منه في كل زمان جديد<sup>١٠</sup> يجيب عن أسئلة المرحلة.

والفارق واضح بين نظام وضعي يحاول اكتشاف القوانين ليبنى عليها القواعد التي تسمح القدرات البشريّة بإنتاجها، هذا إذا توفّرت النية الحسنة ولم يراع المشرّع، فرداً أو جماعة، مصالحه وحدها، ونظام إسلامي دعا إليه الله الذي خلق الكون وقوانينه. الأوّل تابع للواقع، خاضع لميول أصحاب المبادرة في التشريع، متحوّل بما يمليه تحوّل الواقع والميول، والثاني صادر هو والواقع عن نبع واحد، وتناسبها قائم بالأصالة لا يخضع لمصالح فريق على حساب فريق، وتحوّله غير ناجم عن تبعيّة الواقع المتغيّر، ولكن عن



قدرة النصّ القرآني الثابت على مواكبة تجدد الحياة بما يمتلكه من خصائص مكنها فيه الله سبحانه وتعالى. ويشكل مثل هذا الفهم لروحية العدالة السياسية الإسلامية مدخلاً مريحاً لفهم العدالة السياسية عند الامام (عليه السلام).

## ٢. شرعية السلطة عند الإمام (عليه السلام)

البدء بالحديث عن شرعية السلطة عند الإمام (عليه السلام) ضروري؛ لأن تلك الشرعية هي التي تعطي الحاكم ما له من حقوق وترتب ما عليه من واجبات. وتأتي الوصية التي لم يؤخذ بها في اختيار خلفاء الرسول، الذين عرفوا بالراشدين، على رأس السبل التي آمن بها الإمام (عليه السلام) قاعدة للشرعية. ووصوله إلى الحكم، كما يرى، تعبير عن أن الحق قد رجع إلى أهله ونقل إلى منقلبه<sup>١١</sup>؛ لأن لآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) «خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة»<sup>١٢</sup>. وإذا لم تُتَح الظروف للوصية أن تتحقق، لم يرفض الإمام (عليه السلام) ما دونها رفضاً قاطعاً ونهائياً. وهو وان قبل البيعة على مضض، «وبستطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداكتم عليّ تذاك الإبل الهيم عليّ حياضها يوم وردها»<sup>١٣</sup>. إلا أنه تناول شوري المهاجرين والأنصار تناولاً يئم عن القبول بالحد الأدنى المتيسر. ففي محاورته معاوية قال:

«إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان علي ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، إنما الشوري للمهاجرين والأنصار»<sup>١٤</sup>.

ومن الطبيعي أن يتمسك الإمام (عليه السلام) بهذا المستوى من الشرعية في ظروف مختلفة عن زمن الوصية الأول، بعد أن حُرِم من تأسيس دولة الإسلام، كما رآها في «نهج البلاغة». وهو وإن دُفِع إلى الخلافة دفعا<sup>١٥</sup>. في ظروف مغايرة وشديدة الاهتراء، كان لا بُد من محاولة رتق الفتق لعل التغلب على الأزمة، إذا ماتم، يشكّل فرصة لعودة الحلم بإقامة تلك الدولة المنشودة. وكان لا بُد من التذرع بالشوري التي مورست طريقاً إلى السلطة، وطُبِع عليها الناس تمهيداً لإعادة الدور والاعتبار للوصية.

ومهما يكن من أمر، فإن شوري السقيفة، التي نعاها أهلها وعدوها فلتة، كانت عبارة عن تخبطٍ شهد غيابها في اختيار الثاني<sup>١٦</sup>، وتضييقها بشكل موجه وغير حيادي في اختيار الثالث<sup>١٧</sup>، واصطبأها بالنعمة على عثمان في اختيار الرابع (عليه السلام)، وهي لا يمكنها أن تجاري الزمان؛ لأن المهاجرين والأنصار الذين تحدّد عددهم بالهجرة والنصرة وانتهى، لن يعيشوا الدهر ليستمروا في الاختيار. وحين لا يكون هذا النوع من

الشورى قادراً على مجاراة الزمان يعني أنه ليس الطريقة المثلى في اختيار الخليفة، وأن الأمر متروك للمسلمين في العصور المقبلة لكي يحدّدوا شوراهاهم. ويفتح هذا المجال أمام المواضعة وتجربة الخطأ والصواب، ومصالح المشرّع لتتدخل ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

وتبقى الوصية<sup>١٨</sup>، هي الضمانة التي انسجمت معها تصوّرات الإمام (عليه السلام) عن الشرعية في مختلف دقائقها وتفصيلاتها وتأسست عليها. والوصية شبيهة بالنبوة في ارتباطها بإمكانات الموصى له. فهي لا تعني أي شخص وكيفما اتفق، لأنّ مهمات الخلافة الإسلامية غير عادية والشخص المطلوب للقيام بأعبائها يجب أن يكون غير عاديّ أيضاً: «أيّها النّاس، إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه. فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبي قوتل»<sup>١٩</sup>. وتواجه هذه المقولة مقولة معاكسة تقوم على إمكانية إمارة المفضول مع وجود الأفضل معتمدة على منطق يترر ما كان، مع أن ما يجب أن يكون هو المنطق السليم الذي يواجه مرحلة غير عادية بدقتها بشخصية مناسبة وغير عادية؛ خصوصاً وأنّ الموقف الصائب في مرحلة التأسيس يؤسس للصواب، والعكس بالعكس، والارتكاز على شورى جماعة مؤقتة الوجود، مع ما اعترى تلك الشورى من خلل، سيفتح الباب أمام الانحراف بالخلافة من كونها خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لتصبح خلافة هذا الملك أو ذاك. وليس صدفةً أن ترتبط شرعية الوصية بشرعية الرجل الأقوى والأعلم، الرجل المؤهل أكثر من كل النّاس لسياسة أمور النّاس. والوصية المبنية على الأهلية العليا تعني أنّ الحاكم وكيلٌ ينفذ شريعة الله على الأرض. «ثمّ جعل - سبحانه - من تلك الحقوق حقوقاً افترضها لبعض النّاس على بعض.. وأعظم ما افترض - سبحانه - من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرعيّة، وحقّ الرعيّة على الوالي فريضة الله - سبحانه - لكل على كل، فجعلها نظاماً لا لفتهم وعزاً لدينهم»<sup>٢٠</sup> فحقوق الراعي هي بعض حقوق الله على الرعيّة، وحقوق الرعيّة بعض حقوق الله الأخرى على الراعي. فالقاعدة الحقوقية التي تحكم النظام السياسي الإسلامي عند الإمام (عليه السلام) قائمة على حقوق الله انطلاقاً من أنّ العالم ملكه وحده. وما مُنحناه منه هو هبة منه تعالى. وهذا طبيعيّ، فقد أطاح الإسلام بألوهية الحاكم وأعاد الشرعية إلى نصابها، إلى الله<sup>٢١</sup>. والتوحيد في عمقه تحرير للنّاس من الحاكم (الإنسان)، وإقامة لشريعة الله ودولته. وتتجلّى هذه القاعدة الحقوقية أوضح ما تتجلّى في وصيته أحد عماله :

«ولا تأخذونَّ منه أكثر من حقِّ الله في ماله»<sup>٢٢</sup>. فالأموال التي تُستوفى من الرعيّة ليست ضريبة تفرضها الدولة تحت هذا الشعار أو ذاك، ولكنها حقوق الله المحدّدة والمعروفة التي يستوفىها الحاكم ليصرفها في وجوه حدّدها الله تعالى أيضاً. والمطلوب من الراعي، بناءً على ذلك، ألاّ يسخط «الله برضى أحد من خلقه، فإن في الله خلفاً من غيره، وليس من الله خلفٌ في غيره»<sup>٢٣</sup>؛ ولذلك أوصى مالك بن الحارث الأشتر حين ولاءه على مصر «بتقوى الله، وإيثار طاعته، وإتباع ما أمر به في كتابه»<sup>٢٤</sup>.

## ٢.١ شرعية السلطة عن الإمام (عليه السلام) بين المحاورّة والحزم:

ويتضح من خلال ذلك كله أنّ إيمان الإمام (عليه السلام)، بشرعيّة حكمه راسخٌ. ويتجلّى ذلك الرسوخ من خلال سمتين وسمتا سلوكه حيال معارضي ذلك الحكم. والسمتان السلوكيتان المتلازمتان هما: محاورّة الخصم والجذرية في التعامل معه<sup>٢٥</sup>. وتُختصران بقوله:

«أيُّها النَّاسُ إنَّ أحقَّ النَّاسِ بهذا الأمرِ أقوامهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه. فإنَّ شغب شاغبٌ استعتب، فإن أبي قوتل»<sup>٢٦</sup>، فقاعدة الشرعية واضحة وثيقة (الأعلم بشرية الله والأقدر على تنفيذها)، ولشدة ثقته بنفسها رأت في الخارج (شاغباً). ومع ما يتصف به الشاغب من مسلك مهيج للشرّ والفتنة<sup>٢٧</sup>، مضّرّ بحسن سير الشريعة، فإنّ الإمام (عليه السلام) لا يبادره بإعلان الحرب ضده، ولكن يبادره بالحوار، (يستعته)، أي يُطلب منه مجرد الرضى بالحق، وفي المحاورّة فرصة للشاغب لكي يفىء إلى الحقّ، وفرصةً للحاكم لكسب الخصم إلى جانبه في حال النجاح. وفي الفرصتين حجة للحاكم أن يقاتل الشاغب. ولئن سبقت كلمة الاستعتاب كلمة القتال ترجيحاً لها على صاحبها، فإنّ استخدامهما في صيغة المبني للمجهول إشارة إلى أن الأمرين مفروغٌ منهما وهما دليلاً حزم الإمام (عليه السلام).

ولقد اضطرّ الإمام (عليه السلام) لمواجهة أنواعٍ من الخارجيين على طاعته: كأصحاب الجمل، وأهل الشام، والخوارج.

## ٢.١.١.١ الإمام (عليه السلام) وأصحاب الجمل:

جرى علي (عليه السلام) مع أصحاب الجمل، على عادته، في تقديم الحوار على أعمال السيف. وهو في جميع محاوراته معهم كان واثقاً بعيداً عن الارتباك، لم يعرف الحرج طريقاً إلى

منطقه خاطب طلحة والزبير قائلاً:

«كنتما بايعتماني طائعين، فارجعا وتوبا إلى الله من قريب. وإن كنتما بايعتماني كارهين، فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهار كما الطاعة وأسرار كما المعصية.. وقد زعمتما أنني قتلت عثمان. فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة، ثم يُسلم كل امرئ بقدر ما احتمل»<sup>٢٨</sup>. فأثار معهما النقطتين الأساسيتين اللتين تتعلقان بمشكلة المبايعه بالإضافة إلى اتهامهما إيّاه بدم عثمان. وهو إذ واجه خطاب الرجلين بما يفنده ويردّ عليه، دعاهما إلى أن يتوبا إلى الله إيماناً منه بأن العودة إلى شرعيته هي عودة إلى شرعية الله. وهو لم يكتف بالحوار الذي أعطى الشرعية الإلهية مداها الأرحب ولكنه كان يريد من ذلك الحوار أن يصل إلى إحدى نتيجتين لا ثالث لهما. إمّا الفئ إلى الله وإمّا السيف. وفي هذا أقصى درجات الجذرية في التعامل مع ثنائية (الحق / الباطل).

٢. ١. ٢. الإمام وأصحاب معاوية:

وأما حوار مع معاوية، فقد انطلق من المقومات التي تقوم عليها شخصية معاوية، ومن الخيارات التي اقتنع بها وبسبب اختياره الدنيا خاطبه الإمام (عليه السلام) قائلاً:

«عدوت على الدنيا بتأويل القرآن، فطلبتني بما لم تجني يدي ولا لساني... إصرف إلى الآخرة وجهك»<sup>٢٩</sup>.

وتشكل هذه الدعوة إلى الآخرة الحل الإسلامي الأمثل للمشكلة إذا استجيب. أما وأنهما من قبيل إلقاء الحجة على رجل، حسم الأمر في تعلقه بالدنيا، فإن الإمام (عليه السلام) يعضد هذه الدعوة بالإلماع إلى الذريعة التي لا تشكل سبباً حقيقياً لخروج معاوية الذي تحدوه الدنيا بكل قدوتها، وإذا كان من المتعذر الارتكاز على شرعية الوصية في محاوره معاوية والناس من ورائه، استند الإمام (عليه السلام) إلى شرعية الشورى تثبيتاً لصحة إمارته على المؤمنين فقال:

«إنّ بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان علي ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين»<sup>٣٠</sup>. ويشكل هذا التنفيذ رداً مفحماً على كل دعاوى معاوية لكي لا تبقى له حجة في الخروج على طاعة الحاكم الشرعي، وليكون اللجوء إلى السيف ضده لجوءاً مبرراً من الناحية الشرعية الإسلامية.

٢. ١. ٣. الإمام (عليه السلام) والخوارج:

وحاور الإمام (عليه السلام) الخوارج في القضايا الأساسية التي أثاروها: كمسألة التحكيم، وقاعدة التكفير، والحاجة إلى وجود الدولة. ففي مسألة التحكيم، وصل معهم إلى إظهار حرجة موقفهم:

«وقد كانت هذه الفعلة، وقد رأيتكم أعطيتموها. والله لئن أبيتها ما وجبت عليّ فريضتها، ولا حملني الله ذنبها. والله إن جئتها إني للمحقّ الذي يتبع، وأن الكتاب لمعي، ما فارقت مذكوبته»<sup>٣١</sup>. وإذا كان له أن يختار قبول التحكيم أو رفضه من دون أن يخالف في ذلك أحكام القرآن، فإن موقف الخوارج غامض وغير قائم على أي وجه من وجوه الحق خصوصاً وأنهم قبلوا التحكيم ثم عادوا لرفضه. وموقف هذه صفاته إنما يؤسس لموقفٍ ظلامي يكفر من غير أن يحاور، ويقتل بغير وجه حق ظاهر. وهو في ذلك بعيد عن الإسلام الذي لا يبني على الظن تكفير أحد من الناس، خصوصاً وأن المسلم يظل مسلماً ما دام ناطقاً بالشهادتين. ولقد خاطبهم الإمام (عليه السلام) في ذلك:

«وقد علمتم أن رسول الله (ﷺ). رجم الزاني المحصن، ثم صلى عليه، ثم ورثه أهله... وقطع يد السارق وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم عليهما من الفيء، ونكح المسلمات، فأخذهم رسول الله (ﷺ) بذنوبهم وأقام حق الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام»<sup>٣٢</sup>.

وحوارٌ سلسٌ بهذا القدر كفيلاً بأن يقنع من كان له أدنى مسكة من العقل، أمّا أن لا يقنع به قراء القرآن، فأبيّ قراء للقرآن هؤلاء؟ وإذا دفعهم موقفهم الغامض المريب إلى طرح فكرة التخلي عن وجود الدولة؛ لأنّ وظيفتها غير ضرورية<sup>٣٣</sup>: ناقش الإمام (عليه السلام) فكرتهم هذه بروية متناهية «وأنه لا بُدّ للناس من أمير برّ أو فاجر يعمل في أمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقا تل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتّى يستريح برّ ويُسراح من فاجر»<sup>٣٤</sup>. وتحديد وظيفة الأمير (الدولة) بهذا القدر من الدقة والتفضيل هو الآخر حجة مفحمة لا يبقى بعدها إلا الحزم من خلال السيف.

٢. ١. ٤. الجدوى من الحوار:

إنّ لجوء الإمام (عليه السلام) إلى مثل هذه المحاورات التي لم تعط نتائج مهمة كان بدافع تبرئة الذمة وإلقاء الحجة تأمينا للعدالة السياسية في تعامله مع الخارجين على طاعته. حتّى إذا

اطمأن إلى ذلك واجه الأمر بكل حزم وجذرية. ومهما يكن من أمر فإن علياً (عليه السلام) كان يناقش دعاوى واهية لا تصمد أمام علمه بحقيقة أمر الله. وكان خطابه في كل مرة يواجه بها خصماً، خطاباً مفحماً. ومع قدرته هذه لم يصل خطابه إلى ما كان يُرتجى منه. وهذا دليل على أن تلك الدعاوى كانت ذرائع لا يؤمن بها أصحابها. أطلقتها الفتنة التي عصفت بالمسلمين من عقالها، وأعطتها كل أسباب القوة والضمود في وجه الشرعية الإسلامية. وإذا كان خطاب الإمام (عليه السلام) الحوارية متنوعاً تنوع من واجههم؛ فلأنه محاور شديد الثقة بالإسلام، شديد الثقة بشرعية إمارته تأسس منطقته على البعد الإلهي لشرعية الحاكم المسلم.

### ٣. العدالة السياسية الإسلامية عند الإمام (عليه السلام)

إذا كانت الوصية أساس الشرعية السياسية عند الإمام (عليه السلام) فإن جوهر هذه الوصية قائم على مستويين.

#### ٣.١. مستوى الوصية :

المستوى الأول هو حق الله على عباده، إذ «جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب»<sup>٣٥</sup> وحق الله هذا «يجري له ولا يجري عليه ... لقدرته على عباده، ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه»<sup>٣٦</sup>. فحاكم العباد الأكبر هو الله، وحاكميته متجلية بطاعة العباد إيّاه.

أمّا المستوى الثاني فهو إيكال حقوقه إلى البشر «ثم جعل - سبحانه - من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ في وجوهها، ويوجب بعضها بعضاً، ولا يُستوجب بعضها إلا ببعض. وأعظم ما افترض - سبحانه - من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرعية، وحقّ الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله - سبحانه - لكل على كل، فجعلها نظاماً لأنفسهم وعزّاً لدينهم، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاية، ولا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية»<sup>٣٧</sup>، وهذا الإيكال لا يخص الحاكم من دون المحكوم، ولا المحكوم من دون الحاكم، وإذا كانت الطاعة أهم حقوق الراعي التي عُبر عنها باستقامة الرعية، والتي هي شرط نجاح الحاكم في إدارة حكمه، فإن أهم حقوق الرعية على الراعي أن يرى في الإمرة أداة لإقامة الحق ودفع الباطل<sup>٣٨</sup>. والإمام (عليه السلام) ما كان يقبل الإمرة منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن ليُرد المعالم

من الدين، ويظهر الإصلاح في البلاد، «فيأمن المظلومون من عباد الله»، وتقام المعطلة من حدوده»<sup>٣٩</sup>. وحين تتحدد حقوق كل طرف على الطرف الآخر بهذا الوضوح تصبح العدالة السياسية صلاح الراعي والرعية المؤسس على قاعدة تلازم الحقوق والواجبات. إذ لا يجري الحق «لأحدٍ إلا جرى عليه ولا يجري عليه إلا جرى له»<sup>٤٠</sup>.

### ٣.٢. المساواة أمام القانون :

ولعل أهم مقومات العدالة السياسية أن يكون جميع الناس سواسية أمام الحاكم. وهذا ما وضعه الإمام (عليه السلام) في رأس حساباته، فقد أقسم لأحد عمّاله الذي أساء الأمانة وتصرف بأموال المسلمين «لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هواده، ولا ظفرا مني بإرادة، حتى آخذ الحق منهما»<sup>٤١</sup>. وإذا كان الأولاد فستنة يفتن بها الإنسان العادي ويضعف حيالها، فلا يجري عليهم ما يجريه على غيرهم، فإن المطلوب من الحاكم العادل ألا يقع في فخ هذه الفتنة فيتبع هواه؛ لأن الوالي على حد تعبير الإمام (عليه السلام) «إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر الناس عنده في الحق سواء»<sup>٤٢</sup>.

### ٣.٣. عدم استواء المحسن والمسيء:

ولتكون العدالة السياسية كاملة، ينبغي ألا يتساوى المحسن والمسيء تحت ظلها. وإشارة الإمام (عليه السلام) إلى ذلك تعبير عن خطأ كان يمارس قبله. «إني عارف لذي الطاعة منكم فضله، ولذي النصيحة حقه غير متجاوز متهماً إلى بريء، ولا ناكثاً إلى وفي»<sup>٤٣</sup>. والاعتراف لذي الحق بحقه مشجع على الخير يؤدي وظيفة تربوية تنحو بالمجتمع نحو صلاحه الأمل. وهذا ما لم يعره ولاية بني أمية بعد علي (عليه السلام) أي اهتمام. بل على العكس من ذلك رأوا في أهل العراق رؤوساً أينعت وحن قفافها بقطع النظر عن حاملها هذه الرؤوس، محسنون هم أم مسيئون. وذهبوا أبعد من ذلك حين أقسم زياد قائلاً لاخذن الولي بالمولى والمطيع بالعاصي»<sup>٤٤</sup> وفي ذلك خروج كلي عن العدالة السياسية الإسلامية السمحاء.

### ٣.٤. العدالة السياسية والمال العام :

ولقد لامست السياسة الأمور عند الإمام (عليه السلام) بشفافية وتناء متناهيين، فالمال الذي يُستوفى من الرعية مال الله<sup>٤٥</sup>، ولذلك شدّد النكير على من يخون من فيء المسلمين ولو

كان شيئاً صغيراً<sup>٤٦</sup>، ودعا إلى التعامل مع المكلفين بمنتهى النزاهة والحرص على الحق، فكان يطلب ممن يستعمله على الصدقات أن يقول: «عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه، فإن قال قائل: لا، فلا تراجع»<sup>٤٧</sup>. ولئن دل ذلك على شيء، إنما يدل على ثقة كبيرة بالإسلام والمسلمين وحرص على أن يشعر كل مسلم بمسؤولياته وواجباته فيقوم بها من دون إكراه، وفي ذلك بعد تربوي آخر يرتقي بالمجتمع نحو الصورة المطلوبة في القرآن خصوصاً وأن التعامل مع مصدر مال بيت المسلمين تعامل مرن يستبطن الأمور دون ظاهرها. أوصى الأشرع عندما ولاه على مصر قائلاً: «وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة. ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد»<sup>٤٨</sup>. وهذه الوصية إشارة واضحة إلى أن العدالة المطلوبة عن الإمام (عليه السلام) ليست شكلية، همها المحافظة على المظاهر. ولكنها متوغلة في عمق الحياة تحافظ على حق الرعية ما ظهر منه وما بطن، كما تحافظ على حق الله والمسلمين ما ظهر منه وما بطن أيضاً، فالمسألة هي المحافظة على دورة الحياة الطبيعية المتجلية بإعمار الأرض الذي تنال على أساسه الجنة؛ لأن الإعمار مظهر عميق من مظاهر نجاح العدالة السياسية في الحياة الإسلامية العامة.

### ٣.٥. العدالة السياسية والتفاصيل:

ولا تكمن أهمية السياسة في فكر الإمام (عليه السلام) من خلال تعامله مع ما هو أساسي فحسب، ولكنها تتعدى ذلك إلى تعامله مع أدق التفاصيل. وذلك طبيعي؛ لأن القاعدة واحدة. وهي استشعار رضى الله في كل تصرف يقوم به الحاكم حيال الرعية. أن يكون الإنسان راعياً يعني أن تُحصى عليه حركاته وسكناته. وهذا ما لفت الإمام (عليه السلام) انتباه محمد بن أبي بكر إليه حين قلده أمور مصر، «فاخفض لهم جناحك، وأن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإن الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة»<sup>٤٩</sup>. والطلب إلى الراعي أن يكون عادلاً حتى في توجيه النظرات، ليس بسبب قيمة تلك النظرة مفردة، فهي لا تشبع ولا تغني، ولكن بسبب ما يترتب من جور على اختلال ميزان العدل في توزيعها. ومن يسمح لنفسه ألا يكون عادلاً في الصغيرة، يسمح لنفسه ألا يكون عادلاً في الكبيرة. وإذا لم يكن بمقدور الخليفة إدراك



هذا الجور في توزيع النظرات على الرعية، فإن الله يدركه ويحاسب هذا الوالي يوم لا يكون فيه والياً «إن الله يسألكم معشر عباده [إلا ولاته] عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة». ويجري هذا المجري كلامه (عليه السلام) إلى الأشر حين طلب إليه أن يعامل الشريف والوضيع على قاعدة واحدة «ولا يدعوتك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلاته ما كان صغيراً، ولا وضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلاته ما كان عظيماً»<sup>٥٠</sup>.

### ٦.٣. صفات الحاكم العدل :

أولى الإمام (عليه السلام) المقومات الشخصية التي يتمتع بها الحاكم اهتماماً غير عادي؛ لأن مسؤولية بحجم العدالة السياسية، كما رسمها الإسلام تتطلب راعياً من طراز مرموق ولقد استشعر الإمام (عليه السلام) تلك المقومات في نفسه، وطلبها في عماله، وتأتي على رأس تلك المقومات استقامة علاقة الحاكم بالله، ولذلك طلب من محمد بن أبي بكر عامله على مصر ألا «يسخط الله برضى أحد من خلقه»<sup>٥١</sup>، كائناً من كان هذا الأحد. ويرتبط هذا التعويل الشديد على رضى الله بالإيمان اليقيني به مبدعاً للكون، وحاكماً عادلاً له، ومتصرفاً خبيراً بشؤونه. ولقد أكسبت هذه اليقينية الإمام (عليه السلام) شجاعة لا تضاهي

ولقد كنت وما أفدّد بالحرب، ولا أرهب بالضرب، وإني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني»<sup>٥٢</sup>.

ويقتضي هذا النوع من العلاقة مع الله الثبات على الحق. ولذلك لم يفكر الإمام (عليه السلام) في لحظة من اللحظات أن يشتري سكوت خارج على سلطته، كمعاوية، بولاية يقطعه إياها. ولقد ردّ على مساومته بحزم «أما طلبك إلي الشام فأني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس»<sup>٥٣</sup>. كيف لا، والمطلوب ممن يتصدى لأمر العامة أن يتمتع بثقة شديدة بالنفس طالما أنه مؤمن بالله يعمل بما يرضيه. ولقد أشار إلى ذلك في كتابه إلى أخيه عقيل: «لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّة، ولا تفرّقهم عني وحشة»<sup>٥٤</sup>. وإيمان ينبع من الذات وحدها لا يحاربه إيمان.

ولم يكتف الإمام (عليه السلام) بالتأكيد على صفات للحاكم مرتبطة بعلاقته بربه، ولكنه تناول صفات أخرى تتصل بعلاقته برعيته، ويأتي على رأس تلك الصفات أن يكون الحاكم متقشفاً يعيش حياة مشابهة لحياة أفقر المسلمين، ولقد جعل الإمام (عليه السلام) من نفسه نموذجاً يقتدى عندما صرّح قائلاً:

«هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأظعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من

لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشعب،<sup>٥٥</sup>.

وتشكل هذه القاعدة التي تساوي من الناحية المعيشية بين المتربع على أعلى سلطة في الإسلام، والأفقر بين أفراد الرعيّة، التصوّر الأكثر جذرية في التعامل مع العدالة الاجتماعية التي لا تنفك عن أن تكون تجلياً من تجليات العدالة السياسية.

ومن صفات الحاكم العادل المتعلقة بالرعيّة ما أوضحه الإمام (عليه السلام) لأحد عمّاله حين قال له: «إنّ الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك»<sup>٥٦</sup>. أي أنّ المطلوب منه أن يضع نفسه موضع الرعيّة قبل أن يتخذ أيّ قرار يتعلق بشؤون تلك الرعيّة، ويشكل حضور الرعيّة المراقب من داخل نفس الوالي في كل موقف يتخذه ذلك الوالي ضابطاً جيداً يحول دون جموح ذلك الموقف. ومن يتوغّل داخل هذه الصفة يجد أنّ المطلوب من الحاكم العادل أن يعيش ازدواجاً في شخصيته. أن يحسب نفسه راعياً من ناحية، وأن يحسبها في عداد الرعيّة من ناحية أخرى وفي هذا سرّ من أسرار العدالة السياسية التي يقول بها الإسلام.

ولا يغفل الإمام (عليه السلام) أمراً جوهرياً يتصل بعلاقة الحاكم العادل بأولي العلم من خاصة رعيته، ولذلك فهو يرى أنّ المطلوب من الراعي أن يكثّر «مدارسه العلماء، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه» أمر البلاد وإقامة ما استقام به الناس قبله»<sup>٥٧</sup> لأنّ في ذلك تسديداً لمسيرة الحكم وإسهاماً إيجابياً في إقامة العدالة السياسية. ويتوغّل الإمام أكثر في تحديد تلك الصفات إذ يطلب من الراعي أن يلحق مشاعره بالحق، وأن يجعل من رضى الرعيّة مقياساً: «وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضى الرعيّة»<sup>٥٨</sup>. ويعني هذا أن يضع الحاكم وجوده وكيانه في خدمة الرعيّة؛ أي أن يصبح منتمياً بامتياز إلى العدل الإلهي.

ولئن تشدّد الإمام (عليه السلام) في تحديد صفات الحاكم العادل فأخرج من دائرته كلاً من الجاهل والجافي والحائف المرتشي والمعطل للسنة<sup>٥٩</sup>؛ لأنّ من يتصف بمثل هذه الصفات غير قادر على تحقيق العداة السياسية، فإنّه رفض أن يتوجه إليه بالثناء أو الإطراء؛ لأنّ حقوقاً لم يفرغ «من أدائها وفرائض لا بُدّ من إمضائها»<sup>٦٠</sup>، ورأى في هذا النوع من الخطاب خطاباً تُكلم به الجبابة لا العادلون<sup>٦١</sup>. وإذا كان الجبابة في الموقع المعادي للعدالة السياسية فإنّ من مقتضيات تلك العدالة أن يقبل الحاكم النقد. ولقد وضع الإمام نفسه نموذجاً لذلك القبول. «ولا تظنوا بي استثقلاً في حقّ قبيل لي، ولا التماس

إعظام لنفسي، فإنه من استثقل الحق أن يُقال له أو العدل أن يُعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه. فلا تكفروا عن مقالة بحقٍّ، أو مشورة بعدلٍ»<sup>٦٢</sup> وأن يتساوى جميع الناس أمام السلطة في الحقوق والواجبات، وأن تصير السلطة أذناً صاغية إلى نقد الرعيّة يعني أننا أمام حاكم جدير بتحقيق العدالة السياسيّة بأبعد مراميها التي تصوّرها لها الإسلام.

### ٧.٣. العمال و تطبيق العدالة السياسية:

لا تقوم العدالة السياسيّة لمجرد معرفة الأسس والقواعد التي تقوم عليها. فالعبرة في التنفيذ، صحيح أن التطبيق يبدأ عند الإمام، ولكنّه لا يكتمل إلا عند العامل ومن ثمّ عند أعوانه، ولقد حدّد الإمام (عليه السلام) للعامل جوهر وظيفته حين خاطبه قائلاً: «إنّ عمّلك ليس لك بطعّمة، ولكنّه في عّقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك»<sup>٦٣</sup>، واضعاً بذلك قاعدة الحقوق والواجبات الأساسيّة التي تبني عليها العدالة الإسلاميّة في هذا المستوى الوسيط من التعامل بين الحاكم والمحكوم. فحقّ العامل أن يُطاع وواجباته أن يحافظ على الأمانة التي وضعها الإمام بين يديه، والتي افترضها الله قبل ذلك للإمام. فالوالي مسترعى للإمام في مستوى أول، ولله في مستوى أعلى. ويشكل هو الإسترعاء أساس الحقوق التي افترضها الله لكل من الراعي والرعيّة. وشرعيّة العامل أن يقوم بهذا الدور الدقيق الذي دعا الإمام (عليه السلام) أهل مصر أن يساعدوا الأشرع على القيام به «فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق»<sup>٦٤</sup>. وحقّ الوالي في الطاعة التي هي واجب الرعيّة هو حق وواجب حين تكون أوامر الراعي مطابقة الحق، ترضي الله، وإلا فلا طاعة للوالي على الرعيّة ومشروعية عدم مجاراة الوالي من قبل الرعيّة إذا أخطأ هي سلطة تحكّم سلوك الوالي. وتدفعه إلى الاستقامة. ويعني هذا أن السلطة ليست أداة يستثمرها الحاكم وفق رغبته. فالسلطة للحق وحده. ليس الحق المجرد، ولكنّ الحق الذي حدّده الله في كتابه، وهو معروف وواضح بما فيه الكفاية. ويدفعنا هذا إلى الحديث عن الديمقراطية. ولئن قامت الديمقراطية الغربيّة على رأي الأكثرية بقطع النظر عن صحة هذا الرأي وسلامة تكوّنه، إذ كثيراً ما تكون الاكثريّة مصلّطة أو مدفوعة إلى مواقع ردّات الفعل غير الصائبة. فإنّ مقياس السداد في الإسلام، ليس اجتماع الأكثرية حول رأي من الآراء، ولكن موافقة كتاب الله. وليس لراع أو لرعيّة أن تدّعي حقاً لا يوافق القرآن الكريم. وهكذا فإنّ أساس العدالة السياسيّة عند الإمام (عليه السلام) لا يتبيح لأية قوة، وفي جميع الظروف، أن تفتت على العدالة. ولئن حمّل الإمام (عليه السلام) العامل هم العدالة السياسيّة الإسلاميّة في جميع سلوكه،

فإنه مدرك أن هذا العامل بحاجة إلى الأعوان، ويرى أن ما يجري على الوالي هو من أوكل الأمانة إليهم فهو المسؤول أمام الخليفة وبالتالي أمام الله عن سيرتهم. ولقد طلب الإمام (عليه السلام) من الأشران «انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده»<sup>٦٥</sup>. وطالما أن الولاية أمانة في عنق الوالي لا طعمة، وجب عليه أن يحافظ عليها فلا يترك أحداً يدفعه إلى الإساءة إليها. ويكرر الإمام (عليه السلام) مثل القول إمعاناً في إظهار خطورة هذا الأمر: «ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استثثار وتطول، وقلة إنصاف في معاملة. فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال»<sup>٦٦</sup>؛ ولأن الأمر بهذه الخطورة، حدّد الإمام صفات من يجب أن يُختاروا والمثل هذه المهمة حين طلب من الأشران قائلاً: «لا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزيّن لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله»<sup>٦٧</sup>. وإخراج البخل والجبان والحريص من أهل مشورة الوالي إنما هو مراعاة لجوهر العدالة السياسية التي يرتضيها الله؛ لأن سوء الظن به من خلال تلك الصفات السلبية نفي لوحدانيته وإشراك به. وهو خروج على قاعدة السلطة القائمة على الحق إلى السلطة المستأثرة الظالمة.

#### ٤. الرعية والعدالة السياسية

تستوجب الإشارة أولاً وقبل كل شيء، إلى أن الإمام لم يتسلم، عندما بويع، أمور رعية موحدة، ولا مجتمع إسلامي متماسك، بل واجه مجتمعاً منقسماً ورعية مفتتة، أهل الشام الخاضعين لسياسة معاوية، والثوار الذين قتلوا عثمان، وبقية الناس الذين يعيشون بلبه واضطراباً. ولئن تطلب مشروعه السياسي رجالاً لا يستوحشون في طريق الهدى مهما قلّ أهلهم<sup>٦٨</sup> يكونون «الأنصار على الحق، والإخوان في الدين، والجنن يوم البأس، والبطانة دون الناس»، يضرب بهم المدبر ويرجو طاعة المقبل<sup>٦٩</sup>، فإنه لم يوفق في ذلك بما يُنجح ذلك المشروع. أصحابه متفرقون عن الحق، يعصون أمامهم<sup>٧٠</sup>، متواكلون متخاذلون<sup>٧١</sup> مجتمعة أبدانهم مختلفة أهواؤهم تُطمع حالهم بهم الأعداء<sup>٧٢</sup>، لا يؤمنون على علاقة قعب<sup>٧٣</sup>. أمّا أعداؤه أهل الشام فهم «العمي القلوب، الصمّ الأسماع، الكمه الأبصار، الذين يلبسون الحق بالباطل، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق، ويحتلبون الدنيا درّها بالدين، ويشترون عاجلها بأجل الأبرار المتقين»<sup>٧٤</sup>. ويعني هذا أن الإمام

(عليه السلام) يواجه قوة متماسكة بفعل الدنيا برجال لم يجمعهم الدين كما يجب. أو قل يواجه عاصمة منظمة مستقرّة هي دمشق معاوية<sup>٧٥</sup>، بعاصمة متنقلة قيد التنظيم لم تتح لها ظروف الفتنة أن تستقر وتنظم بعد<sup>٧٦</sup>. ويشير كل ذلك إلى أن الإمام (عليه السلام) يواجه أزمة مرّة في علاقته بعامة المسلمين. وإذا كان صلاح الراعي ونجاحه مرتبطين باستقامة الرعيّة<sup>٧٧</sup>، فإن أساس نجاح النظام السياسي قد اهتزّ، وأن العدالة السياسيّة ستواجه صعوبات عصيّة في أثناء التنفيذ. ولئن تلخّصت حقوق الرعيّة على الراعي بالنصح<sup>٧٨</sup>، والإرشاد<sup>٧٩</sup>، وتوفير النقيء، والتعليم والتأديب<sup>٨٠</sup>، وإدارة الشؤون العامّة<sup>٨١</sup>، وإقامة الحق ودفع الباطل<sup>٨٢</sup>، وإنصاف المظلوم<sup>٨٣</sup> فإن واجباتها تتلخّص بطاعة الإمام في الحق<sup>٨٤</sup>، والاستجابة لدعوته إلى الجهاد<sup>٨٥</sup>، والوفاء بالبيعة<sup>٨٦</sup>، والنصيحة في المشهد والمغيب<sup>٨٧</sup>، ولقد شكّا الإمام تفرّق رجاله عن الحقّ وتقاّسهم عن الجهاد بما يعني تلوّكهم عن القيام بواجباتهم من ناحية، وإثارة الصعوبات أمام قيامه بواجباته من ناحية أخرى. وإذا كان هذا شأنه مع جماعته، فإنّ تعامله مع فرق الفتنة سيكون أكثر صعوبة؛ لأنّه يفرض عليه واجبات إضافية ولا يوفّر له حقوقاً تترتب عليها - فهو مضطّر، من خلال خضوعه لما يمليه الإسلام أن يحاور الخصم<sup>٨٨</sup>؛ ليوفّر له فرصة الارعواء عن الغي والامتنال إلى الحقّ، وألاّ يبادر إلى قتاله<sup>٨٩</sup>. في الوقت الذي يستخدم فيه الخصم الحوار وسيلة للمراوغة أو الخروج من المأزق، ويبادر إلى القتال في أية فرصة تناسبه ويجدها سانحة. لقد جرّت ظروف الفتنة الإمام (عليه السلام) إلى الموقع الأصعب. أطلقت الدنيا يد خصمه، وحرمته الفتنة من أهم أسباب قوّته (عليه السلام).

#### ٤. ١. العامة والخاصة والعدالة السياسية:

ويبقى أن هذه الوضعيّة غير السويّة في حياة المسلمين لم تمنع الإمام (عليه السلام) من أن يحدّد قواعد التعامل مع الرعيّة. وذلك من خلال عيّنة سليمة منها، عيّنة القطر المصري، خصوصاً حين أشار على الأشتر «إن سُخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سُخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة... وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدّة للأعداء العامّة من الأمّة، فليكن صغوك لهم، وميلك معهم»<sup>٩٠</sup>. ويشير هذا الكلام إلى أن معيار العدالة السياسيّة القوي هو رضى العامّة. ولذلك فإن آراء الخاصة وجماع مشورتهم لا يعوّل عليها ما لم تستند إلى ذلك الرضى. ولا يعني ذلك أن هذا الرضى قد أصبح مقياساً مطلقاً يؤسس عليه. يتعلّق الأمر بمراعاة مصالح العامّة قبل مصالح الخاصّة، وهذه

المراعاة ليست اعتباطية ولكنها مطلوبة ومبررة. فالعامة عماد الدين والعدة للأعداء، وتقديم مصلحتهم تقديم لمصلحة الدين، وإيثار لرضى الله على سخطه .

#### ٤. ٢. الفئات الوظيفية في المجتمع والعدالة السياسية:

ولقد وجد الإمام (عليه السلام)، من خلال هذه العينة نفسها «ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض. فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة. وكل قد سمى الله له سهمه، ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) عهداً منه عندنا محفوظاً»<sup>٩١</sup>. والنظر إلى الرعية من الناحية الوظيفية توغل في المحافظة على العدالة السياسية التي تفترض ألا تُعطى أية فئة من هذه الفئات من الحقوق إلا بما يتناسب مع الواجبات التي تؤديها. وجرياً على هذه القاعدة حدّد خطورة الدور الذي يقوم به الجنود فرأى الأ قوام لهم «الإ بما يخرج الله لهم من الخراج»<sup>٩٢</sup> من دون أن ينسى ما لكل فئة أخرى وما عليها<sup>٩٣</sup>، ومدى ترابط هذه الوظائف وبنيتها<sup>٩٤</sup>.

#### ٥. كلمة أخيرة

ومهما يكن من أمر، فإنّ السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام. ما مدى فعالية رؤية الإمام (عليه السلام) إلى العدالة السياسية في زمان كزماننا يطرح فيه النظام العالمي الجديد نفسه نظاماً سياسياً وحيداً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتجربته مع الديمقراطية المركزية؟ ولئن كان أبسط نقد يوجّه إلى ذلك النظام هو أنّه استفرد أميركي بالعالم وخيراته، فإنّ حقوق الإنسان الغائبة في أميركا نفسها لن تُوفّر للآخرين. وتبقى العدالة السياسية كما رأيناها في «نهج البلاغة» هي الطريق السليم إلى إنسان معاصر معافى يسدع حلولاً للمشكلات التي تواجهه خصوصاً وأنّ هشاشة الديمقراطية الغربية التي تتمظهر بالعدالة السياسية، وتبطن ظلم القويّ وإرهابه لم تعد لتتفع أحداً بجداها. ولقد آن للبشرية أن تصحو من حمى الحضارة الغربية التي استقطبت حول العقل وحده، فجرّها ذلك إلى ارتكاب ما ارتكبه من جرائم بحق الشعوب المغلوبة على أمرها. فالعقل يعرف ولكنه لا يشفق. والمطلوب سيادة العدالة السياسية التي ترعاها عين الله، ويرشدها قرآنه الكريم.

## الحاشية

### المختصرات:

- (م. ن) المصدر نفسه .
- (م. س) المصدر السابق .
١. إبراهيم أحمد شلبي، علم السياسة، بيروت، الدار الجامعية، ١٩٨٥، ص ٢٩.
٢. م. ن، ص ٣١ .
٣. م. ن، ص ٥٣ - ٧٩
٤. محمد سعيد العشماوي، روح العدالة، بيروت، دار اقرأ، ط ٣، ١٩٨٦، ص ٦٩.
٥. م. ن، ص ١٥ .
٦. محمد طي، علي وقانون الطوارئ، المنهاج، بيروت، العدد ٨، ١٩٩٧، ص ٥٤ .
٧. م. ن، ص ٥٣ .
٨. م. ن، ص ٥٩ .
٩. فصلت، ٤١ / ٤٢.
١٠. محمد طي، م. س، ص ٦٠ .
١١. الإمام علي (عليه السلام)، نهج البلاغة، ضبط صبحي الصالح، قم، دار الهجرة، ١٤١٢ هـ ص ٤٧ .
١٢. م. ن، ص. ن .
١٣. م. ن، ص ٢٥٠ .
١٤. م. ن، ص ٣٦٧ .
١٥. إبراهيم بيضون، الإمام علي في رؤية النهج، ورواية التاريخ، بيروت، نيسان، ١٩٩٩، ص ٥٦ .
١٦. م. ن، ص ٣٦ .
١٧. م. ن، ص ٤٠ .
١٨. محمد طي، الإمام علي (عليه السلام) ومشكلة نظام الحكم، بيروت، الغدير، ١٩٩٧، ص ٤٨ - ٥٦ .
١٩. الإمام علي (عليه السلام)، م. س، ص ٢٤٨ .
٢٠. م. ن، ص ٣٣٣ .

٢١. محمد طي، علي وقانون الطوارئ، ص ٥٨.
٢٢. الإمام علي (عليه السلام)، م. س، ص ٣٨٠.
٢٣. م. ن، ص ٣٨٤.
٢٤. م. س، ص ٤٢٧.
٢٥. إبراهيم بيضون، م. س، ص ١٠٧.
٢٦. الإمام علي (عليه السلام)، م. س، ص ٢٤٧-٢٤٨.
٢٧. لسان العرب، مادة (شغب).
٢٨. الإمام علي (عليه السلام)، م. س، ص ٤٤٦.
٢٩. م. ن، ص ٤٤٦-٤٤٧.
٣٠. م. ن، ص ٣٦٦-٣٦٧.
٣١. م. ن، ص ١٧٩.
٣٢. م. ن، ص ١٨٤.
٣٣. رأى الماركسيون أن الشيوعية في آخر مراحلها لا تحتاج إلى الدولة الممثلة لطبقة ما؛ لأن المجتمع الإنساني يصبح من غير طبقات. لينين، الدولة والثورة.
٣٤. الإمام علي (عليه السلام)، م. س، ص ٨٢.
٣٥. م. ن، ص ٣٣٣.
٣٦. م. ن، ص. ن.
٣٧. م. ن، ص. ن.
٣٨. م. ن، ص ٧٦.
٣٩. م. ن، ص ١٨٩.
٤٠. م. ن، ص ٣٣٢-٣٣٣.
٤١. م. ن، ص ٤١٤.
٤٢. م. ن، ص ٤٤٩.
٤٣. م. ن، ص ٣٩٠.
٤٤. زياد بن أبيه، جهرة خطب العرب، ص ٢٧٥.
٤٥. الإمام علي (عليه السلام)، م. س، ص ٣٦٦.
٤٦. م. ن، ص ٣٧٧.



- ٤٧.م. ن ص ٣٨٠ .  
٤٨.م. ن، ص ٣٨٣ .  
٤٩.م. ن، ص ٣٨٣ .  
٥٠.م. ن، ص ٤٣٤ .  
٥١.م. ن، ص ٣٨٤ .  
٥٢.م. ن، ص ٦٤ .  
٥٣.م. ن، ص ٣٧٤ .  
٥٤.م. ن، ص ٤٠٩ .  
٥٥.م. ن، ص ٤١٨ .  
٥٦.م. ن، ص ٤٢٧ .  
٥٧.م. ن، ص ٤٣١ .  
٥٨.م. ن، ص ٤٢٩ .  
٥٩.م. ن، ص ١٨٩ .  
٦٠.م. ن، ص ٣٣٥ .  
٦١.م. ن، ص. ن .  
٦٢.م. ن، ص. ن .  
٦٣.م. ن، ص ٣٦٦ .  
٦٤.م. ن، ص ٤١١ .  
٦٥.م. ن، ص ٤٢٨ .  
٦٦.م. ن: ص ٤٤١ .  
٦٧.م. ن، ص ٤٣٠ .  
٦٨.م. ن، ص ٣١٩ .  
٦٩.م. ن، ص ١٧٥ .  
٧٠.م. ن، ص ٦٧ - ٧٠ .  
٧١.م. ن، ص ٦٩ .  
٧٢.م. ن، ص ٧٢ .  
٧٣.م. ن، ص ٦٧ .

٧٤. م. ن، ص ٤٠٧.
٧٥. إبراهيم بيضون، م. س، ص ٥٧.
٧٦. م. ن، ص ٥٠.
٧٧. الإمام علي (عليه السلام)، م. س، ص ٣٣٣.
٧٨. م. ن، ص ٧٩.
٧٩. م. ن، ص ٢٦٣.
٨٠. م. ن، ص ٧٩.
٨١. م. ن، ص ١٧٥ و ١٩٣.
٨٢. م. ن، ص ٧٦ - ٧٧.
٨٣. م. ن، ص ٨١.
٨٤. م. ن، ص ٦٧ و ٢٦٣.
٨٥. م. ن، ص ٦٩ و ٢٦٣.
٨٦. م. ن، ص ٧٩.
٨٧. م. ن، ص. ن.
٨٨. م. ن، ص ٧٤ و ٨٠ و ٣٧٢.
٨٩. م. ن، ص ٣٧٣.
٩٠. م. ن، ص ٤٢٩.
٩١. م. ن، ص ٤٣٢.
٩٢. م. ن، ص. ن.
٩٣. م. ن، ص ٤٣٢ و ٤٣٩.
٩٤. م. ن، ص ٤٣٢.

## العدالة السياسية عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

الدكتور حامد العبدالله

الدكتور عبدالله سهر

قسم العلوم السياسية - كلية العلوم الاجتماعية -

جامعة الكويت

يحاول هذا البحث أن يجيب عن سؤالين مهمين، أحدهما يتعلق بمفهوم العدالة السياسية والثاني حول مدى تحقق هذا المفهوم سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أثناء خلافته و كذلك من خلال أقواله وأحاديثه.

الافتراض الأساسي للدراسة أن العدالة السياسية تعني رعاية حقوق الآخرين وإعطاء كل ذي حق حقه، وهي بهذا المعنى تفرض التزامات أساسية على الحاكم والتزامات على المحكومين، فإذا أدى كل طرف التزاماته وقام بمسئوليته، فإن العدالة السياسية بمعناها الحقيقي سيتحقق حتماً.

ولو راجعنا ما تطرق إليه الإمام علي بن أبي طالب في أقواله حول هذا الموضوع، لوجدنا أنه قد حدّد الإطار النظري لواجبات الحاكم والمحكوم.

فواجبات الحاكم هي: -

١. الشفافية والوضوح مع الرعية.

٢. عدم الاحتجاب عن الرعية.

٣. طلب المشورة من الناس.

٤. الزهد في المعيشة

٥. حفظ الأمن.

٦. التربية والتعليم.

٧. إقامة الفرائض.

٨. منع الظلم وإحقاق حقوق الضعفاء.

٩. القضاء بالعدل.

١٠. الحفاظ على الأموال العامة.

١١. جباية الفياء والصدقات و توزيعها بالحق على مستحقيها.

و في المقابل، فإن واجبات المحكومين تتلخص في: -

- الوفاء بالبيعة.

- الطاعة للحاكم.

إن مهمة البحث الرئيسية هي استقصاء مدى تحقق هذا الإطار النظري مع التطبيق أثناء تولي الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للخلافة.

#### تمهيد:

ارتبط اسم الإمام علي بالعدالة، عند محبيه و خصومه على السواء. و قبل أن نشرع ببحث العلاقة بينهما من الناحيتين النظرية والتطبيقية، لا بد أن نحدد أولاً معنى العدالة، ثم نحدد معنى العدالة السياسية، بعد ذلك يمكننا أن ننطلق لدراسة العدالة السياسية في عصر خلافة علي، بين النظرية من جهة، و واقع التجربة التي، مرّ بها المجتمع الإسلامي، قبيل استلامه الخلافة و حتى استشهاده من جهة أخرى.

لفظ العدالة يمكن أن نستعمله في أربعة موارد على الأقل:

١. العدالة بمعنى «رعاية الاستحقاق في إفاضة الوجود، و عدم الامتناع عن الإفاضة والرحمة، إذا ما توافر إمكان الوجود، أو إمكان الكمال»<sup>١</sup> و عند ما يضيفي الفلاسفة الإسلاميون صفة العدل على الله سبحانه و تعالى، فهم يقصدون هذا المعنى. و هذا المعنى هو معنى واقعي (في مقابل المعنى الاعتباري)، لكنه لا يرتبط ببحثنا هذا، و لا نقصده عند ما نتحدث عن العدالة السياسية.

٢. العدالة بمعنى «الشيء الموزون»<sup>٢</sup> فإذا نظرنا إلى مجموعة، فيها أجزاء مختلفة، تهدف إلى هدف خاص، فإنه لا بد من توفر شروط معينة لذلك، من حيث المقدار اللازم من كل

١. مرتضى مطهرى، العدل الإلهي، ص ٧٣.

٢. المصدر السابق، ص ٦٨.

جزء، و من حيث كيفية ارتباط تلك الأجزاء ببعضها، و باجتماع هذه الشروط جميعاً، تستطيع تلك المجموعة أن تبقى، و أن تعطي الأثر المطلوب منها، و أن تفي بالخطة الموضوعية لها.

و هذا المعنى للعدالة واقعي أيضاً، سواء استخدم هذا اللفظ في مجال العلوم الطبيعية، أو حتى في مجال العلوم الاجتماعية (مثال ذلك السنن القرآنية: كقوله تعالى «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»، أو قوله «لئن شكرتم لأزيدنكم»)، لأن العلاقة بين مراعاة الشروط، والظفر بنتائج معينة، هي علاقة واقعية. ففي مجال الكيمياء مثلاً، كل مركب له قاعدة خاصة، و أسلوب معين، و نسبة معينة لكل عنصر من عناصره المكونة له، فإذا أردنا إيجاد ذلك المركب، فلا بد أن نراعي تلك القاعدة، حتى يتحقق التعادل، و نظفر بذلك المركب.

لكن هذا المعنى لا يرتبط ببحثنا أيضاً، و لا نقصده عند ما نتحدث عن العدالة السياسية.

٣. العدالة بمعنى «التساوي و حذف أي لونٍ من ألوان الترجيح»،<sup>١</sup> فعندما يقول الناس «فلان عادل»، فهم يقصدون أنه ينظر إلى الأفراد بالمساواة، أي من دون ترجيح، فالعدل بهذا المعنى يعني المساواة.

هنا... إن كان المقصود بهذا المعنى أن العدالة تتطلب عدم مراعاة الأنواع المختلفة للاستحقاق، و تتطلب النظر إلى جميع الأفراد بعين واحدة، فهذه العدالة هي الظلم بذاته. و إن كان المقصود بهذا المعنى أن العدالة تتطلب مراعاة المساواة عند ما يكون الاستحقاق متساوياً (مثال ذلك قوله عليه السلام: «ألا وإن لكم... أن تكونوا عندي في الحق سواء»)، فهذا المعنى مقبول، و يرتبط بالمعنى الاعتباري التالي.

٤. العدالة بمعنى «رعاية حقوق الأفراد، و إعطاء كل ذي حق حقه»،<sup>٢</sup> والظلم بهذا المعنى إنما هو عبارة عن سلب الحقوق، و التجاوز على حقوق الآخرين.

فالعدل هو إعطاء الحق لذي الحق، و الظلم هو سلب الحق من ذي الحق.

١. المصدر سابق، ص ٧١.

٢. المصدر السابق، ص ٧١.

**إعطاء الحق لذي الحق، والظلم هو سلبُ الحق من ذي الحق**  
 وهذا المعنى اعتباري، لأن المعاني الاعتبارية هي معانٍ اصطنعت من أجل علاقة الإنسان بغيره؛ فعلى سبيل المثال تنتظم علاقة الزوج بزوجته، أنشئت سلسلة من الحقوق المتبادلة بينهما؛ والزوج العادل هو الذي يراعي تلك الحقوق، والزوجة العادلة هي التي تراعي حقوق زوجها. وحتى تنتظم علاقة التاجر بزبائنه، أنشئت سلسلة من الحقوق المتبادلة بينهما؛ والتاجر العادل هو الذي يراعي حقوق زبائنه، والمشتري العادل هو الذي يراعي حقَّ البائع.

الأمر ذاته ينطبق على علاقة الحاكم بالشَّعب، فحتى تنتظم علاقة الحاكم بالرَّعية، أنشئت سلسلة من الحقوق المتبادلة بينهما؛ والحاكم العادل هو الذي يراعي حقوق رعيته، والرَّعية العادلة هي التي تراعي حقوق حاكمها. هذا هو المقصود بالعدالة السياسية، فالعدالة السياسية - بهذا المعنى - أداةٌ تُنظِّم علاقة الراعي بالرَّعية والمحكوم، وتحدّد حقوق كل منهما على الآخر.

### الحقوق متقابلة:

كثيراً ما يختلف المصلحون الاجتماعيون - في تشخيص موطن الخلل القائم في مجتمع ما - بين اتهام الحاكم بالطغيان، أو اتهام الرعية بالطاعة العمياء، وفريقٌ منهم تجده يردّد «كما تكونوا يولئ عليكم»، ويُلقي باللائمة على الرعية، على أساس أن الرعية لو ارتقت إلى المستوى المطلوب، وعرفت قدراتها وإمكاناتها، لما انفرد الحاكم بقرارات غير رشيدة. وفريقٌ آخر تجده يردّد «الناس على دين ملوكهم»، فيُلقي باللائمة على الحاكم، على أساس أن الحاكم لو لم يطغ، وكان رشيداً في سلوكه، لاقتدت به الرعية، و لما آل أمرها إلى الانحطاط. أين موطن الخلل إذن؟ هل في القمة أم في القاعدة؟ هل هي في السُّلطة الحاكمة أم في الرعية المحكومة؟

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، يرى أن إصلاح الخلل لا يكون إلا بمراعاة كلِّ طرف، حقوق الطرف الآخر، فطالما أن الحاكم لا يؤدي حقَّ رعيته، أو الرعية لا تؤدي حقَّ حاكمها، فلا يمكن أن نظفر بمجتمع سليم. ومفهوم العدالة السياسية وإن كان مفهوماً اعتبارياً، إلا أن الالتزام بحقوق الطرف الآخر - أو عدم الالتزام - تترتب عليه آثار واقعية بالغة الأهمية والخطورة.

في هذا المجال نجده يؤكد في خطبة له بصفين على أن الحقوق متقابلة، فيقول «أما

بعد، فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقاً بولاية أمركم، ولكم عليّ من الحقّ مثل الذي لي عليكم. فالحقُّ أوسع الأشياء في التواصّف، وأضيقتها في التناصّف. لا يجري لأحد إلا جرى عليه، ولا يجري عليه إلا جرى له. ولو كان لأحد أن يجري له ولا يُجرى عليه، لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه»<sup>١</sup>.

و يؤكد أهمية مراعاة الحقّ من الجانبين، من جانب الحاكم، ومن جانب الرعية، على أساس أن أحد ركني المعادلة لو اختل، فلن تتحقق العدالة السياسية، فيستطرد ويقول: «و أعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرعية، و حقّ الرعية على الوالي. فريضة فرضها الله سبحانه لكلّ على كلّ، فجعلها نظاماً لألفتهم، و عزاً لدينهم. فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاية، و لا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية. فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقّه، و أدى الوالي إليها حقّها عزّ الحقّ بينهم، و قامت مناهج الدين، و اعتدلت معالم العدل، و جرت على أذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، و طمع في بقاء الدولة، و يئست مطامع الأعداء»<sup>٢</sup>.

ثم يبين العواقب الخطيرة لعدم مراعاة أحد الجانبين لحقّ الآخر، فيقول: «و إذا غلبت الرعية و اليها، أو أجهف الوالي برعيّته، اختلفت هنالك الكلمة، و ظهرت معالم الجور، و كثر الإدغال في الدين، و تُركت محاج السنن، فعُمل بالهوى، و عُطلت الأحكام، و كثرت عليل النفوس، فلا يُستوحش لعظيم حقّ عُطل، و لا لعظيم باطلٍ فُعل! فهناك تدبُّ الأبرار، و تعزُّ الأشرار، و تعظم تبعات الله سبحانه عند العباد»<sup>٣</sup>.

و طالما أن احتمال اختلال أحد ركني المعادلة وارد جداً، فلا سبيل إلى معالجة هذا الخلل إلا بالتناصّح، والتعاون، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر على الدوام. و هذا الواجب لا يقتصر على الوجهاء والأغنياء والأقوياء، وإنما هو واجب كلّ عضو في المجتمع - سواء كان أعلى القمة أو أسفل القاعدة - و لا يقلل من أهمية القيام بهذا الواجب عظمة الحاكم، مهما علا في المنزلة والقوة، و كما يقلل من أهمية القيام بهذا الواجب بساطة المحكوم، مهما تواضع في المنزلة والضعف. يقول: «فعلّيكُم بالتناصّح في ذلك، و حُسن التعاون عليه، فليس أحدٌ - و إن اشتد على رضا الله حرصه، و طال في العمل اجتهاده -

١. نهج البلاغة، رقم (٢١٦)، ص ٣٣٢، صبحي الصالح.

٢. المصدر السابق، ص ٣٢٣.

٣. المصدر السابق، ص ٣٢٣-٣٢٤.

يبالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له. ولكن من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم. وليس امرؤ - وإن عظمت في الحق منزلته، وتقدمت في الدين فضيلته - بفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه. ولا امرؤ - وإن صغرت النفوس، واقتحمت العيون - بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه.<sup>١</sup>

### القسم الأول: نظرية الإمام علي (عليه السلام) في العدالة السياسية

عند ما نتحدث عن واجبات الحاكم، فهذا يعني أننا نتحدث - على الفور - عن حقوق الرعية تجاه الحاكم. وعند ما نتحدث عن واجبات الرعية، فهذا يعني أننا نتحدث عن حقوق الحاكم تجاه رعيته. فالحقوق والواجبات ليسا في النهاية إلا وجهان لعملية واحدة.

#### واجبات الحاكم:

بإمكاننا أن نوجز واجبات الحاكم بعنوان عام، يتمثل في «إقامة الحق و دفع الباطل». و هذا العنوان قد يشمل - بمعنى من المعان - جميع العناوين الفرعية التي سنتعرض إليها بعد قليل. وهذا العنوان العام يمثل معياراً رئيسياً في صلاح الحاكم أو فسادة، يقول عبد الله بن عباس: دخلت على أمير المؤمنين بذي قار، وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال: والله لهي أحب إلي من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً.<sup>٢</sup>

هذا العنوان العام لا يمنعنا من رصد عناوين صغيرة، قد تمثل مصاديق إقامة الحق و دفع الباطل، أو على الأقل تقدير تعتبر مقدمات أساسية و شروط ضرورية لإقامة الحق و دفع الباطل و إليك تلك العناوين مع الإشارة إلى ما يشهد عليها من القرآن الكريم، أو من كلمات الإمام علي (عليه السلام).

#### ١. الشفافية والوضوح مع الرعية.

من واجبات الحاكم مع رعيته أن يكون واضحاً معهم، صريحاً، يتسم خطابه بشفافية و صدق. فلا يعقد الصفقات والتسويات خلف ظهورهم، لا يكتتم عليهم سراً إلا في الضرورات القصوى. المطلوب من الحاكم أن تكون خطواته و قراراته مبررة و واضحة، و

١. المصدر السابق، ص ٣٣٤.

٢. المصدر السابق، رقم (٣٢) ص ٧٦.



بمقدور الرعية تفهمها بدون غموض أو لبس. يقول تعالى: «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني».<sup>١</sup>

يقول علي (عليه السلام) في خطبة له: «ألا وإن لكم عندي ألا أحتجز دونكم سراً إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمراً إلا في حكم، ولا أؤخر لكم حقاً عن محلّه، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا عندي في الحقّ سواء. فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة، ولي عليكم الطاعة».<sup>٢</sup>

## ٢. عدم الاحتجاب عن الرعية.

تواصل الحاكم الدائم مع الناس ليس أمراً مطلوباً في الإسلام فحسب، وإنما هو من الضرورات التي يتعين على الحاكم الإلتزام بها. وإلا فالمجتمع مشرفٌ على خطرين؛ أولهما: عدم وضوح ما يحدث في مؤسسة الحكم عند أذهان الناس، ونتيجة ذلك أن يصغر عندهم الكبير، و يعظم الصغير، و يقبُح الحسن، و يحسُن القبيح، و يُشابُ الحق بالباطل. ثانيهما: عدم وضوح ما يحدث بين عامة الناس في ذهن الحاكم، و في النتيجة سيفقد بالتدريج ملاحقة نبض المجتمع، و ستداهمه الأحداث، و تفاجئه المستجدات، و ستظهر فجوة تتسع مع الأيام، و قد لا يسعفه المستقبل على جبرانها.

لعلّ هذا من حكم تشريع الإسلام لصلاة الجماعة والجمعة، فالرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كان يؤم المسلمين بنفسه يومياً في الجماعة، و أسبوعياً في الجمعة، و كان بمقدور الناس أن يعرفوا ما يريد الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أولاً بأول، و كان الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يتعرف بدوره على أحوال الناس عن قرب، دون و سائط قد تشوّه الحقائق، أو تنقلها منقوصة.

و كان المنافقون يضيقون ذرعاً بمعرفة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الشديدة بأحوال الناس، و معرفة صغائر الأمور و كبائرها، حتى اتهموه و لقبوه - «الأذن»، لكثرة اهتمامه بمتبّع الأخبار، يقول تعالى: «و منهم الذين يؤذون النبي و يقولون هو أذن»، ثم يدافع سبحانه و تعالى عن نبيه «قُلْ أذنٌ خير لكم، يؤمن بالله، و يؤمن للمؤمنين، و رحمة للذين آمنوا منكم، و الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم».<sup>٣</sup>

لذا نجد أمير المؤمنين يوصي الأشر بآن لا يقع في خطأ الاحتجاب عن الرعية، فيقول

١. سورة يوسف، ١٠٨.

٢. المصدر السابق، رقم (٥٠)، ص ٤٢٤.

٣. سورة التوبة، ٦١.

له: «و أما بعدُ، فلا تطولنَّ احتجاجك عن رعيته، فإن احتجاجَ الولاية عن الرعية شعبة من الضيق، و قلة علم بالأمور. والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، و يعظم الصغير، و يقبح الحسن، و يحسن القبيح، و يُشاب الحق بالباطل. و إنما الوالي بشرٌ لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، و ليست على الحق سمات تُعرفُ بها ضروبُ الصدق من الكذب»<sup>١</sup>.

### ٣. طلب المشورة

من الأمور الملفتة في الإسلام أهمية طلب المشورة، في الأمور الخاصة، فضلاً عن العامة، فقد ورد في الحديث «من شاور الناس شاركهم في عقولهم». و حينما مدح القرآن المؤمنين، نجده يذكر صفة الشورى باعتبار أنهم يتصفون بها، فيقول تعالى: «و أمرهم شورى بينهم»<sup>٢</sup>. و من واجبات الحاكم الإسلامي أن يستشير رعيته، فقراراته لا تخصه وحده فقط، و إنما ينعكس تأثيرها على عامة الناس، فلا بد أن يستأنس بأرائهم. و إن كان الرسول (ﷺ) مأموراً من قبل الله سبحانه باستشارة المسلمين، فالحاكم الإسلامي أولى بذلك.

و وجوب الاستشارة لا تعني وجوب العمل بها بالضرورة، لأن الحاكم قد يرى ما لا يراه العامة. و إنما يعني هذا الوجوب أن للعامة دورٌ في صنع القرار، و في بلورة الصورة و اتضاحها لدى الحاكم، و عندئذ - و بعد المشورة - إذا عزم على أمرٍ فليتوكل على الله، و إن لم يوافق رأي بعضهم.

يقول تعالى: «و شاورهم في الأمر فإذا عزم فتوكل على الله»<sup>٣</sup>.

و مع ذلك فالحاكم مأمور بمراعاة رأي الأكثرية مهما أمكن، و إن أدى ذلك إلى تضرر الأقلية. يقول علي (عليه السلام) في عهده للأشتر: «وليكن أحبُّ الأمور إليك أوسطها في الحق، و أعظمها في العدل، و أجمعها لرضى الرعية، فإن سُخط العامة يُجحف برضى الخاصة، و إن سُخط الخاصة يُغتفر مع رضى العامة»<sup>٤</sup>.

١. المصدر السابق، رقم (٥٣)، ص ٤٤١.

٢. سورة الشورى، ٣٨.

٣. سورة آل عمران، ١٥٩.

٤. المصدر السابق، رقم (٥٣)، ص ٤٢٩.

#### ٤. الزهد في المعيشة

زهد الحاكم في المعيشة، و بساطته في المأكل والمشرب والملبس والمسكن، ليس أمراً محبباً في الإسلام فحسب، بل يمكن اعتباره واجباً شرعياً يتعين على الحاكم الالتزام به. فلا يمكن في النظرية الإسلامية أن يعيش الحاكم حياةً مرفهة مترفة تسمو على حياة عامة الرعية، لأن الفقير حينما يقارن حياة الحاكم المترفة بحياته، سوف يشتد إحساسه بالفقر، بخلاف ما لو رآه يعيش حياةً بسيطة، بمستوى يقترب من بساطة عيشه هو، ففي هذه الحالة سوف تزداد مقاومة و صبر هذا الفقير على فقره و جشوبة عيشه.

يقول علي (عليه السلام): «إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يُقدِّروا أنفسهم بضعفة الناس، كيلا يتَّبِعَ بالفقير فقره»<sup>١</sup>.

#### ٥. حفظ الأمن

والمقصود بحفظ الأمن الاستعداد الدائم والجهوزية المستمرة لقتال العدو الخارجي والداخلي.

يقول علي (ع): «لا بد للناس من أمير برأكان أو فاجراً، يعمل في أمرته المؤمن، و يستمتع فيها الكافر، و يبلغ الله فيها الأجل، و يُجمع به الفيء، و يُقاتل به العدو، و تأمن السُّبل»<sup>٢</sup>.

و يقول أيضاً: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، و لا إلتماس شيء من فضول الحطام، و لكن لئرد المعالم من دينك، و نظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، و تقام المعطلة من حدودك»<sup>٣</sup>.

#### ٦. التربية والتعليم

بمعنى أن على الحاكم أن يرسم خطة تربوية، يقوم بتنفيذ جزء منها من خلال النصيحة والإرشاد والموعظة، و باقي أجزائها تنفذها الأجهزة المختلفة التابعة له. و هناك فرق واضح بين التربية والتعليم، فالتربية تعني توفير الأجواء المناسبة لنمو الملكات الروحية والعقلية التي تزيد من إنسانية الإنسان، والتعليم يعني محو الأمية

١. المصدر السابق، رقم (٢٠٩)، ص ٣٢٥.

٢. المصدر السابق، رقم (٤٠)، ص ٨٢.

٣. المصدر السابق، رقم (١٣١)، ص ١٨٩.

على كِبْطَةً ظالمٍ ولا سَغَبٍ مظلوم».<sup>١</sup>  
 و يقول: «لأبد للناس من أمير برأ كان أو فاجراً، يعمل في إمرته المؤمن، و يستمتع فيها الكافر، و يبلغ الله فيها الأجل، و يُجمع به الفيء، و يُقاتل به العدو، و تأمن السُّبُل، و يؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح برُّ، و يُستراح من فاجر».<sup>٢</sup>  
 و يقول: «إنه ليس على الإمام إلا ما حُمِّل من أمر ربه: الإبلاغ في الموعدة، والاجتهاد في النصحية، والإحياء للسنة، وإقامة الحدود على مستحقيها».<sup>٣</sup>  
 و يقول: «... و لكن لئرد المعالم من دينك، و نظهر الإصلاح في بلادك، فياأمن المظلومون من عبادك، و تقام المعطلة من حدودك».<sup>٤</sup>  
 و يقول: «ألا و إن لكم عندي ألا أحتجز دونكم سراً إلا في حرب، و لا أطوي دونكم أمراً إلا في حكم، و لا أؤخر لكم حقاً عن محلّه، و لا أقف به دون مقطعه، و أن تكونوا عندي في الحق سواء. فإذا فعلتُ ذلك و جبت لله عليكم النعمة، ولي عليكم الطاعة».<sup>٥</sup>

#### ١٠. الحفاظ على الأموال العامة (بيت المال)

الحفاظ على أموال الناس، و حرمة أكلها بالباطل من الواجبات الإسلامية الخطيرة. و يتأكد هذا الوجوب على الحاكم، فمن ناحية، لا يجوز له الشارع ادخارها لمصلحة، مع مسيس حاجة الأفراد إليها، و من ناحية أخرى، لا يجوز له التصرف بها إلا في موارد و مصارفها المقررة لها.

يقول تعالى: «لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل».<sup>٦</sup>

يقول تعالى: «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً».<sup>٧</sup>

و يقول تعالى: «والذين يكتزون الذهب والفضة و لا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم

١. المصدر السابق، رقم (٣)، ص ٥٠.

٢. المصدر السابق، رقم (٤٠)، ص ٨٢.

٣. المصدر السابق، رقم (١٠٥)، ص ١٥٢.

٤. المصدر السابق، رقم (١٣١)، ص ١٨٩.

٥. المصدر السابق، رقم (٥٠)، ص ٤٢٤.

٦. سورة البقرة، ١٨٨ - سورة النساء، ٢٩.

٧. سورة النساء، ١٠.

بعذاب أليم»<sup>١</sup>.

و يقول تعالى: «أرأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدعُ اليتيم، و لا يحضُّ علي طعام المسكين، فويلٌ للمصلين، الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراؤون و يمنعون الماعون»<sup>٢</sup>.

١١. جباية الفیء و الصدقات و توزيعها علی مستحقيها

يقول الإمام علي: «أيها الناس، إن لي عليكم حقاً و لكم عليّ حق: فأما حقُّكم عليّ فالنصيحة لكم، و توفير فيئكم عليكم»<sup>٣</sup>.

و يقول أيضاً: «إنه ليس عليّ الإمام إلا ما حُمل من أمر ربه: الإيلاج في الموعظة، و الاجتهاد في النصيحة، و الإحياء للسنة، و إقامة الحدود علي مستحقيها، و إصدار السُّهمان علي أهلها»<sup>٤</sup>.

١٢. التمييز بين الأخيار و الأشرار

يقول تعالى: «محمد رسول الله و الذين معه أشداء علي الكفار رحماء بينهم»<sup>٥</sup>.

و يقول تعالى: «أقمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون»<sup>٦</sup>.

و في عهده لمالك الأشر يقول: «و لا يكوننَّ المحسن و المسيء عندك بمنزلةٍ سواء، فإنَّ في ذلك تزهداً لأهل الإحسان في الإحسان، و تدريباً لأهل الإساءة علي الإساءة»<sup>٧</sup>.

١٣. إعمال الرفق في غير ترك الحق، فيكون للرعية كالوالد الرحيم

يقول الله سبحانه و تعالى: «لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم،

حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم»<sup>٨</sup>.

١. سورة التوبة، ٣٤.

٢. سورة الماعون.

٣. المصدر السابق، رقم (٣٤)، ص ٧٩.

٤. المصدر السابق، رقم (١٠٥)، ص ١٥٢.

٥. سورة الفتح، ٢٩.

٦. سورة السجدة، ١٨.

٧. المصدر السابق، رقم (٥٣)، ص ٤٣٠-٤٣١.

٨. سورة التوبة، ١٢٨.

و يقول تعالى: «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم»<sup>١</sup>.

وأمر المؤمنين في عهده لملك الأشر يقول: «... وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا تكوننَّ عليهم سبُعاً ضارياً تغتمهم أَكُلُهُمْ...»<sup>٢</sup>.

واجبات المحكوم:

### ١. الوفاء بالبيعة

والوفاء بالبيعة يعني إطاعة الحاكم، وإجابة دعوته، وعدم تضعيفه بقول أو عمل، وعدم البغي عليه. فطالما أن الحاكم شرعي، جامع للشرائط، ملتزم بواجباته، فعلى المحكوم ألا يخذله، ولا يتركه وحيداً في الأزمات. ففوة الحاكم و قدرته على القيام بالأمر، منوط بالتفاف الناس حوله، ودعمهم له. وإلا فيسكون مصداقاً لكلمة أمير المؤمنين: «لا رأي لمن لا يطاع»<sup>٣</sup>.

إذا رجعنا إلى عصر رسول الله (ﷺ)، وعلى وجه التحديد في غزوة أحد، نجد أن القرآن الكريم يرسم لنا صورة دقيقة لما حدث في ذلك اليوم، نتيجة عدم التزام المسلمين بأوامر القائد. فالرسول (ﷺ) بوصفه حاكماً شرعياً وقائداً عسكرياً، يأمر بأمر ما، و يعصي المسلمون هذا الأمر، فتكون النتيجة أن يهزم المسلمون ويولون الأدبار. يقول تعالى في وصف الموقف: «حتى إذا فشلتم، و تنازعتم في الأمر، و عصيتم، من بعد ما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا، و منكم من يريد الآخرة... (حتى يقول تعالى) إذ تُصعِدون و لا تلوون على أحدٍ و الرسولُ يدعوكم في أُخراكم فأثابكم غمّاً بغم»<sup>٤</sup> و لم يبق مع الرسول (ﷺ) في تلك اللحظة العصبية - بعد ما أشيع بين المسلمين أنه قُتل - إلا عدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، على رأسهم علي بن أبي طالب (عليه السلام)!

بعد انتهاء المعركة، يشعر المسلمون بجرح عميق، و احباط كبير، و ألم نفسي شديد، نتيجة للهزيمة. لكن الرسول (ﷺ) يأمر مرةً أخرى بتعقب فلول الكافرين، فلا يستجيب لتلك الدعوة إلا عدد متواضع للغاية، على رأسهم ثانياً علي بن أبي

١. سورة آل عمران، ١٥٩.

٢. المصدر السابق، رقم (٥٣)، ص ٤٢٧.

٣. المصدر السابق، (٢٧)، ص ٧١.

٤. سورة آل عمران، ١٥٢-١٥٣.

طالب (عليه السلام)! فيمدحهم تعالى بقوله: «الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم».<sup>١</sup>

لكن قد تبقى غزوة أحد أمراً استثنائياً، وإلا فالأصل هو استجابة عموم المسلمين لأوامر الرسول (ﷺ)، وإلتفافهم حوله. ولو لا وجود هذا الجانب التضحيوي والفدائي، والطاعة الصادقة للقائد، لما قامت للدين قائمة، يقول علي (عليه السلام) لأصحابه: «لقد كنا مع رسول الله (ﷺ) نقتل آباءنا وأبنائنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً... ولقد كان الرجل منا ولآخر من عدونا، و مرةً لعدونا منا... ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم (= من عدم الطاعة للقائد والاستجابة لدعوته) ما قام للدين عمود، ولا اخضرً للإيمان عود».<sup>٢</sup>

و يقول تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم».<sup>٣</sup>  
و يقول الإمام علي (عليه السلام): «ألا وإن لكم عندي ألا أحتجز دونكم سراً إلا في حرب... فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة، ولي عليكم الطاعة، وألا تنكصوا عن دعوة، ولا تُفرتوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق، فإن أتمم لم تستقيموا لي على ذلك، لم يكن أحد أهون عليّ ممن اعوجَّ منكم، ثم أعظم له العقوبة، ولا يجد عندي فيها رخصة، فخذوا هذا من أمرائكم، وأعطوا من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم، والسلام».<sup>٤</sup>  
و يقول: «أيها الناس، إن لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق... وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم».<sup>٥</sup>

## ٢. النصيحة

من حق الحاكم على المحكوم ألا يتردد الأخير في إسداء النصيحة، والتذكير، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. فالحاكم مهما بلغ بعلمه وتقواه، يبقى في النهاية بحاجة إلى ملاحظات الناقدين، ونصيحة الناصحين. وإذا ما تقاعس المحكومون عن القيام بدور الناصح، فلن يسوغ لهم حينئذ اتهام الحاكم بالتفرد بالرأي، إلا إذا كان الحاكم

١. سورة آل عمران، ١٧٢.

٢. المصدر السابق، رقم (٥٦)، ص ٩١-٩٢.

٣. سورة النساء، ٥٩.

٤. المصدر السابق، رقم (٥٠)، ص ٤٢٤.

٥. المصدر السابق، رقم (٣٤)، ص ٧٩.

نفسه يرفض القيام بهذا الدور، تصریحاً أو تلويحاً. و على الحاكم نفسه أن يذكر الرعية بأنه على استعداد دائم لقبول نصيحة الناصحين، و نقد الناقدین، بصدور رحب، و دون أي تبرؤ أو ضيق. ليشجع بذلك حالة النقد البناء، حتى يظل المجتمع حياً، يشترك الجميع في صنع قراراته، و يشترك الجميع في رسم مسيرته.

يقول تعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر»<sup>١</sup>.

و يقول علي: «أيها الناس، إن لي عليكم حقاً، و لكم عليّ حق... و أما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة، و النصيحة في المشهد و المغيب، و الإجابة حين أدعوكم، و الطاعة حين أمركم»<sup>٢</sup>.

بل إن علياً يأمر الأشر لما عهد إليه و لاية مصر أن يُقرب إليه أكثر الرعية صراحة و وضوحاً، و إن كان صدقه مؤلماً له، يقول: «ثم ليكن آثرهم عندك، أقولهم بمر الحق لك»<sup>٣</sup>.

و يقول: «فعليكم بالتناصح في ذلك، و حُسن التعاون عليه، فليس أحدٌ - و إن اشتد على رضا الله حرصه، و طال في العمل اجتهاده - يبالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له. و لكن من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم، و التعاون على إقامة الحق بينهم. و ليس امرؤٌ - و إن عظمت في الحق مترلته، و تقدّمت في الدين فضيلته - بفوق أن يُعان على ما حمله الله من حقه. و لا امرؤٌ - و إن صغرت النفوس، و اقتحمت العيون - بدون أن يُعين على ذلك أو يُعان عليه»<sup>٤</sup>.

### القسم الثاني: الواقع السياسي في عصر خلافة علي (عليه السلام)

بعد أن انتهينا من رصد أهم البنود، التي تحدّد واجبات الحاكم، و واجبات المحكوم، نريد الآن تتبع الحالة السياسية قبيل استلام الإمام علي (عليه السلام) الخلافة، و حتى استشهاده، لنرى هل إلترزم علي - بعد أن أصبح مبسوط اليد - بأداء حق المسلمين؟ كما نريد دراسة مدى إلترزام المسلمين بأداء واجبه، هل إلترزم المسلمون بأداء حق علي؟ إذن كان القسم الأول دراسة في النظرية، و هذا القسم دراسة في التطبيق.

١. سورة التوبة، ٧١.

٢. المصدر السابق، رقم (٣٤)، ص ٤٣٠.

٣. المصدر السابق، رقم (٥٣)، ص ٤٣٠.

٤. المصدر السابق، رقم (٢١٦)، ص ٣٣٤.



علي والخلافة بعد الرسول (ﷺ):

يمكننا القول بجرأة أن أول اختلاف بين المسلمين، جرى بعد وفاة رسول الله (ﷺ)، كان يتعلق في مسألة خلافته، (ﷺ). حيث انقسم المسلمون بين أكثرية استجابت لنتائج مفاوضات السقيفة و بايعت أبا بكر، وأقلية تحفظت عن البيعة، والتفت حول علي. و تفاقم الاختلاف لحظة اختيار عثمان كخليفة ثالث.

و نحن في هذا البحث، لن نتوسع في الحديث عن تلك الحقبة، مع أن علياً يعبر عنها - في خطبته الشقشقية - بقوله: «أرى تراثي نهياً»، و يؤكد على أن حقه استُلب - ابتداءً - بعد رسول الله، (ﷺ). فالخليفة الأول - كما يؤكد علي - تقمّص الخلافة منه، و هو يعلم أن محلّه منها محلّ القطب من الرحي. و يبدي علي - في خطبته الشقشقية - عجزه من الخليفة الأول، فرغم أنه كان ينادي «أقبلوني فلستُ بخيركم»، لكن عندما دنا أجله، عقدَ الخلافة لآخر بعده. و يفسّر هذا الموقف بأنه نتيجة تحالفٍ قديم بين الخليفة الأول والثاني، طالما تشطرا ضرعها.

ثم يعجب من الخليفة الثاني، حينما قرّر أن تكون الخلافة بعده شورى، و سببُ عجزه أن أحقيته بالخلافة لم يكن فيها أدنى شك مع الأول، فكيف تصح مقارنته بالخليفة الثالث، حتى يُقال أن للشورى الكلمة الفصل؟

و ماذا كانت نتيجة الشورى؟ لقد انساق أحد أعضاء الشورى المزعومة إلى حقدٍ قديم يكنه إليه، و مالَ عضو آخر إلى عثمان لأنه صهره، و كانت النتيجة أن تسلّم الخليفة الثالث الخلافة، و بدأت الكوارث تحلُّ على المسلمين، حيث قام هو و أبناء عمومته بنهب أموال المسلمين نهياً.

و يؤكد علي على أن موقفه طوال هذه الحقبة كان بين أمرين: إما أن يدخل معركة غير متكافئة مع خصومه، فتكون الخسارة على الإسلام نفسه، أو أن يصبر على هذه الفتنة الحالكة السواد، التي يهزم فيها الكبير، و يشيبُ فيها الصغير. فقرّر أن يلتزم بالخيار الثاني رغم مرارته، فصبر و في العين قذى، و في الحلق شجى. لقد كان موقفه صعباً جداً، و في غاية الدقة، لقد كان بمثابة ذلك الراكب للناقة التي لم تُروّض بعد، إن زاد من شدّ الحبل، قطع موضع ربط الحبل (= دمار التجربة الإسلامية)، و إن أرخاه، و ترك الناقة تدور حيث تشاء، اقتحمت الناقة أماكن يتعين أن لا تقتحمها (= انحراف التجربة عن جادتها).<sup>١</sup>

لقد كان قرار علي (عليه السلام) النهائي - فيما يتعلق بالتداول غير المشروع للسلطة - يتلخص فيما قاله عندما عزم القوم على بيعة عثمان: «لقد علمتم أنني أحقُّ الناس بها من غيري، والله لأسلمنَّ ما سلمت أمورُ المسلمين، ولم يكن فيها جورٌ إلا عليَّ خاصة، إلتماساً لأجرٍ ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زُخرفه وزبرجه»<sup>١</sup>.

و عندما مضى جيلٌ أو أكثر على هذه الحوادث، ودخل كثيرون في الإسلام، و ولد جيل لم يكن يعرف حقيقة ما جرى، كان هذا الجيل يسأل علياً عن ذلك على الدوام، و كان علي يجيب إجابات مقتضبة، يبين فيها من ناحية حقيقية الموقف، لكنه لا يسترسل، حتى لا يعيش الجيل الجديد في الماضي، و ينسى المستجدات الخطيرة، المتمثلة بالناكثين والقاسطين والمارقين، فحينما سأله بعض أصحابه: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقُّ به؟ أجابه باختصار شديد: «إنها كانت أثره، شحَّت عليها نفوسُ قومٍ، و سخت عليها نفوسُ آخرين، والحكمُ اللهُ، والمعود إليه يوم القيامة... و هلمَّ الخطبَ في ابن أبي سفيان، فلقد أضحكني الدهر بعد إيكائه... الخ»<sup>٢</sup>.

و حينما سأله أهل مصر عما جرى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بعث علي (عليه السلام) مع الأشر يقول: «فلما مضى (= الرسول) عليه السلام، تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يُلقى في روعي، و لا يخطر ببالي، أن العرب تُزعج هذا الأمر من بعده - صلى الله عليه وآله - عن أهل بيته، و لا أنهم منحوه عني من بعده. فما راعني إلا انشبال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد - صلى الله عليه وآله - و سلم - فخشيت إن لم أنصُر الإسلام و أهله، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبةُ به عليَّ، أعظم من فوتٍ و لا يتكم، التي إنما هي متاعُ أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث، حتى زاح الباطل و زهق، و اطمأنَّ الدين و تنهت... (ثم ينتقل مباشرة إلى أحداث زمنه، فيبين تكليف هذا الجيل، و يقول) و لكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها و فُجَّارها، فيتخذون مال الله دولاً، و عباده خولاً... ألا ترون أن أطرافكم قد انتقصت... انفروا - رحمكم الله - إلى قتال عدوكم...»<sup>٣</sup>.

١. المصدر السابق، رقم (٧٤)، ص ١٠٢.

٢. المصدر السابق، رقم (١٦٢)، ص ٢٣١.

٣. المصدر السابق، رقم (٦٢)، ص ٤٥١-٤٥٢.

و عند ما كان يخطب ذات مرة، و تعرّض إلى موضوع حقّه في الخلافة، والتداول غير المشروع للسلطة بعد الرسول (ص)، فقام إليه رجل من أهل السواد، وقطع عليه الكلام، و ناوله كتاباً، فأقبل علي (عليه السلام) ينظر فيه، فما فرغ من قراءته، طلب منه ابن عباس مواصلة الحديث، فقال له: يا أمير المؤمنين، لو اطّردت خطبتك من حيث أفضيت، فأجابه علي: «هيهات يا ابن عباس، تلك شقشقة هدرت ثم قرّرت». حتى أن ابن عباس كان يقول بعد ذلك: واللّه ما أسفّت علي كلام قط، كأسفي علي هذا الكلام، ألا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغّ منه حيث أراد.<sup>١</sup>

نكتفي بهذه الإشارة إلى مرحلة، ما بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحتى خلافة عثمان، و تبدأ من نقطة تفاقم الأحداث في عهد عثمان، بعد أن ثار أهل الكوفة و أهل مصر، و ساد تدمر كبير في مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، و سئم الناس عهد عثمان لطوله، و سئموا تجاوزاته، و محاباته لأبناء عمومته.

علي (عليه السلام) و موقفه من فتنة مقتل عثمان

يتحدث المؤرخ ابن قتيبة الدينوري - في كتابه الإمامة والسياسة - عن وثيقة كتبها بعض صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، يرصدون فيها التجاوزات، التي تورط فيها عثمان خلال حكمه، و لعلها أول وثيقة اعتراضية مكتوبة في الإسلام. يقول ابن قتيبة: «اجتمع ناس من أصحاب النبي - عليه الصلاة والسلام - فكتبوا كتاباً، ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان سنة رسول الله و سنة صاحبيه، و ما كان من تطاوله في البنيان، حتى عدّوا سبع دور، بناها بالمدينة، داراً لثالثة، ودرّاً لعائشة، و غيرهما من أهله و بناته، و بنيان مروان القصور بذي خشب (= موضع بالمدينة)، و عمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله و لرسوله، و ما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله و بني عمه من بني أمية، أحداث و غلّمة لا صحبة لهم من الرسول و لا تجربة لهم بالأمر، و ما كان من الوليد بن عتبة بالكوفة إذ صلى بهم الصبح - و هو أمير عليها سكران - أربع ركعات، ثم قال لهم: إن شئتم أزيدكم صلاة زدّتكم، و تعطيله إقامة الحد عليه، و تأخير ذلك عنه، و تركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء، و لا يستشيرهم، واستغنى برأيه عن رأيهم، و ما كان من الحمى حول المدينة، و ما كان من إداره القطن والأرزاق والأعطيات، علي

أقوام بالمدينة ليست لهم ضُحبة من النبي عليه الصلاة والسلام، ثم لا يغزون ولا يذُبُون، و ما كان من مجاوزته الخيزران إلى السَّوط، وأنه أول من ضرب بالسَّياط ظهورَ الناس، و إنما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرّة والخيزران»<sup>١</sup>

و يمكن أن نلخص تلك التجاوزات بأنها تتمثل بالتلاعب بالمال العام، انتشار الشللية والمحسوبيات، التمييز القبيلي، تعيين الفساق والمستهترين بمصالح الأمة، التفرد بالرأي، القسوة في التعامل مع الرعية، انتشار البدع، حياة مرفهة للحاكم وأقربائه، تعطيل إقامة الحد... الخ.

هذه التجاوزات - كما ترى - تتجاهل واجبات الحاكم: من زهد في المعيشة، و طلب المشورة، و إقامة الفرائض، و إماتة البدع، والحفاظ على بيت مال المسلمين، و إقامة الحدود، والرأفة مع الرعية... و غيرها من العناوين التي افترضنا أنها واجبات الحاكم في الإسلام.

حاول بعض الصحابة القيام بمساعٍ إصلاحية صادقة، قبل فوات الأوان، لكنها لم تجد نفعاً، فتلك الوثيقة التي كتب فيها الصحابة تجاوزات عثمان، قدمها عمار بن ياسر إليه، فكانت النتيجة أن أمر الأخير بضربه، فضربَ عمار، و شاركهم عثمان بالضرب - على ما ينقل ابن قتيبة - إلى أن فتقوا بطنه، فغشي عليه، و جرّوه حتى طرحوه على باب الدار.<sup>٢</sup> و قام أبو ذر بالانكار، حتى اضطر عثمان لنفيه للشام، فاشتكى معاوية منه، فأعادته عثمان إلى المدينة. و عند ما يس من إسكاته، نفاه إلى الربذة، فقام علي بتوديع أبي ذر، قائلاً له:

«يا أباذر، إنك غضبتَ لله، فارجُ من غضبتَ له، إنَّ القومَ خافوكَ على دُنياهم، و خفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوكَ عليه، و اهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعهم، و ما أغناكَ عمّا منعوكَ! و ستعلمُ من الرابحُ غدًا...»<sup>٣</sup>

كانت التجاوزات تتراكم بالتدريج، و كان الحنق الشعبي يزداد بازدياد تلك التجاوزات، و انقسم المجتمع الإسلامي إلى طبقتين، أقلية غنية مرفهة، لا تخوض غمار الحروب والفتوحات، و إنما تكتفي بجني الثمار، و أكثرية فقيرة معدمة، جديدة العهد

١. ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ص ٥٠.

٢. المصدر السابق، ص ٥١.

٣. نهج البلاغة، رقم (١٣٠)، ص ١٨٨.

بالإسلام، تخوض المعارك، وترى بأم عينها أن غيرها يجني ثمار تضحياتها. كان وضع علي دقيقاً للغاية، فمن ناحية كان قد أقسم قائلاً: واللّه لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جورٌ إلا عليّ خاصة»، وها هي أمور المسلمين لم تعد سالمة، وها هو الجور لم يعد واقعاً عليه خاصة، فعليه إذن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوقوف أمام هذا الانحراف الكبير الذي بات يهدّد وجود الأمة بأسرها. لكن موقفه حرجٌ من ناحية ثانية، لسببين، أولهما أنه كان يرى نفسه أحقّ بالخلافة، و أي تحرك احتجاجي سيعطي ذريعة للملتفتين حول عثمان، في اتهامه بالسعي نحو عرقلة المسيرة، ووضع العصا في العجلة، فالقرار لم يعد بيد عثمان، وإنما بيد الملتفتين حوله من أبناء عمومته. السبب الثاني - وهو الأهم - أن الحركة الشعبية الاحتجاجية، وإن كان قد وقع الظلم عليها، لكنها حركة غير ناضجة، جديدة العهد بالإسلام، هائجة، يصعب التحكم بمسارها، اختلط عليها الحق والباطل، واختلطت عليها المعايير. وهذه النقطة سنتوقف عندها بعد قليل.

كانت الأنظار تتجه نحو علي، يريدون معرفة كيفية معالجته، لمعضلة غير مسبوقة، أملت بالإسلام والمسلمين. فما ذا صنع علي (عليه السلام)؟

لقد حاول علي أن يمسك العصا من الوسط ما أمكنه، فلعّب دور الوسيط أكثر من مرة، بين جماهير هائجة، فلت زمامها، ولم تعد تستمع إلا لمن يريد أن يزيد تهييجها، أو علي الأقل لمن يريد أن يتفهم معاناتها، وحاكم لم يعد قراره بيده، بسبب الشخوخة و تسلط المحيطين به، وبالخصوص مروان.

لما اجتمع الناس إليه، وشكوا ما تقموه علي عثمان، قام عليّ ودخل علي عثمان، و قال له: «إن الناس ورائي، وقد استسفروني بينك وبينهم (= جعلوني سفيراً)، واللّه ما أدري ما أقول لك! ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك علي أمر لا تعرفه. إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فتخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلّغك، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله - صلى الله عليه وآله - كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة و لا ابن الخطاب بأولئى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله - وسلم - وشيخة رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينال. فاللّه الله في نفسك! فإنك واللّه ما تبصّر من عمي، ولا تعلم من جهل... وإن شرّ الناس عند الله إمامٌ جائر، ضلّ و ضلّ به، فأما سنّة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة، وإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله -

- يقول «يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر، وليس معه نصيرٌ ولا عاذر، فيلقى في نار جهنم، فيدورُ فيها كما تدور الرّحى، ثم يرتبط في قعرها»، وإني أنشدك الله، ألا تكونَ إمام هذه الأمة المقتول، فإنه كان يُقال: يُقتل في هذه الأمة إمامٌ يفتحُ عليها القتل والقتال إلى يومِ القيامة، ويلبسُ أمورها عليها، ويُبئسُ الفتنُ فيها، فلا يبصرون الحقَّ من الباطل، يمجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً، فلا تكوننَّ لمروان سيقَةً، يسوقك حيث شاء، بعد جلال السنن، و تقضي العمر». فقال له عثمان: كَلِمَ الناسَ في أن يؤجلوني، حتى أخرج إليهم من مظالمهم، فقال عليه السلام: ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب، فأجله وصولُ أمرك إليه<sup>١</sup>.

لكن عثمان لم يتخذ أي إجراء فعلي، يؤكد للناس أن الأمور في طريقها إلى الحل. بل على العكس، كان كلما حاول أن يتخذ إجراء من هذا القبيل، إما أن يثنيه عن ذلك المقربين منه - وبالخصوص مروان - أو يقومون بخطوات تزيد من نقمة الناس، و تُرسِل إليهم إشارات خاطئة، تؤكد لهم أن الأمور يائسة بالفعل، و لا أمل في الاصلاح، و أن قرارت عثمان لم تُعد بيده، وإنما بيد أبناء عمومته، الذين لا سابقة لهم في الإسلام.

لما اشتد الطعنُ على عثمان، بدأ الناس يهتفون باسم علي للخلافة، فاستأذن علي (عليه السلام) عثمان في بعض بواديه يتنحى إليها - حتى لا يُتهم باستغلال الظرف لصالحه - فأذن له. و اشتدَّ الطعنُ على عثمان بعد خروج علي، فأرسلَ عثمان إلى علي يسأله التوسط مرة أخرى. و تكررَّت الوساطات، و من المعلوم أن الوساطات حينما تتكرر تفقد بريقها، و يفقد الوسيط تأثيره. كان عثمان تارةً يطلب من علي التوسط، و تارةً أخرى يطلب منه الخروج من المدينة و ألا يتدخل، لذا نجده يجيبُ ابن عباس حينما جاءه برسالة من عثمان، و هو محاصرٌ في بيته، يسأله الخروج من المدينة: «يا ابن عباس، ما يريدُ عثمان إلا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب، أقبل و أدبر! بعث إلي أن أخرج، ثم بعث إلي أقدم، ثم هو الآن يبعث إلي أن أخرج! والله لقد دفعت عنه حتى خشيتُ أن أكونَ آثماً».

و العبارة الأخيرة تهمةٌ للغاية: «والله لقد دفعت عنه حتى خشيتُ أن أكونَ آثماً»، لأنها توضح تماماً حقيقة المأزق. فمن ناحية هو يدافع عن الخليفة حتى لا تتورط الجماهير بهتك منصب الخلافة، و حتى لا يفتح على الأمة باب الفتن. لكنه من ناحية ثانية يخشى

من المبالغة في الدفاع عن الخليفة، الأمر الذي قد يُعدُّ دفاعاً عن إمام جائر، وركوناً إلى ظالم، وخذلاناً لأمةٍ مظلومة. فبدل أن يكون مأجوراً في وساطته، يصبح آثماً.

وإنصافاً لعلِّي لا بد أن نقول: لم يقف أحدٌ مدافعاً عن عثمان كعلي (عليه السلام)، حتى أولئك الذين طالبوا بدمه بعد مقتله، حتى طلحة والزبير وعائشة، بل حتى مروان و معاوية. لقد كان موقف الفريق الأول يتمثل في اشتارة الجماهير و تهيجهم، فلأول والثاني والثالث، كلُّ واحد منهم، حرَّض الجماهير على عثمان. والرابع والخامس كان يحرِّض عثمان على عدم التنازل للجماهير، لذا، بعد أن مرّت تلك الحوادث المريرة عند ما سُئِل علي عن مغزى ما وقع، يقول: «لو أمرتُ به (= يعني لو أمرتُ الجماهير و حرضتهم على قتله) لكنتُ قاتلاً، أو نهيتُ عنه لكنتُ ناصراً. غيرَ أن من نصره لا يستطيعُ أن يقول: خذلهُ من أنا خيرُ منه، و من خذلهُ لا يستطيعُ أن يقول: نصرهُ من هو خيرُ مني». ثم بعد ذلك يُلخِّص تلك التفتنة بعبارة موجزة بالغة الدقة فيقول: «و أنا جامعُ لكم أمره، استأثّر فأساء الأثرة، و جزعتم فأسأتم الجزع، وللهُ حكمٌ واقعٌ في المستأثر والجازع»<sup>١</sup>.

والتعرُّض لفتنة مقتل عثمان، بالغ الأهمية - لبحثنا هذا - لأن الصورة لن تتضح إذا عرفنا بالضبط حقيقة موقف علي (عليه السلام) من تلك الفتنة. فأكثر الفتن اللاحقة، كان سببها ما قام به أولئك من خلطٍ للأوراق. لكن لماذا استطاعوا خلط الأوراق؟ و لما ذا استطاعوا إرباك الساحة؟ والسؤال الأهم: هل كان عليٌّ ظالماً أم مظلوماً؟ هل سلبَ علي حقَّ أحدٍ منهم؟ أم أن الآخرين سلبوا حقَّه؟

حال المسلمين في تلك اللحظة:

١. طاقة حرارية لا وعياً:

حينما نطالع تاريخ الصحابة في صدر الإسلام، سوف تبهرنا أنوارهم في المجال الروحي والفكري والنفسي، في مجال الجهاد والتضحية. لقد قدمت هذه الأمة من التضحيات - في سبيل رسالتها - ما لم تُقدِّم مثله أي أمة من أمم الأنبياء قبل الرسول (ص)، الإيثار والتأخي اللذان شاعا بين المهاجرين والأنصار، التسابق على الشهادة، لقد تفاعلوا وانصهروا، فرسموا أروع صور التضحية والفداء.

إلا أن هذه الحالات كانت قائمة على أساس الطاقة الحرارية التي كانت تمتلكها الأمة

من لقاء قائدها العظيم، ولم تكن قائمةً على أساس درجة كبيرة من الوعي الحقيقي للرسالة العقائدية. نعم، كان الرسول (ﷺ) يمارس عملية توعية الأمة - هذه العملية التي كانت مضغوطة - لكنَّ ما أنجز في هذه العملية هو إعطاء الأمة طاقة حرارية في الإيمان بدرجة كبيرة جداً، وكان يفترض أن تستكمل هذه العملية، بعد وفاته (ﷺ) مباشرة، مع خلافة علي (عليه السلام).<sup>١</sup>

هذه الأمة التي عاشت مع أكمل قائد للبشرية، اكتسبت هذه الطاقة الهائلة من إشعاع الرسول (ص)، فصنعت البطولات والتضحيات التي يقلُّ نظيرها في تاريخ الإنسان. هذه النماذج الرفيعة إنما هي نتاجُ هذه الطاقة الحرارية التي جعلت الأمة الإسلامية تعيش أيام الرسول (ص) محنة العقيدة والصبر، وتحمل مسؤولية هذه العقيدة بعد وفاته (ص)، هذه هي طاقة حرارية وليست وعياً، لذا يجب أن نفرِّق بين الطاقة الحرارية وبين الوعي. الوعي: عبارة عن الفهم الفعال الإيجابي الذي يتأصل، ويستأصل جذور المفاهيم الجاهلية السابقة استئصالاً كاملاً. أما الطاقة الحرارية: فهي عبارة عن توهُّج عاطفي حار، بشعور قد يبلغ في مظاهره نفس ما يبلغه الوعي في ظواهره، فيتحيَّر المراقب، بحيث يصعب عليه التمييز بين الأمة التي تحمل طاقة حرارية، وبين أمة تتمتع بذلك الوعي، إلا بعد التبصُّر.

إلا أن الفرق بين الأمة الواعية، والأمة التي تحمل طاقة حرارية كبيرة، فالطاقة الحرارية - بطبيعتها - تتناقص بالتدرج بالابتعاد عن مركز هذه الطاقة الحرارية. والمركز الذي كان يعوّن الأمة بهذه الطاقة الحرارية هو شخص الرسول (ﷺ) القائد، فكان طبيعياً أن تصبح الطاقة من بعده في تناقصٍ مستمر، هكذا حال الشخص الذي يتزود من الطاقة الحرارية للشمس والنار، ثم يبتعد عنهما، فإنَّ هذه الحالة تتناقص عنده باستمرار. و تاريخ الإسلام يثبت أن الأمة الإسلامية كانت في حالة تناقصٍ مستمر من هذه الطاقة الحرارية التي خلفها الرسول (ﷺ) في أمته حين وفاته.

وهناك فرقٌ آخر، هو أن الوعي لا تهزُّه الانفعالات، يصمد أمامها، أما الطاقة الحرارية فتَهزُّها الانفعالات. الطاقة الحرارية تبرز على سطح النفس البشرية، أما الوعي فهو شيء يثبت في أعماق هذه النفس. ففي حالة الانفعال، سواء كان الانفعال حزناً وألماً، أو فرحاً وانتصاراً، في كلا الحالتين سوف يتفجر ما وراء الستار، و يبرز ما كان كامناً وراء هذه الطاقة



الحرارية في الأمة المزودة بهذه الطاقة فقط. أما الأمة الواعية، فوعيتها يتقوى على مرّ الزمن، فكلما مرّ بها انفعالٌ جديد، أُكِّدت شخصيتها الواعية في مقابل هذا الانفعال، و صبغته بما يتطلبه ووعيتها من موقف.<sup>١</sup>

والشواهد على أن الأمة الإسلامية كانت تحمل طاقة حرارية، ولم تكن تحمل وعياً مستنيراً، مجتثاً لأصول الجاهلية فيها... كثيرة، لا يسعنا المقام لاستعراضها. إلا أن الحوادث التي وقعت للأمة بعد وفاة الرسول (ﷺ)، وابتداء من خلافة عثمان على وجه الخصوص، تؤكد هذه المقولة. فمع ازدياد الفاصل الزمني عن وفاة الرسول (ﷺ)، بدأت الصورة الإسلامية الناصعة تتغير، وبدأت ملامحها تتبدل، حيث اختلطت المعايير في أذهان عامة المسلمين، واختلط الحق بالباطل، وأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

و يؤكد لنا علي (عليه السلام)، هذه الحقيقة عندما يقول: «أيها الناس، إنا قد أصبحنا في دهرٍ عنود، وزمنٍ كنود، يُعدُّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عتواً، لا ننتفع بما علمنا، و لا نسأل عما جهلنا، و لا نتخوَّف فارعة حتى تحل بنا».<sup>٢</sup>

٢. جيل جديد لم ينضج بعد:

هناك نقطة أخرى لا بد أن نأخذها بعين الاعتبار، وهي أن ثمة جيل جديد بدأ يبرز على الساحة في عهد عثمان الطويل. هذا الجيل كثيرٌ منهم لم يُوفَّق لرؤية الرسول (ﷺ) و صحبته - إما لصغر سنّه، أو لكونه لم يولد بعد، فبات يعدُّ من التابعين، أو لدخوله في الاسلام بعد وفاة الرسول (ﷺ)، و هؤلاء - بمجموعهم - أصبحوا يمثلون أكثرية الأمة.

هذا الجيل لم يعاصر الإسلام في بداياته، و لم يتعرف على الأدوار التي لعبها رموز الجيل الطليعي، و لم يتشرف بالتزود حتى بالطاقة الحرارية من الرسول (ﷺ). كل ما عاصره، هو جيلُ الصحابة، يحكي له قصص ماضيٍ مجيد، و يفتخر بصحبته للرسول (ﷺ)، لكنَّ هذا الجيل - جيل الصحابة - كان يفقد بريقه و وجهه بالتدرّج، بعد ما تحلّل من حياة الزهد، بعد فتح فارس والروم.

١. المصدر السابق، ص ٨٨-٨٩.

٢. نهج البلاغة، رقم (٣٢)، ص ٧٤.

كان الجيل الجديد هو وقود الفتوحات الكبيرة، والجمهور المحتج على عثمان هو من هذا الجيل الجديد، الذي شارك في الفتوحات، وقدم التضحيات، لكن كان آخرون من الصحابة و أبنائهم « يأخذون العطايا ولا يغزون في سبيل الله»<sup>١</sup>.

إنه جمهورٌ مظلوم، مضطهد، مستضعف. لكن من ناحية أخرى، لم يتلقَ هذا الجيل تربية إسلامية سليمة، ولم يفتح عينيه على الصور الرائعة التي دشن من خلالها المسلمون عهدهم، ولم يتنفس هواء نقياً، وإنما هو جيل تم إهماله لفترة طويلة من الزمن - تبلغ ما يقرب من عقدين - وفتح عينيه على تطبيق معايير مزدوجة، وعلى مجتمع من الصحابة كلُّ يدعي الفضيلة لنفسه، فاستوى لديه الصحابي المضحى، الذي كانت له سابقة استثنائية في الإسلام، بالصحابي الذي لم يُسلم إلا في وقتٍ متأخر جداً، وهو ممن شارك في حروبٍ ضد الإسلام، ولم يدخل في الدين إلا بعد أن قويت شوكته، وأصبح أمراً واقعاً، لا يمكنه تجاهله.

هذه الأمة لم تتربَّ على الانتماء بإمام، يشبع حاجاتها الروحية والفكرية والنفسية، وإنما وجدت أمامها خليفة متحيزاً لأبناء عمومته، «يخضمون مالَ الله خضمةً الإبل نبتةً الربيع»<sup>٢</sup> - على حد تعبير علي (عليه السلام) - فكانت النتيجة أن أصبح كل واحدٍ إمام نفسه!

يقول علي (عليه السلام): «وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها! لا يقتصون أثر نبي، ولا يقتدون بعملٍ وصي، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفون عن عيب، يعملون في الشبهات، ويسيرون في الشهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات أنفسهم، و تعويلهم في المهمات على آرائهم، كأن كل امرئٍ منهم إمام نفسه، قد أخذ فيما يرى بُعري ثقات، وأسباب محكمات»!

### ٣. التشتت والاختلاف:

الصورة التي رسمناها للجيل الجديد، قد تنطبق على أكثر ديار الدولة الإسلامية، إلا أن الشام تختص بأمر إضافي. فبسبب ضعف الحكومة المركزية في عصر عثمان، استطاع معاوية في الشام أن يُنشئ مظاهر ملكية مستقلة في الشام، لا تشبه الوضع السياسي في باقي الأقاليم، مما رسخ نوعاً من الانفصالية في الشام عن باقي أجزاء كيان الدولة

١. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ٥٢.

٢. نهج البلاغة، رقم (٣)، ص ٤٩.

الإسلامية. فالشام لم تعرف حاكماً مسلماً قبل معاوية بن أبي سفيان، وقبل أخيه يزيد، و قد أُعطي صلاحيات استثنائية من قبل الخليفة الثاني، بدعوى أن هذا يكون مظهر عز و جلال للإسلام في مقابل دولة القياصرة.<sup>١</sup>

الجيل الجديد في الشام لم يكن غير متلقٍ لتربية إسلامية صحيحة فحسب، وإنما تلقى تربية مشوهة على يد معاوية. ولم يكن لعلّي - ولا غيره من كبار الصحابة - أي رصيد أو قاعدة شعبية في ذلك الإقليم على الإطلاق، لأن هذا الإقليم عاش الإسلام من منظار آل أبي سفيان، ولم يسمع بعلي.<sup>٢</sup>

هذا الأمر يؤكد معاوية نفسه حينما قال لعمار بالمدينة: «إن بالشام مئة ألف فارس، كلٌّ يأخذ العطاء، مع مثلهم من أبنائهم و عبدانهم، لا يعرفون علياً و لا قرابته، و لا أعماراً و لا سابقته، و لا الزبير و لا صحابته، و لا طلحة و لا هجرته، و لا يهابون ابن عوف و لا ماله، و لا يتقون سعداً و لا دعوته».<sup>٣</sup>

علي يستلم الخلافة:

في المدينة كانت عائشة تحرض الجمهور على الثورة من جهة، و طلحة و الزبير يحرضانه من جهة أخرى و عبدالرحمن بن عوف يبدي أسفه و ندمه، علي ترجيحه عثمان، و مروان و معاوية و عمرو بن العاص يحرضون عثماناً على العناد و التمسك بمواقفه.

و الجمهور الهائج المحتج على عثمان، القادم من الكوفة و مصر، لم يكن يعرف علياً حق المعرفة. لم يكن ينظر لعلّي إلا بوصفه ابن عم للرسول (ﷺ)، و أقرب الناس إليه، صحابي جليل، لم تلوّثه الدنيا بزخارفها - كما لوّثت كثير من الصحابة - كانوا ينظرون إليه على أنه بديلاً ملائماً لعثمان، متفهماً لمشاعرهم، و متحسناً لآلامهم و مظلوميتهم. لم يكن يُنظر إليه على أنه المنصوب من قبل الله و رسوله (ﷺ)، بل لم يُنظر إليه حتى كمرشح منافس للخليفة الأول، فضلاً عن الثاني. لقد كانت مشكلتهم مع عثمان، و الزمرة الملتفة حوله، و لم يكن همُّهم إلا إزاحه هذا الكابوس الذي جثم على صدرهم.

بمجرد أن انتهوا من تصفية عثمان، هجموا على دار علي يطالبونه بقبول البيعة. و يصف علي هذا الموقف بقوله: «فتداكوا عليّ تذاك الإبل الهيم يوم و رودها، و قد أرسلها راعيها،

١. محمد باقر الصدر، أهل البيت تنوع أدوار و وحدة هدف، ص ٢٤.

٢. المصدر السابق، ص ١٠٤.

٣. ابن قتيبة، الإمامة و السياسة، ص ٤٦.

و خُلِعت مثنائها، حتى ظننتُ أنهم قاتلي، أو بعضهم قاتلُ بعضٍ لدي». <sup>١</sup> إنه لموقف مخيف حقاً: جمهور هائج، يموجُ غضباً، يتطير شرراً، إلى درجة أن علياً ظنَّ أن الشرر قد يطاله شخصياً. ويصف الموقف في خطبته الشقشقية: «فما راعني إلا والناس - كعُرف الضبُع - ينثالون عليّ من كل جانب، حتى لقد وُطِيءَ الحسان، و شُقَّ عطفائي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم». <sup>٢</sup>

ماذا كان موقف علي؟ لقد رفض البيعة، و قال لهم: «دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبِلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقومُ له القلوب، و لا تُثبِت عليه العقول. وإنَّ الآفاق قد أغامت، والمحنة قد تنكَّرت، واعلموا أنني إن أجبتُكم ركبتُ بكم ما أعلم، و لم أصغِ إلى قول القائل و عتبِ العاتب، و إن تركتموني فأنا كأحدكم، و لعلي أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم، و أنا لكم وزيراً، خيرُ لكم مني أميراً». <sup>٣</sup>

لاحظ... إنه يؤكد على أن قبول البيعة - إن تمَّ - فهو مشروطٌ بأن يقرَّر ما يعليه عليه ضميره، و ما يراه صواباً، و لن يتأخر في اتخاذ القرارات المصيرية عند رأي هذا أو ذلك، لأن الوضع لم يعد يتحمَّل أي تأخير، و لن تكن تلك القرارات إلا بمثابة إنقاذ ما يمكن إنقاذه. فإن قبلتم الشرط فهو، و إلا إن اتركوني، فقد أكون أطوعكم لمن وليتموه أمركم.

و ينقل ابن قتيبة أن علياً رفض بيعة الجماهير الغاضبة، على أساس أنهم ليسوا من أهل الحل والعقد، قائلاً لهم: «ليس ذلك لكم، إنما هو لأهل الشورى و أهل بدر، فمن رضى به أهل الشورى و أهل بدر فهو الخليفة، فنجتمع و ننظر فيسمعون بقتله، و لا يسمعون أنه ببيع لأحد بعده، فيثور كل رجل منهم في ناحية، فلا نأمن أن يكون في ذلك الفساد، فارجعوا إلى علي، فلا تتركوه حتى يبايع». <sup>٤</sup>

و بعد إصرارٍ شديدٍ من الجماهير، و بعد أن اجتمع كبار الصحابة في المسجد، بايع الناس علياً، «و كان أول من صعد المنبر طلحة، فبايعه، و كانت أصابعه سلاء، فتطير منها علي، فقال: ما أخلقها أن تنكث، ثم بايعة الزبير و سعد، و أصحاب النبي - صلى الله عليه و سلم - جميعاً». <sup>٥</sup>

١. نهج البلاغة، رقم (٥٤)، ص ٩٠-٩١.

٢. المصدر السابق، رقم (٣)، ص ٤٩.

٣. المصدر السابق، رقم (٩٢)، ص ١٢٦.

٤. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ٦٥-٦٦.

٥. للمصدر السابق، ص ٦٦.

ما أريد التأكيد عليه أن صحة بيعته علي (عليه السلام) لم تشبها أي شائبة، بل لعلها أكثر البيعات شعبية، حيث اجتمع عليها الصحابة و عامة الناس على السواء، باستثناء مروان و نفرأ من بني أمية وابن أبي معيط، الذين هربوا من المدينة، أما معاوية و عمرو بن العاص فلم يكونا بالمدينة أصلاً.

عند هذه اللحظة نبدأ بالتعرف على علي، باعتباره حاكماً شرعياً، منتخباً من الصحابة و عامة الناس. عند هذه اللحظة تبدأ الاستحقاقات، و تبدأ سلسلة من الواجبات و الحقوق بين الحاكم و المحكوم.

لكن قبل أن ندرس ما إذا التزم الطرفان بواجباتهما، لابد أن نؤكد على أن علياً باشر على الفور إجراء تحقيق في مقتل عثمان؛ فقد جاء علي بنفسه إلى امرأة عثمان، و سألها عما إذا كانت تعرف قتلة عثمان، فقالت له: لا أدري، دخل علي رجلاً لا أعرفهم، إلا أن أرى وجوههم، و كان معهم محمد بن أبي بكر، فدعا علي محمداً، فسأله عما ذكرت امرأة عثمان، فقال محمد: صدقت، والله قد دخلت عليه، فذكر لي أبي، ففقت عنه، و أنا تائب إلى الله، والله ما قتلته، و لا أمسكته، فقالت: صدق.<sup>١</sup>

نذكر هذا حتى يتضح أن علياً لم يتوان في البحث عن قتلة عثمان، لكن من الواضح أن من طبيعة حالات الهيجان الشعبي - خصوصاً إذا كانت تعبّر عن حالة من الانفجار العفوي - أن يقوم البعض بتصرفات لا واعية، فتجدهم بعد أن يتفرقون، كلُّ يلقي المسؤولية على غيره، و لا يُعرف الجاني الحقيقي. لا نقول هذا لتبرير تصرف الجماهير الغاضبة، و إنما نصف حالة نفسية تعيشها الجماهير الغاضبة عادة، حالة أشبه ما تكون بالغوغاء، الذين يصفهم علي: «هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا، و إذا تفرّقوا لم يُعرفوا».<sup>٢</sup>

مضافاً إلى ذلك أن هدير الجماهير لم يكن يسمح لعاقلي أن يستعجل في مواجهته، و هم على ما هم عليه من الانفعال و الغضب، فكان لابد أن تهدأ الأمور قليلاً حتى يتسنى للخليفة الجديد التعرف على القتلة، و أنزال القصاص العادل بهم. أذن فعلي استعجل إجراء التحقيق، لكن لم يستعجل القصاص. و حينما طلب بعض الصحابة علياً بمعاينة قتلة عثمان أجابهم قائلاً: «يا أخوتاه، أني لست أجهل ما تعلمون، و لكن كيف لي بقوة و القوم المجلبون على حدّ شوكتهم، يملكوننا و لا نملكهم إها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم،

١. المصدر السابق، ص ٦٦.

٢. نهج البلاغة، الكلمات القصار، ص ٥٠٤.

والتفت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، وهل ترون موضعاً لقدرة علي شيءٍ تريدونه؟ إن هذا أمرٌ جاهلية... فاصبروا حتى يهدأ الناس، و تقع القلوب مواقعها...»<sup>١</sup>

هذه الحالة الفوغائية - للأسف الشديد - لم تهدأ مع خلافة علي (عليه السلام)، ألا بعد حرب الجمل والنهروان، بعد أن تصدى لها علي تصدياً مباشراً، حيث قال: «أيها الناس، فإني فقأت عينَ الفتنة، ولم يكن ليجتريءَ عليها أحدٌ غيري، بعد أن ما جَ غيَّبها، واشتدَّ كَلْبها... إن الفتن إن أقبلت شبَّهت، وإذا أدبرت نَبَّهت، يُنكرن مقبلات، و يُعرفن مدبرات (إي إن انساق البعض - في وقتٍ من الأوقات - إلى تلك الفتن، واشتبهت عليه الأمور، فلا يفوته أخذ الدروس والعبر منها)... ألا وأنَّ أخوفَ الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة، عمَّت خُطَّتْها، و خصَّت بليَّتْها...»<sup>٢</sup>

بعد أن شرحنا الأجواء العامة، التي جاء من خلالها عليُّ إلى الخلافة، علينا أن ندرس موقف المسلمين - بوصفهم محكومين - من حاكمهم؛ هل أدوا حقَّه؟ هل قاموا بواجبهم تجاهه؟ ثم بعد ذلك علينا أن ندرس موقف علي - بوصفه حاكماً - من المسلمين، هل أدى حقَّ المسلمين؟ و هل قام بواجبه تجاههم؟ حينما نقارن بين هذا وذاك، سنعرف أي الطرفين كان عادلاً؟ وأيها كان ظالماً؟

واجبات المحكوم:

١. الوفاء بالبيعة:

نتناول هنا موقف القاسطين، والناكثين، والمارقين، بالإضافة لأولئك الذين اعتزلوا المعارك بحجة التحرُّز عن التورُّط في سفك دماء المسلمين.

عليُّ والقاسطون: لنبدأ من معاوية، و من التفَّ حوله من بني أمية. لقد كانت أكثر الصعاب التي واجهها علي بعد بيعته، هو انشقاق معاوية، و تخلف الشام بكامله، عن الانضمام إلى بيعته. هذا التناقض، شقَّ المجتمع الإسلامي في الدولة الإسلامية إلى شقين، و وجد في كلٍّ منهما جهازاً سياسي وإداري لا يعترف بالآخر.<sup>٣</sup> فمعاوية لم يعصِ علياً لأنه عُزل عن الولاية، وإنما كان ذلك في أكبر الظن جزءاً من مخطط لمؤامرة طويلة الأمد للأمية على

١. المصدر السابق، رقم (١٨٦)، ص ٢٤٣.

٢. المصدر السابق، رقم (٩٣)، ص ١٣٧.

٣. محمد باقر الصدر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، ص ١٠٤.

لكن قد يُقال بأن معاوية لم يكن في المدينة أصلاً، ولم يبايع علياً، حتى تقول بوجوب وفاء بالبيعة. وعلى هذا فمعاوية - وغيره ممن لم يشهد البيعة - لم يلتزم بعقد البيعة، حتى نُزِمَ بما ألزَمَ نفسه. مضافاً إلى ذلك أن معاوية اتهم علياً بالتورط في دم عثمان، ومعاوية بوصفه ابن عم لعثمان، يعتبر نفسه ولي الدم، فلا بد أن تتفهم موقف معاوية!

لقد أجاب علي عن أفكار من هذا القبيل، كان يروج لها معاوية، في كتاب بعثه له، يقول فيه: «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان علي ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرُدَّ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجلٍ وسمّوه إماماً، كان ذلك لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارجٌ بطعنٍ أو بدعة، ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى، قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى. ولعمري، يا معاوية، لئن نظرت بعقلك دون هواك، لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمنّ أنني كنتُ في عزلةٍ عنه، إلا أن تتجنى، فتجنّ ما بدالك! والسلام»<sup>٢</sup>.

موقف علي واضح، فمعيار شرعية الحاكم في الإسلام إن كان هو النصب الإلهي، فهذا ينطبق على علي لحظة وفاة الرسول (ﷺ). وإن كان معيار شرعية الحاكم شورى أهل الحل والعقد، فهذا قد تحقّق بعد مقتل عثمان. فعلي هو الحاكم الشرعي بكلّ المقاييس، ولا يحلُّ لأيِّ مسلم أن يتجاهل النصب الإلهي - إن كان هو المعيار المعتمد - أو اختيار أهل الحل والعقد - الذي جرت عليه سيرة المسلمين بعد وفاة الرسول (ص) - بدعوى أنه لم يكن حاضراً لحظة الاختيار، لأن الشورى إن كانت لأهل الحل والعقد، فمعاوية ليس منهم أصلاً، حتى يُقال أنه تمّ تجاوز رأيه. إذن فعلى أي أساس يستند معاوية في رفضه لبيعة علي؟!

كان جواب معاوية هو التالي: «سلامٌ عليك، أما بعد، فلعمري لو بايعك الذين ذكرت و أنت بريءٌ من دم عثمان، لكنتُ كأبي بكر وعمر وعثمان، ولكنك أغريتَ بدم عثمان، وخذلتَ الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف. وقد أبى أهل الشام إقتالك، حتى تدفع إليهم قتلة عثمان! فإن فعلتَ كانت شورى بين المسلمين. وإنما كان الحجازيون هم الحكام على الناس، والحقُّ فيهم، فلما فارقه كان الحكام على الناس أهل الشام!! و

١. المصدر السابق، ص ٢٥.

٢. نهج البلاغة، رقم (٦)، ص ٢٦٦-٢٦٧.

لعمرى ما حججك على أهل الشام كحججتك على طلحة والزبير، إن كانا بايعا، فلم أبايعك أنا. فأما فضلك في الإسلام وقرابتك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلست أدفعه». يقول العقاد: «من رد معاوية هذا، تبدو النية الواضحة في فتح أبواب الخلاف واحداً بعد آخر. كلما أغلق باب منها بقي من ورائه بابٌ مفتوح. فتسليم قتلة عثمان لا يكفي، لأن علياً نفسه متهم بالإغراء والتخذيل.

و براءة علي من هذه التهمة لا تكفي، لأن المرجع بعد ذلك إلى الشورى والنظر في البيعة من جديد. وشورى الحجازيين والعراقيين لا تكفي، لأن الحق قد خرج منهم إلى أهل الشام، وهم الحكام على الناس، لأنهم يحكمون لمعاوية ولا يحكمون لغيره. ومن ثمَّ بطلت الحجج والرسائل، كما تبطل كل حجة وكل رسالة، عند ما يقال باللسان غير ما يجول في الصدور»<sup>١</sup>.

أما اتهامه بالتورط في التساهل مع قتلة عثمان، فيقول: «طالبوه بالقود (= القصاص)، ولم يبايعوه، مع أن القود لا يكون إلا من ولي الأمر المعترف له بإقامة الحدود». <sup>٢</sup> فإن كانوا ممن اعترف بشرعية ولايته، فعليهم أن يمهلوه حتى تستقر له الأمور، ثم يسألوه القصاص. وإن لم يعترفوا بشرعية ولايته، فلما ذا يطالبونه بالقصاص إذن؟

خلاصة القول: إن معاوية لم يظلم علياً فحسب - بحيث يكون تحفظه على البيعة، مجرد موقف شخصي - بل ارتكب خيانة عظيمة بحق المسلمين، حين شق عصا وحدتهم، في وقت هم أحوج ما يكونوا إلى وحدة الكلمة، ورض الصفوف، حتى يندمل جرح مقتل عثمان، وتهدأ النفوس، وتعود الأمور إلى نصابها.

علي والناكثون: لننتقل الآن إلى موقف طلحة والزبير؛ لقد رأينا أن طلحة والزبير بايعا علياً بشكل واضح لا لبس فيه، إذن علام نكثا البيعة إذن؟

لقد كان يأمل طلحة والزبير أن يستعملهما علي على اليمن والعراق، وحينما تبين لهما أنه لن يفعل، نكثا البيعة. ولم يكتفيا بذلك، بل ألبا الناس عليه، وهاجرا بصحبة عائشة إلى البصرة، وحرّضوا أهلها على قتاله.

ينقل ابن قتيبة: «أن الزبير وطلحة أتيا علياً بعد فراغ البيعة، فقالا: هل تدري علي ما بايعناك؟... بايعناك علي أنا شريكك في الأمر، فقال علي: لا، ولكنكما شريكان في القول

١. عباس محمود العقاد، عبقرية الإمام علي، ص ٩٨.

٢. المصدر السابق، ص ١٣٢-١٣٣.



والاستقامة، والعون على العجز والأود... وكان الزبير لا يشك في ولاية العراق، وطلحة في اليمن، فلما استبان لهما أن علياً غير موليها شيئاً، أظهرتا الشكاة، فتكلم الزبير في ملاء من قريش، فقال: هذا جزاؤنا من علي، قُمننا له في أمر عثمان، حتى أثبتنا عليه الذنب، و سببنا له القتل، وهو جالس في بيته وكفي الأمر، فلما نال بنا ما أراد، جعل دوننا غيرنا. فقال طلحة: ما اللوم إلا أنا كنا ثلاثة من أهل الشورى، كرهه أحدنا وبايعناه، وأعطيناه ما في أيدينا، ومنعنا ما في يده، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا»<sup>١</sup>.

و يبدو أنهما بادىء الأمر لم ينكثا البيعة علناً، وإنما عتبا على علي (عليه السلام) من ترك مشورتها، والاستعانة في الأمور بغيرهما، وكان جوابه لهم: «لقد نقتما يسيراً، و أرجأتما كثيراً، ألا تخبراني أي شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه؟ أم أي قسم استأثرت عليكما به؟ أم أي حق رفعه إلي أحد من المسلمين ضعفت عنه، أم جهلته، أم أخطأت بابه؟ والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتوني إليها، و حملتموني عليها...»<sup>٢</sup>.

و عند ما نصح ابن عباس علياً، في أن يستعملهما على البصرة والكوفة، لاسترضائهما، أجابه علي: «لو لا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية، لكان لي فيهما رأي»<sup>٣</sup>.

لقد فكر طلحة والزبير بمبرر لخروجهما من المدينة، لتهيئتا نفسيهما للخطوة التالية، فأتيا علياً فقالا: يا أمير المؤمنين، ائذن لنا في العمرة، فإن تقم إلى انقضائها رجعنا إليك، و إن تسر تبعتناك، فنظر إليهما علي، و قال: نعم، والله ما العمرة تريدان، وإنما تريدان أن تمضيا إلى شأنكما، فامضيا<sup>٤</sup>. بعد ذلك خرجا إلى البصرة، يحرضان أهلها عليه، و يعدان العدة للحرب، تحت مبرر الطلب بدم عثمان، و أعانتها على ذلك عائشة. و قد أشرنا من قبل إلى أنهما - بالإضافة إلى عائشة - كانا من أشد الناس تحريضاً على قتل عثمان!!

حاول علي توضيح الحقيقة للناس، حتى لا يلتبس عليهم الأمر، فقال والألم يعتصر قلبه: «والله ما أنكروا علي منكرًا، ولا جعلوا بيني و بينهم نصفًا، و إنهم ليطلبون حقًا هم تركوه، و دماً هم سفكوه، فإن كنت لهم شريكاً فيه، فإن لهم نصيبهم منه، و إن كانوا ولوه

١. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ٧٠-٧١.

٢. نهج البلاغة، رقم (٢٠٥)، ص ٣٢١.

٣. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ٧١.

٤. المصدر السابق، نفس الموضع.

دونني، فما الطلبة إلا قبلهم... إنَّ معي لبصيرتي، ما لبستُ و ما لُيس علي... اللهم إنهما قطعاني و ظلماني، و نكثا بيعتي، و ألبا الناس عليّ، فاحلّل ما عقدا، و لا تحكّم لهما ما أبرما، و أريهما المساءة فيما أمّلا و عملا، و لقد استبثتهما قبل القتال، و استأنيتُ بهما أمام الوقاع، فغمطنا النعمة، و ردّا العافية»<sup>١</sup>.

لقد كانت حجة الناكثين واهية، و عندما حاول الزبير - مثلاً - تبرير بيعته لعلي، بأنه بايع بيده، و لم يبايع بقلبه! أجاب علي: «يزعم أنه قد بايع بيده، و لم يبايع بقلبه، فقد أقرّ بالبيعة، و ادّعى الوليجة، فليات عليها بأمرٍ يُعرف، و إلا فليدخل فيما خرج منه»<sup>٢</sup>. قرّر عليّ أن يصبر على ناكثي بيعته، طالما لم يؤثر ذلك على وحدة المسلمين. و قد أكد ذلك بقوله: «إن هؤلاء قد تمالؤوا على سخطة إمارتي، و سأصبر ما لم أخف على جماعتكم، فإنهم إن تمّموا على فيالة هذا الرأي، انقطع نظام المسلمين، و إنما طلبوا هذه الدنيا حسداً لمن أفاءها الله عليه، فأرادوا ردّ الأمور على أديبارها، و لكم علينا العمل بكتاب الله تعالى، و سيرة رسول الله - صلى الله عليه و آله - و القيام بحقّه، و النعش لسنته»<sup>٣</sup>.

و تطورت الأمور دراماتيكيّاً عندما وصل طلحة و الزبير إلى البصرة، و قاما - بالاستعانة بمروان - بالهجوم على عثمان بن حنيف - و الي عليّ البصرة - في منتصف الليل في جماعة معهم، في ليلة مظلمة، سوداء مطيرة، و عثمان نائم، فقتلوا أربعين رجلاً من الحرس، فخرج عثمان، فشدّ عليه مروان فأسره، و قتل أصحابه، فأخذه مروان، فنتف لحيته و رأسه و حاجبه<sup>٤</sup>. و لا يخفى أن تصرفات كهذه، فضلاً عن كونها بمثابة اعلان حرب، فإنها تنطوي على تصغير لشأن علي، و توهيناً له أمام أنصاره و أتباعه.

عند ما وقعت هذه الحادثة عندئذ اضطر عليّ للاستعداد لقتالهم، و شرح الموقف لأصحابه بعد أن توجه إلى ربّه قائلاً: «... اللهم إني أستعديك على قريش و من أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، و صغّروا عظيم منزلتي، و أجمعوا على منازعتي أمراً هولي... فخرجوا يجزّون حرمة رسول الله - صلى الله عليه و آله - كما تُجرّ الأمة عند شرائها، متوجّهين بها إلى البصرة... فقدموا على عاملي بها، و خزّان بيت مال المسلمين، و غيرهم

١. نهج البلاغة، رقم (١٣٧)، ص ١٩٤-١٩٥.

٢. المصدر السابق، رقم (٨)، ص ٥٤.

٣. المصدر السابق، رقم (١٦٩)، ص ٢٤٤.

٤. ابن قتيبة، الامامة و السياسة، ص ٨٩.

من أهلها، فقتلوا طائفة صبراً، و طائفة غدرًا. فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً، متعمدين لقتله، بلا جرم جرّه، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّهُ، إذ حضروا فلم يُنكروا، و لم يدفعوا عنه بلسانٍ و لا بيد، دع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم»<sup>١</sup>.

و تطورت الأمور حتى وقعت واقعة الجمل، فتسبّب الناكثون بإراقة دماء كثيرة للمسلمين، فضلاً عن الفتنة التي أوجدوها بين صفوفهم.

لقد سلبَ الناكثون حقَّ علي، فلم يفوا ببيعتهم له، و حرّضوا الناس و ألّبوهم عليه، فظلموه و سلبوه أبسط حقّ من حقوقه، بوصفه حاكماً شرعياً على المسلمين.

عليّ و قريش: إذ انتقلنا إلى أهل قريش، نرى أن أقرب الناس إليه تركَ علياً، و رحلَ إلى معاوية طمعاً في رفته. و عند ما كتبَ إليه عامله في المدينة في ذلك، أجابه علي: «أما بعد، فقد بلغني أن رجلاً يَمُنُّ بِبِكَ يتسلّلون إلى معاوية، فلا تأسف علي ما يفوتك من عددهم، و يذهب عنك من مددهم، فكفى لهم غيًّا، و لك منهم شافياً، فرارُهُم من الهدى و الحق، و إيضاعُهُم إلى العمى و الجهل، و إنما هم أهلُ دنيا مقبلونَ عليها، و مهطعونَ إليها، و قد عرفوا العدل و رأوه، و سمعوه و وعوه، و علموا أن الناس عندنا في الحقّ أسوة، فهربوا إلى الأثرة، فبعداً لهم و سُحقاً»<sup>٢</sup> لقد خذلوا علياً في أخرج الظروف، و أحلك الساعات، فاستحقوا دعائه «بعداً لهم و سُحقاً».

حتى عقيل بن أبي طالب، خذل أخاه و التحق بركب معاوية، بعد حادثة وقعت بينه و بين أخيه، نعترض لها في الصفحات الآتية. لقد وضع عقيل ورقةً قويةً بيد معاوية يعزّز بها موقفه أمام أصحابه، عندما التفت معاوية إلى أصحابه قائلاً: «يا أهل الشام، هذا سيد قريش، و ابن سيدها، عرف الذي فيه أخوه من الغواية و الضلالة، فأثاب إلى أهل الدعاء إلى الحق»... ثم أمر له بثلاث مئة ألف دينار، قائلاً: هذه مئة ألف تقضي بها ديونك، و مئة ألف تصل بها رحمك، و مئة ألف توسّع بها على نفسك.<sup>٣</sup>

أما كبار الصحابة كعبدالله ابن عمرو، و سعد بن أبي وقاص، و محمد بن مسلمة، فقد اعتزلوا عن مشاهدة عليّ و حروبه. حتى أن عمار بن ياسر قام إلى علي، و طلب منه

١. المصدر السابق، رقم (١٧٢)، ص ٢٤٦-٢٤٧.

٢. المصدر السابق، رقم (٧٠)، ص ٤٦١.

٣. ابن قتيبة، الامامة و السياسة، ص ١٠١-١٠٢.

الإذن بأن يأتي إليهم لعلهم يخفون معه في هذا الأمر. وعند ما أتاهم اعتذر بعضهم، وأظهر بعض آخر الكلام القبيح. <sup>١</sup> و طبعاً قرارهم بالاعتزال كان له أكبر الأثر على قبائلهم والمتأثرين بمواقفهم الذين تبعوهم في ذلك.

وقد يُقال بأن موقفهم لم يكن ظلماً لعلّي. لكن إذا عرفنا أنهم بايعوه، وكان لقرارهم الأثر الكبير في تثبيت الناس و تشكيكهم في رسالية معارك علي، سنجزم أن موقفهم إن لم يكن انتصاراً للباطل على نحو مباشر، فهو خذلانٌ للحق، لذا يصف عليٌّ موقفهم بقوله: «خذلوا الحق، ولم ينصروا الباطل».<sup>٢</sup>

لقد قلنا أن إجابة دعوة الحاكم الشرعي من الواجبات المفروضة على المحكوم، فإذا تباطأ، أو رفض، أو اعتزل عن نصرته، فقد ارتكب ظلماً بحقه. لقد كان علياً يدعو الله بألم شديد، وهو على منبره، فيقول: «اللهم أيما عبدٍ من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة غير المفسدة، في الدين والدنيا، فأبى بعد سمعها إلا النكوصَ عن نُصرتك، والإبطاءَ عن إعزازِ دينك، فإننا نستشهدُكَ عليه يا أكبر الشاهدين - شهادةً، و نستشهدُ عليه جميع ما أسكنته أرضك و سماواتك، ثم أنت بعدُ، المغني عن نصره، والآخذُ له بذنبه».<sup>٣</sup>

عليٌّ وأصحابه: دعونا الآن ننتقل إلى أصحاب علي (عليه السلام)، الذين قاتلوا معه في الجمل، و قاتلوا معه في صفين، لنرَ هل أدوا حقَّ إمامهم؟

أولاً لا بد أن نتذكر أن بعض كبار الصحابة والتابعين كانت لهم مواقف مشرّفة مع علي علي طول الخط، ونخصُّ بالذكر عمار بن ياسر، ابن أبي التيهان، خزيمه بن ثابت ذوالشهادتين... من الصحابة، محمد بن أبي بكر، و مالك الأستر... من التابعين، وغيرهم. لكن هؤلاء تساقطوا الواحد منهم بعد الآخر، قبل أن يفرغ علياً من حروبه. مضافاً إلى هذا، لم يكن يمثل هؤلاء سوى أقلية واعية من أكثرية جاهلة، لا تعرف علياً حقَّ المعرفة، بايعته بوصفه أكفأ المرشحين للخلافة، ولم تكن تتصوّر الآمال والطموحات التي كان يحملها علي (عليه السلام)، والتي كان تتطلب نفساً طويلاً، وموقفاً صلباً، وروحاً رسالية.

لقد بدأت متاعب علي الحقيقية، مع أصحابه، بعد أن انتصر في حرب الجمل، و شرع

١. المصدر السابق، ص ٧٢-٧٣.

٢. المصدر السابق، ص ٤٧١.

٣. المصدر السابق، رقم (٢١٢)، ص ٣٢٩.

في حرب صفين. فالذهنية العامة للمسلمين كانت تُفسّر الخلاف بين علي و معاوية، على أنه خلافٌ بين خط خلافة راشدة، وبين شخصٍ يحاول الخروج على هذه الخلافة. كانوا ينظرون إلى علي - بشكل عام - على أنه هو الخليفة الراشد، الذي يحاول أن يحافظ على الإسلام، في حين أن معاوية يحاول أن يتآمر على هذا الخط واستطاع علي (ع) أن يثبت هذا الانطباع - بالرغم من كل الظروف الموضوعية التي كانت لصالح معاوية - في ذهن القاعدة الشعبية الواسعة، في كل أرجاء العالم الإسلامي، عدا القطر الذي كان يرتبط بمعاوية.

إلا أن الأمر تطور إلى الأسوأ حين بدأ المسلمون يشكون شكاً واسع النطاق، بأن المعركة بين علي وبين معاوية معركة رسالية!<sup>١</sup> فالعراقيون - من أصحاب علي - قدّموا من التضحيات شيئاً كثيراً، بذلوا أموالهم و نفوسهم و دماءهم، آلاف من العراقيين ماتوا و قتلوا، عشرات من الأطفال يُتموا، آلاف من النساء أصبحنّ أرامل، آلاف من البيوت والعوائل تهدّمت، كثير من المدن والقرى غارت عليها جيوش معاوية، كثير من هذه المآسي والويلات حلّت بهؤلاء المسلمين، نتيجة ماذا؟ ولأجل ماذا؟<sup>٢</sup> ... حتى ينتهي الأمر لأحد القرشيان، علي أو معاوية... هكذا كانوا يفكرون.

لقد كان اقتراح عمرو بن العاص التحكيم، في وقت ملائم تماماً لتفجير الصراع داخل جيش علي؛ فالخسارة البشرية الفادحة التي ألحقتها الحرب بجيش علي - رغم أن خسائر جيش معاوية كانت أكثر - كانت عاملاً نفسياً مهماً لقبول التحكيم. وهكذا وُجد في جيش علي فريقان: فريق يطلب إيقاف الحرب و تحكيم كتاب الله، تحت مبرر حقن دماء المسلمين، و فريق يصرُّ على مواصلة الحرب، لمعرفة أنهم أن الدعوة إلى التحكيم لم تكن سوى خديعة من معاوية و عمرو.

الفريق الذي كان يطالب بإيقاف الحرب، و تحكيم كتاب الله، كان فريقاً ضاغظاً، و يتوسّع باستمرار، والفريق الآخر كان يقل انتصاره بالتدريج. لقد ساء الأمر إلى أن اتهم علي (عليه السلام) بالكذب! الأمر الذي جعله يقوم و يخطب قائلاً: «أما بعد يا أهل العراق، فإنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت، فلما أتمت، أمْلَصْت، و ماتت قِيمُها، و طال تأيُمها، و ورثها أبعدُها (كناية عن ترك القتال في لحظة كانوا أقرب ما يكونوا للنصر). أما والله ما أتيتكم

١. محمد باقر الصدر، أهل البيت تنوع أدوار و وحدة هدف، ص ١٠٨-١٠٩.

٢. المصدر السابق، ص ١١١-١١٢.

اختياراً، و لكن جئتُ إليكم سوقاً، و لقد بلغني أنكم تقولون: عليٌّ يكذب! قاتلكم الله تعالى، فعليٌّ من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أول من آمن به! أم عليٌّ نبيه؟ فأنا أول من صدقته!»<sup>١</sup>

بدأ أصحابه بالتناقل عن الحرب، و علي لا يترك طريقاً لحملهم على القتال إلا و سلكه، فقال لهم ذات مرة: «مُنيتُ بمن لا يطيع إذا أمرتُ، و لا يُجيبُ إذا دعوتُ، لا أبالكم! ما تنتظرون بنصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم؟ و لا حمية تحشمكم؟ أقوم فيكم مستصرخاً، و أناديكم متغوّثاً، فلا تسمعون لي قولاً، و لا تطيعون لي أمراً...»<sup>٢</sup>

و في خطبة مليئة بالشكوى والألم يقول: «ألا و إني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً و نهاراً، و سرّاً و إعلاناً، و قلت لكم: أغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قومٌ قط في عُقر دارهم إلا ذلّوا. فتواكلتم و تخاذلتُم حتى سُنت عليكم الفارات... فيا عجباً - عجباً والله يميت القلب و يجلبُ الهم - من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، و تفرُّقكم عن حقكم، فقبحاً و ترحاً... إذا أمرتكم بالسير إليهم أيام الحر، قلتُم: هذه حمارة القيظ، أمهلنا حتى يُسبِّخ عنا الحر. و إذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء، قلتُم: هذه صبارة القر، أمهلنا حتى ينسلخ عنا البرد... فإن كنتم من الحرّ و القرّ تفرّون، فأنتم من السيف أفر! يا أشباه الرجال، و لا رجال! حلوم الأطفال، و عقول ربّات الحجال، لوددتُ أني لم أركم، و لم أعرفكم، معرفة - والله - جرّت ندماً، و أعقبت سدماً. قاتلكم الله! لقد ملأت قلبي قيحاً، و شحنتم صدري غيظاً، و جرّعتُموني نُقب التهمام أنفاساً، و أفسدتُم عليّ رأيي بالعصيان و الخذلان...»<sup>٣</sup>

و في خطبة ثالثة يقول لهم: «أما والذي نفسي بيده، ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحقّ منكم، و لكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، و إبطائكم عن حقي، و لقد أصبحت الأمم تخافُ ظلمَ رعاتها، و أصبحت أخاف ظلمَ رعيتي... أيها القوم الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله و أنتم تعصونه، و صاحب أهل الشام يعصي الله و هم يطيعونه، لوددتُ والله أن معاوية صارفتني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم، و أعطاني رجلاً منهم... يا

١. نهج البلاغة، رقم (٧١)، ص ١٠٠.

٢. المصدر السابق، رقم (٣٩)، ص ٨١-٨٢.

٣. المصدر السابق، رقم (٢٧)، ص ٦٩-٧٠.

أسباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلما جُمعت من جانب تفرّقت من آخر...»<sup>١</sup>. واستمر الأمر بين شدّ و جذب، حتى قام الفريق المطالب بوقف الحرب بتهديد علي بالقتل كما قتلوا عثمان قبله! فاضطر علي إلى تجرّع السم بقبول التحكيم، لمعرفة بآن الحرب لا يمكن أن تستمر طالما بدأ الشك في رسالتها يدبُّ في نفوس أصحابه، ولحفظ جيشه من خطر التفكك. خطب قائلاً: «أيها الناس، إنه لم يزل أمري معكم على ما أحب، حتى نهكتكم الحرب، وقد والله، أخذت منكم وتركت، وهي لعدوكم أنهلك. لقد كنت أمس أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت أمس ناهياً، فأصبحت اليوم منهياً. وقد أحببتكم البقاء، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون»<sup>٢</sup>.

هل انتهت المشكلة؟ أبدأ... لقد بدأت سلسلة جديدة من المعضلات، أولها الاعتراض على قبوله التحكيم، وعند ما قام إليه رجلٌ من أصحابه، فقال: نهيتنا عن الحكومة، ثم أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد؟ حينها صقَّ علي إحدى يديه على الأخرى، وقال والحسرة تملأ قلبه: «هذا جزاءٌ من ترك العُقدة... أريدُ أن أدواي بكم وأنتم دائي، كناقشِ الشوكة بالشوكة، وهو يعلم أن ضلعها معها. اللهم قد ملّت أطباءُ هذا الداء الدوّي، وكَلَّت النزعةُ بأشطان الركي. أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهجوا إلى الجهاد فولهوا وَلَه اللقاح إلى اولادها...»<sup>٣</sup>.

لقد كان جيش علي في حال تفكك، كلما حاول أن يجمعهم تفرقوا، وكلما حاول أن يوحد كلمتهم تشتتوا، وهو يعرف أن بإمكانه - بطريقة ما - أن يُعيد للجيش وحدته، لكن الضريبة التي سيدفعها لا يمكن لعلي أن يدفعها... إنه الانحراف عن الجادة، والسير في السبيل الملتوية، وهذا ما أكده قائلاً: «كم أداريكم كما تُداري البكار العمدة، والثياب المتداعية، كلما حيصت من جانب، تهتكت من آخر... وإني لعالم بما يُصلحكم، ويُقيم أودكم، ولكني لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي، أضرع الله خدودكم، وأتعسَ حدودكم، لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل، كما يبطالكم الحق»<sup>٤</sup>.

على أي حال، بدأت مرحلة التحكيم وانتهى الأمر إلى اختيار الحكم من الجانبين. من جانب معاوية الأمر محسوم، فالحكم من طرفه الماكر عمرو بن العاص. فحاول

١. المصدر السابق، رقم (٩٧)، ص ١٤١-١٤٢.

٢. المصدر السابق، رقم (٢٠٨)، ص ٣٢٣-٣٢٤.

٣. المصدر السابق، رقم (١٢١)، ص ١٧٧.

٤. المصدر السابق، رقم (٦٩)، ص ٩٨-٩٩.

علي (عليه السلام) بدوره أن يختار حكماً فظناً لا ينطلي عليه مكرُّ عمرو، فاختار عبدالله بن عباس. إلا أن أصحابه عصوه ثانية، وأرغموه على اختيار أبي موسى الأشعري، بحجة أن ابن عباس قريبُ القرابة منك، ضنينٌ في أمرِك، أما أبو موسى فهو رجلٌ يثقُ أهل العراق و أهل الشام بتقيته.<sup>١</sup>

و لأبي موسى الأشعري تاريخ سيء مع علي (عليه السلام)؛ فقد كان له دورٌ بارز في تشبيط الناس في الكوفة، عن نصره علي يوم الجمل، بدعوى أن النائم في هذه الفتنة خيرٌ من اليقظان، والقاعد خيرٌ من القائم، والقائم خيرٌ من الساعي، والساعي خيرٌ من الراكب.<sup>٢</sup> فأرسل إليه علي (عليه السلام) يومها رسالة، يؤتبه على هذا الموقف، ويحذره من الاقصاء إن استمر على تشبيط الناس، كتب علي: «... إذا قدم رسولي عليك، فارفع ذيلك، واشدد مئزرك، واخرج من جُحرك، واندب من معك، فإن حَقَّقت فأنفذ، وإن تَفَشَّلت فابعد... اعقل عقلك، وأملك أمرك، وخذ نصيبك وحظلك، فإن كرهت، فستح إلى غير رحب ولا نجاة...»<sup>٣</sup>

اتفق طرفا التحكيم - الأشعري وابن العاص - على كتابة الصلح، وإيقاف الحرب إلى أن يحكم الحكمان، وأخذت الموائيق على هذا الصلح، وأمهل المسلمون الحكمان من ستة إلى ثمانية أشهر.

حينها جاء علياً زرعَةُ بن برج الطائي و حرقوصُ بن زهير - وهما من قادة الجمهور الثائر على عثمان - وقالاه: لا حُكَمَ إلا لله، فقال علي: لا حكم إلا لله، فقال له حرقوص: تُب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا، فقال لهم علي: قد أردتُكم على ذلك فعصيتُموني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً، وشرطنا و أعطينا عهدنا و مواثيقنا، فقال له حرقوص: ذلك ذنبٌ ينبغي أن تتوب منه، فقال علي: ما هو ذنب، ولكنه عجزٌ من الرأي، وضعفٌ من الفعل، وقد تقدَّمتُ إليكم فيما كان منه، و نهيتُكم عنه، فقال له زرعة: أما والله يا علي، لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله، قاتلتُك بذلك أطلب وجه الله و رضوانه. عند تلك اللحظة ظهرت جماعة الخوارج، الذين رفضوا التحكيم بعد أن فرضوه على علي، و طالبوه بمواصلة القتال، قبل أن تظهر

١. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٤٩.

٢. المصدر السابق، ص ٨٥.

٣. نهج البلاغة، رقم (٦٢)، ص ٤٥٣.



نتيجة التحكيم، في وقت كان ملتزماً فيه بعهودٍ و موثيق، لا يمكنه التخلي عنها. و ذكروا أن أبا موسى و عمراً لما اجتمعا بدوامة الجندل، استقبل عمرو أبا موسى، فأعطاه يده، و ضمَّ عمرو أبا موسى إلى صدره، فقال: يا أخي قَبَّحَ اللَّهُ أماً فَرَّقَ بيننا، ثم أقعد أبا موسى على صدر الفراش، و أقبل عليه بوجهه... و مكثنا أياماً يلتقيان في أمرهما سرّاً و جهراً.<sup>١</sup> و كان الخَلَصُ من أنصار علي - أمثال سعيد بن قيس، و عدي بن حاتم - يحذرون أبي موسى من أن ينخدع بحيل عمرو.

فغدا عليه ذات يوم و قال له: يا أبا موسى، إن قال قائل أن معاوية من الطلقاء، و أبوه رأس الأحزاب، لم يبايعه المهاجرون و الأنصار، فقد صدق. و إذا قال أن علياً آوى قتلة عثمان، و قتل أنصاره يوم الجمل، و برز على أهل الشام بصفين فقد صدق. و فينا و فيكم فقية، و أن عادت الحرب ذهب ما بقي، فهل لك أن تخلعهما جميعاً، و تجعل الأمر لعبدالله بن عمر، فقد صحب رسول الله (ﷺ) لم يبسط في هذه الحرب يداً و لا لساناً.<sup>٢</sup>

و من الواضح أن هذا العرض ينسجم تماماً مع التوجُّهات المسبقة لأبي موسى الأشعري، الذي أجابه: جزاك الله بنصيحتك خيراً. و استمرت المفاوضات التي كان الأشعري يقدم فيها التنازلات، خطوة بعد خطوة. حتى جاء اليوم الذي أعلن فيه أنه يخلع علياً و معاوية، ليجعلها لعبد الله بن عمر، حينها أعلن عمرو قائلًا: أيها الناس، هذا أبو موسى شيخ المسلمين، و حكم أهل العراق، و من لا يبيع الدين بالدنيا، و قد خلع علياً، و أنا أثبت معاوية.<sup>٣</sup>

هنا بدأت مرحلة جديدة من الصراع، فقد عتبَ عليٌّ - في خطبة له - على أصحابه قائلاً: «الحمد لله، و إن أتى الدهر بالخطب الفادح، و الحدث الجليل... أما بعد، فإن معصية الناصح الشفيق، العالم المجرب، تورث الحسرة، و تعقب الندامة، و قد أمرتكم في هذه الحكومة أمري، و نخلت لكم مخزون رأبي، لو كان يُطاع لقصير أمرٌ. فأبيتُم عليَّ إياء المخالفين الجفاة، و المنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصحُ بُصيحِهِ، و ضنَّ الزند بقدحه».<sup>٤</sup> بعد ذلك أعلن علي أن الحكيمين تجاوزا الحق، و خلفا القرآن وراء ظهورهما، مع علمهما أن التحكيم كان مشروطاً، بأن يكون أساسه القرآن، لأن الحرب توقفت بمبرر

١. ابن قتيبة، الإمامة و السياسة، ص ١٥٥.

٢. المصدر السابق، ص ١٥٦.

٣. المصدر السابق، ص ١٥٧.

٤. نهج البلاغة، رقم (٣٥)، ص ٧٩-٨٠.

تحكيم كتاب الله. إذن هو غير ملتزمُ بنتيجة الحكّمين، طالما لم يلتزمَا بالشرط، حيث قال: «أجمع رأيي ملئكم على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يجتمعا عند القرآن، و لا يجاوزاه، و تكون ألسنتهما معه، و قلوبهما تبعه، فتأها عنه، و تركا الحق و هما يُبصرانه، و كان الجورُ و الاغوجاج رأيهما، و قد سبق استثنائنا عليهما في الحكم بالعدل، و العمل بالحق، سوء رأيهما و جورَ حكمهما...»<sup>١</sup>.

عندئذ قرّر عليّ استئناف القتال ضد معاوية، إلا أنه بعد توجهه إلى الكوفة، امتنعت الخوارج من الدخول إليها، و ذهبوا إلى قرية حروراء، كما ذهب قسم منهم إلى معسكر نخيلة اعتراضاً عليّ علي (عليه السلام).

واجتمع الخوارج في منزل عبدالله بن وهب الراسبي، واختاروه خليفة للمسلمين! و كان الطلاق النهائي بينهم و بين علي في معركة النهروان، حينما وصلت الأخبار عن فعالهم السيئة في إرعاب الناس، مثل قتلهم عبدالله بن خباب صحابي رسول الله، و بقر بطن زوجته الحامل. و حاول عليّ - بثتى الطرق - أن ينههم بأنهم هم الذين اضطروه للتحكيم، و أمر أصحابه أن لا يبدؤهم بقتال، إلا أن الخوارج بادروا إلى ذلك منادين: الرواح الرواح إلى الجنة!

لقد لخص لنا علي ما جرى عليه في الخطبة الشقشقية حينما قال: «فلما نهضتُ بالأمر نكثت طائفةً، و مرّقت أخرى، و قسط آخرون. كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض و لا فساداً و العاقبة للمتقين»، بلي والله! لقد سمعوها و وعوها، و لكنهم حليت الدنيا في أعينهم، و راقهم زبرجها. أما والذي فلق الحبة، و برأ النسمة، لولا حضور الحاضر، و قيام الحجة بوجود الناصر، و ما أخذ الله على العلماء على أن لا يقاروا على كظّة ظالم، و لا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، و لسقيت آخرها بكأس أولها، و لألقيت دنياكم هذه أزهدي عندي من عطفة عنز»<sup>٢</sup>.

لقد ظلم أصحابُ عليّ علياً، حينما تناقلوا عن نصرته أولاً، و حينما اضطروه إلى وقف الحرب و قبول التحكيم ثانياً، و ظلموه حينما اضطروه لقبول الأشعري حكماً ثالثاً، و ظلموه حينما طالبوه باستئناف القتال قبل ظهور حُكم الحكّمين رابعاً، و ظلموه بخروجهم عليه، أو عدم استجابتهم لدعوته لمواصلة القتال خامساً.

١. المصدر السابق، رقم (١٧٧)، ص ٢٥٦.

٢. المصدر السابق، رقم (٠٢)، ص ٤٩-٥٠.

هذا الظلم جعله في أواخر عمره يشعر بغربة شديدة، فبدأ يستذكر أصحابه الخُلص، الذين بدأوا معه الطريق، و تساقطوا أثناء المسيرة، بدأ بلهجة جديدة، يُستشعرُ منها أن دوره قد أنتهى، وأنه قد أدى ما عليه، فقال قبل استشهاده بأسبوع: «أيها الناس، إني قد بثتُ لكم المواعظ التي وعظُ الأنبياء بها أمهم، أديتُ إليكم ما أدتُ الأوصياء إلى من بعدهم، و أدبْتُكم بسوطي فلم تستقيموا، و حدودكم بالزواجر فلم تستوسقوا، لله أنتم، أتوقعون إماماً غيري يظاً بكم الطريق، و يرشدكم السبيل؟؟... أين إخواني الذين ركبوا الطريق، و مضوا على الحق؟ أين عمار؟ و أين ابن التيهان؟ و أين ذو الشهادتین؟ و أين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، و أبردَ برؤوسهم إلى الفجرة». ثم ضرب بيده على لحيته الكريمة، فأطال البكاء، ثم قال (ع): «أؤهِ على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، و تدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة، و أماتوا البدعة، دُعوا للجهاد فأجابوا، و وثقوا بالقائد فاتبعوه». ثم نادى بأعلى صوته: «الجهاد الجهاد عبادالله، ألا و إني معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج»<sup>١</sup>.

## ٢. النصيحة:

إذا تساءلنا: هل قام المسلمون بواجب النصيحة؟ لكان على الأرجح سؤالاً سخيلاً؛ لأن المارقين عبروا عن نصيحتهم - في الاقتصاص لدم عثمان - بالانشقاق في الشام، والدخول في معركة مع علي. و عبّر الناكثون عن نصائحهم بتحريض الناس للحرب، والدخول في معركة مع علي. و عبّر المعتزلون عن نصيحتهم في التحرُّز عن دماء المسلمين، بتشيط الناس، و خذلان علي، و عبّر المارقون عن نصيحتهم في مواصلة الحرب - قبل ظهور نتيجة التحكيم - بالخروج على علي و تكفيره. و عبّر الإنتهازيون عن نصيحتهم لعلي بالالتحاق بركب معاوية.

حقاً قد يتصور المرء أن على الحاكم الشرعي الانصياع لكل نصيحة، و تنفيذ كل رأي. لكن هذا التصور خاطيءٌ للغاية. أولاً لأن علي اشترط في بيعته، أن لا يعتب عليه عاتب، إن لم ينفذ رغبة هذا أو ذاك، والمسلمون بايعوا علياً على هذا الشرط. و ثانياً كان علي يستمع للنصيحة، و يشجّع أصحابه عليها - كما سنرى - لكنه كان ينبه أيضاً، على أن استماعه للنصيحة لا يعني تنفيذه لها بالضرورة، و هذا واضح تماماً من موقفه من ابن

عباس، هذا الرجل الصادق الذي كان يشير عليه في أشياء، لم تكن توافق رأي علي، و مبادئ علي في الغالب، حيث قال له: «لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى، فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأُطْعِمَنِي»<sup>١</sup>.

واجبات الحاكم:

### ١. الشفافية والوضوح مع الرعية

لقد تميّز عصر خلافة علي بشفافية غير معهودة، من حيث الوضوح والصراحة مع الناس في مختلف المواقف، و علي كل الأصدقاء. حتى في المواقف التي قد يرى البعض، أنها تتطلب نوعاً من الالتواء و عدم الوضوح، نوعاً من كتمان الأمر. خذ علي سبيل المثال: المرشح لشغر منصب ما؛ هذا المرشح تجده عادة يطلق الوعود والأمانى، و يوهم الناخبين بأنه إن وصل إلى المنصب، فسُحِّلَ كثير من المعضلات، و سيوفر لناخبيه الرفاهية، و سيسعى لتحقيق حياة مريحة و سعيدة، و سيعمل علي تحويل أحلامهم إلى واقع. و هو يعلم - علم اليقين - أن كل تلك التصريحات - أو جلّها علي اقل تقدير - ليس في مستطاعه. مضافاً إلى ذلك، تراه يخفي عنهم القرارات التي سيضطر لا اتخاذها، و هي تتنافى مع رفاهم... هذا هو سلوك المرشحين عادة لشغر المناصب.

أما علي فعلى العكس من ذلك، واضح صريح، حتى قبل أن يُنتخب، حتى في الوقت الذي هو أحوج ما يكون إلى قبول الناس، و تأييدهم له، تجده يقول: «دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً له و جوه و ألوان، لا تقوم له القلوب، و لا تثبت عليه العقول. و إن الآفاق قد أغامت، و المحجة قد تنكّرت، و اعلموا أنني إن أجبتكم ركبتم بكم ما أعلم، و لم أصغ إلى قول القائل و عتب العاتب، و إن تركتموني فأنا كأحدكم، و لعلّي أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم، و أنا لكم وزيراً، خير لكم مني أميراً»<sup>٢</sup>.

و يقول في موقف آخر عند بيعة الناس له: «ألا وإن بليتكم قد عادت كهيتها، يوم بعث الله نبيه - صلى الله عليه و سلم - و لذي بعثه بالحق، لثبيلن بلبلة، و لثغربلن غربله، و لثساطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم أعلاكم، و أعلاكم أسفلكم، و ليسيقن سابقون كانوا قصّروا، و ليقتصرن سابقون كانوا سبقوا. والله ما كتمت و شمة، و لا كذبت كذبة، و لقد بُيئت بهذا المقام و هذا اليوم»<sup>٣</sup>.

١. المصدر السابق، ص ٥٣١.

٢. المصدر السابق، رقم (٩٢)، ص ١٣٦.

٣. المصدر السابق، رقم (١٦)، ص ٥٧.

هذا الإمام الذي قال: «ألا وإن لكم عندي ألا أحتجز دونكم سراً إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمراً إلا في حكم»<sup>١</sup>. لم يعقد الصفقات مع معاوية، ولم يقامر على مصير الأمة. لقد أعلنها حرباً على معاوية بكل وضوح، حيث قال: «ولقد قلبتُ هذا الأمرَ بطنه وظهره حتى منعني النوم، فما وجدتنِي يسعني إلا قتالهم، أو الجحود بما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - فكانت معالجة القتال أهونَ عليّ من معالجة العقاب، موات الدنيا أهونَ عليّ من موات الآخرة»<sup>٢</sup>.

وكان حريصاً على أن يعي أتباعه حقيقة موقفه، ومبررات قراراته، فقبل أن يصل إلى الكوفة بعث إليهم برسالة، يشرح فيها ما حدث في فتنة عثمان، حتى لا تنطلي عليهم مراوغات طلحة والزبير، وحتى يكون سمع ذلك الخير كعيانه، قال فيها: «أما بعد، فإني أخبركم عن أمر عثمان، يكون سمعُه كعيانِه. إنَّ الناسَ طعنوا عليه، فكنتُ رجلاً من المهاجرين أكثرُ استعتابه، وأقلُّ عتابه. وكان طلحة والزبير أهونَ سيرهما فيه الوجيف، وأرق حداثهما العنيف. وكان من عائشة فيه فلتة غضب، فأتيتُ له قومٌ فقتلوه، وبايعني الناسُ غيرَ مستكرهين ولا مُجبرين، بل طائعين مخيَّرين...<sup>٣</sup>. وفي هذه الرسالة دقة في الوصف، لا يعيها إلا من درس تفصيلات تلك الفتنة - في كتب التاريخ المختلفة - فقارن بين المنقولات، واستطاع أن يميز المكذوب من الصحيح.

ولم تكن الأمة تدرك قيمة وضوح القائد، وأهمية شفافية الإمام، لأن الزمان إذا تغير، والنفوس إذا تبدلت، أصبح الوضوح: بساطة، والشفافية: سذاجة، والغدر: كياسة، والمكر شطارة. يقول علي: «... لقد أصبحنا في زمانٍ اتَّخذ أكثر أهل الغدر كياساً...<sup>٤</sup>. وبما أن علياً لا يغدر، وبما أنه واضح، وخطابه يتسم بالشفافية، إذن هو بسيط! هذا ما تصوَّره البعض، الأمر الذي جعله يدافع عن نفسه أمام أصحابه قائلاً: «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدرُ ويفجُر. ولو لا كراهيةُ الغدر لكنتُ أدهى الناس...»<sup>٥</sup>.

١. المصدر السابق، رقم (٥٠)، ص ٤٢٤.

٢. المصدر السابق، رقم (٥٤)، ص ٩١.

٣. المصدر السابق، رقم (١)، ص ٣٦٣.

٤. المصدر السابق، رقم (٤١)، ص ٨٣.

٥. المصدر السابق، رقم (٢٠٠)، ص ٣١٨.

## ٢. عدم الاحتجاب عن الرعية

لم تنقل لنا التواريخ أن علياً احتجب عن رعيته، أو وضع حاجباً أمام بيته، أو أناب غيره في صلاة جمعة أو جماعة - في بلد أقام فيه - دون عذرٍ قاهر. ولم تنقل لنا التواريخ أنه عينَ وزيراً يصرف على المسلمين فيتهم من بيت المال، بل كان يقوم بالصرف بنفسه. كان يلتقي بالناس ليلاً ونهاراً، سراً و جهراً، وكان يتعرف على أخبارهم على نحو مباشر، دون وسائط. وحينما تأتيه الأخبار من الأقطار الأخرى التابعة إليه، كان يقوم بالتحقق منها، فكثيراً ما نجده يقول لواليه: «بلغني عنك كذا وكذا...»، حتى لا يتهم أحداً قبل أن تثبت نسبة الخبر إليه. كان يوصي ولاته - كما رأينا في عهده للأشتر - بأن لا يحتجبوا عن رعيتهم.

كان بسيطاً يرفض كثرة المديح، يرفض أجواء المجاملات الفارغة. كان يطلب من رعيته أن لا يشنوا عليه، لأن ثنائهم عليه قد لا يكون مبرره، إلا خروجهم للتو من بلاء عهد عثمان، و من عادة الناس الاستعجال في الثناء على أمير لاحق، إن ساء لهم سابق. كان يطلب منهم أن لا يتحدثوا إليه كما يتحدثون إلى الجبارة، قال لرجل أطلّ في الثناء عليه: «... إن من أسخف حالات الولاية عند صالح الناس، أن يُظنَّ بهم حبُّ الفخر، و يوضع أمرهم على الكبر! و قد كرهتُ أن يكون جالاً في ظننكم أني أحبُّ الإطراء، و استماع الثناء، و لست - بحمد الله - كذلك، و لو كنت أحبُّ أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحقُّ به من العظمة والكبرياء. و ربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء، فلا تُثنوا عليَّ بجميل ثناء، لإخراجي نفسي إلى الله سبحانه و إليكم من التقية في حقوق لم أفرغ من أدائها، و فرائض لا بد من إمضاؤها، فلا تكلموني بما تُكلم الجبارة، و لا تتحفظوا مني بما يُتَحَفَّظ به عند أهل البادرة، و لا تخالطوني بالمصانعة»<sup>١</sup>.

## ٣. طلب المشورة

قلنا أن علياً اشترط عند قبول البيعة، أن لا يكون يلزمه أحد بتنفيذ نصيحة هذا أو ذاك. لكن هذا لا يعني أنه لم يستمع للنصيحة... كيف و هو الذي حثَّ أنصاره على إسداء النصح؟ قائلاً لهم: «انتم الأنصارُ على الحق، و الإخوانُ في الدين، و الجُنن يومَ البأس، و البطانة دون الناس، بكم أضربُ المدبر، و أرجو طاعة المقبل. فأعينوني بمناصحة خلية

من الغش، سليمة من الريب، فوالله إني لأولى الناس بالناس»<sup>١</sup>. وهو الذي كان يشجع - المتردّد في النقد - على النقد، لأن كلمة الحق لا يستثقلها مثل علي، يقول: «لا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقلاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظامٍ لنفسي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يُعرض عليه، كان العملُ بهما أثقل عليه. فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورةً بعدل، فإنني لست في نفسي بفوق أن أخطيء، ولا آمنُ ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملكُ به مني، فإنما أنا و أنتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى»<sup>٢</sup>.

#### ٤. الزهد في المعيشة

ضرب علياً مثلاً رفيعاً في الزهد، و بساطة الملابس والمأكل. أما الملابس فلم يكن يتردد في ترقيع ثوبه متى ما تهتك، حتى استحي من كثرة ترده راقع الثوب، و طلب ترقيع ثوبه. و عند ما قيل له: ارمها، والبس غيرها، رفض ذلك، لأن الحياة ما هي إلا طريق سفر، و سوف يعبطُ الناسُ المستيقظون صباحاً، أولئك السائرين في الليل، الذين قطعوا المسافات الشاسعة، بينما كانوا هم يغطون في سبات عميق. يقسم علي قائلاً: واللّه لقد رقت مدرعتي هذه، حتى استحيت من راقعها. و لقد قال لي قائل: ألا تبذرها عنك؟ فقلت: اغرب عني، فعند الصباح يحمّد القوم السرى»<sup>٣</sup>.

أما بساطة المأكل؛ فيظهر من رسالته لعامله علي البصرة - عثمان بن حنيف - عند ما بلغه أنه قد لبى الدعوة إلى وليمة فاخرة، لم يدع إليها إلا الأغنياء. فكتب له معاتباً بشدة، يُذكره أنه إن كان يعتبر نفسه مأموماً لعلي، فإنّ علياً قد اكتفى من الدنيا بقدر الكفاف. يقول في مطلعها: «أما بعد، يا بن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها، تُستطابُ لك الألوان (= يعني أصناف الطعام المختلفة)، و تُنقل إليك الجفان (= أي الأطباق المتنوعة). و ما ظننتُ أنك تجيبُ إلى طعام قومٍ عائلهم مجفو (= أي الفقير لم يدع إليها)، و غنيهم مدعو... ألا و إنّ لكل مأمومٍ إماماً، يقتدي به، و يستضيء بنور علمه، ألا و إنّ إمامكم (= يعني نفسه) قد اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعمه

١. المصدر السابق، رقم (١١٨)، ص ١٧٥.

٢. المصدر السابق، رقم (٢١٦)، ص ٢٣٥.

٣. المصدر السابق، رقم (١٦٠)، ص ٢٢٩.

بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد، و عفةٍ و سداد». ثم يُنبّه ابن حنيف إلى أن عزوفه عن الدنيا، ليس بسبب عدم الظفر بها، على طريقة «من لا يطال العنب يقول أنه حصرم»، يقول علي: «ولو شئتُ لهتديتُ الطريق، إلى مُصْفَى هذا العسل، و لباب هذا القمح، و نسائج هذا القز، و لكن هيهات أن يغلبني هواي، و يقودني جشعي إلى تخيّر الأُطعمة». ثم نرى استشعاره لصعوبة عيش بعض رعيته، حيث يقول: «و لعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، و لا عهد له بالشَّبَع». ثم يسئل نفسه مستنكراً: «أو أبيتُ مبطاناً و حولي بطون غرثي، و أكبادُ حري؟! ... أأقنعُ من نفسي بأن يُقال: هذا أمير المؤمنين، و لا أشارِكُهُم في مكارِهِ الدَّهر، أو أكون لهم أسوة في جشوبة (= قسوة) العيش؟! فما خلقتُ ليشغلني أكلُ الطيبات، كالبهيمة المربوطة، همّها علفُها، أو (البهيمية) المرسلّة تُغلّها تقمّمها (= أكل القمامة)، تكثرش من أعلافها، و تلهو عما يُراد لها».

بعد ذلك يخاطب - في رسالته لابن حنيف - الدنيا، فيقول: «إليك عني يا دنيا، فحبلك على غاربك، قد انسلتُ من مخالبك، و أفلتُ من حباتك... اعزبي عني! فوالله لا أدلُّ لك فتستدليني، و لا أسلسُ لك فتقوديني، و أيم الله - يميناُ استثنى فيها بمشيئة الله - لأورضنَّ نفسي رياضةً تهشُّ معها إلى القرص، إذا قدرت عليه مطعوماً (= أي تكون نتيجة هذه الرياضة أن تفرح نفسي بمجرد ظفرها بقرص)، و تقنع بالملح مادوماً، و لأدعنَّ مقلتي كعين ماء، نضبَ معيها، مستفرغةً دموعها».

ثم يواصل الاستنكار الذاتي، فيتساءل: هل تكون نهاية علي - بعد هذا التاريخ المجيد - أن يقتدي بالبهيمة في اهتمامه بالأكل؟! يقول: «أتمتلىءُ السائمة من رعيها، فتبرك؟ و تشبع الربيضة من عُشها فتربض؟ و يأكل عليٌّ من زادِهِ فيهجع؟ قرّت إذا عينه، إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة، و السائمة المرعية!!» ثم ينهي رسالته بالعبارة التالية: «فاتقِ الله يا ابن حنيف، و لتكفّف أقراصك، ليكون من النارِ خلاصك»<sup>١</sup>.

##### ٥. حفظ الأمن

حاول الامام علي بعد أن استلم الخلافة، أن يحافظ على الأمن قدر امكانه. و لم يكن السبب المباشر لحروبه، إلا حرصه على اعادة الأمن لربوع ديار الإسلام. و حرصه على



الأمن لم يقتصر على أمن المسلمين، بل كان يتعداهم ليشمل أمن كل من يعيش في كنف الدولة الإسلامية، من أهل ذمة و معاهدتين. فبينما كان أنصار معاوية - كالنعمان بن بشير، والضحاك بن قيس، وغيرهما - يشنون الغارات على القبائل والقرى المنضوية تحت راية علي، فيخلون بأمنها، ويروعون أهلها وسكانها. كان علي يستنهض أصحابه، ويقول: «... وهذا أخو غامد قد وردت خيلُهُ الأتبار، وقد قتلَ حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحتها. وقد بلغني أنَّ الرجل منهم كان يدخلُ على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع ججلها، وقلبها، وقلاندھا، ورُعُثها، ما تمتعُ منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرین، ما نالَ رجلاً منهم كلمٌ، ولا أريق لهم دم، فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً، بل كان عندي جديراً»<sup>١</sup>.

إذن علي لم يبدأ بقتال معاوية، إلا بعد أن أصبح جيش معاوية مخللاً بأمن الأمة. لقد كان يستبطن أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين، قائلاً لهم: «... والله ما دفعتُ الحربَ يوماً، إلا وأنا أطمعُ أن تلحقَ بي طائفةٌ، فتتهدي بي، وتعشوا إلى ضوئي، وذلك أحبُّ إليَّ من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها»<sup>٢</sup>.

ولم يبدأ بقتال الناكثين، إلا بعد أن أخلوا بأمن الأمة، وهجموا على واليه على البصرة، وقتلوا طائفة صبراً، وطائفة عذراً. ولم يبدأ بقتال المارقين، إلا بعد أن اخلوا بالأمن، وارعبوا الناس، وقتلوا عبدالله بن خباب صحابي الرسول (ﷺ)، وبقروا بطن زوجته الحامل، وتحولوا إلى قُطَّاع طُرق.

لقد قدّم علي (عليه السلام) توضيحاتٍ جسام لكي يوفّر الأمن لرعيته، الأمر الذي اضطره لدخول معارك طاحنة.

## ٦. التربية والتعليم

أدرك الإمام علي منذ البداية أن الجيل الجديد من المسلمين، يفتقر إلى التزكية والتربية الإسلامية الرصينة. فعهد عثمان كان كفيلاً بأن يمحي الكثير من المظاهر الإسلامية، التي حافظ عليها - بعد وفاة الرسول (ﷺ) - الخليفة الأول والثاني. هذا العهد كان أطول العهود، استمر ما يقرب من عشرين عاماً. عشرون عاماً لم يتلقَّ فيه المسلمون التربية

١. المصدر السابق، رقم (٢٧)، ص ٧٠.

٢. المصدر السابق، رقم (٥٥)، ص ٩١.

والتعليم، وانشغلوا بالفتوحات، وما أفاء الله عليهم، من كنوز كسرى وقيصر!!  
 إذن لا بد أن يستدرك علي ما يمكن استدراكه، لذا نجده لا يترك فرصة إلا و يُذكر  
 المسلمين بالحقائق الإسلامية الأصيلة، يُذكرهم بأن الدنيا دارٌ ممر، وأنهم مكلفون بأن  
 يَأدُّوا دوراً رسالياً، ويحذِّرهم من الانسياق وراء الشهوات من مالٍ وجاهٍ وسلطان. وكم  
 من مرة نادى بأعلى صوته: «اتقوا الله عباد الله، وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما  
 يبقى لكم بما يزول عنكم، وترحّلوا فقد جدَّ بكم، واستعدوا للموت فقد أضلَّكم، وكونوا  
 قوماً صيِّح بهم فاتتبهوا، واعملوا أن الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا، فإنَّ الله سبحانه لم  
 يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سدى...»<sup>١</sup>

أونادى: «عباد الله، أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا، التاركة لكم وإن لم تُحبُّوا تركها،  
 والمبلىة لأجسامكم، وإن كنتم تُحبُّون تجديدها... فلا تنافسوا في عزِّ الدنيا وفخرها، ولا  
 تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولا تجزعوا من ضرئها وبؤسها، فإن عزها وفخرها إلى انقطاع، و  
 إن زينتها ونعيمها إلى زوال، وضرأها وبؤسها إلى نفاذ... فاذكروا هادم اللذات، ومنغص  
 الشهوات، وقاطع الأمنيات...»<sup>٢</sup>. أو قال: «... تجهزوا رحمكم الله! فقد نودي  
 بالرحيل...»<sup>٣</sup>

أو قال في وصفه لأهل الدنيا: «أقبلوا على جيفة قد اقتضحوا بأكلها، واصطلحوا على  
 حبِّها، ومن عشق شيئاً أعشى بصره، وأمرض قلبه، فهو ينظرُ بعينٍ غير صحيحة، ويسمع  
 بأذن غير سمیعة، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه...»<sup>٤</sup>

أو وقف يُحذِّر أصحابه: «قد غاب عن قلوبكم ذكْرُ الآجال، وحضرتكم كواذِبُ  
 الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة... ما بالكم!  
 تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه، ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تُحرمونه... قد  
 تصافيتم على رفضِ الآجل، وحبِّ العاجل، وصار دينُ أحدكم لُعبةً على لسانه»<sup>٥</sup>

إن القاريء لكتاب نهج البلاغة، ليعجب من كثرة تأكيد علي (عليه السلام) على هذه النقطة:  
 أن الدنيا دارٌ زوال، خذوا من ممرِّكم إلى مقرِّكم، الدنيا رتقُ مشربها ردغُ مشرعها، الدنيا

١. المصدر السابق، رقم (٦٤)، ص ٩٥.

٢. المصدر السابق، رقم (٩٩)، ص ١٤٤-١٤٥.

٣. المصدر السابق، رقم (٢٠٤)، ص ٣٢١.

٤. المصدر السابق، رقم (١٠٩)، ص ١٥٨-١٥٩.

٥. المصدر السابق، رقم (١١٣)، ص ١٦٧-١٦٨.

حُلوة خضرة غرّارة ضرّارة، منزلُ قلعة وليست بدارٍ قرار، برقها خالِبٌ ونطقها كاذِبٌ... الخ. كم كان المسلمون في ذلك العصر - بل في كل عصر - بأمس الحاجة إلى هذا الخطاب... الخطاب القرآني الأصيل، الذي يزكي الإنسان، فيشُدّه إلى السماء، بقدر ما تشدّه الشهوات الزائلة إلى الأرض.

و لم يقتصر عليٌّ في عملية التربية والتعليم - والتي استخدم كافة وسائلها المتاحة آنذاك، من خطب عامة، و رسائل إلى ولاية، بل حتى الخصوم، و مواعظ شخصية - لم يقتصر على التنبيه من خطر الدنيا. بل نبّه المسلمين من خطر الفتن السياسية التي تمر بها الأمة آنذاك، وبالخصوص فتنة بني أمية، فتنبأ عن مستقبل الطغيان الأموي قائلاً: «والله لا يزالون حتى لا يدعو الله محرماً إلا استحلوه، ولا عقداً إلا حلّوه، و حتى لا يبقى بيتٌ مدرٍ و لا وبرٍ، إلا دخله ظلمهم، و نبا به سوء رعيهم، حتى يقوم الباكيان يبكيان: باكٍ يبكي لدينه، و باكٍ يبكي لديناه...»<sup>١</sup>

لكن تحذيره من فتنة بني أمية، و دخوله الحرب ضدهم، لا يعني أن الضوابط الأخلاقية و الإنسانية لا بد أن تُخلفها وراء ظهورنا، بل كان علي (عليه السلام) حريصاً على أن يُعلّم أصحابه أدب الاختلاف، و أدب الصراع، فحينما سمع أصحابه يسُبّون معاوية و أصحابه، قال لهم: «إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، و لكنكم لو وصفتم أعمالهم، و ذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، و أبلغ في العذر. و قُلتم مكان سبّكم إياهم: اللهم احقن دماءنا و دماءهم، و أصلح ذات بيننا و بينهم، و اهدِهِم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، و يرعوي عن الغي و العدوان من لهج به»<sup>٢</sup>.

كان مهتماً للغاية على تربية و تعليم و لاته حدود الله في تعاملهم مع الرعية، و تحذيرهم من الانسياق وراء الدنيا و شهواتها، و التكبر على عباد الله. كان يحثهم على الائتنام برسول الله (ﷺ) و به. و رسالته إلى عثمان بن حنيف شاهد على متابعتة لأدق تصرّفات رعيته، و رصدتها أولاً بأول. و يمكن في هذا المجال الرجوع إلى رسائله الرائعة إلى كلٍّ من: مالك الأشتر و الحارث الهمداني و محمد بن أبي بكر و قثم بن عباس<sup>٣</sup>، فضلاً عن رسالته إلى عثمان بن حنيف التي تعرضنا إليها.

١. المصدر السابق، رقم (٩٨)، ص ١٤٢.

٢. المصدر السابق، رقم (٢٠٦)، ص ٣٢٣.

٣. أنظر المصدر السابق، رقم (٥٣)، ص ٤٢٦-٤٤٥. أيضاً رقم (٦٩)، ص ٤٥٩-٤٦٠. أيضاً رقم (٢٧)، ص

٣٨٣-٣٨٥. أيضاً رقم (٦٧)، ص ٤٥٧-٤٥٨.

## ٧. إقامة الفرائض

التزم الإمامُ علي بإقامة صلاة الجمعة والجماعة، و صلاة العيدين، في المنطقة التي استقر بها. فصلى باديء الأمر في المدينة، ثم انتقل بعد ذلك إلى الكوفة، فكان يصلي في مسجدها. هذا في الحاضرة التي كان يستقر بها، أما في باقي ديار الدولة الإسلامية، فكان يرسل الرسائل إلى ولاته، يُذكّرهم أهمية إقامة الفرائض. ففي رسالته إلى محمد بن أبي بكر، حينما ولاء مصر، يقول له: «... صلّ الصلاة لوقتها المؤقت لها، ولا تُعجل وقتها لفراغ، ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال، واعلم أن كل شيء من عملك، تبع لصلاتك...»<sup>١</sup>

وفي رسالته إلى عامله على مكة، قثم بن عباس، يقول له: «أما بعد، فأقم للناس الحج، واجلس لهم العصرين، فأفت المستفتي، وعلم الجاهل، وذاكر العالم، ولا يكن للناس سفير إلا لسانك، ولا حاجب إلا وجهك...»<sup>٢</sup>

و الإمامُ عليُّ هو أول شهيد في الإسلام يسقط في محراب العبادة والصلاة، حيث وقعت الفاجعة وقت صلاة الفجر، من شهر رمضان. علي (عليه السلام) - شهيد الصلاة والفريضة - لم يتوان عن إقامة الفرائض في أي موقفٍ من المواقف؛ حتى في أرض المعركة، عند ما سأله سائل، يستفتيه في حكم شرعي يرتبط بالصلاة، لم ينهه، ولم يؤنبه، ولم يقل له أن هذا وقت المعركة، وليس وقت معرفة أحكام الصلاة، بل أنب من استنكر علي المستفتي سؤاله، وقال كلمة اشتهرت عنه: «علام نُقاتل؟»، كناية عن أن مبرر قتاله: إقامة الفرائض.

## ٨ العمل على إحياء السنة وإماتة البدعة

حرص علي (عليه السلام) حرصاً بالغاً على إحياء السنة، وإماتة البدعة، لعلمه أن البدع، التي لم يألفها المسلمون منذ الجاهلية، قد عادت - مرة أخرى - تتلبس ثوباً جديداً، وتستشري في أوصال الأمة.

فالمعايير القرآنية من قبيل «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، كانت قد استُبدلت بمعيار سبق إلى الإسلام، وإن كان سبقاً قد انتهى إلى انحراف! أو استُبدل بمعيار القرشية، حيث كان ينادي المنادي من بني أمية: «إنما السواد (= العراق) بستانُ لقريش». والاستجابة لله ورسوله في قوله «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم»، قد

١. المصدر السابق، رقم (٢٧)، ص ٣٨٤-٣٨٥.

٢. المصدر السابق، رقم (٦٧)، ص ٤٥٧.

استُبدلت بالاستجابة إلى الذهب والفضة والمال، والنساء والقصور، والموائد العامرة. وحبُّ الله ورسوله في قوله «يُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، استُبدل بحبِّ الدُّنيا. والدعوة للالتفاف حول الصادقين في قوله «يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»، استُبدلت بالالتفاف حول الماكرين والفاجرين.

كان علي يُوصي الناس في سائر حركاته وسكناته، أقواله وأفعاله، خطبه ورسائله، بأن لا ينساقوا وراء الدنيا وزخارفها... هذا الانسياق الذي كان سبباً مباشراً في انتشار البدع، وإماته السنة.

وإن كان الوالي - فيما مضى - لا يُعَيَّن أو يُستعمل، إلا إذا كان من قرابة الخليفة، وإن لم يكن كفوءاً، وإن كان مختلساً لبيت مال المسلمين. فإن علياً لم يكتف بإماته هذه البدعة، باستبعاد العناصر الفاسدة - قدر الامكان - بل كان يستبعد أيضاً العنصر الكفوء، لصالح الأكفاء، والوالي القوي، لصالح الأقوى، والمرشح الحازم، لصالح الأكثر حزمًا. وهذا ما نراه جلياً حينما استبدل عمر بن أبي سلمة المخزومي - وكان عامله علي البحريني - بالنعمان بن عجلان الزرقي، حيث أرسل إلى الأول يقول: «أما بعد، فإني قد وليتُ نعمان بن عجلان الزرقي على البحرين، ونزعتُ يدك بلا ذمِّ لك، ولا تثريبَ عليك، فلقد أحسنت الولاية، وأديت الأمانة، فأقبل غير ظنين، ولا ملوم، ولا متهم ولا مأثوم...»<sup>١</sup>.

وفي مصر، كان علي يريد تنصيب هاشم بن عتبة، لكن جرت الأمور على نحو أدت لتنصيبه لمحمد بن أبي بكر، فقال: «وقد أردتُ توليه مصر، ولو وليته إياها، لما خلى لهم العرصة، ولا انهزم الفرصة، بلا ذمِّ لمحمد بن أبي بكر، ولقد كان إليّ حبيباً، وكان لي ربيباً»<sup>٢</sup>.

تطورت الأحداث - بعد ذلك - في مصر، فجعلت علي يعزل محمد بن أبي بكر، و يُنصَّب الأشر مكانه، لأن مصر - بالذات - كانت تتطلب كفاءة استثنائية. ويبدو أن هذا العزل، قد حزَّ في نفسه، لكن علياً لم يتراجع عن قراره، وإنما أرسل إليه رسالة، يواسيه و يشدُّ من أزره، يقول فيها: «أما بعد، فلقد بلغني موجِدَتِكَ من تسريح الأشر إلى عمَلِكَ، و إنني لم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجهد، ولا ازدياداً لك في الجُد، ولو نزعتُ ما تحت يدك

١. المصدر السابق، رقم (٤٢)، ص ٤١٤.

٢. المصدر السابق، رقم (٦٨)، ص ٩٨.

من سلطائك، لو ليئتكَ ما هو أيسرُ عليك مؤونة، وأعجبُ إليك ولاية...»<sup>١</sup>.  
 هذه المواقف تؤكد أن علياً كان يرجح الأكفاء، إن لم تُحل الظروف والملابسات عن ذلك. طبعاً هذا لا يعني أن كل ولاية علي كانوا من أفضل أصحابه، المقتدين بسنته، لأنه في بعض الموارد كان يضنُّ على هؤلاء المقرَّبين بتنصيبهم، ويرغب أن يشهدوا معه معاركه. وإنما نعي أن علياً كان يحاول - قدر ما تسمح الظروف - أن يكون معيار التنصيب الكفاءة، بل الأكفنية، وليس الأسبقية في الإسلام، أو القرابة النسبية، أو القرشية... تلك البدع التي ظهرت بعد وفاة الرسول (ﷺ).

٩. منع الظلم وإحقاق حقوق الضعفاء وإعمال الشدة مع الظالمين والمنافقين، القضاء بالعدل وإقامة حدود الله

كان عليٌّ يقوم بالقضاء بين المسلمين بنفسه، كيف ورسول الله (ﷺ) قال: «أقضاهم (= أفضى الناس) علي»<sup>٢</sup>؟ فكان شعاره: «الذليل عندي عزيز، حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف، حتى آخذ الحق منه»<sup>٣</sup>.

وأيُّ دارسٍ لفقهِ القضاء، والحدود والتعزيرات، والقصاص، يعرف كم روي في أقضية علي؟ فكثيراً ما جاء في الروايات: «جاء إلى علي كذا وكذا...»، «قضى علي في كذا بكذا...»، حتى ليحسب القارئ أن هذه الكتب ما كانت لتقيم لو لا ما روي من أحكام قضائية لعليٍّ. فالكثير من تلك المعضلات - في مجال الحدود والتعزير والقصاص - ما كانت لتُحل لو لا علي وعلمه. ويكفي أن نذكر القارئ بشهادة الخليفة الثاني في قضاءه وإحقاقه العدل: «لو لا علي لهلك عمر»، «اعوذُ بالله أن أعيش في قومٍ لست فيهم يا أبا الحسن»<sup>٤</sup>.

وإن كانت من واجبات الحاكم، إعمال الشدة مع الظالمين والمنافقين، فماذا نسمي حربه ضد القاسطين؟ ضد معاوية وحزبه؟

#### ١٠. الحفاظ على الأموال العامة (بيت المال)

القصص التي تحكي عن اهتمام علي ببيت مال المسلمين، تكاد تفوق حدَّ الإحصاء،

١. المصدر السابق، رقم (٣٤)، ص ٤٠٧.

٢. أنظر صحيح ابن ماجه، باب فضائل أصحاب رسول الله (ص).

٣. المصدر السابق، رقم (٣٧)، ص ٨١.

٤. مستدرک الصحيحين، ج ١، ص ٤٥٧.

فمثلاً عند ما بلغه أن شريح القاضي، اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً، وبلغه ذلك، استدعى شريحاً. وبعد أن تأكد من أصل ثبوت الواقعة، دون ثبوت كونه من بيت مال المسلمين، قال له: «... أنظر يا شريح، لا تكون قد ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو تقدمت الثمن من غير حلالك، فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا، ودار الآخرة...»<sup>١</sup>

و في رسالته إلى أشعث بن قيس عامله على أذربيجان: «إن عملك ليس لك بطعمية، و لكنه في عنقك أمانة، و أنت مسترعى لمن فوقك، ليس لك أن تفتت في رعية، و لا تخاطر إلا بوثيقة، و في يدك مال من مال الله عز و جل، و أنت من خزائنه، حتى تسلمه إلي، و لعلني أن لا أكون شرّاً و لا تنك لك، و السلام»<sup>٢</sup>.

و في رسالته إلى زياد بن أبيه - و كان قد استخلفه عامل عليّ عليّ البصرة عبد الله بن عباس - يحذره فيها فيقول: «و إني أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنك خنت من في المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدنّ عليك شدةً تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر، و السلام»<sup>٣</sup>.

لقد غير علي معادلة توزيع الفيء، فبينما كانت الغنائم توزع على المسلمين، وفق معيار الأقرب نسباً للرسول (ﷺ)، و الأسبق في الإسلام، الأمر الذي أدى لحدوث حالة طبقية، لصالح قريش، و على وجه التحديد الصحابة المهاجرين. قلب عليّ المعادلة، ليجعلها لصالح الفاتحين، الذين قاسوا آلام الجهاد، و دخلوا المعارك، و شاركوا في الحروب، و إن ابتعد نسبهم عن الرسول (ﷺ)، أو تأخروا بدخول الإسلام. فعندما جاء عبد الله بن زمعة - و هو من شيعة - يطلب منه مالاً، قال له: «إن هذا المال ليس لي و لا لك، و إنما هو فيء للمسلمين، و جلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم، كان لك مثل حظهم، و إلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم»<sup>٤</sup>.

طبعاً هذا لا يعني أن عهد علي (عليه السلام) كان خالياً من الاختلاسات، كان خالياً من الخيانة لله و لرسوله (ص) من بعض عماله. لقد حدثت هذه التجاوزات، و كان ردّ عليّ

١. نهج البلاغة، رقم (٣)، ص ٣٦٤.

٢. المصدر السابق، رقم (٥)، ص ٣٦٦.

٣. المصدر السابق، رقم (٢٠)، ص ٣٧٧.

٤. المصدر السابق، رقم (٢٣٢)، ص ٣٥٣.

على الدوام عنيفاً، ولم يكن يفضُّ الطرف، كما كان يفعل سلفه.

فعندما بلغه ما بلغه عن عامله المنذر بن الجارود، كتب إليه: «أما بعد، فإن صلاح أبيك غرني منك، وظننتُ أنك تتبع هديته، وتسلُّك سبيله، فإذا أنت - فيما رُقِّي إليّ عنك - لا تدع لهواك انقياداً، ولا تُبقي لآخرتك عتاداً. تعمُر دنياك بخرابٍ آخرتك، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك. ولئن كان ما بلغني عنك حقاً، لجعلُ أهلك و شسعُ نعلِك خيرُ منك!! ومن كان بصفيتك فليس بأهلٍ أن يُسدُّ به ثغراً، أو يُنفذُ به أمر... فأقبل إليّ حين يصل إليك كتابي هذا...»<sup>١</sup>.

وعند ما بلغه عن عامله مصقلة بن هبيرة الشيباني ما بلغه، كتب إليه: «بلغني عنك أمرٌ - إن كنتَ فعلته فقد أسخطتُ إلهك، وعصيتُ إمامك - أنك تقسيمُ فيء المسلمين الذي حازته رماحهم و خيولهم، وأريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتمأك من أعراب قومك. فوالذي فلقَ الحبة، وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقاً، لتجدنَّ عليّ هواناً، ولتخفنَّ عندي ميزاناً...»<sup>٢</sup>.

ماذا كان موقف مصقلة؟ لقد هرب إلى معاوية، وتذكر بعض التواريخ أن سبب فراره هو حياؤه من علي (عليه السلام)، حتى نُقلَ عن عليّ قوله: كُفُوا عن صاحبكم، فليس براجع حتى يموت.<sup>٣</sup> وفي نهج البلاغة، أن علياً قال: «قَبِحَ اللَّهُ مصقلة، فعَلَ فعل السادة، وفرَّ فرار العبيد. فما أنطقَ مادِحُه حتى أسكته، ولا صدَّقَ واصفه حتى أبكته، ولو أقام، لأخذنا ميسوره، وانتظرنا بماله وفوره»<sup>٤</sup>.

التعدّي على بيت المال كان أمراً عادياً قبل أن يستلم عليّ الخلافة، فلم يألُ جهداً في استرجاع الهيبة لبيت المال، وإن كانت ضريبة ذلك أن يفقد أقرب الناس إليه، يفقد أخوه عقيل!

فعندما جاءه عقيل - وهو أعمى فقير، ذو عيالٍ كثيرة - يطلبُ منه شيئاً يسيراً فوق حقه، ماذا صنع عليّ؟ لقد احمى حديدة وقربها من يدِ عقيل، حتى ارتاع الأخير من ذلك.

١. المصدر السابق، رقم (٧١)، ص ٤٦١-٤٦٢.

٢. المصدر السابق، رقم (٤٣)، ص ٤١٥.

٣. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٠٧-١٠٨.

٤. المصدر السابق، رقم (٤٤)، ص ٨٥.



دعونا نتعرف على حيثيات القصة من علي نفسه؛ حيث يقول: «والله، لقد رأيتُ عقيلاً وقد أُمِّقَ، حتى استماحتني من بُرُكْمِ صاعاً، ورأيتُ صبيانهُ شُعَثَ الشعور، غُبرَ الألوان - من فقرهم - كأنما سُودت وجوههم بالعظم، وعاودني مؤكداً، وكرَّر عليَّ القول مُردِّداً، فأصغيتُ إليه سمعي، فظنُّ أني أبيعهُ ديني، وأتبع قياده، مفارقاً طريقي، فأحسيتُ له حديداً، ثم أدنيتها من جسمي، ليعتبرَ بها، فضجَّ ضجيجَ ذي دَنَفٍ من المها، وكاد أن يحترق من ميسمها.

فقلتُ له: تكلتك الثواكل يا عقيل! أتئنُّ من حديداً أحماها إنسانها للعبه، وتجرُّني إلى نارٍ سجَّرها جبارها لغضبه؟! أتئنُّ من الأذى، ولا أتئنُّ من لظى؟!... أصلة؟ أم زكاة؟ أم صدقة؟ فذلك محرَّمٌ علينا أهل البيت.

فقال: لا ذا، ولا ذاك، ولكنها هدية.

فقلت: هبلتك الهبول! أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟ أمختبطُ أنت؟ أم ذو جنة؟ أم تهجر؟ والله لو أعطيتُ الأقاليم السبعة، بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملةٍ أسلبها جلبُ شعيرةٍ ما فعلته، وإن دنياكم عندي لأهونُ من ورقةٍ في فم جرادةٍ تقضمها. ما لعلِّي ولنعيم يفنى، ولذةٍ لا تبقى؟...»<sup>١</sup>

وقد أشرنا - فيما مضى - إلى نتيجة هذا الموقف، وكيف لحق عقيل بركب معاوية؟ وكيف استفاد الأخير من هذا الانشقاق؟

#### ١١. جباية الفياء والصدقات وتوزيعها على مستحقيها

رأينا في ثنايا السطور السابقة أن علياً كان المتابع لولاته، من جهة جبايتهم للسفياء، ووصول الحقوق المالية إلى مستحقيها بالتساوي، طالما أن استحقاقهم لها بالتساوي. ولما عوتب علي التيسوية في العطاء، أجاب: «أتأمروني أن أطلبَ النصرَ بالجور، فيمن وُلِّيتُ عليه؟ والله لا أطور به ما سمر سمير، وما أمَّ نجم في السماء نجماً! لو كان المال لي لسويتُ بينهم، فكيف وإنما المالُ مالُ الله؟!...»<sup>٢</sup>

١. المصدر السابق، رقم (٢٢٤)، ص ٣٤٦-٣٤٧.

٢. المصدر السابق، رقم (١٢٦)، ص ١٨٣.

و لم يكتف بما ورد إلى يده في عهده، بل رد على المسلمين القطنع التي اقتطعها عثمان على خاصته، قائلاً: «والله، لو وجدته قد تزوج به النساء، ومُلك به الإمام، لرددته، فإن في العدل سعةً. ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيْق!»<sup>١</sup>.

## ١٢. التمييز بين الأخيار والأشرار

إن كان الخليفة السابق قد ميّز بين قرابته والأبعدين، ففضّل القرابة وإن كانوا أشراراً، و أقصى الأبعدين وإن كانوا أخياراً، فإن علياً ميّز بين الأخيار والأشرار، و لم تكن للقرابة عنده قيمة، إن لم تُشفع بتقوى الله و عمل الصالح. بل بعدما ميّز بين هذا و ذلك، ميّز أيضاً بين السوء والأسوأ، بين المنحرف والأكثر انحرافاً، بين الضال بسبب الجهل والضال عن قصد، بين من يرجى عودته إلى الصواب، و من لا يرجى منه ذلك.

فقد أوصى بعدم مقاتلة الخوارج بعده، قائلاً: «لا تُقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحقّ فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه». و يقصد بالطالب للباطل معاوية و أصحابه، و قد يُفهم من هذه العبارة أنها وصية - على نحو غير مباشر - بمواصلة القتال ضد معاوية.

و عندما أرسل عبد الله بن عباس إلى الناكشين، يستفيئهم إلى طاعته، طلب منه أن يلقّ الزبير دون طلحة، لأن طلحة ينكر الحق، و إن كان كالشمس في رابعة النهار، فلا يمنعه من الانكار و ضوحه، و لا ينفع معه التذكير. قال علي (عليه السلام): «لا تلقين طلحة، فإنك إن تلقه تجده كالثور، عاقصاً قرنه، يركب الصّعب، و يقول: هو الذّلّول. و لكن القّ الزبير، فإنه ألبين عريكة، فقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتنى بالحجاز، و أنكرتنى بالعراق، فما عدا مما بدا»<sup>٢</sup>.

## ١٣. إعمال الرفق في غير ترك الحق، فيكون للرعية كالوالد الرحيم

عندما تقول أن علياً ميّز بين الأخيار والأشرار، ثم ميّز بين الأشرار أنفسهم، فهذا لا يعني أنه يُتمّ الحجة عليهم بالموعظة و التذكير، و لا يعني أنه كان يتعامل مع الأشرار بقسوة غير مبررة. بل إن رسائله و خطبه، تحمل الكثير من الرحمة و الحنان، و الشفقة و التنبيه، حتى مع الدّ خصومه، لم يترك الرفق، إلا بعد أن أصبح الرفق يعني ترك الحق.

١. المصدر السابق، رقم (١٥)، ص ٥٧.

٢. المصدر السابق، رقم (٣١)، ص ٧٤.

ففي رسالة له لمعاوية يقول: «... فاتَّقِ اللَّهَ يا معاوية في نفسك، و جاذِبِ الشيطان قيادك، فإنَّ الدنيا منقطعةٌ عنك، والآخرةُ قريبةٌ منك، والسلام»<sup>١</sup>.

أما الخوارج، فقد بالغ علي - قبل أن يشرع في حربهم - في تنبيههم و تذكيرهم، لعلهم يرجعون. وبالفعل، فقد رجع عددٌ منهم قبل شروع المعركة، بفترة و جيزة. فقد قال لهم: «.. أنا نذيرٌ لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر، و بأهضام هذا الغائط، على غير بيئة من ربيكم، و لا سلطان مبین معكم...»<sup>٢</sup>.

و سألهم: «أكلُّكم شهد معنا صفين؟ فقالوا: منا من شهد، و منا من لم يشهد. قال: فامتازوا فرقتين، فليكن من شهد صفين فرقة، و من لم يشهدا فرقة، حتى أكلُّم كلاً منكم بلكلامه. و نادى الناس، فقال: أمسكوا عن الكلام، و أنصتوا لقولي و أقبلوا بأفئدتكم إليّ، فمن نشدناه شهادةً فليقل بعلمه فيها.

ثم كلّمهم - عليه السلام - بكلام طويل من جملته أن قال عليه السلام: ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف - حيلةً و غيلةً، و مكرًا و خديعةً - إخواننا و أهل دعوتنا؟... فقلتُ لكم: هذا أمرٌ ظاهره إيمان، و باطنه عدوان... فأقيموا على شأنكم، و ألزموا طريقتمكم؟...»<sup>٣</sup>.

و حتى عندما اضطر إلى حرب الناكثين و القاسطين و المارقين، لم يأذن لأصحابه بأن يحاربوا كيفما اتفق، بل ألزمهم بأدب الحرب، و الضوابط الأخلاقية و الإنسانية في التعامل مع الخصوم. لقد قال لأصحابه: «لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم، فإنكم - بحمد الله - على حجة، و ترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجةٌ أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله، فلا تقتلوا مُدبراً، و لا تصيبوا معوراً، و لا تجهزوا على جريح، و لا تُهيجوا النساء بأذى - و إن شتمنَّ أعراضكم، و سببنَّ أمراءكم - فإنهنَّ ضعيفات القوى و الأنفس و العقول...»<sup>٤</sup>.

أما معاملة علي لرعيته فالأمر فيه أوضح، فلم يكن هو بنفسه رحيماً شقيقاً عليهم فقط، بل كان يوصي عمّاله على الخراج أيضاً بأن يعاملوهم بالحسنى. ففي رسالة وجهها إلى عمّاله على الخراج يقول: «... أنصفوا الناس من أنفسكم، و اصبروا لحوائجهم، فإنكم خزائن الرعية، و وكلاء الأمة، و سفراء الأئمة، و لا تُحسموا أحداً عن حاجته، و لا تحبسوه عن طلبته... و لا تضربنَّ أحداً سوطاً لمكان درهم، و لا تمسنَّ مال أحدٍ من الناس، مُصلِّ

١. المصدر السابق، رقم (٣٢)، ص ٤٠٦.

٢. المصدر السابق، رقم (٣٦)، ص ٨٠.

٣. المصدر السابق، رقم (١٢٢)، ص ١٧٨-١٧٩.

٤. المصدر السابق، رقم (١٤)، ص ٣٧٣.

ولا معاهد، إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يُعدى به على أهل الإسلام...»<sup>١</sup>  
 وفي رسالة رائعة بعث بها لمن استعمله على الصدقات، يقول: «... لا تُرو عن مسلماً.  
 ولا تجتازنَّ عليه كارهاً، ولا تأخذنَّ منه أكثر من حقِّ الله في ماله، فإذا قدمت على الحي،  
 فانزل بمائهم، من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امضي إليهم بالسكينة والوقار، حتى تقومَ بينهم  
 فُتسَلِّمَ عليهم... ثم تقول: عباد الله، أرسلني إليكم وليُّ الله و خليفته، لآخذَ منكم حقَّ الله  
 في أموالكم... فإن قال قائل: لا، فلا تُراجعه، وإن نعم، فانطلق معه، من غير أن تُخيفه أو  
 توعده أو تعسفه أو تُرهقه... فإن كانت له ماشية أو إبل، فلا تدخلها إلا بإذنه... ولا تُفرنَّ  
 بهيمة، ولا تُفزعنها... فإذا اختار، فلا تعرضنَّ لما اختاره...»<sup>٢</sup>

خاتمة:

قلنا في هذا البحث أن العدل يعني إعطاء الحق، والظلم هو سلبُ الحق. والعدل  
 السياسي هو أن يعطي كلُّ من الحاكم والمحكوم حق الطرف الآخر. و ذكرنا الواجبات  
 الملقة على عاتق الحاكم، كما ذكرنا الواجبات المتعيّنة على المحكوم. ثم انطلقنا نبحث  
 عما إذا كان المسلمون في عهد علي (عليه السلام) قد التزموا بواجباتهم تجاه علي، وبالتالي كانوا  
 عدولاً في حقِّه؟ أم أنهم سلبوا حقَّ حاكمهم و ظلموه؟ و رأينا أن الأكثرية الغالبة سلبت  
 حقَّ علي (عليه السلام) في الطاعة، فإما خرجت عليه قاسطة أو ناكثة أو مارقة، أو مستخفية و  
 معتزلة، و هو في أمس الحاجة إلى الناصر والمعين. ثم انتقلنا لنبحث عما إذا كان علي قد  
 التزم بواجباته تجاه المسلمين، وبالتالي كان عادلاً في حقِّهم؟ أم أنه سلبهم حقِّهم و  
 ظلمهم؟ و رأينا أن علياً لم يتوان عن أداء أي واجب من واجباته تجاه المسلمين. و  
 يلخص لنا علي هذه المعادلة بقوله: «... إني أريدكم لله، وأنتم تريدونني لأنفسكم...»<sup>٣</sup>  
 و ننتهي إلى أن الظلم الذي وقع على علي - مع لحاظ خصوصية علي واللحظة  
 التاريخية التي عاشها المسلمون - لم يقع في تاريخ الإسلام على أي كائن على الإطلاق.  
 ولعلَّ هذه المظلومية هي التي خلّدت علياً، و ما زالت تخلّده، و ستظل تخلّده إلى ما شاء  
 الله.

١. المصدر السابق، رقم (٥١)، ص ٤٢٥.

٢. المصدر السابق، رقم (٢٥)، ص ٣٨٠-٣٨١.

٣. المصدر السابق، رقم (١٣٦)، ص ١٩٤.

تتجلى هذه المظلومية في الليلة التي ضُرب بها، حيث يحدثنا عن حلم رآه، فيقول: «ملكنتني عيني وأنا جالس، فسنح لي رسولُ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقلتُ: يا رسول الله، ماذا لقيتُ من أمّتك من الأود واللّدد؟ فقال: ادعُ عليهم، فقلتُ: أبدلني الله بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شرّاً لهم مني»<sup>١</sup>.

وهدانا الله وإياكم لما يُحبّ وَيَرْضَى

#### المصادر

١. ابن قتيبة الدينوري الإمامة والسياسة، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، لبنان.
٢. الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي، تحقيق د. صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، ١٩٨٢، لبنان.
٣. عباس محمود العقاد، عبقرية الإمام علي، دارالكتاب العربي، ١٩٦٧، لبنان.
٤. محمدباقر الصدر، أهل البيت تنوّع أدوار و وحدة هدف، مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هج، إيران.
٥. مرتضى المطهري، العدل الإلهي، ترجمة محمد عبدالمنعم الخاقاني، الدار الإسلامية.



## الحقوق السياسية عند الامام علي (عليه السلام) من منطلق العدالة

الاستاذ أحمد صبري السيد علي

مصر

من المؤكد أن أي حقوق لا بد أن تكون مستندة على قاعدة تستمد منها شرعيتها ووجوبه مراعاتها.

وإذا كانت الحقوق السياسية لدى الحضارتين اليونانية والرومانية قد إستندت بشكل واضح إلى حسابات مصالح طبقة واحدة مسيطرة على الأوضاع\* فإن الحضارة الغربية الحالية والتي ورثت أفكار ونظم هاتين الحضارتين قد صاغت هذه الحقوق على قاعدة الإيمان بمعادلات المنفعة وحسابات الربح والخسارة.<sup>١</sup>

فالأنظمة الشيوعية — الإتحاد السوفيتي السابق على سبيل المثال — رغم كل ما تتسم به من حرص على الدفاع عن الطبقات لكادحة «البروليتاريا» إلا أنهم — وفي سبيل ضمان بقائهم في السلطة للأبد — قاموا بفرض الوصاية السياسية على شعوبهم وحرموها كل الاتجاهات المعارضة — حتى لو كانت شيوعية — والتي وصموها بالرجعية والتخلف<sup>٢</sup> كما واصلت هذه الأنظمة نفس السياسات الاستعمارية القديمة للبورجوازية لحسابها الخاص من منطلق إهتمامها باستغلال المستعمرات، وأصبحت الحقوق السياسية مكفولة فقط لطبقة البروليتاريا الموالية للحزب الشيوعي الرسمي.<sup>٣\*</sup>

أما الليبراليون الديمقراطيون فمع حرصهم على منح المواطنين الحرية السياسية المطلقة فإنهم لم يمنحوهم — وعن عمد — أي حماية إجتماعية في مواجهة أصحاب رأس المال المسيطرين تماماً على إقتصاديات البلاد والمتحكمين بالتالي في قراراتها السياسية ساعين دوماً توجيهها نحو خدمة مصالحهم مشكلين ما يُسمّى بديمقراطية الرأسماليين، وبذلك تتحول وعود السياسي لناخبيه من الطبقات المطحونة بتحسين

ظروفهم المعيشية إلى سراب بسبب حاجة السياسيين - في الدول الليبرالية - لتأييد  
 الرأسماليين كضمان لبقائهم في الحكم وهو ما يعترف به جيمس كافيل المستشار السابق  
 لبل كلينتون فيقول: في السابق كنت أمّني نفسي وأقول، لو ولدت، فسأود أن أكون رئيساً  
 أو بابا. أما الآن فإني أود أن أكون سوق مال: إذ سيكون بإمكانني أن أهدد من أشاء\*<sup>٤</sup>  
 وربما يصدق وصف هوبوت ماركيز للحضارة الليبرالية «الواقع أن الأنظمة الليبرالية  
 الراهنة ما هي في جوهرها إلا أنظمة شمولية من نوع جديد وإن زعم أنصارها غير ذلك  
 فالمواطن في ظلها يجد نفسه مشود الوثاق إلى عجلة هائلة من التنظيمات الإنتاجية لا  
 يستطيع منها فكاكاً»\*<sup>٥</sup>.

ويكمن تفرّد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حقيقة كونه السياسي الوحيد الذي  
 حارب تلك القاعدة مُقيماً الحقوق السياسية من منطلق قاعدة جديدة.. هي العدالة.  
 وقد عرّف الحكماء العدالة بأنها: - إنقياد العقل العملي النظري<sup>٦</sup>. وقد عرّفوا العقل  
 النظري بأنه: -.. إن السعادة القصوى وغاية الغايات أعني التحلي بحقائق مستندة إليه.  
 وأيضاً إدراك ما هو خير الصلاح من شأنه فهو المرشد والدليل لعقل العملي في تصرفاته<sup>٧</sup>.  
 وبالتالي فقد تمّ تعريفُ العقل العملي بأنه: - إستعمال جميع القوى حتى العاقلة على  
 النحو الأصح موكول إليه<sup>٨</sup>.

وعلى صعيد الممارسات السياسية ترتبط هذه التعريفات بالحاكم - أيّاً كانت صيغة  
 الحاكم - المكلف بإقامة العدالة في تطبيقه للقوانين. وهو ما يجد علاقة متلازمة بين  
 وجود الحاكم العادل ووجود الشريعة العادلة المعصومة بحيث ينتفي الإثنان في حالة  
 إنتفاء أحدهما. فلا مجال لإطلاق مصطلح العدالة على الحاكم الملتزم بتطبيق شريعة  
 تعاني جوانب من الخلل والذي يتسبب في وجود نوع من الظلم الواقع على المواطنين، و  
 على هذا فقد اعتبر علماء الأخلاق أن الشريعة العادلة هي العادل الأول - من العدول  
 الثلاثة - والحاكم العادل هو العادل الثاني: - «الأول» العدل الأكبر، وهو الشريعة الإلهية  
 الصادرة من عند الله سبحانه لحفظ المساواة. «الثاني» العادل الأوسط، وهو الحاكم  
 العادل للنواميس الإلهية والشريعة النبوية فإنه خليفة الشريعة في حفظ المساواة...<sup>٩</sup>.

وعلى ذلك فإن الشريعة المعصومة المتكاملة في رأي الإمام علي (عليه السلام) هي الشريعة  
 الإسلامية بمصدرها، الكتاب والسنة النبوية: -.. وأنزل عليكم الكتاب تبيناً لكل شيء،  
 وعمر فيكم نبيه أزماناً، حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه، دينه الذي رضي لنفسه،



وأنتهى إليكم على لسانه، محابه من الأعمال ومكارهه ونواهيه وأوامره، وألقى، إليكم المعذرة، وأتخذ عليكم الحجة، وَقَدَّمَ اليكم بالوعيد، وأنذركم بين يدي عذاب شديد<sup>١٠</sup> و يقول: - بعث رسولاً هادياً بكتاب ناطقٍ وأمر قائم<sup>١١</sup> و يقول حول تكامل الشريعة الإسلامية: - فالقرآن أمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه، أتخذ عليهم ميثاقهم، وارتهن عليهم أنفسهم، أتم نوره وأكرم به دينه، وقبض نبيه (ﷺ) وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به، فعظموا منه سبحانه ما عظم به من نفسه، فإنه لم يخف عنكم شيئاً من دينه، ولم يترك شيئاً رضىه أو كرهه، إلا وجعل له علماً بادياً وآية محكمة، تزجر عنه أو تدعو إليه، فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد<sup>١٢</sup>.. وبالتالي فإن الشريعة الإلهية لا تحتل أي تداخل أرضي ولا تحتاج إلى الاكتمال عن طريق الاجتهادات البشرية: - إن كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) لا يحتاج معهما إلى أجيري (عادة) أحد<sup>١٣</sup>.

و مع وجود الشريعة الإلهية العادلة والمعصومة يصبح تطبيق الحاكم للعدل غرضاً وحيداً في حد ذاته: - أَمَا الَّذِي خَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا يِقَارُوْا عَلَى كُفَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغْبَ مَظْلُومٍ، لِأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلِسَقَيْتُ أُخْرَهَا بِكَأْسِ أَوْلِهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَقْطَةِ عَنزٍ<sup>١٤</sup>.

ويقول: - اللهم إِنَّكَ تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسةً في سُلْطَانٍ وَلَا إِيْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فَضُولِ الْحُطَّامِ. وَلَكِنْ لِنَرْدِ الْمَعَالِمِ مِنْ دِينِكَ وَنَظْهِرِ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنُ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَمُ وَتَقَامُ الْمَعْظَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ<sup>١٥</sup>.

وهي بهذا وظيفة إلهية لا مجال للتراجع عن تطبيقها أو الحياد عنها لأي سبب من الأسباب حتى لو كان في سبيل إحراز نصر.

يقول علي (عليه السلام): - بئس الزاد إلى المعادِ العدوانُ على العبادِ<sup>١٦</sup>، ويقول: - الحقُّ قديمٌ لا يبطله شيءٌ والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك بها الإماء لرددته فإنه في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق<sup>١٧</sup> ويقول: - أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله ما أطور به ما سمر سمير<sup>١٨</sup>.

و تقرر الرويات عن الامام علي (عليه السلام) رفضه التمام لاستخدام الإنتهازية أو الميكيافيلية (الغابة تبرز الوسيلة) كأسلوب للتعامل السياسي بديلاً عن العدالة: - قد يرى

الحول القلب وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين<sup>١٩</sup>.

ويقول :- والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس<sup>٢٠</sup>.

فمع وجود شريعة إلهية نبوية عادلة لا يوجد أمام الحاكم خيارات اللجوء إلى أساليب بديلة في التعامل السياسي حيث يتساوى هذا اللجوء مع العصيان الذي ينافي العدالة المفروض تواجدها في شخصية الحاكم.

ومن الممكن تقسيم عدالة الحاكم - الذي تكتمل العلاقة السياسية الطبيعية بوجوده كما أسلفت - إلى قسمين

الأول :- العدالة الخلقية.

الثاني :- العدالة السياسية.

#### أ- العدالة الخلقية :-

يُعبّر علي (عليه السلام) عن العدالة الخلقية في كلمته لمالك الأشتر واليه على مصرّ :- أنصف الله وأنصف الناس من نفسك<sup>٢١</sup>.

فالعدالة الخلقية هي انصاف الحاكم لله من نفسه، وهي تتطلب إمتلاك الحاكم للفضائل فطرياً وبالتالي إمتلاكه للعدالة حيث يرى علماء الأخلاق أنها جامعة لجميع الفضائل<sup>٢٢</sup>.

يرى علي (عليه السلام) أن امتلاك الحاكم للفضائل في ممارساته الحياتية الخاصة أو الوظيفة يمنحه نتيجتين، الأولى: انتشار القيم الأخلاقية والروحية داخل الأجهزة الحكومية التابعة لإدارته ومن ثم إنتشارها بالتبعية بين القطاع العريض من الأفراد.

والثانية: إكتسابه - الحاكم - مصداقية تطبيق القوانين - الشريعة الإلهية - بشقيها الروحي والعملي على الأفراد من منطلق إلتزامه شخصياً بها.

يقول علي (عليه السلام) :- السلطان الفاضل هو من يحرس الفضائل ويحرم بها لمن دونه ويرعاها من خاصته وعامته حتى تكثر في أيامه ويتحسن بها من لم تكن فيه<sup>٢٣</sup>.

ويقول :- يا أيها الناس إنني والله ما أحثكم على طاعة إلا أسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا أتأهني قبلكم عنها<sup>٢٤</sup>.

و يقول :- من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن

تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ٢٥.

و يقول :- أقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في خشوبة العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها. ٢٦.

والواقع إن النص الأخير يشير:- إضافة إلى النتائج السالفة - إلى النتيجة المحتومة لإلتزام الحاكم بالعدالة كفضيلة جامعة للفضائل .

ويلفت علي (عليه السلام) نظر المواطنين إلى خطورة إختياراتهم لحكام لا يتصفون بالفضيلة:- وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلمهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم والا المرتشي بالحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة ٢٧.

حيث يؤكد أن الحاكم الفاسد يفسد الأمة بفساده:- فليست تصلح الرعية إلا بصلاح ولايتها ٢٨.

و يتخذ هذا الإلتزام بالفضائل من قبل الحاكم شقاً آخر حيث تنعدم الفجوات بين أقواله وانجازاته أو أفعاله :- إنما الأجر في القول باللسان والعمل بالأيدي والأقدام ٢٩. و يقول في خطبة توليه الخلافة:- ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم ٣٠. محرراً المواطنين على محاسبته بما يتعهد به .

#### ب - العدالة السياسية

تمثل العدالة السياسية الشق الثاني من قول الإمام علي السالف الذكر:- أنصف الناس من نفسك. وتشمل هذه العدالة المساواة المطلقة بين المواطنين من جهة، ورفض استخدام التعسف والعنف في تطبيق الشريعة العادلة.

#### أ - المساواة المطلقة

تتضمن التساوي و عدم التفرق بين جميع عناصر المجتمع وطبقاته لأي سبب سوى الإلتزام بالجوانب الروحية والعلمية للشريعة الإلهية العادلة فلا مجال للتمييز بين المواطنين لأسباب الحرية والعبودية، يقول علي (عليه السلام):  
أيها الناس إن آدم لم يلد عبداً ولا أمة، وإن الناس كلهم أحرار ٣١.

ويقول :- فليس لأحد من خلق الله عندنا فضل إلا بطاعة الله وطاعة رسوله ٣٢ .  
ويقول في كتابه إلى عبد الله بن العباس بولاية البصرة :- سِعَ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ  
وَحَكْمِكَ ٣٣ و يقول في رسالة وجهها إلى الأسود بن قطيبة :- أَمَا بَعْدُ فَإِنِ الْوَالِي إِذَا  
أَخْتَلَفَ هَوَاهُ مِنْعَهُ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْعَدْلِ. فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء فإنه ليس  
في الجور عوض من العدل ٣٤ و يقول في عهده إلى محمد بن أبي بكر حين ولاءه علي  
مصر :- وَأَسْ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحِظَةِ وَالنَّظْرَةِ حَتَّى لَا يَطْمَعِ الْعِظْمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَلَا يَبْأَسُ  
الضعفاء من عدلك بهم ٣٥ . و يقول في عهده لمالك بن الحارث الأشر :- إِنْهُمْ صَنَفَانُ -  
المواطنين - إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ ٣٦ و يقول في نفس العهد :-  
أَنْصَفَ اللَّهُ وَأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمَنْ خَاصَةَ أَهْلِكَ وَمَمَّنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رِعْيَتِكَ  
فإنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ٣٧ .

### ب - رفض التعسف والعنف في تطبيق الشريعة العادلة

حيث تؤكد وصايا علي (عليه السلام) لولائه علي أهمية استخدام الحاكم للرحمة والعفو في  
تعاملاته مع مواطنيه :- وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم. ولا تكون  
عليهم سُبُعًا ضَارِيًا تَغْتَمُ أَكْلَهُمْ... فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ مِثْلَ الَّذِي تَحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ  
عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ. ٣٨ و يقول :- أَخْفِضْ لِلرَّعِيَةِ جَنَاحَكَ، وَالْأَنْ لَهُمْ جَانِبُكَ ٣٩ .  
يشدّد علي (عليه السلام) على استخدام الرحمة في تطبيق القوانين على أفراد الشعب.  
وعدم التعسف والعنف في استخدام السلطات (لا تكونن عليهم سُبُعًا ضَارِيًا) كما يحدد  
المكاسب الروحية والدينية الناتجة عن تطبيق الحاكم لعناصر الرحمة.  
فمن الناحية الروحية يقول (فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تَحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ  
مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ) فيشير إلى وجود تلازم ثابت بين القدر الذي يمنحه الحاكم  
للمواطنين من الرحمة، وبين القدر الذي يرغب في الحصول عليه من الرحمة الإلهية في  
الحساب الأخروي، فإنه بالمقابل يوجه إليه تحذيراً من جراء عدم تطبيقها المؤدي  
بالضرورة إلى حرمانه من الرحمة الإلهية في الآخرة.

أما المكاسب الدنيوية والتي تمثل النفع السياسي العائد على الحاكم، فإن علي (عليه السلام)  
يؤكد على الرحمة - كعنصر مشتق من العدالة - هي الوسيلة الفعالة لإستقرار الحكومة  
وتثبيت دعائمها وقدرتها على خدمة الأفراد ويشير في هذا المجال إلى عنصرين من  
عناصر الرحمة أعتبرهما الأكثر أهمية (الحلم، اللين) يقول علي (عليه السلام) :- أول عوض

الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل<sup>٤٠</sup>؛ - بالحلم عن السفيه تكثر الأنصار عليه<sup>٤١</sup>؛ - الحلم عشيرة<sup>٤٢</sup>.

يقول: وأخفض للرعية جناحك وألن لهم جانبك

إن القاعدة التي بنى عليها علي (عليه السلام) الحقوق السياسية إعتمدت في الأساس على إيمان الحاكم بها كمتعقد وكونها شعيرة دينية لا بد من تأديتها والحرص على الحفاظ عليها إنطلاقاً من ذات الحاكم وليس انحناء لضغط سياسي أو منفعة معينة تحركها رغبة الحكام في الإستئثار بمقعد الحكم والسلطة، يقول علي (عليه السلام): - لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر. وما أخذ الله على العلماء ألا يقرروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلاً على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولا أفيتم دنياكم هذه أزهدي عندي من عفة عنز<sup>٤٣</sup>.

## الحقوق السياسية عند الحضارات السابقة

الديمقراطية الأثينية\*

لقد حازت أثينا فضلَ السبق في التوصل إلى أقدم نظام ديمقراطي يقوم على قاعدة حُكم الشعب ويكفل لكل مواطن حقوقاً كاملة مهما كان انتماءه الطبقي، بشكل إقتراب من التكامل. على الرغم من أنها بدأت تاريخها كمدينة تسيطر عليها الطبقة الأرستقراطية عبر قوانين كانت على الدوام تصب في خدمتها.

فقد كان حكام المدينة يتم انتخابهم سنوياً من بين الأسر النبيلة فقط. بواسطة مجلس يتكون من كافة مواطني المدينة الذكور والذين بلغوا درجة معينة من الثراء. وكان هؤلاء الحكام يصبحون أعضاء في مجلس الأوريوباجوس حيث يضمون بقائهم عاماً في الحكم<sup>٤٤</sup> وبالتالي فقد إستبعدت الطبقات المتوسطة والفقيرة من المشاركة في حكم البلاد ولو رمزياً. كما عانى المجتمع الأثيني من الهوات البالغة الإتساع التي فصلت بين الإغنياء والفقراء. وإضطراب الآخريين إلى الإستدانة من الأغنياء المرابين لتحمل أعباء معيشتهم. وهو التصرف الذي كان يؤدي في أغلب الأحوال إلى عجز الفقير عن سداد دينه بالتالي حق الدائن في استعباده بل ويبيعه في سوق الرقيق<sup>٤٥</sup>.

و خوفاً من قيام نزاع عنيف بين من يملك و من لا يملك منح سولون سلطات

دكتاتورية للإصلاح. فقام بإلغاء شرط مؤهل نبيل المولد في انتخاب حكام المدينة واستبدله بمؤهل الملكية العقارية. كما قضى تماماً على العرف القاضي باستعباد الناس بسبب الديون وأعاد المواطنين الذين بيعوا للخارج. وقام بتحديد الملكية الخاصة للأراضي.

ورغم أن تشريعات سولون لم تسوّ بين المواطنين الأثنيين ولم تعطِ الفقراء الكثير من الحقوق، إلا أنها ساهمت في الحد من بعض السلطات الخاصة بالنبلاء<sup>٤٦</sup>. وبداية من عهد بركليس - أبرز ساسة أثينا - زادت الإصلاحات التي هدفت في المقام الأول إلى زيادة الحقوق والسلطات الممنوحة للعامة في مقابل الحد من النفوذ الإرسطراطي.

فأصبح حق العضوية في جمعية الإكليزيا (الشعب) مكفولاً لكل المواطنين الذكور البالغين الاحرار. و صار اختيار الحكام يتم عن طريق الإقتراع بين المرشحين الأكفاء المتقدمين بأسمائهم وكان لجمعية الشعب سطة صارمة على القواد العشرة الذين تنتخبهم لإدارة شئون المدينة ويتلقون عنها تعليمات محددة و يعد الخروج عليها مجازفة تعرضهم للخطر. ولم تكن مهمة الجمعية البت في المسائل السياسية العامة فحسب، بل كانت تتخذ قرارات مفصلة في كل مجالات الحكومة في الشئون الخارجية والعمليات العسكرية والشئون المالية. كما أنشئ مجلس يسمى مجلس الخمسمائة وينتخب سنوياً بالإقتراع من جميع القرى في أثينا بنسبة إتساعها، حتى تشكل هيئة تمثل الشعب كله تمثيلاً عادلاً ولهذا المجلس مهمتان رئيسيتان: الأولى 'الإشراف على نشاط الحكام وتنسيق جهودهم، والثانية إعداد جدول أعمال الجمعية.

ولم يكن من الممكن بأي حال عرض أي إقتراح على الجمعية ما لم يكن المجلس قد أدرجه في جدول الأعمال، وأنشئت أيضاً المحاكم الشعبية لحماية الدستور و كان المحلفون بها يختارون لكل دعوى من بين ٦٠٠٠ مواطن ينتخبون بالقرعة سنوياً.

ولم تقتصر هذه المحاكم على الفصل في القضايا الشخصية بل شمل إختصاصها البت في المسائل السياسية الخاصة باتهامات الإختلاس و سوء التصرف التي توجه ضد الحكام عند تركهم الخدمة كذلك تهمة الخيانة العظمى وتضليل الشعب الموجهة لأي من مواطني المدينة<sup>٤٧</sup>. وكان من الممكن أن يفقد أي مواطن حقوقه في حال قيامه بأي مخالفة مثل عدم سداد دين الخزانة<sup>٤٨</sup>.

كما تقرّر في عهد ديموشينيس إلغاء إعفاء الأغنياء من أعباء الخدمة العامة (الليتورجيا) والتي كانت قاصرة على الفقراء فقط<sup>٤٩</sup> ومع ذلك فقد ظلت الديمقراطية الأثنية غير كاملة بسبب إقتصارها في منح حقوقها على المواطنين الأثنيين الذكور فقط ومنعها للمهاجرين والنساء والعبيد من بعض هذه الحقوق.

فالمهاجرين منعوا من أداء الحقوق السياسية ومن امتلاك الأراضي إضافة لزيادة الضراب المفروضة عليهم عن الضرائب المفروضة على نظراهم ذوي الأصل الأثيني الخالص. وكان لزاماً على المهاجر كي يضمن لأبنائه من بعده المواطنة الكاملة أن يتزوج أثينية بناء على القانون الذي صدر سنة ٤٥١ ق. م. واعتمد الحسب من جهة الأم إضافة للأب بطبيعة الحال<sup>٥٠</sup>.

أما النساء فلم تكن لهنّ أية حقوق سياسية حيث خضعن لنظام الوصاية في التصرف سواء وصاية الأب أو من يحل محله من أهلنّ. وبعد الزواج يخضعن لوصاية الزوج ثم الابن البكر أو أحد أقارب الزوج حسبما يحدده في وصيته عند موته. وفي حالة عدم وجود وصي قانوني أو وصي مختار لأي سبب فعلى المرأة أن تطلب من القضاء أن يعين لها وصياً وأن يحدد له مدى للتصرفات<sup>٥١</sup>.

أما العبيد والعبيد المحررين فلم يكن لهم الكثير من الحقوق بسبب اشتراط حرية الأب والأم في ممارسة الحقوق السياسية والمدنية<sup>٥٢</sup>.

### الجمهورية الرومانية

تعد الجمهورية الرومانية هي الوريث الشرعي لنظم الحكم الإغريقية. رغم اختلاف طابع المدينة اليوناني عن طابع الإمبراطورية الرومانية. إضافة إلى تميز النظم السياسية الرومانية بالتطور الدائم حسب الظروف والملابست التي تواجهها. وإذا كانت الديمقراطية الأثينية قد أسست بناء على رغبة جميع فئات المدينة في عدم نشوب نزاع داخلي بين أبنائها، فإن الجمهورية الرومانية قامت كنتيجة للصراع بين طبقة الأشراف (البطارقة) و بين آخر الملوك الرومان تاركوينيوس الذي بالغ في الإستئثار بالسلطات والإنفراد بالحكم ممّا أثار خوف الأشراف على مكانتهم أولاً وعلى مصالحهم ثانياً.

و عقب انتصار الأشراف تم إقامة النظام السياسي الجديد على قاعدة ثنائية الحكم حيث يقوم مجلس الشيوخ بانتخاب حاکمان يطلق عليهما اسم القنصلين، لمدة سنة واحدة على أن يراقب الثاني أعمال الأول وكانت مهمتهما تشابه إلى حد كبير مهمة الملك

فهما مكلفان برعاية الأمن، إستتباب النظام في الدولة، و تعيين الهيئتين القضائيتين الأساسيتين في الجمهورية و دعوة مجلس الشيوخ للإنعقاد وترأس إجتماعاته وتنظيم الجيوش وقيادتها في الحرب وكانا يتناوبان تولي القيادة يوماً فيوماً. وبعد انتهاء مدة حكمهما كانا يُعينان عادةً حُكَّاماً للمقاطعات<sup>٥٣</sup>.

بمرور الزمن وبسبب كثرة الحروب التي خاضتها روما فيما بعد إضطر الرومان للتفكير في جعل السلطة كاملة في شخص وإنما لمدة محددة أطلق عليه لقب الدكتاتور حيث يمارس سلطة مطلقة لمدة ستة أشهر في أوقات الطوارئ، ويختار غالباً من بين القناصل السابقين<sup>٥٤</sup>.

أما مجلس الشيوخ - وهو رمز عظمة الشعب الروماني - فهو المسيطر الأول على الأمور في روما ونستطيع القول بإطمئنان أن روما كانت دولة برلمانية تماماً رغم أن المجلس لم تكن له أي سلطات تنفيذية، وكان القناصل هم الذين يقومون بتعيين أعضائه وبالتالي يمكننا أن نتخيل حجم المجاملات التي تمت بسبب هذه الصلاحية حتى تقرر سنة ٣١٨ ق. م. تحويل حق تعيين الشيوخ إلى مراقبي الإحصاء (القونسورس) وتستمر عضوية الشيوخ مدى الحياة إلا إذا ارتكب العضو عملاً مشيناً في سلوكه العام أو الخاص وقد حدد الدستور الروماني مهمات مجلس الشيوخ وصلاحياته بثلاث. الشورى، وهو دور المجلس الأساسي سواء في العهد الملكي أو العهد الجمهوري حيث كان الحاكم يدعو المجلس للإنعقاد ويقرر جدول الأعمال ثم يدعو بعد مناقشة المشاريع إلى التصويت الإسمي - المناداة بالأسماء - برفع الأيدي أو القيام والقعود وبدون رأي المجلس في محضر وهو مجرد رأي استشاري يحق للحكام الاعتراض عليه ورفضه كما كان لهم حق النقض Veto لهذه القرارات أيضاً.

ثم الحكم بالوكالة في حالة موت القناصل أو إقالتهم لنقص في شرعية إنتخابهم. وأخيراً الوصاية وهي الصلاحية الأكثر غرابة حيث أعطيت الحق لبعض أعضاء مجلس الشيوخ ممن يدعون (آباء) حق الوصاية على الشعب الروماني تماماً كحق الوالد على أبنائه<sup>٥٥</sup>. وهو حق يظهر بشكل واضح مدى سيطرة الأشراف على الأمور في الجمهورية الرومانية.

أما الطبقات الأخرى فرغم أنهم استطاعوا تكوين هيئة تمثلهم في الدولة وهي الجمعية الشعبية والتي كانت تقوم في البداية بتعيين القناصل إلا أن الأشراف المسيطرين على



مجلس الشيوخ استطاعوا الحصول على هذا الحق ثم أصبح من حق مجلس الشيوخ نقض قرارات الجمعية الشعبية ومن ثم أصبحت هذه الجمعية مجرد محكمة يلجأ إليها المواطنون ليستأنفوا أمامها ما صدر عليهم من الأحكام بالإعدام أو بالنفي أو بالجلد أو بدفع غرامات كبيرة.

واحتفظت أيضاً حتى نهاية عهد الجمهورية بحق الشهادة على الوصايا وحالات التبني والفصل في شرعية التبني، وكان التصويت في الجمعية الشعبية يتم بالمناداة علناً إما برفع الأيدي أو الوقوف، وكان لكل كورة من الكور العشر بروما صوت واحد فقط يمثل رأي غالبيتها، وقد استطاع الأشراف اختراق الجمعية من الداخل عن طريق نفوذهم الذي فرضوه على بعض أعضائها الذين كانوا أشبه بالتابعين لهم<sup>٥٦</sup>.

ولم تقبل طبقات الشعب الروماني هذا التسلط الذي تمارسه عليهم طبقة الأشراف فقام صراع الطبقات الشهير بروما والذي امتد زهاء قرنين تمكن خلالها العامة من الفوز بالمساواة مع الأشراف في الحقوق والإميازات التي كانت وفقاً عليهم في بداية العهد الجمهوري وإضطر الأشراف للموافقة على اتخاذ مبدأ الثروة أساساً لتوزيع أعباء الخدمة العسكرية\* وتم تعديل تكوين طبقات الشعب الروماني حسب هذا القانون وبالتالي فقد قسم الرومان إلى ست طبقات لكل طبقة من الخمسة الأوائل مئتان\* إضافة إلى مئينات الفرسان الثمانية عشر والتي احتفظت بها الطبقة الأولى والتي تكونت عقب هذا الصراع من البطارقة وأثرياء التجار وقد منحت كل طبق عدد من الأصوات يقابل عدد مئيناتها في الجمعية الشعبية (جمعية المئينات) أما الطبقة السادسة وهي طبقة البروليتاريا المكونة من الزبالين والسيافين والممثلين والمرتزقة فلم يكن لها سوى مئتين واحد وبذلك قد استبعدت تماماً بسبب عدم إمتلاكها أي نوع من الثروة<sup>٥٧</sup>.

وبالتالي فقد أخذت الطبقة صياغة مختلفة عقب صدام العامة والأشراف فبعد ان كانت تحكمها معايير شرف النسب إضافة إلى الثراء، أصبح الثراء وحده هو المعيار الأساسي وفي كلا الحالتين فإن الطبقة لم تختف وإنما تكونت أرستقراطية جديدة تجمع بين ذوى الثراء المادي من العامة إضافة لذوى الأنساب العريقة من البطارقة، وهو ما يعنى أن الجمهورية الرومانية لم تستطع أن تصل إلى ذات الرقي الذي بلغته مدينة أثينا في نظمها وفي قوانينها كما ظلت القوانين الرومانية للدائن حق القبض على دائنه وبيعه في سوق النخاسة إذا لم يتيسر له الحصول على حقه بوسيلة أخرى<sup>٥٨</sup>.

كما ظلت تعترف بالسلطة الأبوية المطلقة على جميع أفراد الاسرة. إذ كان من حق الأب أن يضرب زوجته وأولاده أو أن يقتلهم، أو يبيع أولاده في سوق النخاسة<sup>٥٩</sup>. أما المرأة فمن الواضح اتفاق الحضارتين، الإغريقية والرومانية، على 'عدم إعطائها أي نوع من الحقوق. فلم يكن من حقها التصرف حتى في أملاكها بإرادة منفردة دون موافقة الأب أو الزوج<sup>٦٠</sup>.

### ١. الانتخاب الحر

لقد ساعد على نشأة فكرة الانتخاب لدى العرب المسلمين عدّة أسباب .  
 أولها:- ديني، ويتمثل في رفض الإسلام والمسلمين لفكرة الملكية واعتبارهم إياها كسنة شركية - سنة كسرى وقيصر<sup>٦١</sup>\* ترتبط بالظلم والاستعلاء والتجبر.  
 ثانيهما:- إجتماعي، حيث تنافرت عادات وتقاليد القبائل العربية بمكة - مدينة الرسول (ﷺ) - مع فكرة الحكم والمطلق. نتيجة لرفض كل قبيلة أي سيطرة لقبيلة أخرى عليها وهو ما أدّى إلى عدم وجود حكم موحد لمكة حتى ظهور الاسلام. ومن ناحية أخرى فإن العشائر داخل قبيلة قريش - قبيلة الرسول (ﷺ) - والقائمة على خدمة الكعبة\* كل منها كانت ترفض سيطرة عشيرة معينة على مقاليد الحكم ممّا أدى لنشوء نوع من تقسيم السلطات بين العشائر<sup>٦٢</sup>.

ثالثهما:- سياسي، فقد توفى الرسول (ﷺ) تاركاً ثلاثة أحزاب رئيسية مهيئة لخلافته لكل منها ثقله وشرعيته التاريخية:-

أولاً:- آل البيت (عليهم السلام)، وهم أسرة الرسول (ﷺ).

الثاني:- المهاجرون، وهم مسلمو مكة الأوائل .

الثالث:- الأنصار، وهم مسلمو المدينة الذين هاجر إليهم الرسول (ﷺ) والمسلمون المكيون وناصروه وساعدوه على نشر الرسالة ومن ثمّ أخذ مدينتهم عاصمة للدولة الإسلامية<sup>٦٣</sup>.

ورغم أن الفترة ما بين وفاة الرسول (ﷺ) وقيام الملكية الأموية لم تتجاوز الثلاثين عاماً، كما لم تشهد سوى أربع خلفاء، فإن الوسيلة التي تولّى بها كل خليفة كانت مختلفة عن سواه، وعلى هذا فقد شهد المسلمون أربعة وسائل لتولي الحكم:-

## الأولى : انتخاب الخليفة الأول

تذكر الروايات التاريخية أن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة عقب وفاة الرسول (ﷺ) واتفقوا على مبايعة سعد بن عباد كخليفة للمسلمين<sup>٦٤</sup>.

وقد احتج زعيم الحزب الأنصاري - سعد بن عباد - بعدة أفضال لحزبه إعتبرها دليلاً على أحقيته بالحكم :- يا معشر الأنصار إن لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب، إن محمداً (ﷺ) لبث بضعة عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأوثان، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل، والله ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسوله ولا أن يعزوا دينه ولا أن يدفعوا عن أنفسهم فيما عموا به، حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ورزقكم الإيمان به وبرسوله والمنع له ولأصحابه والإعزاز له ولدينه والجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على عدوه من غيركم، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً، وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً وحتى أثخن الله لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب وتوفاه الله إليه وهو عنكم راضٍ وبكم قيرير العين استبدوا بهذا الأمر دون الناس، فإنه لكم دون الناس<sup>٦٥</sup>.

على أن إنتماء أغلب المهاجرين لقبيلة الرسول (ﷺ) قريش - كان له صدى لدى بعض الأنصار الذين أدركوا مقدماً أن حجة المهاجرين سوف تكون الأقوى عند المواجهة، فحاول بعضهم التوصل إلى حل وسط وهو ما تذكره الروايات:

قد ابت مهاجرة قريش؟ فقالوا نحن المهاجرون وصحابة رسول الله (ﷺ) الأولون ونحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعونا الأمر من بعده؟... فإننا نقول إذاً فمنا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا أبداً<sup>٦٦</sup>.

إلا أن هذا الرأي لم يجد قبولا من وفد المهاجرين الذي وصل إلى السقيفة مكوناً من أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح، حيث قال عمر:

هيهات لا يجتمع أثنان في قرن. إنه والله لا يرضى العرب أن يؤمروكم ونبيها (ﷺ) من غيركم ولكن العرب لا تمنع أن تولي أمورها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم

ولنا بذلك على مَنْ أُنْبئِي مِنَ الْعَرَبِ الْحِجَّةُ الظاهرةُ والسُلطانُ المبيِّنُ. من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدلِّ بباطلٍ أو متجانفٍ لِإِثْمٍ أو متورطٍ في هلكةٍ ٦٧.

ورغم أن الأنصار — وهم أهل المدينة الأصليون — كانوا يمتلكون الكثرة العددية الساحقة. إلا أن هذا الحزب كان يعاني تصدعات داخلية.

فالأنصار كانوا ينقسمون إلى قبيلتين الأوس، والخزرج، وقد شهدت المدينة الكثير من الصراعات بين القبيلتين كانت الغلبة في معظمها لصالح الخزرج ولم يكن من المتوقع أن يسمح الأوس لسعد بن عباد الزعيم الخزرجي بتولى الخلافة لذلك فقد بادر أسيد بن حضير زعيم الأوس بمبايعة أبي بكر هو وقبيلته :- واللَّهِ لَإِنْ وَلِيْتَهَا الْخَزْرَجُ عَلَيْكُمْ مَرَّةً لَا زَالَتْ لَهُمْ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ الْفَضِيلَةَ وَلَا جَعَلُوا لَكُمْ مَعَهُمْ فِيهَا نَصِيبًا أَبَدًا فَقوموا فبايعوا أبا بكر ٦٨.

من ناحية أخرى شهد الخزرج وجود مجموعة كانت ترى المهاجرين أحقَّ بالخلافة مثل بشير بن سعد:

ألا وأن محمد (ﷺ) من قريش وقومه أحق به وأولى! وأيُّمَ اللَّهِ لا يراني اللَّهُ أَنَازَعَهُمْ هَذَا الْأَمْرَ أَبَدًا فَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تَخَالَفُوهُمْ وَلَا تَنَازَعُوهُمْ ٦٩.

و مع ذلك فيبدو أن المعارضة الباقية من الحزب الأنصاري كانت قوية، ومع إدراكها لخسارتها إمام حزب المهاجرين فإنها لم ترغب أبداً في توليه للخلافة بهذه السهولة، فقررت إلقاء الكرة في ملعب الحزب الذي يتفق جميع المسلمين على قدسيته والقادر على مواجهة المهاجرين وهو حزب آل البيت (عليهم السلام) الذي كان علياً هو مرشحه الوحيد، فيذكر الطبري:

فقال الأنصار أو بعض الأنصار لا نبايع إلا علياً ٧٠.

والأكيد أن هذا الطرح قد سبب الكثير من الإزعاج للمهاجرين فالبيت (عليهم السلام) هم أسرة النبي (ﷺ) وهم بذلك الأقرب نسباً من باقي المهاجرين القرشيين. كما أن المؤيدين لهم ينتمون إلى كافة الأحزاب سواء المهاجرين أو الأنصار أو المسلمين الذين

لا ينتمون من ناحية النسب إلى المكيين الذين أسلموا عقب فتح مكة. وبالتالي فقد كانوا الحزب الأكثر شرعية وخطورة واستحواداً على رضا جميع الأحزاب الأخرى. وهذا ما أضطر أبابكر وعمر إلى الاستعانة ببعض القبائل الموالية لهما والتي تعيش خارج المدينة مثل قبيلة أسلم، في محاولة تهدف إلى التعجيل بمبايعة أبي بكر قبل أن يعلم علي (عليه السلام) بأمر\* وبالضغط على الفئة الباقية من الأنصار والتي رفضت مبايعة أبي بكر، فيذكر الطبري:

أن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايقت بهم السكك لبياعون أبا بكر فكان عمر يقول:— ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالانصر<sup>٧١</sup>.

وهكذا حسم الحزب المهاجري الصراع قبل تدخل الحزب الثالث — آل البيت (عليهم السلام) — في هذا اليوم، وبقي حصول أبي بكر على البيعة العامة التي تمت في اليوم التالي بناء على البيعة السابقة، فقام عمر في المسجد وقدم أبا بكر للناس على أنه المرشح الذي أتفق عليه المهاجرون الأنصار وطالب الناس بيعته:

إن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله (ﷺ) وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوا<sup>٧٢</sup>.

وليس من العسير استنتاج مدى مساهمة قبيلة أسلم في هذه البيعة العامة وإجبارها للبعض على أدائها وهو ما يعترف به عمر، إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى شرها فمن عاد إلى مثلها فأقتلوه فإيمارجل بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فإنهما يقتلان<sup>٧٣</sup>.

وهو اعتراف واضح على وجود تدخل عنيف أجبر بعض الناس على البيعة، إلا أن عمر برّر هذا التدخل بقوله:

وليس فيكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، وإنه كان من خيرنا حين توفي رسول الله عليه الصلاة والسلام<sup>٧٤</sup> وهو ما يعد فرضاً للوصاية على الشعب وعدم السماح له بحرية إختيار الحاكم لقد تعامل الحزب المهاجري مع الأمر تعاملًا سياسياً صرفاً كي يصل إلى الحكم. فاستطاع إستغلال التصدع الكائن داخل الحزب الأنصاري والتغلب على الكثرة العددية التي كان ينوي استخدامها بالاستعانة بكثرة أكبر وأقوى —

قبيلة أسلم — وإنهاء مراسم التولية والمبايعة سريعاً قبل حضور مرشح الحزب الثالث — علي بن أبي طالب (عليه السلام) سواء بالإقناع أو بالإكراه.

بالتأكيد أن الكثيرين قد بايعوا أبا بكر عن رِضاً و مصلحة في توليه، لكن الكثيرين أيضاً رفضوا هذه البيعة و أكرهوا عليها. كما أن الحزب الثالث الذي كان أفرادهُ منشغلين بإقامة الشعائر الجنائزية على الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لم يسمح له بالإدلاء بحجته. وهذا ما يجعل عملية إنتخاب أبي بكر أشبه بحركة للاستيلاء على السلطة. إن هذه الوسيلة التي أتبع في تولي أبي بكر للخلافة أرست عدة أسس للحكومات الإسلامية ظلت مستبعة حتى سقوط العباسيين .

أولاً :- أحقية قريش وحدها بخلافة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لأنها القبيلة التي ينتمي إليها. و على الرغم أن المقصود بهذا الأساس كان المسلمين الأوائل — المهاجرين — لكن المفهوم استخدم بعد بصورة أكثر اتساعاً شمل قريشاً كلها وأستغلته أسرتان لم تكن أي منها سبّاقة إلى 'اعتناق الإسلام، بل أن الأسرة الأولى — الأمويين — عرف عنها العداء للإسلام منذ بداياته ومع ذلك فقد حكمت باسم القرشيّة. وقامت بدورها بتأسيس أول صياغة للأرستقراطية القرشية معتمدة على 'هذا الطرح، رَغْمَ ما يعانیه من تصادم واضح مع روح التشريع الإسلامي.

ثانياً: — كفل حقُّ انتخاب الخليفة — وإن كان صورياً — لنوعين من المسلمين، — المهاجرين والأنصار — المقيمين بالعاصمة دون وجود أدنى إعتبار للمسلمين الآخرين ممن لا ينتمون إلى 'أيّ من هذين الحزبين حتى لو كانوا من صحابة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إضافةً للمسلمين الموجودين في المناطق الأخرى غير المدينة. الذين أصبحوا ملزمين بتقبّل ما يحدث بالعاصمة والإستسلام له. وإلا اعتبروا مرتدين \*.

ثالثاً: — أعزى الشرعية لكل قريشي طموح بالسعي إلى تولي الخلافة بالقوة دون أدنى مراعات لإرادة ورأي المواطنين. وأوجب على المسلمين طاعته. وهي الحجّة التي إحتج بها معاوية بن أبي سفيان على محمد بن أبي بكر \* في تبرير سعيه إلى السلطة رغم وجود خليفة من قبل المسلمين :

أبوك مهّد مهادة ، وبنى ملكه وسادة . فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك استبد به ونحن

شركاؤه.. ولكن رأينا أباك فعل ذلك به قبلنا فأخذنا بمثله . فعب أباك بما بدا لك أو دَع ذلك<sup>٧٥\*</sup>

الثانية: تعيين الخليفة الثاني

بالإمكان القول أن الوسيلة التي تولى بها عمر بن الخطاب الخلافة هي المؤسس الحقيقي والمسوغ الشرعي لفكرة التوريث التي اتبعها الأمويين ثم الخلافات التي تلتهم ، مع إختلاف إقتضته الظروف القائمة، فعملية التوريث لم يتم داخل النطاق الأسري أو العائلي الذي كان يواجهه بالتأكيد برفض عنيف لوجود قرشيين من صحابة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأسرتهم على قيد الحياة يمتلكون تاريخاً ضخماً في الإسلام وإنما تمت في إطار حزبي حيث أوصى الخليفة وهو علي 'فراش الموت بالحكم لأكثر العناصر المهاجرة نشاطاً وتأيداً له على الإطلاق، عمر بن الخطاب :- هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة. آخر عهده داخلاً بالآخرة. إنني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب . فإن تروه عدل فيكم فذلك ظني به ورجائي فيه. وإن بدل وغير فالخير أردت ولا أعلم بالغيب (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)<sup>٧٦</sup>.

واضح تماماً أن الخليفة الأول كان حريصاً على أن لا يفقد حزبه مكانته بعد وفاته في وجود يمتلك قاعدة شعبية كبرى مثل علي بن أبي طالب (عليه السلام) المدعوم من الهاشميين والأَنْصار وبعض المهاجرين. وأكثر الأدلة قوة على هذا التصور وهو إختيار أبي بكر لعمر دون غيره رغم رفض أغلب المسلمين صراحة مواجعتهم له بهذا الرفض فيروي أن بعض الصحابة قال لأبي بكر:

ماذا تقول لربك وقد وليت علينا فضاءً غليظاً تفرق بين النفوس وتنفذ منه القلوب<sup>٧٧</sup> .

على أن الطبيعة العربية كانت تلزم الخليفة الجديد بالحصول على مبايعة المسلمين حتى تكتمل شرعية خلافته، ومهما تكن الطريقة التي استطاع بها عمر بن الخطاب إقناع المسلمين بالموافقة على هذا الترشيح. فإن تلك الوسيلة التي استخدمت في إيصاله إلى السلطة اتسمت بالوصاية على حق الأفراد في ترشيح أنفسهم لتولي الحكم ثم حق الأمة في إختيار المرشح أو رفضه. ورغم أن عمر حصل على الخلافة بالمبايعة من المسلمين ، فإن هذه المبايعة كانت أيضاً صورية حيث لم يكن أحد من المبايعين يملك حق الإمتناع أو حق الإعتراض<sup>٧٨</sup> ولم تذكر الروايات ما كان سيحدث لو كان أي من الراضين لخلافة عمر قد اتخذ موقفاً إيجابياً\*.

الثالثة: انتخاب الخليفة الثالث

تميّزت الوسيلة التي تولّى بها عثمان بن عفان الخلافة بكونها مزيجاً من الوسيلتين السابقتين فشهدت من ناحية وجود أكثر من مرشح لتولي السلطة، ومن ناحية أخرى شهدت وصية من الخليفة لستة أفراد حصر بينهم أحقية تولي الحكم وأحقية التشاور حول شخصية الحاكم .

ورغم ما في الوسيلة من مصادرة على 'حق' الأمة في اختيار الحاكم — تشبه لحد كبير المصادرة التي قام بها الخليفة السابق — فإن استعراض الشخصيات المرشحة والطريقة التي رسمها الخليفة السابق للكيفية التي سيتم انتخاب اللاحق سوف تظهر عيوباً أكثر خطورة تمثلت في وجود أهداف سياسية أراد الخليفة تحقيقها من وراء هذه الخطة التي رسمها بذكاء.

تذكر الروايات التاريخية عدة مواقف لعمر قبل وفاته استعرض فيها الأفراد الستة الذين أوصى لهم بالحكم. فالبلاذري يروي في أنساب الاشراف هذا الحوار مع عمر: — ذكر عمر من يستخلف فقيل أين أنت من عثمان؟ قال: لو فعلت لحمل بني معيط على رقاب الناس. قيل الزبير؟ قال:

مؤمن الرضى، كافر الغضب. قيل: طلحة؟ قال: أنفه في السماء واسته في الماء. قيل: سعد؟ قال صاحب مقنب\*، قرية له كثير. قيل عبدالرحمن؟ قال: بحسبه أن يجري على أهلة بيته<sup>٧٩</sup>. وفي محاوراة أخرى بينه وبين عبدالله بن عباس عدّد بعض هذه العيوب لمرشحيه: — وجدت عمر ذات يوم مكروباً، فقال: ما أدري ما أصنع في هذا الأمر؟ أقوم فيه وأقعد.

فقلت: هل لك في عليّ؟

فقال: — إنه لها لأهل، ولكنه رجل فيه دعاية، وإني لأراه لو تولّى أمركم لحملكم عليّ طريقة من الحق تعرفونها.

قال: — قلت «فأين أنت عن عثمان؟»

فقال: — لو فعلت لحمل ابن أبي معيط على رقاب الناس، ثم لم تلتفت إليه العرب حتى تضرب عنقه، والله لو فعلت لفعل ولو فعل لفعلوا.

قال: — فقلت فطلحة؟

قال: — إنه كزّهو؟ ما كان لله ليوليه امرأة محمد (ﷺ) مع ما يعلم من زهوه.



قال: — قلت: فالزبير؟

قال: — إنه البطل، ولكن يسأل عن الصاع والمد بالبيع بالسوق، أفذاك يلي أمور المسلمين؟

قال: — فقلت: سعد بن أبي وقاص؟

قال: — ليس هناك، إنه لصاحب مقنب يقاتل عليه، فأما ولي أمر فلا.

قال: —: فقلت: فعبد الرحمن بن عوف؟ قال: نعم الرجل ذكرت لكنه ضعيف<sup>٨٠</sup>.

وإذا كان هذا هو رأي الخليفة فيمن رشحهم للخلافة من بعده حيث لم يسلم أي منهم من العيوب — حسب اعتقاد الخليفة — سوى 'علي بن أبي طالب (عليه السلام)'. فإن السؤال يظل مثاراً حول السبب الذي دعاه لإختيار هؤلاء الستة بالذات؟ مع ملاحظة أن كل المرشحين هم قرشيو النسب وكلهم من المهاجرين إضافة لكون علي بن أبي طالب (عليه السلام) ينتمي إلى المهاجرين من ناحية وآل البيت (عليهم السلام) من ناحية أخرى. الواضح أن الهدف الأول لهذا التصرف كان القضاء تماماً على 'المكانة السياسية للأتصار. سواء في وجود مرشحين لهم على الخلافة وهو مما قضي عليه الخليفة الأول. أو في وجود حقوق لهم في المشاركة لإختيار الخليفة، وهو ما قام به الخليفة الثاني بنجاح حين حَصَرَ حسب وصيته المشاورة حول اختيار الخليفة في إطار هؤلاء الستة: — إني جعلت أمركم إلى ستة نفر من المهاجرين الأولين الذين قبض رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راضٍ ليختاروا أحدهم لإمامتكم<sup>٨١</sup>. وهي حجة غير منطقية فمن المستحيل أن يكون هؤلاء الستة فقط هم الذين مات الرسول (ﷺ) وهو راضٍ عنهم، بالتأكيد كان يوجد من بين الأنصار من حاز على رضا الرسول (ﷺ) حين موته وبالتالي فمن حقه المشاركة في عملية إختيار الخليفة دون أن يكون من حقه تولي الخلافة حسب القاعدة التي وضعها الخليفة الأول وقبلها الأنصار.

الهدف الثاني: — يبدو من وضعه علياً كأحد المرشحين الستة — رغم أنه الوحيد بينهم الذي لم يذكر له أي عيوب تمنعه من تولي الحكم إضافة إلى شعبيته بين المسلمين — حيث رغب عمر في تهديئة أسرة الرسول (ﷺ) وإعطائهم قدراً من الأمل في تولي علي (عليه السلام) الخلافة. وعدم إثارتهم مما سيؤدي لإفساد هدفه الثالث، وهو خاص بطريق انتخاب الخليفة حيث يقول عمر: — إن إجتمع رأي ثلاثة و ثلاثة فاتبعوا صنف عبد الرحمن بن عوف واسمعوا وأطيعوا<sup>٨٢</sup> وفي رواية أخرى: — بايعوا لمن بايع له

عبدالرحمن بن عوف، فمن أبي فأضربوا عنقه<sup>٨٣</sup>.

ويبدو أن علياً (عليه السلام) قد اكتشف الهدف الذي يسعى إليه عمر من وضعه لهذه الطريقة فقال لعنه العباس: عدلتُ عنّا، فقال العباسُ وما علمك؟ قال: قرنَ بي عثمان، وقال: كونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف. فسعد لا يخالف ابن عمه عبدالرحمن، و عبد الرحمن صهر عثمان \* لا يختلفون، فيوليها عبدُ الرحمن عثمان أو يوليها عثمانُ عبدَ الرحمن، فلو كان الآخران — طلحة والزبير — معي لم ينفعان بل إني لا أرجو إلّا أحدهما<sup>٨٤</sup> \*

لقد سعي عمر إلى رسم طريقة إنتخابية معينة يطمئن بها إلى أن الخلافة لن تذهب لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) فوضع حقّ الترجيح في يد عبدالرحمن بن عوف رغم ما ذكره من عيوبه من ضعفه. وهو ما يجعلنا نستنبط أن انسحاب عبد الرحمن بن عوف من التنافس على الخلافة واكتفاؤه بحق اختيار الخليفة كان مُدبّرًا بينه وبين الخليفة السابق، فعبد الرحمن أحد المرشحين الذين وضعهم الخليفة في قائمة مستحقي الخلافة، ومع ذلك فقد وضع في يده إضافة إلى ذلك حق إختيار الخليفة الجديد ولم يعط هذا الحق لأي فرد من خارج القائمة. وهو بالتأكيد ومع إدراكه أن عبد الرحمن بن عوف لا يمتلك المؤهلات اللازمة للخلافة ولا قوة الشخصية أو الشعبية المساندة للخليفة، لن يعطيه هذا الحق إلا إذا تأكد تماماً من كونه لن يسعى لتولي الحكم. وإنما مجال التنافس — الحادث حتماً — بين عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإنَّ عبدَ الرحمن بن عوفِ سوف يكونُ في صفِّ صهرة عثمان.

والثابت تاريخياً أن عمرَ كان يدركُ تماماً أنَّ الخلافةَ ستتحصرُ بينَ عثمانَ و عليّ: — يروي البلاذري أن عمرَ قال: أدعوا لي علياً وعثمانَ وطلحةَ والزبيرَ وعبدَ الرحمنَ وسعدَ بنَ أبي وقاص. فلم يكلم أحد منهم غير عليّ و عثمان<sup>٨٥</sup> علي أن الروايات التاريخية تعطي صورة أوضح لأهداف عمر حول تولية عثمان حيث يروي ابن سعد في الطبقات الكبرى 'محاورةً بينَ عمرَ وسعيدِ بن العاص حيث طلب الأخيرُ مساحةً من الأرض يسع عليها بيته، فمنحه عمرُ قطعةً من الأرض التي يبدو أنها كانت أقل مما يرى، فطلب مساحةً أخرى فقال له عمرُ:

حسبك وختبيء عندك، إنّه سيلي الأمر من بعدي من يصلُ رحمك ويقض حاجتك. قال: فمكثتُ خلافةَ عمرَ بن الخطابِ حتى استخلف عثمان وأخذها عن شوري ورضي

فوصلني وأحسن وقضى حاجتي وأشركني في أمانته<sup>٨٦</sup> \*  
 فإذا أضفنا إلى هذا الاعتراف، المصير الذي حدده الخليفة لمن يخالف إختيار  
 عبدالرحمن: فمن أبى فأضربوا عنقه<sup>٨٧</sup> يتضح حرص الخليفة على قطع الطريق أمام أي  
 معارضة وإرهابها بالسيف كضمان لنجاح الخطة، وقد اجتهد عبد الرحمن في إختلاق  
 الحُجج كي يولي الخلافة لعثمان، فتعنت في حوارهِ مع عليّ (عليه السلام) - حينما انحصرت  
 المنافسة بينه وبين عثمان \* وأصر على أن يقسم عليّ في حالة تولية الخلافة أن يعمل  
 بكتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) وسيرة الخليفين السابقين رغم معرفته بالخلاف الواقع  
 بينه وبينهما، وهو ما رفضه عليّ (عليه السلام) بحزم مصارحاً عبد الرحمن بما يدبره: إن كتاب  
 الله وسنة نبيه (ﷺ) لا يحتاج إلى إجباري أحد. أنت مجتهداً أن تزوي هذا الأمر عني.  
<sup>٨٨</sup> هذه المعطيات التاريخية تظهر تماماً صحّة ما استنتجناه حول رغبة الخليفة في تحقيق  
 أهدافه السياسية من خلال إبتكار نظام شوروى يُحقّق هذه الأهداف من جهة ويرضي  
 المعارضين لحزبه من جهة ثانية.

الرابعة: - انتخابُ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)  
 لقد شكّل تولي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) للخلافة أول صورة حقيقية يقوم بها المسلمون  
 ضد الهيمنة القرشية على وسائل انتخاب الخلفاء. قد تعالت هتافات الأنصار وممثلي  
 الأمصار الإسلامية الموجودين بالمدينة - مصر والكوفة والبصرة - الذين ثاروا على  
 عثمان، مطالبين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بتولي الخلافة. على أن علياً كان يدرك مدى  
 تغيير الموقف عن ما كان عليه المسلمون أيام الرسول (ﷺ) وعقب وفاته فلم يبدي  
 أي حماس لقبول تولي الخلافة: دعوني وأمسوا غيري فإننا مستقبليون أمراً له وجوه  
 وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول. وإن الآفاق قد أغامت والمحنة قد  
 تنكرت \* وإعلموا أنني إن أحببتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغر إلى قول القائل. وعتب  
 العاتب. وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم وأنا  
 لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً.<sup>٨٩</sup> إلا أن الثوار - رغم توضيح عليّ (عليه السلام) لسياسته في  
 حالة توليه الخلافة وعدم محاولته إخفاء ما سيقوم به - لم يقبلوا بتولي أي شخص  
 للخلافة سوى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فإضطر عليّ لقبولها قائلاً: في المسجد، فإن بيعتي لا  
 تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضی المسلمين<sup>٩٠</sup> وتعطي النصوص المروية عن عليّ  
 (عليه السلام) صورة واضحة لأسباب تراجعهِ عن قراره برفض الخلافة: اللهم أنك تعلم أنه لم

يكن الذي منّا منافسة في سلطان، ولا إلتماس شيء من فضول الحطام، لكن لئلا نرد المعالم في دينك ونظير الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلّمون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك<sup>٩١</sup>.

ويقول:

ولكنني آس أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجّارها، فيتخذوا مال الله دُولاً وعبادة خُولاً والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً<sup>٩٢</sup> فإذا كانت عودة العرب إلى التقاليد القبلية هي سبب رفضه في البداية ومن ثم توضيحه لهم بسياسته الصارمة في تطبيق حدود قوانين التشريع دون مجاملات — وهو التصريح الذي يحمل في طياته حجّة عليّ من بايعوه في حالة تراجعهم — فإن خوفه على العقيدة التي حارب في سبيل تشييدها ورغبته في إصلاح ما أصابها من تشويه عليّ يد من سبقوه. ثم خوفه على المسلمين من أن يتولى قيادتهم عناصر تدين بالولاء في المقام الأول لانتمائها القبلي قبل الإسلامي، تعيد السيطرة لقريش — المعادية للإسلام منذ نشوءه — على الأمور مرة أخرى. هو ما دفعه إلى قبولها.

ورغم أن زعماء الوفود قاموا بمبايعة عليّ (عليه السلام) فإنه رفض أن يكتبي بهذه المبايعة وأصرّ على أن تكون علنية جماعية:

إن بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضی المسلمين<sup>٩٣</sup> و يقول في مروية أخرى:

إن بيعتي لا تكون سراً، ولكن إئتوا إلى المسجد، فمن شاء أن يبايعني، بايعني<sup>٩٤</sup> وفي رواية أخرى يظهر مدى حرص عليّ على تلقي التأييد والمبايعة من أغلبية المسلمين: عن عمار وابن عباس قالوا: إنه (عليه السلام) لما صعد المنبر قال لنا:

قوموا فتخلّلوا الصفوف، ونادوا هل من كاره؟ فتصارخ الناس من كل جانب: — اللهم قد رضينا وسلمنا وأطعنا رسولك وابن عمه<sup>٩٥</sup>. وهو ما تحقق له كما يبدو من هذه الرواية إضافة لمجموعة من كلمات عليّ (عليه السلام) والتي تصور الكيفية التي تمت بها مبايعته: فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها، تقولون البيعة البيعة. قبضت كفى فبسطموها، ونازعتهم يدي فحازيتموها<sup>٩٦</sup>.

ويقول: والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة. ولكنكم دعوتوني إليها وحملتوني عليها<sup>٩٧</sup>.

ويقول: بسطتم يدي فكفنتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداكتم عليّ تذاك الإبل بهم على حيضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل وسقطت الرداء ووطيء الضعيف<sup>٩٨</sup> ويصف مبايعة الناس - العامة - له :

إن العامة لم تبايعني لسلطان غالب ولا لعرض حاضر<sup>٩٩</sup> ثم يصف مدى فرحة الناس بمبايعته: وبلغ من سرور الناس ببيعتهم اياي أن أبتهج بها الصغير وهدج إليها الكبير وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب<sup>١٠٠</sup>.

هذه الأقوال والروايات التاريخية المؤيدة لها تؤكد أن علياً قدّم نموذجاً غاية في المثالية حين تمّ انتخابه كخليفة: فهو من ناحية لم يقدم وعوداً يرضي بها الأرستقراطية القرشية أو حتى الثوار بل صرح الجميع بسياسته والتي ينوي اتباعها. ومن ناحية أخرى حصل عليّ تأييد الغالبية العظمى من المسلمين بالفعل\* دون ممارسته أيّ اجبار أو الأعباء السياسية لنجاح انتخابه. كما أعادت للمرة الأخيرة الدور السياسي للأَنْصار الذين كَوَّنُوا أغلب تابعي عليّ (عليه السلام) في حربه للدور السياسي الذي منح للمرة الأولى والأخيرة للعرب والمسلمين المقيمين في مناطق أخرى والمنتقلين لقوميات أخرى. وقد عبر عن هذا الدور أكثر أصحاب عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ولاءً له وهو مالك بن الحارث الأشتر: يا أمير المؤمنين، إنا وإن لم نكن من المهاجرين والأنصار، فإننا من التابعين بإحسان، وإن القوم وإن كانوا أولى بما سبقونا إليه، فليسوا بأولى ما شركناهم فيه<sup>١٠١</sup> وفي مرويّة أخرى يذكر الطبري محاوره بين رجل عربيٍّ من قبيلة عبد القيس وبين الزبير بن العوام قال فيها الأول: يا معشر المهاجرين، أنتم أول من أجاب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فكان لكم بذلك فضل، ثم دخل الناس في الإسلام كما دخلتم، فلما توفي رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بايعتم رجلاً منكم، فرضينا وسلمنا ولم تستأمرونا في شيء، ثم مات، واستخلف عليكم رجلاً فلم تشاورونا، فرضينا وسلمنا، فلما توفي جعل أمركم إلى ستة فاخترتم عثمان من غير مشورتنا، ثم أنكرتم منه شيئاً فقتلتموه عن غير شورة منا، ثم بايعتم علياً عن مشورة منا<sup>١٠٢</sup>.

إن أهمية هذا الأسلوب الجماهيري في الانتخابات، الذي أصرّ عليه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ترجع إلى أنه نقض تلك الدعائم التي قام الخليفين الأول والثاني بتشهيدها بما ابتكروه من وسائل لتولي هذا المنصب، تهدف إلى دفع الأرستقراطية القرشية السابقة للعودة إلى صدارة الهرم الاجتماعي والسياسي مرة أخرى وتركيز كافة

السلطات في يدها فهو:

أولاً: سلب قبيلة قريش ما استأثرت به دائماً من كونها الوحيدة المخول لزعمائها حق التشاور حول شخص لخليفة ناهيك عن وجوب كون الخليفة من المهاجرين القرشيين. وأعطى حق إنتخابه إلى جميع العناصر الإسلامية سواء كانت قرشيّة أو غير قرشيّة أو حتى غير عربيّة. بالتالي فإن قبيلة قريش — وبالأخص عشيرة بني أمية — التي شهدت أقصى إتساع نفوذها في عهد عثمان لم تقبل أن يتآكل هذا النفوذ لصالح العامة من المسلمين، وهو ما دفعها لقيادة ثورة مضادة وضمت إليها كل المنتفعين من العصر السابق إضافة لبعض الرافضين لخلافة عليّ (عليه السلام) بسبب خلافات قبلية وقد تمثلت هذه الثورة في مواجهتين عسكريتين، الأولى وهي (الجمال) استخدمت فيها قريش زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (عائشة) مستغلة كراهيتها لعليّ (عليه السلام) في محاولة لإحراجه، بالمصادقية التي تشكلها زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في نظر المسلمين والتي تفتقدها قريش. كما تمّ إستغلال الطريقة التي تمّ بها تنحية الخليفة الثالث — قتله — والمناداة بثأره ممن إغتالوه كمبرر للثورة على عليّ (عليه السلام). إلا أن هذه المحاولة فشلت من ناحيين. الأولى أن إستغلال قريش لزوجة الرسول وإخراجها لقيادة الجيش خالف نصاً قرآنياً يأمر زوجات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالبقاء في منازلهن (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) \* والثانية أن أغلب قواد هذه المواجهة من القرشيين كانوا من المهيجين للثورة على عثمان ظناً أن الثورة ستنتهي بمجرد موت عثمان وأنهم قادرون على نصب الخليفة القادم وبالتالي عدم ضياع إمتيازاتهم السابقة<sup>١٠٣</sup>، المواجهة الثانية كانت في (صفين) وقد تولت العائلة الأموية قيادتها وهي إن اعتمدت بالأساس على حقها القبلي في الأخذ بثأر الخليفة الثالث الذي ينتمي إليها، إلا أنها في سبيل الإنتصار على عليّ (عليه السلام) لم تتورع عن استخدام القرآن الكريم واستغلاله كمحاولة للنفوذ من هزيمة عسكرية مريرة. وما تبعها من خداع عمرو بن العاص مندوب معاوية بن أبي سفيان لأبي موسى الأشعري. مندوب عليّ (عليه السلام) \* أثناء التحكيم واستخدامه للكذب في محاولة لإعطاء معاوية شرعية الخلافة<sup>١٠٤</sup> ورغم أن هذه الخديعة لم تقض على عليّ (عليه السلام) الذي استطاع تدارك آثار إندخاع بعض أتباعه بها بسرعة إلا أنها تسببت في وجود إنشقاق بين أتباعه تمثل في ظهور الحزب الخارجي وتحول صيغة الصراع من مجرد أطماع سياسية لمعاوية وعمرو بن العاص إلى صراع بين المذاهب الثلاثة \*

ثانياً: رفض الإكتفاء بتلقي البيعة من زعماء العناصر العربية (المهاجرين، الأنصار، وفود الأمصار) وما يتبعها من فرض خليفة على الجماهير كأمر واقع دون اعتبار لآرائها. وأعطى عامة الجماهير لأول مرة الحق في الانتخاب. معترفاً بالشخصية القانونية المستقلة لكل فرد بعيداً عن التقاليد القبلية التي سعى السابقون لسيادتها. إضافة لما يعده هذا التصرف من اصرار علي (عليه السلام) على عدم إعطاء الفرصة لأي أرسقراطية للنمو سواء كانت قرشية أو من زعامات القبائل الأخرى والثوار.

ثالثاً: إسقاط مبدأ الغاية - مصلحة الامة - تبرر الوسيلة، وما يتلوه من مصادرة بعض الأشخاص مهما كانت مكائنتهم لحق الأمة في تقرير مصحتها، وهو ما اتبعه الخلفاء الثلاثة السابقون، حيث رفض علي استخدام أي نوع من الدس والخداع في تولية الخلافة كما لم يستخدم أي وسيلة عسكرية لإرهاب الناس. واجبارهم على انتخابه، رافضاً التعامل مع الموقف بأسلوب سياسي بحث اعتماداً على المبدأ السابق\*. وعل كلمة علي (عليه السلام) حول انتخاب الجماهير له جاءت خبراً معبراً عن الصورة الحقيقية لهذا الانتخاب: إن العامة لم تباع لسطان غالب ولا لغرض حاضر فلم يوضع أي فرد من الجمهور تحت أي نوع من الضغط سواء ضغط خارجي ناتج عن الإرهاب الحكومي أو ضغط داخلي نتيجة أطماع شخصية تثيرها وعود المرشح - كاذبة أو صادقة - لتولي السلطة في محاولة لاكتساب الأنصار فانتخاب علي بن أبي طالب (عليه السلام) على أساس خال تماماً من أي أطماع أو ضغوط يجعله الحاكم الوحيد في التاريخ الذي إنتخب حقاً عبر الإرادة المنزهة للجماهير.

### المعارضة

على الرغم من الفارق الحضاري بين الأوروبيين - الإغريق والرومان - والعرب قبل الإسلام فقد تشابهت كثيراً الظروف التي أجبرت كلاً منهم على السّماح للمعارضة بالظهور. إذ كانت المنافسة بين عائلات الأشراف ثم الصراع الطبقي بينها وبين الطبقات الأقل شأنًا هو السبب الأول في لجوء الأثنيين والرومان إلى نظم ديمقراطية وجمهورية تحاول صنع التوازن بين الأشراف والطبقات المختلفة، وإن ظل هذا الصراع متواجداً داخل نطاق تلك النظم\* فإن رفض العشائر داخل كل قبيلة انفراد عشيرة ما بالسيطرة على أمورها كان أيضاً من أهم الأسباب في لجوء القبائل العربية إلى نظام ديمقراطي بدوي يقوم على تقسيم السلطات بين العشائر بحيث يحول دون بروز نظام ملكي تسيطر

من خلاله عشيرة واحدة على الأمور، وبالتالي فقد أدى هذا النظام إلى السماح لأي معارضة بأن تتواجد بقوة. فعلى سبيل المثال كانت كل عائلة داخل قبيلة قريش — وهي قبيلة الرسول (ﷺ) — تختص بمهمة — وزارة — في حكومتها. فقد تولّى بنو هاشم سقاية الحجّاج القادمين من كل أنحاء الجزيرة العربية لزيارة الكعبة، كما تولوا أيضاً مهمة تجميع الأموال من أثرياء القبيلة لإنفاقها في إطعام الفقراء وهو ما يُسمّى بـ (الرّفادة) بينما تولّى بنو أمية قيادة الجيش في الحروب، أمّا بنو عبد الدار فقد تولوا رئاسة دار الندوة، وهي أقدم نظام برلماني عرفه العرب — وأن بدا بصورة بدوية — ورفع الرايات أثناء المعارك، وكذلك بنو عدي فقد تولوا مهمة المعاملات الخارجية للقبيلة فكانوا سفرائها إلى أي قبيلة أخرى صديقة أو معادية<sup>١٠٥</sup>.

ولم يختلف الأمر كثيراً في عهد الرسول (ﷺ) وإن تأثر بكونه نبياً يتلقى الوحي من الله عزّ وجلّ، على أن هذا لم يمنع من ظهور بعض المواقف المعارضة والتي كان الرسول (ﷺ) يتقبلها دائماً بصدر رحب وعلى سبيل المثال الموقف المعارض الذي اتّخذه عمر من صلح الحديبية وثورته الحادة على قرار الرسول (ﷺ) بإبرام هذا الصلح حتى أن الواقدي يروي في كتابه المغازي على لسان عمر أنه ارتاب في صحة نبوة الرسول (ﷺ)، يروي أيضاً أن عمر كان على وشك قيادة ثورة ضد الرسول (ﷺ) في حالة وجود أنصار له<sup>١٠٦</sup>.

المعارضة في عهد الخليفة الأول :

انقسمت المعارضة في عهد أبي بكر إلى نوعين :

الأول :— معارضة مدنية سلمية تمثلت في بعض المسلمين الذين رفضوا تولي أبي بكر للخلافة.

الثاني :— معارضة خارجية، قادها القبائل العربية القاطنة خارج المدينة و شهدت صداماً عسكرياً بينها وبين حكومة المدينة.

المعارضة المدنية:

تذكر الروايات التاريخية أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) و الزبير بن العوام ومعهما بني هاشم قد أعلنوا احتجاجهم على هذه البيعة ونظموا اعتصاماً في بيت فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت الرسول (ﷺ) وهي إشارة إلى اعتقادهم بأحقية علي بن أبي طالب



(عليه السلام) في تولي الخلافة ونيتهم في مبايعته<sup>١٠٧</sup> هذا الاعتراض السلمي لم يتلقاه الخليفة بصدر رحب، بل أن الحجم الكبير من الاستفزاز الذي شكلته هذه المعارضة. رغم سلميتها، للخليفة ومؤيديه دل على ضعف الحزب الحاكم أمام أي معارضة حتى ولو كانت سلمية، ومن ثم فقد كان رد الفعل الذي واجه به الخليفة الأول هذا الإعتصام متجاوزاً— كما تذكر الروايات — لحدود ما هو مسموح به للحاكم في التشريع الإسلامي.\*

فقد أمر الخليفة، عمر بن الخطاب — الرجل الأقوى في حكومته — بالتعامل مع هذا الإعتصام، ويبدو أنه منحة كافة الصلاحيات للقضاء على هذه المعارضة حتى لو صاحبها القضاء على أرواح المعارضين، ولعل العبارة التي استخدمها أبو بكر تعبر بوضوح عن طبيعة المهمة:

أنتني به بأعنف العنف<sup>١٠٨</sup> ولم يتوان عمر في تنفيذ أوامر الخليفة الأول. فاتخذ تدابير له لحرقتهم جميعاً داخل المنزل، وأدرك بعض مرافقي عمر أنه من التهور حرق المنزل مع وجود فاطمة (عليها السلام) ابنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه فقال لعمر محذراً:

يا أبا حفص إن فيها فاطمة؟ فقال: وإن<sup>١٠٩</sup> هذه الرواية التي تذكرها المراجع التاريخية توضح مدى إصرار عمر على وضع هؤلاء المعارضين الذين يحظون بتأييد إبنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بين خيارين. فإما التنازل عن موقفهم المعارض وبالتالي مبايعتهم للخليفة مكرهين أو القتل، ولم تجد السيدة فاطمة (عليها السلام) أي وسيلة تواجه بها هذا الإعتداء على بيتها سوى الاستنجد بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)<sup>١١٠</sup> وهو ما يعد دليلاً على أن هذا الإعتصام كان تعبيراً سلمياً عن رفض بيعة الخليفة الأول. ولم يكن الإقدام على مواجهات مسلحة مع الخليفة مطروحاً رغم عدم إقتناع المعتصمين بشرعيته. ولعل الدليل الأكثر قوة هو رفض الإمام علي (عليه السلام) للتحريضات التي حاول بها أبو سفيان تشجيعه على الدخول في حرب أهلية مع السلطة واعداء إياه بإمداده بالمال والرجال<sup>١١١</sup>.

على أن هذه الوسيلة في المقاومات التي استخدمتها الزهراء (عليها السلام) رغم نجاحها في التأثير على عدد كبير من الناس ورغم أنها اضطرت عمر بن الخطاب لاستبعاد فكرة حرق المنزل خوفاً من رد الفعل الشعبي. إلا أنها لم تثبت له ولا أتباعه عن محاولة إنهاء هذه المعارضة باستخدام أسلوب مختلف من العنف، وتذكر الروايات أن الإمام علي (عليه السلام) أخرج من الدار للبيعة. ومن المستبعد أن يكون قد أخرج بالوسائل السلمية. وإنما

الأكيد أن عمر اضطر إلى إقتحام المنزل وإخراجه بالقوة<sup>١١٢</sup> وهو ما تؤيده إضافة إلى الروايات السابقة كلمة علي (عليه السلام) في رسالته لمعاوية حيث يقول:

وقلت أني كنت أقادُ كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع وَلَعَمْرُ اللَّهِ لقد أردت أن تدمَ فَمَدَحْتَ وأن تَفْضَحَ فَأَفْتَضَحْتَ وما علي المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه<sup>١١٣</sup> وهي توحى بمدى العنف الذي إستخدم ضد الإمام علي (عليه السلام) لإجبارة علي مبايعة الخليفة. إضافةً لإعتراف أبي بكر نفسه باقتحام جنوده لمنزل علي (عليه السلام)<sup>١١٤</sup> وقد لا نستبعد في إطار هذا العنف صدق الروايات التي تؤكد تعرض فاطمة (عليها السلام) للضرب من قبل المقتحمين، فالأسلوب الذي استخدمه عمر في التعامل مع هذا الاحتجاج السلمي يؤكد أنه كان علي استعداد لإرتكاب أي فعل في سبيل إجبار علي (عليه السلام) مبايعة الخليفة<sup>١١٥</sup> ورغم أن الإمام (عليه السلام) تمسك برفضه البيعة إلا أن أبا بكر اضطر إلى التنازل في النهاية مفضلاً عدم الإستمرار في اللجوء إلى الوسائل العنيفة مع علي (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) ويبدو أنه خشي الرفض الشعبي الذي لم يكن ليتقبل هذه الأساليب مع ابنة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وابن عمه (عليه السلام)، على أنه أستمر في فرض الحصار حول البيت الهاشمي ومحاولة القضاء على أي منبع قد يمكنهم من الصمود ومحاولة التدبير للثورة والانتقال على حكومته وقد كان أكثر المنابع المؤرقة لأبي بكر المنبع الاقتصادي والذي كان يعتمد على الحقوق الشرعية التي فرضتها الشريعة الإسلامية للبيت النبوي خاصة كسهمهم في الخمس مقابل حرمانهم من الصدقة<sup>١١٦</sup> إضافة لتركة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والتي كانت من ضمنها بعض الأراضي الخصبة والتي سوف تؤول إلى فاطمة (عليها السلام). وهو ما كان سيخرق أي حصار يحاول الخليفة فرضه على علي خاصة أنه لم يكن قد اعترف بشرعية خلافة أبي بكر.

و بالتالي فقد قام الخليفة و من أجل إحكام الحصار حوله وأنصاره بمصادرة هذه الحقوق لصالح خزانة حكومته مدّعياً أنها كانت لهم في حياة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وأن الأنبياء لا يورثون حسب الرواية التي روج لها<sup>١١٧</sup>.

#### المعارضة المسلحة:

انقسمت المعارضة المسلحة في عهد أبي بكر إلى قسمين: —

القسم الاول: — المعارضة الإسلامية الراضة لخلافة أبي بكر.

القسم الثاني: — المعارضة المرتدة. والتي تكونت من قبائل إداعى بعض أفرادها النبوة في

أواخر عهد الرسول (ﷺ). و سوف نقتصر في حديثنا على القسم الأول نظراً لأن المعارضة المرتدة قد بدأت نشاطها في عهد الرسول (ﷺ) وكان السبب الأول لمواجهتها هو قيامها بقتل المسلمين على أرضها<sup>١١٨</sup>. وكما أن هذه المعارضة لم تكن تعتبر نفسها ضمن الدولة الإسلامية في ذلك الوقت بل كونت كل منها حكومات مستقلة في مناطق نفوذها<sup>١١٩</sup>.

تذكر الروايات أن بعض القبائل العربية المسلمة رفضت الاعتراف بخلافة أبي بكر، وليس واضحاً تماماً الأسباب الخاصة بكل قبيلة على حدة، ولكن يمكن استنتاج أن السبب المشترك بين هذه القبائل هو إفتقاد الخليفة لشرعية الدم والقرابة المباشرة التي تؤهله لتولي موقع الرسول (ﷺ). إضافة إلى انتسابه لفرع ضئيل الأهمية في قبيلة قريش، وهو ما عبر عنه أحد الزعماء المعارضين في قبيلة كندة - أكبر القبائل المسلمة المعارضة - قائلاً:

نحن إنما أطعنا رسول (ﷺ) إذا كان حياً، ولو قام رجل من أهل بيته لأطعناه، وأما ابن أبي قحافة فلا والله ماله في رقابنا طاعة ولا بيعة<sup>١٢٠</sup> ومع وجود أقارب الرسول (ﷺ) وعلى رأسهم علي ابن أبي طالب (عليه السلام) فقد تساءل الزعماء المعارضون حول السبب الذي دفع المدنيين إلى عدم توليتهم الخلافة. وقد بدأ من غير المقنع ما ردهه الجهاز الإعلامي للخليفة من أن الرسول (ﷺ) قد مات دون تعيين الخليفة اللاحق<sup>١٢١</sup> ويبدو أن أبا بكر شعر بخطورة هذه المعارضة والتي قد تتطور إلى دعم سياسي وعسكري لأنصار علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالمدينة... وهو ما يفسر الأسلوب القمعي الذي استخدمه الخليفة للقضاء على هذه المعارضة والتي وصلت في بعض المراحل إلى التوحش من جانب القائد العسكري للخليفة - خالد بن الوليد - الذي تذكر بعض الروايات أنه طهى رأس مالك بن نويرة - أحد زعماء قبيلة تميم المعارضين لأبي بكر - وأكل منها<sup>١٢٢</sup>\* ولم يكن القادة الآخرون للخليفة بأقل توحشاً حتى أن عكرمة بن أبي جهل في أثناء حربه مع إحدى عشائر قبيلة كندة - ورغم استسلامهم له - أقام مذبحاً لزعماء القبيلة حيث تذكر الروايات أنه قتلهم صبراً<sup>١٢٣</sup> وهو ما يفهم منه استخدام عكرمة للتعذيب الوحشي وحتى الموت مع هؤلاء الزعماء.

وقد حاول الخليفة تبرير هذه التصرفات أمام الرأي العام بالمدينة بأن هؤلاء المعارضين مرتدون وكفار لمخالفتهم جماعة المسلمين<sup>١٢٤</sup>\* وقد قام جهازه الإعلامي

بترديد هذه المقولة في محاولة للبحث عن شرعية لتلك الممارسات حتى أن أحد أعضاء هذا الجهاز بالغ في محاولاته لشرعيتها - الممارسات العميقة - قائلاً: والله الذي لا إله إلا هو، لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله... أن رسول الله (ﷺ) وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل بذي خشب قبض رسول الله (ﷺ) وارتدت العرب حول المدينة ١٢٥ وقد قامت الكتب التاريخية بتبني هذه المقولات في محاولة من جانبها للمساهمة في تبرير ممارسات حكومة الخليفة الأول مع معارضتها\*١٢٦.

### المعارضة في عهد الخليفة الثاني:

تذكر الروايات التاريخية أن الخليفة الثاني - عمر بن الخطاب - عُرف بالشدة والعنف مع مواطنيه فتصفه:

كان في أخلاق عمر وألفاظه جفاءً، وعنجهية ظاهرة، شديد الغلظة، وعر الجانب، خشن الملمس دائم العبوس ١٢٧. ومن الواضح أن هذه الشدة قد تطورت إلى ديكتاتورية في مواجهة المخالفين. وقد تنوعت أساليبه في القضاء على أي معارضة ربما تشكل خطورة على حكومته، لعل أهم تلك الأساليب، السجن، حيث تذكر الروايات أن عمر قام بسجن عبدالله بن مسعود مع مجموعة من الصحابة بالمدينة لمخالفتهم أمره بمنع تدوين الأحاديث وروايتها عن الرسول (ﷺ) ولم يُطلق سراحهم إلا بعد وفاة عمر، مما يوحي بأنه لم يكن ينوي إطلاق سراحهم أبداً\* ١٢٨ كما تذكر بعض الروايات أن عمر حدد إقامة عبدالله بن حذيفة وأبي الدرداء وأبي ذرّ وعقبة بن عامر بالمدينة بسبب روايتهم للحديث ومخالفتهم لقراراته ١٢٩، وإن كان السجن والمنع من التنقل والسفر هما عقوبة المعارضين الدينيين فإن أساليب مواجهة المعارضين السياسيين الذين يتمتعون بالانتماء لعصبيات قبيلية قوية قادرة على القيام بالثورة ضده تراوحت ما بين النفي مثل حالة خالد بن الوليد الذي قام الخليفة بنفيه إلى الشام\* ١٣٠ وما بين النفي ثم الاغتيال مثل حالة سعد بن عباد زعيم الخزرج، حيث تذكر الروايات أنه رفض الاعتراف بشرعية حكومة الخليفة الثاني مما أدى لحدوث مواجهة كلامية بينهما نُفي على أثرها الزعيم الخزرجي إلى الشام، ومع ذلك فقد كان الخليفة يدرك خطورة بقاء الزعيم الأنصاري الخزرجي على قيد الحياة دون إقراره بشرعية حكومته، فكلف أحد رجاله (محمد بن مسلمة) بالذهاب إليه واغتياله سراً، وخوفاً من ثورة الخزرج وغضبهم ألقت حكومة

الخليفة بالمسئولية على الجن. ١٣١\* ولعل استخدام الخليفة الثاني لتلك الأساليب الإرهابية القمعية ما أدى لعدم بروز أي معارضة منظمة في تلك الفترة — باستثناء المعارضة التي كان يقودها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) والتي كان الخليفة يتحاشى الخوض في أي مواجهة معها كما أنها — تلك الأساليب — كانت من أهم أسباب إغتياله في النهاية على يد أبي لؤلؤة الفارسي ١٣٢.

### المعارضة في عهد الخليفة الثالث:

على الرغم من حرص الخليفة الثالث — عثمان بن عفان — على استلهاهم أساليب التعامل مع المعارضة من مواقف الخليفتين السابقين . وأساليبهما ، بل وإعلانه لهذه السياسية على الملأ وتفاخر بكونه أكثر قوة من الخليفتين لإنتمائه لعصبة قوية وهي عشيرة بني أمية ١٣٣ إلا أنه تجاوز الحدود والخطوط الحمراء في مواجهاته مع المعارضين ، تلك الخطوط التي حرص الخليفتان على عدم الإقتراب منها.

فقد تعصب الخليفة الثالث لعشيرته التي ظن أنها مصدر قوته الحقيقي وقام بتوليها المناصب الحساسة في حكومته وهو مما أثار غضب صحابة الرسول (ﷺ) لكونهم — أي الأمويين — في غالبيتهم العظمى كانوا في حالة عداوة مستمر مع الدعوة منذ بدايتها بل أن الرسول (ﷺ) توفي وهو غاضب على الكثيرين منهم إضافة لإتهام البعض الآخر منهم في قضايا تتعلق بأخلاقهم واستقامتهم ١٣٤.

### التجاوز الثاني

وهو يدل على إفتقار عثمان للدهاء السياسي — يتعلق بأسلوب الخليفة في مواجهة المعارضين له من آل البيت (عليهم السلام) و الصحابة وزوجات الرسول (ﷺ) وهم الشخصيات التي كان الخليفة الثاني يتجنب الخوض في صراعات علنية معها، فقد اصطدم الخليفة بأبي ذر الغفاري أحد أقرب الصحابة إلى الرسول (ﷺ) بسبب تشكيكه في الذمة المالية لعثمان علناً فنفاه الخليفة إلى الشام ويبدو أن ممارسات معاوية بن أبي سفيان والي الشام لاقت انتقادات لاذعة من أبي ذر الغفاري حتى أن الوالي أرسل إلى الخليفة يحذره من وجود أبي ذر في الشام ، فأرسل الخليفة يطلب إحضار أبي ذر إلى المدينة وهناك لم تهدأ معارضة أبي ذر لعثمان حتى أنه روى عن النبي (ﷺ) حديثاً يطعن في أسرة الخليفة ١٣٥ فأمر الخليفة بنفيه إلى بلدة صحراوية

غير مأهولة بالسكان وهو ما تسبب في صدام آخر بينه — أى الخليفة — وبين الهاشميين وعلى رأسهم علي بن أبي طالب (عليه السلام).<sup>١٣٦</sup> إضافة لصدامه مع عمار بن ياسر بسبب معارضة الأخير له في نفي أبي ذرّ والاستيلاء على بعض الأموال والحلي والجواهر من بيت المال . وإعطائها لأسرته ومجاهرتة بهذه المعارضة حتى أنه سجل — هو وبعض الصحابة — هذه الاعتراضات في سجل وقرأه عثمان الذي اعتبر هذه المعارضة جرأة وتجاوزاً لحدود التعامل معه من جانب عمار، وتتفق الروايات على أن الخليفة أمر عبيده بضرب عمار ضرباً عنيفاً كما أنه أقدم بنفسه على ضربه في بعض المناطق الحساسة من جسده<sup>١٣٧</sup> وقد أدى هذا العنف في التعامل مع عمار بن ياسر المسن إلى تعريض حياته للخطر الأمر الذي أغضب حلفاءه من بني مخزوم — إحدى العشائر القرشية — وقد ترتب على هذا الموقف انضمام بني مخزوم إلى صفوف حركة المعارضة ضد عثمان<sup>١٣٨</sup> .

وتذكر الروايات اصطدام الخليفة بمعارضة صحابي آخر وهو عبدالله بن مسعود الذي كان يشغل منصباً مالياً في ولاية الكوفة\* وقد رفض أن يتغافل عن اختلاسات الوليد بن عقبة والي الكوفة — وأخ عثمان من أمه — لأموال بخزانة الولاية، مما دفع الخليفة لتحذيره من تعرضه ومضايقاته للوالي، ولما لم يكن في وسع ابن مسعود تحمل مسؤولية هذه الاختلاسات من قبل أخي الخليفة إضافة لتحمل مجاملات الخليفة لأقاربه من أموال الدولة فقد قام بتقديم استقالته وإعلان موقفه في اجتماع جماهيري بالمسجد، وقد اعتبر الخليفة هذا الموقف محاولة لتهييج الجمهور عليه وعلى أخيه فأمر باستدعائه — ابن مسعود — إلى المدينة حيث تلقى عقاباً قاسياً تسبب في كسر أحد أضلعه، ومن الواضح أن الخليفة كان ينوي قتله حيث تذكر الروايات أن العقاب لم يتوقف إلا بسبب تدخل علي بن أبي طالب (عليه السلام)<sup>١٣٩</sup> ولم يحاول الخليفة إخفاء غضبه من حماية علي (عليه السلام) للمعارضين له حتى أنه اتهمه — أي علياً (عليه السلام) — بالتآمر على قتله<sup>١٤٠</sup> و يبدو أن استخدام الخليفة لأساليبه القمعية كان محكوماً بالشخصية المعارضة، من حيث القبيلة أو العشيرة التي ينتمي إليها ومدى قرابته للرسول (ﷺ)، وبالتالي لم يكن متاحاً للخليفة أن يستخدم هذه الأساليب مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) رغم المعارضة الشديدة التي قام بها ضده ورغم شكه — أي عثمان — في تأمره مع المعارضين له وحمايته لهم<sup>١٤١</sup>\* واكتفى في المقابل بنشر شتائمه واتهاماته لعلي (عليه السلام) في كل صدام بينهما وهو ما أفقده تعاطف الهاشميين والصحابة والموالين لعلي (عليه السلام)<sup>١٤٢</sup> كما لم يجرؤ الخليفة على

قمع معارضة زوجتي الرسول (ﷺ) عائشة و أم سلمة رغم أن الأولى 'كانت من المحرضين على قتله' ١٤٣ والواضح أن هذه الممارسات الدكتاتورية كانت السبب الرئيسي لتجمع الفصائل المعارضة من كافة الأقطار الإسلامية مطالبة عثمان بتعديل سياسته، وقد أضر الخليفة للتنازل أمام ضغط المعارضة والذي بلغ حدّ تهديده بخلعه من الخلافة أو القتل، وحاول في نفس الوقت الحصول على مهلة لإعادة تجهيز أنصاره من الشاميين والاستعداد لقمع المعارضة، ورغم إكتشاف الثوار لمؤامراته وإبلاغهم له مطالبتهم بالتخلي عن الخلافة، إلا أن الخليفة أجاب بعبارة الشهيرة:-

لا أنزع قميصاً قمصنيه الله عزّ وجلّ وأكرمني به وخصّني به علي غيري ١٤٤ وهي تبين أن الخليفة رغم كل ممارساته وتعصبه لعشيرته لم يكن يرى أن من حق هذه الجماهير الثورة عليه ومعارضته بأي حال، الأمر الذي أدّى في النهاية إلى إغتياله ١٤٥.

المعارضة في عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

شكلت المعارضة القائمة ضد حكومة علي (عليه السلام) تجمعاً غير متجانس في منطلقاتها، فالمعارضة القرشية التي قادتها عائشة بنت أبي بكر زوجة الرسول (ﷺ) بالإشتراك مع الزبير بن العوام - زوج أختها - وطلحة بن عبيد الله - ابن عمها\* إضافة لبعض أعضاء حكومة الخليفة السابق وأقاربه، أنطلقت من خلال الكراهية المتأصلة التي تكنها زوجة النبي (ﷺ) لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) والعائدة أصولها لمرحلة حياة الرسول (ﷺ) و مرحلة خلافة أبي بكر من ناحية\* ، ومن ناحية أخرى فإن دوافع الزبير بن العوام و طلحة بن عبيد الله لقيادة هذه الحركة المعارضة نشأت من إلغاء علي (عليه السلام) - حسب البرنامج الذي أعلن أن حكومته ستلتزم به - الإمتيازات المادية التي منحها لهم الحكومات السابقة إضافة لإدراكهما باستحالة تحقيق أي نفوذ سياسي من خلال علي بن أبي طالب (عليه السلام) ورغم أن هذا الثلاث كان هو المحرض الأساسي للثورة ضد الخليفة السابق فقد انضم إلى حركته بعض أعضاء حكومة هذا الخليفة مثل مروان بن الحكم مستشاره الخاص وَيَعْلَى بن أمية واليه علي اليمن و عبد الله بن عامر واليه علي البصرة - واللذين تكفلا بتقديم الدعم المالي والعنادي للحركة - في محاولة منهم لاستعادة الإمتيازات المادية والسياسية التي منحها لهم الخليفة السابق ١٤٦.

وقد نشطت الدوافع القبلية في تحريك بعض المعارضات المسلحة. كالثورة التي قادها

الخِرْبِتُ بنُ راشدِ النَّاجِي والمنطلقة من محاولة الاستقلال بحكم قبيلة بني ناجية<sup>١٤٧</sup>. ومن ناحية أخرى تعدُّ حركة المعارضة الخارجية هي الوحيدة التي نشأت من منطلقات فكرية وعقائدية قامت بالدعوة إليها وحاولت تطبيقها وإن استخدمت وسائل الإرهاب — الفكري والجسدي — لتحقيق أهدافها<sup>١٤٨</sup>.

أما المعارضة الأموية والتي تمركزت في إقليم الشام فمن غير الممكن اعتبارها حركة معارضة أو نائبة فلم تدخل الشام ضمن نطاق الدولة التي حكمها عليّ (عليه السلام) أبداً، كما لم يعترف معاوية حاكم الإقليم الشامي بحكومة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وبالتالي فإن علياً لم يواجه معاوية كمعارض أو نائب وإنما واجه كمنشق عن الدولة\*<sup>١٤٩</sup> وفي إطار مناقشة وضع المعارضة في عهد عليّ (عليه السلام)، ثمة نقطتين سوف يتعرّضُ إليها هذا البحث.

**النقطة الأولى:** — شرعية المعارضة في فكر علي (عليه السلام).

**النقطة الثانية:** — صلاحيات المعارضة.

١. شرعية المعارضة في فكر علي (عليه السلام):

توجد عدة محاور لدراسة تصورات علي (عليه السلام) حول شرعية المعارضة، ومدى التطابق الحادث بين هذا التصور النظري وبين الممارسة العملية والواقعية في أثناء المواجهات المتعددة التي جرت بين حكومة علي (عليه السلام) والفصائل المعارضة لها. أول هذه المحاور هو: الموقف النظري والإعلامي من المعارضة. من الممكن استنباط عدة قواعد لتوضيح هذا الموقف من الروايات التاريخية. القاعدة الأولى: —

تحريم استخدام الوسائل القهرية في مواجهة المعارضة السلمية.

يقول علي (عليه السلام) أثناء حوارهِ مع بعض المعارضين الكوفيين لسياسته في مواجهة المنشقين الشاميين بقيادة معاوية بن أبي سفيان: — ولقد علمت أن الذي يصلحكم هو السيف، وما كنت متحريراً صلاحكم بفساد نفسي<sup>١٥٠</sup>.

ويقول في حوار آخر: — وإني لعالم بما يصلحكم ويقيم لي أودكم ولكن والله لا أصلحكم بفساد نفسي<sup>١٥١</sup>. وإلتزام علي (عليه السلام) في هذين الحوارين بعدم اللجوء إلى وسائل القهر — التي عبّر عنها بالسيف — ليس مجرد إلتزام شخصي وإنما هو حكم شرعي يحرم على الحاكم اللجوء إلى تلك الوسائل مع معارضيه. حيث من الواضح أن علياً (عليه السلام) وضع اللجوء إلى السيف كفعلٍ متطابقٍ مع الفسادِ و متعارضٍ مع الصلاحِ. وهو يؤكد هذا



الإعتقاد في حوارهِ العَلني مع مالك بن حبيب التميمي اليربوعي الذي نصحه بأن يقتل بعض المعارضين الكوفيين الذين رفضوا المشاركة في المواجهة مع المعارضين القرشيين في موقعة الجمل حيث يقول - يا مالُ جزت المدى، وعدوت الحدّ، وأغرقت في النزاع. على أن مالك حاول الإستيلاء على 'صحّة رأيه بأحد أبيات الشعر.

لبعض الغشم أبلغ في أمور تنوبك عن مهادنة الأعداي

فقال علي (عليه السلام) ليس هكذا قضى الله يا مالُ، قال الله تعالى «النفس بالنفس» فما بال بعض الغشم؟<sup>١٥٢</sup>. من ناحية أخرى وفي اطار تأكيدهِ على التحريم الشرعي لإستخدام تلك الوسائل مع المعارضين فإنّ علياً يذم في خطابه الرسمي بعض الممارسات القهريّة التي تنبأ بلجوء معاوية إليها مع المواطنين في حالة إنتصارهِ فيقول: - فكأنكم والله بامريء قد جاءكم يحرمكم ويعذبكم فيعذب به الله كما يعذبكم<sup>١٥٣</sup> ويقول حول النفس النبوءة وليضربنكم وليذلنكم... ويقطعن سبيلكم<sup>١٥٤</sup>.

القاعدة الثالثة عدم اللجوء إلى المصادرة العقائدية الإعلامية للمعارضين

والمقصود بهذه القاعدة عدم اللجوء لإصدار أحكام الردة على المعارضين سواء المسلمين أو الذين قاموا بحركات مسلحة: - ولكننا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والإعوجاج والشبهة والتأويل. فإذا طمعنا في خصلة يلتم الله بها شعنا وندانئ بها إلى البقية فيما بينا رغبتنا فيها وأمسكتنا عما سواها<sup>١٥٥</sup>.

على أن علياً في تناوله الإعلامي للمعارضين ورغم إبتعاده عن مصادرتهم عقائدياً إلا أنّ ثمة فروق ملحوظة في هذا التناول بين المعارضة القرشية والتي استخدمت أساليب مكيا فيلييه، وبين المعارضة الخارجية التي قامت على أسس فكرية وعقائدية: - لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركوه<sup>١٥٦</sup>.

بالنسبة للنوع الأول فقد اختلفت درجات الهجوم الإعلامي ما بين المعارضة السلمية والمعارضة المسلحة وإن تركّز في كلا الحالتين حول شخصيات المعارضين وأسباب معارضتهم.

فيقول واصفاً معارضة بعض المهاجرين والأنصار لحكومته: - وقد بلغني عن سعد وابن مسلمة، وأسامة، وعبدالله، وحسان بن ثابت أمور كرهتها والحق بيني وبينهم<sup>١٥٧</sup>. ويقول عن عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص زعيما تلك المعارضة: - إن عبد الله بن عمر، وسعداً خذلا الحق ولم ينصرا الباطل متى كانا إمامين في الخير فيتبعان<sup>١٥٨</sup>

وقد صرح عليٌّ بموقفه من هذه المعارضة عقب حرب الجمل وما أُلوم اليوم من كف عنا وعن غيرنا ولكن المليم الذي يقتلنا<sup>١٥٩</sup> ويلاحظ أن لغة الخطاب الإعلامي التي استخدمها عليٌّ في مواجهة المعارضة القرشية بقيادة طلحة والزبير وعائشة لم تتجاوز في البداية هذا النمط: — إن هؤلاء قد تمالؤا على سخطة إمارتي، وسأصبر ما لم أخف على جماعتي<sup>١٦٠</sup>، وقد تطور الجمهور الإعلامي عقب قيام الحركة باحتلال البصرة وقتل أتباع عليٍّ (عليه السلام) بها: — إتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، وأتخذهم له أشراكاً فباض وفرّخ في صدورهم.. فركب الزلل وزين لهم الخطل<sup>١٦١</sup> يقول: —

ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه. واستجلب خليه ورجله<sup>١٦٢</sup>. ويقول في توضيح أسباب هذه المعارضة: —

أيها الناس إن عائشة سارت إلى البصرة ومعها طلحة والزبير، وكلّ منهما يرى الأمر له دون صاحبه، أمّا طلحة فابن عمّها، وأمّا الزبير فختها، والله لو ظفروا بما أرادوا — ولن ينالوا ذلك أبداً — ليضربنّ أحدهما عنق صاحبه بعد تنازعٍ منهما شديداً.. وإنهما ليعلمان أنّهما مخطئان؟ ولربّ عالمٍ قتله جهله ومعه علمه لا ينفعه<sup>١٦٣</sup> و يقول:

ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه فكتماه عني وخرجا يوهمان الطعام أنهما يطالبان بدم عثمان. والله إنهما لعلّى ضلالٍ صمّاءٍ و جهالةٍ عمياء<sup>١٦٤</sup> و يقول: — وبايعني هذان الرجلان طلحة والزبير على الطوع منهما ومنكم والإيثار، ثم نهضا يريدان البصرة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم.. انفروا — رحمكم الله — في طلب هذين الناكثين القاسطين الباغيين قبل أن يفوت تدارك ما جنياه<sup>١٦٥</sup>.

أمّا النوع الثاني: — المعارضة الخارجية: — فقد تركز الخطاب الإعلامي على توجيه النقد لأسسهم الفكرية التي كانت أهم أسباب معارضتهم.

فيصف الشعار الفكري الأساسي لهذا الحزب هو (لا حكم إلا لله) كلمة حقّ يُراد بها

باطل<sup>١٦٦</sup>.

و يقول في حوار بينه وبين بعض الخوارج: — فأبوا شرّ ما أب. وأرجعوا على أثر الأعتاب<sup>١٦٧</sup>\* و يقول في نقدٍ آخرٍ لأفكارهم: — فحسبهم بخروجهم من الهدى، وارتكاسهم في الضلال والعمى، وصدّهم عن الحق، وجماعهم في التيه<sup>١٦٨</sup>.\*

القاعدة الثالثة: - مواجهة المعارضة السلمية (من الناحية النظرية)

ثمة فروق في كيفية المواجهة ما بين المعارضة التي تراجعت عن بيعتها وإعترافها بحكومة علي (عليه السلام)، وبين المعارضة التي اعترفت بحكومة علي (عليه السلام) ورفضت بالمقابل - رغم حصولها على حقوقها التي يفرضها هذا الاعتراف على الحكومة - أداء الواجبات التي يفرضها عليها هذا الاعتراف لا سيما الواجبات العسكرية المعارضة التي تشكلت من بعض القبال المعادية لعلي (عليه السلام) في الكوفة والبصرة.

بالنسبة للمعارضة الأولى والتي لم تكتف بالتراجع عن البيعة وسحب إعترافها بالحكومة وإنما سعت إلى القيام بمعركة عسكرية لقلب نظام الحكم فيقول علي (عليه السلام) عن كيفية مواجهته لها: - وإني لراض بحجة الله عليهم وعذره فيهم، إذ أنا داعيهم فمعتذر إليهم، فإن تابوا وأقبلوا فالتوبة مبدولة والحق مقبول، وليس على الله كفران، وإن أبوا أعطيتهم حدَّ السيف<sup>١٦٩</sup>.

وهذا لأسلوب يؤكد على 'عدم اللجوء إلى العنف إلا كرد فعل على عنف الجهة المقابلة سواء تجاه الحكومة أو تجاه المواطنين: - إن هؤلاء قد تماثلوا على أسخطة إمارتي، وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم<sup>١٧٠</sup>

أما المعارضة الثانية فقد دعا علي (عليه السلام) إلى تكوين رأي عام قوي لمواجهتها في محاولة لاستخدام هذا الضغط الشعبي لدفعها كي تغير سياساتها إزاء حكومته: - وقد قعد عن نصرتي منكم رجال، وأنا عليهم عاتب زار فأهجر وهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبرونا ونر منهم ما نحب<sup>١٧١</sup> ولم يشذ النوع الثالث من المعارضة التي تركزت في البصرة حيث يرسم علي (عليه السلام) لعبدالله بن عباس والية على البصرة، أسلوب التعامل مع أهالي هذه الولاية المنتمية في غالبيتهم العظمى إلى المعارضة القرشية: - فحادث أهلها بالإحسان إليهم، وأحلل عقدة الخوف عن قلوبهم<sup>١٧٢</sup>.

ثم ينتفض اضطهاده لقبيلة تميم المعارضة...، وقد بلغني تَمَرَكُ لبني تميم وغلظتك عليهم. فأربع - أرفق - أبا العباس رحمك الله فيما جرى على لسانك ويديك من خيرٍ وشرٍ فإننا شريكان في ذلك<sup>١٧٣</sup>.

لقد تجانست هذه القواعد الثلاث لتوضيح الموقف النظري والإعلامي لعلي (عليه السلام) من المعارضة والذي يعتمد على إعلان الأسس الشرعية الإسلامية التي على الحاكم عدم تجاوز حدودها في تعامله مع معارضيهِ. وهو إعلام صريح لشرعية المعارضة: - نظرياً -

المحور الثاني:- الموقف التطبيقي للأسس المعلنة في التعامل مع المعارضة توجد - علي الدوام - فجوة بين ما يعلن السياسيون التزامهم به من مبادئ - خاصة في مواجهة المعارضة\* - وبين ما تطبقه حكوماتهم علي الواقع، وباتساع هذه الفجوة إلى حدّ التناقض الصارخ أو بتقلصها إلى حدّ الإشتباه في التطابق والتماثل يتحدد مدى إرتباط الشعوب بهذه الحكومات وهؤلاء السياسيين ويبقى التساؤل حول مدى تطبيق علي (عليه السلام) لهذه الأسس - المتعلقة بشرعية المعارضة - التي أعلنها علي واقع المواجهات العديدة الحادثة بين حكومته وبين المعارضة؟ وبالتالي مدى مصداقية القاعدة السياسية السالفة علي حكومة علي (عليه السلام).

لقد تعرضت حكومة علي (عليه السلام) لعدة إختبارات كانت كفيلا لإثبات إيمانها بهذه الأسس المعلنة من عدمه. فقد أرسلت أرملة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (عائشة) إلى كلاً من طلحة والزبير تخبرهما برفضها الاعتراف بخلافة علي (عليه السلام) وتحالفها مع أعضاء حكومة الخليفة السابق، كما قام المنشق الأموي معاوية بالشام بإرسال خطاب إليهما يحرضهما فيه علي قيادة إنقلاب ضد علي (عليه السلام) في مقابل توليها للخلافة علي التوالي. وقد تسلم كلاً من طلحة والزبير الرسالتان في خضم القرارات التي اتخذها علي (عليه السلام) والتي نتج عنها حرمانهما من الإمتيازات الطبقية التي منحتها لهم ولغيرهم الحكومات السابقة<sup>١٧٤</sup> وهو ما دفع الاثنيين إلى الإستجابة لهذه المحاولات التحريضية، وكانت العقبة الأساسية أمام تنفيذ مخططاتهما هي كيفية الخروج من المدينة ولم يكن أمامهما سوى الإدعاء أمام الخليفة برغبتهما في أداء العمرة. ورغم أن علياً (عليه السلام) كان قد علم بأمر الرسالتين اللتين وصلتا من مكة ودمشق إضافة لإدراكه للطموحات السياسية لطلحة والزبير حتى أنه صارحهما بعلمه أنهما يقومان بالإستعداد للإنقلاب علي حكومته :- والله ما تريدان العمرة ولكنكما تريدان الغدرة، وإنما تريدان البصرة<sup>١٧٥</sup> إلا أنه لم يحاول إتخاذ أي إجراء قهري أو حتى أمنيّ ضدهما بل أنه رفض إقتراح أحد أنصاره - عبدالله بن العباس - الذي نصحه باعتقالهما:- إذا كان عندك الأمر كذلك فلما أذنت لهما؟ وهلا حبستهما وأوثقتهما بالحديد وكفيت المسلمين شرهما. فقال له علي (عليه السلام) :- يا بن عباس أتأمرني أن أبدأ بالظلم وبالسيئة قبل الحسنة، وأعاقب علي الظنة والتهمة وآخذ بالفعل قبل كونه؟ كلا! والله لا عدلت عما أخذ الله عليّ من الحكم بالعدل<sup>١٧٦</sup> وقد ترافقت مع قيام هذه المحاولة الانقلابية، ومحاولات بعض الشخصيات المعارضة من الصحابة

لتحريض المواطنين بالمدينة والكوفة على عصيان الإستنفار الذي أعلنته حكومة علي (عليه السلام) لمواجهة هذا الانقلاب<sup>١٧٧</sup> ورغم أن هذه الدعوة كانت مخالفة لشرط البيعة والتي تختزن الطاعة للخليفة في حالات السلم والحرب في حال لم يقيم بأي تصرف مخالف لشرط العدالة<sup>١٧٨</sup> إضافة ما يحمله هذا لتحريض من دعم وتأيد خفي لموقف الانقلابيين<sup>١٧٩</sup> إلا أن علياً (عليه السلام) لم يتخذ إزاء الشخصيات المعارضة أي إجراء ما من شأنه تقييد حريتهم أو إزائهم بأي شكل وإنما اكتفى بقوله في الحوار الذي دار بينه وبينهم: — ليس كل مفتون معاتب، أستم علي بيعتي؟ قالوا: — بلى. قال: إنصرفوا فيسغني الله تعالى عنكم<sup>١٨٠</sup> أما والي الكوفة أبو موسى الأشعري والذي كان يقود هذا النوع من المعارضة في ولايته فقد إكتفى علي (عليه السلام) بعزله عن الولاية ولم يتخذ ضده أو ضد أتباعه أي إجراءات إنتقامية من أي نوع<sup>١٨١</sup> وتؤكد المواجهات التي جرت بين علي (عليه السلام) والخوارج على رفض علي لممارسة أي قدر من القهر مع أي معارضة حتى لو كانت تعلن كفره وخروجه عن الإسلام: أو تعلن نياتها في الإنشقاق عليه دون أن تمارس هذا الإنشقاق فعلياً حيث تذكر الروايات التاريخية حواراه مع الخوارج عقب قيامهم بتظاهرة ضده أثناء إلقاءه لإحدى الخطب في المسجد فقال لهم: — لكم عندنا ثلاث خصال: — لا نمنعكم مساجد الله أن تصلوا فيها، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم في أيدينا، ولا نبداكم بحرب حتى تبدؤونا به<sup>١٨٢</sup>.

وقد رفض علي (عليه السلام) الإقتراح الذي قدمه أحد أتباعه — الخريت بن راشد الناجي — بقتل أو إعتقال بعض الخوارج في جيشه بعد أن سمعها يتآمران على القيام بثورة ضده قائلاً: — لقد كان ينبغي لك أن تعلم أنني لا أقتل من لم يقاتلني ولم يظهر لي عداوة. وكان ينبغي لك، لو أنني أردت قتلهم، أن تقول لي: إتي الله، بم تستحل قتلهم، ولم يقتلوا أحداً ولم ينادوك ولم يخرجوا من طاعتك (١٨٣). و تكرر هذا الرفض من جانب الامام عندما أعلن الخريت بن راشد أمام علي (عليه السلام): —

والله يا علي لا أطيع امرك ولا أصلي خلفك واني غداً لمفارقك<sup>١٨٤</sup> وإقتراح أحد أتباعه — عبدالله بن فقيم — أمام هذا الإعلان الإستفزازي أن يقوم بإعتقاله فقال: — إنا لو فعلنا هذا بكل من نتهمه من الناس ملأنا سجننا منهم، ولا أراه — أي الإعتقال — حتى يظهر لنا الخلاف<sup>١٨٥</sup>.

كما تذكر الروايات التاريخية كذلك محاولة لبعض زعماء المعارضة في الكوفة كان

هدفها الأول التهكم والإستهزاء بحكومة علي (عليه السلام) فقد قام عمرو بن الخريت — وهو أحد القيادات المعارضة بالكوفة — ومع سبعة من المعارضين بمبايعة حيوان (ضب) بالخلافة. علي أن علياً رغم علمه بهذا التصرف الساخر والساعي للنيل من هيبة حكومته، لم يحاول إستغلاله لإتخاذ إجراءات قمعية ضد هؤلاء المعارضين بحجة الحفاظ والثأر لهيبة الدولة والذات الخلافية. وإنما إستخدم رد الفعل الذي يسمح به التشريع — كما يعتقد — والمتضمن لذات الأسلوب الساخر والتهكم من هذه المعرصة: — وإني أقسم لكم بالله ليعثن يوم القيامة ثمانية نفر بإمامهم وهو ضب ولو شئت أن أسميهم لفعلت ١٨٦.

### المحور الثالث: — أسباب المواجهات المسلحة مع المعارضة.

لم تتعدّد الأسباب الموجبة للمواجهة المسلحة مع المعارضة عند علي (عليه السلام) وإنما إختزلت في سبب واحد وهو تهديد كيان الدولة والإعتداء على المواطنين. وقد أوضح علي (عليه السلام) في حوار مع بعض أنصاره أسباب لجوءه إلى السلاح لإخماد الإقلاّب الذي قاده طلحة والزبير وعائشة: — قاتلتهم علي نقضهم بيعتي وقتلهم شيعتي من المؤمنين.. حكيم بن جبلة العبدي من عبد القيس والسباجة والأساورة بلا حق إستوجبوه منهما، ولا كان ذلك لهما دون الإمام ١٨٧.

فنقض البيعة و تطبيق عقوبة على المواطنين دون تكليف من الدولة والإعتداء على أرواح المواطنين دون محاكمة عادلة لمجرد المعارضة إعتبره علي (عليه السلام) تهديد لشرعيته المكتسبة من إنتخاب المسلمين له دون إكراه كما اعتبره تهديداً للشرعية الدستورية والأمن. وهو المكلف بحمايتها.

هذه القاعدة هي التي طبقها علي (عليه السلام) سواء في مواجهته للخوارج في النهروان أو في مواجهته لثورة بني ناجية بقيادة الخريت بن راشد، فقد قام الخوارج بالإعتداء على عبد الله بن خباب بن الأرت وزوجته الحامل وقتلوهما وعلم علياً بالحادث فأرسل أحد أتباعه — الحارث بن مرّة العبدي — للتأكد من مدى صحتها. فقام الخوارج بقتله، فكرر علي مرسلته لهم — عبر سفير يهودي\* — طالباً منهم تسليم الجناه الذين إرتكبوا هذه الجرائم لمعاقتهم فكان ردهم: — إنا كُنّا قتلناهم، وكلنا مستحلّ لدمائكم ودمائهم ١٨٨ وبموجب هذه الإجابة وجد علي نفسه مضطراً لإستخدام العنف مع هذه المجموعة الإرهابية حفاظاً على الأمن ١٨٩ وفي ثورة الخريت بن راشد الناجي فقد قام أتباعه بقتل فارسي مسلم لا اعتقاده بأن علياً أمير المؤمنين وأنه سيد البشر ورفض الخريت

تسليم القاتلين كما رفض التراجع عن محاولته الإنشاقية فاضطر علي (عليه السلام) إلى استخدام القوة في مواجهتهم<sup>١٩٠</sup>.

على أن الواضح أن مجرد التراجع عن البيعة ربّما لم يكن من ضمن الأسباب الموجبة لإسقاط العقاب عن المعارض وربّما تؤكد كلمة الإمام علي (عليه السلام) للخيريت هذا الاستنتاج: — لقد كان ينبغي لك أن تعلم أنني لا أقتل من لم يُقاتلني و لم يظهر لي عداوة<sup>١٩١</sup> كما يؤكد ذلك موقف علي (عليه السلام) من الخوارج الذين أعلنوا تكفيرهم فعند بداية قيام الخوارج باعتصامهم طالب بعض الكوفيين علياً بالقضاء عليهم. إلا أنه أجاب:—

أمّا بعد فقد بلغني قولكم: — لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت علينا فبدأنا بهم، إلا أن غير هذه الخارجة أهم علي أمير المؤمنين، سيئروا إلى قوم يقاتلونكم كما يكوونوا في الأرض جبارين ملوكاً. ويتخذهم المؤمنون أرباباً، ويتخذون عباد الله خولاً ودعوا ذكر الخوارج<sup>١٩٢</sup>.

ومما يبدو من توضيح علي (عليه السلام) لأسباب الحرب القائمة بينه وبين معاوية كالتجبر في الأرض واستعباد الناس أن علياً يرفض استخدام العنف مع الخوارج لأنهم لم يرتكبوا أي مخالفة من المخالفات السابقة كما أنهم لا يسعون إلى ما يسعى إليه الشاميون.

### ب — صلاحيات المعارضة:

تنقسم هذه النقطة إلى محورين:

الأول: — صلاحيات المعارضة في الدعوة العلنية لأفكارها.

الثاني: — صلاحيات المعارضة في الحركة.

المحور الأول: — صلاحيات المعارضين في الدعوة العلنية لأفكارها

ربّما كانت حركة المعارضة الخارجية هي الوحيدة التي قامت دفاعاً عن قضية معينة آمنت بها. وبالتالي فقد كانت المعارضة الوحيدة التي تملك أفكاراً سياسية و عقائدية تسعى إلى تطبيقها بإخلاص. و مع ذلك ورغم أن الحركات الأخرى شابتها سمات الإنتهازية والعنصرية الطبقية فإنها لم تحرم الحجج التي إختلقها لإثبات مدى صدق مواقفها وإجتذاب العدد الأكبر من المؤيدين.

و حسبما تظهر النصوص فإن علياً (عليه السلام) لم يستخدم في مواجهة الإعلاميات

المعارضة إلا هذه الأدوات الإعلامية وتفوق عليّ (عليه السلام) في قدرة جهازه الإعلامي على كشف الخلل في شخصيات قواد المعارضة ومدى إخلاصهم لدعوتهم، والإجراءات في المواجهة.

وبالتالي ترشح شرعية القرارات التي تتخذها حكومته وشرعيته الذاتية كحاكم. وقد بدأت المجموعات الموالية للخليفة السابق — عثمان بن عفان — بشن هجوم إعلامي على حكومة عليّ (عليه السلام) واتهمته علناً بالتحريض على قتل عثمان، استخدمت في هذه الحملة الإعلامية كلّ الإمكانيات المتاحة في هذه الفترة\* ١٩٣، إلا أنّ علياً (عليه السلام) لم يحاول الحدّ من هذا الهجوم كاستخدام أساليب بوليسية قهرية ولم يلجأ إلى القوة إلا بعد تحرك هذه المعارضة العسكرية لإحتلال مدينة البصرة وإعتدائهم على مواطنيها.

كما لجأ بعض المعارضين كسعد بن أبي وقاص إلى الدعوة لفكرة الإنعزال عن المشاركة في هذا الخلاف سواء في جانب عليّ (عليه السلام) أو معارضييه بحجة أن الطرفين حسب إعتقاده — على خطأ<sup>١٩٤</sup>.

ورغم أن هذه الدعوة — وإن بدت سلمية — تصب في جانب الطرف المعارض وتمنحه الشرعية والمساوات بالخليفة المنتخب فإن علياً لم يقيم بأي إجراءات أمنية تجاهها من منطلق اعترافه العلني بمشروعيتها في الدعوة إلى أفكارها، وقد وصل الخوارج في استخدامهم لهذا الحق إلى حدّ الدعوة العلنية إلى تكفير عليّ (عليه السلام) والمسلمين التابعين له وإتهامه بالخيانة للعقيدة<sup>١٩٥</sup>.

وكان ردّ فعل عليّ (عليه السلام) هو المواجهة الفكرية مع هذا الحزب وإثبات بطلان أفكارهم، وهو إضافة لذلك من لم يمنع هذا الحزب استخدام حقه في علانية طرحه لأطروحاته مستخدماً نفس الوسائل التي تستخدمها الحكومة سواء الخطابية في المساجد أو الشعر أو حتى المناظرة. حتى أن النموذج قام بتكفيره في المسجد: — قاتله كافراً ما أفقّه! وقد حاول بعض أنصار عليّ (عليه السلام) الاعتداء على الرجل إلا أنه — أي عليّ (عليه السلام) — صرح برأيه في كيفية مواجهة هذا النوع من الخلافات الفكرية: — رويداً إنما هو سَبُّ سَبِّ أو عفوَ عَن ذَنْبٍ<sup>١٩٦</sup>.

فمنعُ عليّ (عليه السلام) لأتباعه الاعتداء على المعارضين وحصره لأساليب المواجهة لهذا الهجوم إطار الردّ الفكري: — إنما هو سَبُّ سَبِّ. هذا الحصرُ يدلُّ على إعتقاد عليّ



(عليه السلام) بعدم مشروعية استخدام الإساليب القهرية كالقتل والاعتقال لمواجهة أي أفكار حتى ولو كانت تمثل هجوماً على الحاكم ما دامت لم تحاول تهديد كيان الدولة أو أمان المواطنين .

المحور الثاني: صلاحيات المعارضة في الحركة:

تتمثل هذه الصلاحيات في عدة ممارسات مثل مسائلة الحاكم والثورة عليه والإعتصام والإضراب والتظاهر وإقامة المؤتمرات والاجتماعات، وتعد هذه الممارسات أحد وسائل الترويج للأفكار وأهدافها وإيجاد قدر من التفاعل الشعبي معها.

أ- صلاحية مسائلة الحاكم والثورة عليه :

يقول علي (عليه السلام) في خطبة له أمام البصريين الذين ساندوا معارضيهِ: - معاشر الناس إني تقلدت أمركم هذا، فوالله ما حبست منه بقليل ولا كثير إلا قارورة من دهن طيب أهداها إليّ دهقان<sup>١٩٧</sup>.

و يقول: - يا أهل البصرة ما تنقمون عليّ والله إنهما - وأشار إلى قميصه وردائه - لمن غزل أهلي، ما تنقمون مني يا أهل البصرة، والله ما هي - وأشار إلى 'صرّة في يده فيها نفقته - إلا من غلّني بالمدينة فإن أنا خرجت من عندكم بأكثر مما ترون، فأنا عند الله من الخائنين<sup>١٩٨</sup>.

في هذين النصين يعطي علي (عليه السلام) - من منطلق محافظته كحاكم عليّ الحقوق لمعارضيه صلاحية مسائلته (ما تنقمون مني يا أهل البصرة) حول ممارسته وممارسات حكومته، وهو في مواجهة هذه المسألة يقدم تبريراً و دفاعاً عن هذه الممارسات، ممّا يوضح مدى الشرعية التي تستند إليها هذه الصلاحية عند علي (عليه السلام) والغير مرتبطة بالحالة المزاجية بالحاكم إنما هي حقّ أساسي من حقوق المواطنين .

وهو من ناحية أخرى 'يأمر ولاته بالخضوع لهذه المسائلة و عدم التكبر والعنجهية في مواجهة رقابة الشعب عليّ الحاكم موضعاً أهمية هذه الرقابة:- وإن ظنت بك الرعية حيفاً، فأصحر لهم بعذرک، واعدل عنک ظنونهم بإصهارک، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك<sup>١٩٩</sup>.

كما يحرض الرعية عليّ 'تشديد الرقابة عليّ الولاية:- قد اسخلفت عليكم عبدالله بن العباس فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله، فإن أحدث فيكم أو زاع عن

الحق فاعلموا اني اعزله عنكم فاني ارجو ان أجده عفيفاً ورعاً<sup>٢٠٠</sup>.

والملاحظ في هذا النص هو الحل الذي يطرحه علي (عليه السلام) على المواطنين أمام مشكلة خروج الحاكم على التشريع فيقول: فاعلموا اني اعزله عنكم. وهو هنا يعطي شرعية للمواطنين بعزل الحاكم تلقائياً أن هذا العزل سوف يكون مباركاً من قبله في حالة تخطي الوالي للحدود الشرعية والقانونية.

ويوجد حل آخر طرحه علي (عليه السلام) في حالة خروج الحاكم على القوانين وتخطيه لقدسيته وهو الثورة فيقول حول أسباب ثورة الزبير وطلحة وعائشة:— واللّه ما أنكروا عليّ شيئاً منكراً، ولا استأثرت بمال ولا ملت بهوى.. بايعوني ونكثوا بيعتي، وما استأنوا حتى يعرفوا جورى من عدلى<sup>٢٠١</sup>.

و يقول حول نفس الموضوع:— ولذلك بعثت إليكم واستصرختكم عند نقض طلحة والزبير بيعتي عن غير جور مني ولا حدث<sup>٢٠٢</sup>.

و يقول:— واللّه ما أنكرا عليّ منكراً، ولا جعلاني وبينهم نصفاً<sup>٢٠٣</sup>.

و يقول في رسالة بعثها لطلحة والزبير:— إن أخاكما يقرؤكما السلام ويقول لكما: هل وجدتما عليّ حيفاً في حكم أو استئثار في شيء<sup>٢٠٤</sup>.

و يقول في رسالة إلى الزبير:— نشدك الله ألتست قد بايعتني طائعاً غير مكره، فما الذي أحدثت فاستحللت به قتالي<sup>٢٠٥</sup>.

هذه المرويات تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك على حلية الثورة على الحاكم في حالة الظلم أو عدم المساواة في المعاملة بين المواطنين أو الخروج على القانون والشرعية إضافة لشرعيتها في حالة الإكراه على البيعة والانتخاب والتي تعد باطلة حينذاك.

ب - صلاحية الإعتصام :

قامت في عهد علي (عليه السلام) عدة إعتصامات إلا أن أهمها إعتصامان هما:—

١- إعتصام مكة الذي قاده عائشة

٢- إعتصام الخوارج في النهروان

١- إعتصام مكة: تذكر المرويات التاريخية أن عائشة أعلنت رفضها لخلافة علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأقامت بمكة تحرض المسلمين على رفض بيعة علي فذهب إلى مكة مجموعات من المعارضين اعتصموا بها احتجاجاً على قتل الخليفة السابق وتولي علي

(عليه السلام) للحكومة<sup>٢٠٦</sup> ورغم خطورة تجمع كل هؤلاء المعارضين في مدينة واحدة كمكة تحمل قدسية خاصة فإن علي (عليه السلام) لم ينتهك هذا الإعتصام السلمي و لم يتحرك عسكرياً إلا بعد تأكده من تجهيزهم لقوات عسكرية متجهة ناحية لعراق .

٢- اعتصام النهران :- قامت به المجموعات الخارجية التي رفضت التحكيم بين علي (عليه السلام) و معاوية واتّجهت إلى جسر النهران بالمدائن معلنة إحتجاجها على هذا التحكيم واعتصمت بتلك المنطقة<sup>٢٠٧</sup>. ورغم أنّ علياً (عليه السلام) كان يراقب هذه الممارسات إلا أنه لم يحاول التصدي لها من منطلق شرعيتها وإنما دافع عن سياسته موضعاً خطأ هذا التصرف في تلك المرحلة :- و والله لأغزونهم ولو لم يبق أحد غيري لجاهدتهم<sup>٢٠٨</sup>.

ج - صلاحية إقامة المؤتمرات والاجتماعات :

شهدت الساحة السياسية في عهد علياً (عليه السلام) مؤتمرات واجتماعات للمعارضين، فقد اجتمع الخوارج في بيت عبدالله بن وهب الراسبي و عقدوا مؤتمراً قرروا فيه تنظيم إعتصامهم السالف الذكر ثم اجتمعوا مرّة ثانية في منزل زفر بن حصين الطائي حيث حدّدوا النهران كمكان مناسب للإعتصام ثم اجتمعوا في منزل حرقوص بن زهير لتحديد اليوم المناسب للخروج من الكوفة<sup>٢٠٩</sup>.

هذه الاجتماعات المتكررة لم تكن بعيدة عن الرقابة الأمنية لعلي خاصة أنها تمت داخل مدينة الكوفة ومع ذلك فلم تذكر المرويات أي محاولة لعلي (عليه السلام) تنتهك هذه المؤتمرات أو الاجتماعات رغم أنها كانت تدعو بصراحة للتراجع عن بيعة علي وقد أقام بعض فلول الخوارج عدة اجتماعات عقب موقعة النهران ومع ذلك فقد رفض علي (عليه السلام) اتخاذ أي اجراءات أمنية ضدها<sup>٢١٠</sup>.

كما أقام الخريت بن راشد الناجي مؤتمراً بالكوفة دعى إليه ثلاثمائة شخص ينتمون إلى بني ناجية في محاولة لإقناعهم بخلع بيعتهم لعلي<sup>٢١١</sup> ورغم أن علياً كان يعلم بأمر هذا المؤتمر إلا أنه لم يحاول منعه أو اتخاذ تدابير أمنية ضد المجتمعين<sup>٢١٢</sup> وهو ما يعنى بالضرورة اعتقاده بشرعيّة هذه المؤتمرات والاجتماعات وحرمة انتهاكها.

د صلاحية التظاهر والإضراب :

استخدمت المعارضة الخارجية التظاهر كأسلوب من أساليب الإحتجاج على موقف

علي (عليه السلام) من التحكيم واستخدمت في هذه المظاهرات الشعارات المعروفة لهذا الحزب خاصة الشعار الشهير (لا حكم الا لله) يذكر المسعودي أن الخوارج تظاهرت في المسجد ضد علي (عليه السلام) أثناء خطبة له قائلين: - جزعت من البلية، ورضيت بالقضية، وقبلت الدينية، لا حكم الا لله ٢١٣.

وقد تكررت هذه المحاولة مرة أخرى في المسجد حيث قام الخوارج بترديد

شعارهم: -

لا حكم الا لله ٢١٤. علي أن التظاهر لم يقتصر على الأحزاب التي تحاول الترويج لأفكارها وإنما كان أيضاً الوسيلة التي يعبر بها المواطنون عن اعتراضاتهم على بعض القرارات، فتذكر المرويات التاريخية أن مجموعات من الكوفيين قامت بمظاهرة كبرى احتجاجاً على بعض القرارات التي أصدرها الإمام علي (عليه السلام) ٢١٦.

و يظهر رد فعل علي (عليه السلام) على هذه الممارسات والذي اتسم بالهدوء والاستجابة لمطالب المتظاهرين والمضربين أو المحاجاة لشعارات الخوارج وعدم محاولته قمع هذه الأساليب، إعتقاده التطبيقي بكونها أحد الحقوق الأساسية للمواطن رغم أن تلك المرحلة الزمنية كانت تمتليء باعتقادات ترفض مجرد الاعتراض على الحاكم، لقد مارست المعارضة في عهد علي (عليه السلام) كل حقوقها سواء التنظيرية أو التنظيمية والحركية وتمتعت بالحرية في العمل والدعوة العلنية إلى مبادئها اعتماداً على إدراك قيادتها مدى التزام علي (عليه السلام) بالتشريع وعدم تخطيه لأي سبب ربما يكون من الظلم الإدعاء بأن هذه المعارضة كافحت من أجل الحصول على هذه الحقوق أو أن علي (عليه السلام) كان مضطراً لتقديم تنازلات فالواقع التاريخي يؤكد أن هذه المرحلة كانت تمتليء بنصوص تبريرية تجيز للحاكم فعل أي شيء مع المعارضين حتى ولو وصل الأمر إلى التكفير والاعتقال، كما لم يكن علي عازماً في بداية خلافته عن استخدام ذات الأساليب، لقد منح علي (عليه السلام) المعارضة هذه الحقوق المؤكدة لها في التشريع الإسلامي من منطلق التزامه و إخلاصه لهذا التشريع ولذلك ففي بعض المراحل التي كان من الممكن أن يستغل علي (عليه السلام) أحداثها للإنتقال على هذه لحقوق بدا علي متشديداً في المحافظة عليها.

الشراكة في اتخاذ القرار:

شهدت المرحلة الأولى من الإسلام ثلاثة أنواع لأساليب اتخاذ القرار في ثلاث مراحل و قد اختلفت حول عنصرين أساسيين.

الأول :- نوع الشورى، من ناحية إلزاميتها للخليفة أو عدم إلزاميتها.  
الثاني :- نوع المُستشارين .

#### أ- مرحلة الخليفتين الأول والثاني

من الواضح إتفاق كلاً من الخليفة الأول أبي بكر والخليفة الثاني عمر بن الخطاب في أساليب اتخاذهما للقرار و مجالس الشورى الخاصة بهما.

توضح المرويات التاريخية حقيقة وضعية الشورى عند الخليفتين من حيث أنها لم تكن ملزمة للخليفة بكل الأحوال رغم إقرارنا بحرص الخليفتين على سماع مختلف الآراء ومع ذلك فإن هذه الآراء لم ترق أبداً إلى ما فوق مستوى النصيحة\*<sup>٢١٧</sup>.

أما نوع المستشارين فقد كانوا غالباً من الصحابة أو بعض المسلمين الجدد الذين يتمتعون بثقة الخليفة والأکید أنه لم توجد ضوابط ثابتة حول المستشار\*<sup>٢١٨</sup>.

#### ب - مرحلة الخليفة الثالث

أختلفت الأمور نوعاً في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان فمن ناحية ظلت الشورى غير ملزمة للخليفة كما كانت، بل أن الخليفة أعلن على الملأ أنه صاحب الحق الوحيد في اتخاذ القرارات والتصرف في شؤون الدولة<sup>٢١٩</sup>.

على أن الإختلاف كان في نوعية المستشارين الذين أحاط الخليفة بهم مجلس حكومته. والواضح أنهم كانوا قاصرين على بني أمية أو من الموالين لهم من معتققي الاسلام وقد كان مروان بن الحكم هو المستشار الأكثر تأثيراً في الشؤون السياسية أما كعب الأحبار فكان المستشار الديني للخليفة<sup>٢٢٠</sup>.

#### ج- مرحلة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

شكلت أساليب إتخاذ القرار عند الإمام علي (عليه السلام) نوعاً من التنظيم والتحديد حول مدى تأثير رأي المستشارين في سياسة الحكومة ونوعية هؤلاء المستشارين. و من الممكن القول أن خلافة علي (عليه السلام) شهدت نمطاً من البرلمانية له مميزاتة الخاصة.

#### أ - إلزامية الشورى والقرارات الناتجة عنها:

تذكر المرويات عن الإمام علي (عليه السلام) الكثير من الكلمات والمواقف التي توضح مدى إلزامية الشورى في حكومته. فيقول :- من إستبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها

في عقولها<sup>٢٢١</sup>، — لا مظاهره أوثق من المشاورة<sup>٢٢٢</sup>، — لا رأيي لمن إنفرد برأيه<sup>٢٢٣</sup>، —  
إمخضوا الرأي مَخْضَ السَّقَاءِ يَنْتِجُ سَدِيدَ الآرَاءِ<sup>٢٢٤</sup>\* بئس الاستعدادُ للإستبدادُ<sup>٢٢٥</sup>، —  
إضربوا بعضَ الرأي ببعضٍ يتولدُ منه الصوابُ<sup>٢٢٦</sup>.

وقد نقلت لنا المرويات التاريخية أكثر من حادثة كان من الواضح التأثير الضخم لآراء  
المستشارين علي قرارات الحكومة السياسية رغم معارضة علي (عليه السلام) في بعض  
الأحيان لها.

١- عزل قيس بن سعد:

فقد أشار مستشاري علي (عليه السلام) بعزل والي مصر قيس بن سعد بن عبادة بسبب بعض  
الشائعات التي انتشرت حول مراسلات جرت بينه وبين معاوية، ورغم أن علي (عليه السلام) لم  
يرغب في عزله إلى أنه إستجاب لرأي الأكثرية<sup>٢٢٧</sup>.

٢- حرب الجمل:

وقد استشار علي (عليه السلام) أصحابه قبل أن يصدر قرار الحرب ضد الزبير و طلحة  
وعائشة وقام بتنفيذ التوصيات التي توصل إليها مجلس الإستشارة<sup>٢٢٨</sup>.

٣- التحكيم مع معاوية:

واستجاب علي (عليه السلام) لطلب غالبية مستشاريه الذين طالبوه بقبول دعوى معاوية  
للتحكيم رغم رفضه شخصياً قبول هذه الدعوة<sup>٢٢٩</sup>.

٤- تعيين أبي موسى الأشعري مندوباً له في التحكيم:

وقد قبل علي (عليه السلام) تعيين أبي موسى الأشعري كمندوب له في التحكيم الذي جرى  
بينه وبين معاوية في دومة الجندل رغم رفض الإمام لأبي موسى الأشعري<sup>٢٣٠</sup> وقد روى  
أنه قال في هذا الموضوع: —

قد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم علي ما تكرهون<sup>٢٣١</sup>.

ب- المستشارون:

وضع علي (عليه السلام) عدّة ضوابط لإختيار المستشارين المكلفين بمشاركة الحاكم في صنع  
القرار يقول علي (عليه السلام): —

لا تُدخِلَنَّ في مشورتك بخيلاً يُعَدِّلُ بك عن الفضلِ وَيَعِدُّكَ الفقرَ، ولا جباناً يُضَعِّفُكَ عَنِ

الأُمور، ولا حريصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّهَ بِالْجَوْرِ<sup>٢٣٢</sup>،: لا تَسْتَشِرِ الكَذَّابَ فَإِنَّهُ كَالشَّرَابِ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ البعيدَ وَ يُبَعِّدُ عَنْكَ القريبَ<sup>٢٣٣</sup>،: لا تشاور عدوك واستره خَبْرَكَ<sup>٢٣٤</sup>،: لا تشاورن في أمرِكَ مَنْ يَجْهَلُ<sup>٢٣٥</sup>،: مشاورة الجاهل المشفق خطرٌ<sup>٢٣٦</sup>.

و بذلك يحدد علي (عليه السلام) الصفات المانعة لدخول صاحبها هذا البرلمان وهي بالتحديد ١- البخل، ٢- الجبن، ٣- الحرص، ٤- الكذب، ٥- العدا، ٦- الجهل.

ويضع علي (عليه السلام) في المقابل الصفات الوهلة بصاحبها لاستحقاق هذا المنصب.. فيقول لمالك الأشتر: ...وأنت واجد منهم خير الخلف - أصحاب الصفات السالفة - ممن له مثل آراهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعاون ظالماً علي ظلمه ولا آثماً علي إثمه<sup>٢٣٧</sup> ويقول في صفة آخر ذات أهمية كبرى بالنسبة له: - ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مفاكرة الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع<sup>٢٣٨</sup> و يقول: - والصق بأهل الورع والصدق، ثم رضهم علي ألا يطرؤوك ولا يبيججوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة<sup>٢٣٩</sup>.

و بذلك يحدد علي (عليه السلام) الصفات الأخلاقية اللازمة للمستشار فبالإضافة إلى الصفات المعاكسة للصفات السابقة المذمومة. كالكرم، الشجاعة، الصدق. حدد علي (عليه السلام) صفات أخلاقية أخرى: ١ - عدم الإعانة علي الظلم والإثم، ٢ - الصراحة والجرأة في الحق، ٣ - الورع والصدق، ٤ - عدم التزلف إلى الحاكم.

علي أنه وضع شروط أخرى تجسد اهتمامه بالوضع العلمي للمستشار الذي لا بد أن يكون من العلماء المتمرسين في الموضوع المطلوب مناقشته والحصول علي رأيه واستشارته فيه. فيقول: - خير من شاورت ذوو النهي والعلم، ألوا التجارب والحزم<sup>٢٤٠</sup>،: - مَنْ استشارَ العاقلَ مَلَكَ<sup>٢٤١</sup>،: - حق علي العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء وَيَضُمُّ إلى علمه علم الحكماء<sup>٢٤٢</sup>،: - رأي الرجل علي قدر تجربته<sup>٢٤٣</sup>،: - رأي الشيخ أحب إلي من حيلة الغلام<sup>٢٤٤</sup>.

ويتضح من هذه الشروط أنها لم ترتبط بأي حال بالعنصر أو الجنس أو اللون أو حتى الديانة وإن ارتبطت بالأخلاق والقدرة العلمية.

و يبدو أن تكوين هذا البرلمان كان متروكاً للحاكم لكنه كان مقيداً بالالتزام بهذه الشروط فاختيار المستشارين لم يكن يتم عن قرابة أو عصبية أو عن حالة مزاجية، كما

أنه من الواضح — حسب وصايا علي (عليه السلام) — الرقابة التي كان المواطنون يمارسونها على الحاكم ومستشاريه: — يقول علي (عليه السلام): — ثم اعلم يا مالك أنني قد وجهتكم إلى بلاد قد جرت عليها دَوْلٌ قبلك من عدلٍ وجورٍ. وإنَّ الناسَ ينظرونَ من أمورِك في مثل ما كنتَ تنظرُ فيه من أمورِ الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنتَ تقولُ فيهم. وإنما يستدلُّ على عملِ الصالحين بما يجري اللهُ لهم على ألسنِ عباده ٢٤٥.

ويبدو أن الأقليات — والتي غالباً ما كانت تجمع بين كونها أقلية دينية وأقلية أثنية — كان لها ممثلين في هذا البرلمان حيث تتحدث المرويات التاريخية عن شخص إيراني كان من جلساء الإمام علي (عليه السلام) حين دخل الكوفة وتذكر المرويات أن علياً (عليه السلام) طلب من الفرس إنتخاب ممثل لهم عنده: — فأسندوا أمركم إلى أرضاكم في أنفسكم وأعمه نصيحة لكم. قالوا: أرضانا وأعمتنا نصيحة (نرسا) ما رضى فقد رضينا، وما سخط فقد سخطنا ٢٤٦.

والواضح أن هذه الشخصية لم تكن مسلمة فقد كان هناك الكثير من الفرس المسلمين المواليين لعلي (عليه السلام) والذين اعتبروا من مستشاريه ومع ذلك لم يعدوا كممثلين للأقلية الفارسية، ويبدو أن (نرسا) كان ممثلاً للأقلية الفارسية الزرادشتية فقط حيث اعتبر علي (عليه السلام) أن المسلمين من الفرس لا يعدون كأقلية تحتاج لتمثيل.

لقد حرص علي (عليه السلام) في حكومته على رفض الأحادية في إصدار القرارات طارحاً جانباً من المسؤولية على عاتق مجموعة منتقاة من المواطنين لها شروط محددة.. رافضاً التشدد بأية وصاية سياسية تستغل لتحليل الاستبداد واستباحته، ورغم أن أعضاء هذا المجلس الإستشاري لم يتم تعيينهم بالأساليب التي عرفتها كل من أثينا وروما في مرحلتي الديمقراطية والجمهورية فإن أي واحدة من المدينتين لم تسمحا في برلماناهما بالترشيح لأي عضو من خارج المدينتين حتى لو كان من مناطق خاضعة لسيطرة أي منهما وتطبق عليه قوانينهما.

### الحقوق السياسية أثناء الظروف الاستثنائية:

تعريف:

عرّفت اللجنة الأوربية الظروف الاستثنائية بأنها: — أزمة أو موقف استثنائي خطير حال أو وشيك الوقوع، يؤثر على مجموع شعب الدولة، من شأنه أن يشكل تهديداً لحياة المجتمع فيها ٢٤٧.



كما عرفتها الإتفاقية الدولية للحقوق المدنية والسياسية:— أوقات الطوارئ العامة التي تهدد حياة الأمة بالخطر<sup>٢٤٨</sup>. وبتعريف مشابه ذكرت الإتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان وحرية الأساسية أنها:— حالة الحرب أو الخطر العام الذي يهدد حياة الأمة<sup>٢٤٩</sup>.

وأخيراً عرفتها الإتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان بأنها:—... زمن الحرب أو حالة الخطر العام، أو أي ظروف أخرى تشكل تهديد الأمن واستقلال الدولة<sup>٢٥٠</sup>.  
و على أساس هذه التعريفات فقد نصّت الإتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان على أنه:— في حالة الحرب أو الخطر العام الذي يهدد حياة الأمة، يجوز لكل دولة سامية متعاقدة أن تتخذ تدابير، تخالف الإلتزامات المبينة بالإتفاقية في حدود لا تتعدى ما تحتمه مقتضيات الحال وبشرط ألا تعارض هذه التدابير مع الإلتزامات الأخرى المقررة في القانون الدولي<sup>٢٥١</sup>.

كما تنص المادة ٢٧ / ١ من الإتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان على أنه:— في زمن الحرب أو الخطر العام، أو أي طوارئ أخرى تشكل أزمة أو تهديداً للأمن أو استقلال الدولة الطرف، يمكن لهذه الأخيرة أن تتخذ الإجراءات التي من شأنها تعطيل الإلتزامات التي تحملها بمقتضى الإتفاقية<sup>٢٥٢</sup>.

أما بالنسبة للإتفاقية الدولية للحقوق المدنية فقد نصّت المادة ٤ / ١ على أنه:—  
يجوز للدول الأطراف في هذه الإتفاقية في حالة الطوارئ العامة التي تهدد حياة الأمة... أن تتخذ من الإجراءات ما يحلها من الإلتزامات التي نصت عليها هذه الإتفاقية تبعاً لما تقتضيه دقة متطلبات الوضع، على أن لا تتنافى هذه الاجراءات مع التزاماتها الأخرى طبقاً للقانون الدولي<sup>٢٥٣</sup>.

و بالتالي قد اجازت النصوص الدولية تقييد أو تعطيل الحقوق السياسية في هذه الظروف مباشرة كما لم تضع تعريفات أكثر تحديداً لنوع الظروف التي يسمح فيها بهذا التعطيل إنما تركت هذه التعريفات الممطوطة لتفسرها كل حكومة حسب رؤيتها.

و مع ذلك ففي محاولة لحماية الحقوق السياسية في الظروف السياسية الإستثنائية والتي تتعرض لقيود تحريرية شديدة من جانب الحكومات قد تصل إلى حد وقف أو تعطيل ممارسة الحقوق السياسية تماماً. فقد توصل مجمع القانون الدولي (اب) في المؤتمر الدولي المنعقد بباريس عام ١٩٧٤ إلى ضرورة إعتبار طائفة من الحقوق السياسية ضمن

الحقوق التي لا يجوز للدول المساس بها سواء بالوقف أو التعطيل أثناء الظروف لإستثنائية<sup>٢٥٤</sup> وهذه الحقوق هي.

١- حق كل مواطن في المشاركة في سير الحياة العامة في بلاده، إما مباشرة، أو عن طريق ممثلين مختارين بحرية.

٢- حق كل مواطن في أن ينتخب وأن يُنتخب في انتخابات دورية حقيقية وحرّة، تتم على أساس من المساواة، وبطريق الاقتراع السري، وتضمن التعبير الحر عن إرادة الناخبين.

٣- حق كل مواطن في تقلد الوظائف العامة، على أساس من المساواة. أما الحقوق التي تساهلت المنظمات والإتفاقيات الدولية في وضع القيود عليها فهي.

١- الحق في التجمع السلمي مع الآخرين.

٢- الحق في تكوين الجمعيات والنقابات وفي الإنضمام إليها<sup>٢٥٥</sup>.

وسواء إتزمت الدول بالغاية التي من أجلها تمت صياغة هذه الإتفاقيات أوسعت لإختلاق تفسيرات محرقة لهذه الغاية، فالواضح أن هناك قيوداً معينة سمح بوضعها على نشاطات المواطنين.

## الحقوق السياسية في الظروف الإستثنائية

### في خلافة علي بن أبي طالب (عليه السلام)

لقد شهدت مرحلة خلافة علي (عليه السلام) عدة مواقف تنطبق عليها التعريفات السابقة للظروف الإستثنائية.

#### ١- الإنتخاب في الظروف الإستثنائية:—

عقب قتل الخليفة الثالث علي يد الثوار طلب القادة الثائرين من علي (عليه السلام) قبول بيعتهم، ومع ذلك فقد أصرَّ علي (عليه السلام) على أن يتم انتخابه من قبل كل المسلمين (ففي المسجد، إن بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضی المسلمين)<sup>٢٥٦</sup> وبالفعل فقد قام كل المسلمين بمبايعته دون التعرض لأي قدر من الإكراه.

## ٢- حقوق المعارضة في الظرف الاستثنائية:

وهي الحقوق التي تساهلت المنظمات والاتفاقيات الدولية في السماح للدول بوضع القيود عليها في فترة الطوارئ، مع ذلك فإن حكومة علي (عليه السلام) شهدت أكثر من حركة معارضة مارست حقها في العمل السلمي ولم يتم التعامل العسكري معها إلا بعد أن مارست هي الإعتداء العسكري.

أ- حرية التعبير عن الرأي:

١- المعارضة في المدينة:

شهدت المدينة عقب مبايعة علي (عليه السلام) بالخلافة، حركة معارضة تبناها عبد الله بن عمرو سعد بن أبي وقاص و محمد بن مسلمة الأنصاري. طالبت المواطنين بعدم الإشتراك في قتال الإنقلابيين في مكة.

ورغم الضرر الذي سببته هذه الدعوة من شخصيات عاصرت الرسول (ﷺ). وأكسبتها هذه المعاصرة قدسية، فإن علياً (عليه السلام) لم يضع أي قيود حول حرمتهم سواء الشخصية أو الدعوية<sup>٢٥٧</sup>.

٢- المعارضة المكية:

أدى وجود أم المؤمنين عائشة في مكة إلى تواجد كل فصائل المعارضة لعلي (عليه السلام) بجوارها وخاصة الزبير وطلحة، ورغم خطورة وجود أي معارض في مكة حيث توافد المعتمرين طوال العام ثم الحجاج في شهور الحج. وامكانية التأثير في هذا التجمع الإسلامي الضخم فلم يتخذ علي (عليه السلام) أي اجراءات أمنية يحول بها بين المعارضين و بين حرمتهم في إظهار آرائهم بين المعتمرين والمواطنين عموماً<sup>٢٥٨</sup>.

٣- المعارضة في الكوفة (الخوارج):

قامت حركة الخوارج بعد موقعة صفين بقيادة المعارضة ضد التحكيم بين علي (عليه السلام) و معاوية متهمة علي (عليه السلام) بالكفر لتحكيمه الرجال في كتاب الله حسب رأيها، ومع أن هذه الدعوة تشكل خطورة على الجبهة الداخلية في أثناء الحرب بين حكومة علي (عليه السلام) و معاوية، فقد سمح لهم بإعلان مبادئهم الدينية والسياسية. بل أن علياً (عليه السلام) رفض اتخاذ أي إجراء ضد مجموعة من زعماء الخوارج بلغه أنهم يدبرون للخروج عليه<sup>٢٥٩</sup>.

ب - حرية التنقل :

١- الزبير وطلحة:

رغم علم الإمام علي (عليه السلام) بالدعوات التي تلقاها كلاً من الزبير وطلحة من معاوية في الشام والمعارضين في مكة لإعلان خروجهم، ومواجهته لكلٍ منهما بهذه النوايا عندما حضرا يستأذناه في الذهاب إلى العمرة:

إنكما لا تريدان العمرة بل الغدرة<sup>٢٦٠</sup> فإنه لم يضع أي قيودٍ حول حريتهما في التنقل وسمح لهما بالسفر إلى مكة رافضاً الإقتراحات التي طرحها مسشاره عبدالله بن العباس باعتقالهما أو وضعهما في الإقامة الجبرية<sup>٢٦١</sup>.

٢- الخريت بن راشد التاجي:

لقد حاول الخريت التمسح بأراء الخوارج ليجد لنفسه أمام قومه مبرراً لتحريرهم على الخروج ضد حكومة علي (عليه السلام) فذهب إلى الإمام معلناً أنه لا يطيع أمره ولا يصلي خلفه وأنه غداً مفارقه لتحكيمه الرجال في كتاب الله، ورغم أن الإمام حاول إقناعه بعدم الاستسلام لغواية الشيطان، فإن الخريت بدا مصراً على نواياه وأقترح بعض اتباع الإمام اعتقال الخريت بن راشد لكن الإمام رفض مجرد منعه من الحركة والتنقل على أساس من الشبهة. ورغم مراقبة جهازه الأمني لتحركات الخريت ورصده لهم وهم يتحركون ليلاً فإنه لم يحاول أن يمنعهم<sup>٢٦٢</sup>.

٣- شخصيات موالية لمعاوية بن أبي سفيان في المدينة.

تذكر الروايات أن بعض الشخصيات في المدينة سافروا إلى معاوية بالشام لمساندته وبلغ علياً (عليه السلام) بالكوفة هذه الأنباء، ويبدو أن علياً (عليه السلام) لم يستاء من سماح واليه بالمدينة سهل بن حنيف الأنصاري لهؤلاء بالسفر إلى الشام حيث أرسل يقول له :-

فلا تأسف علي ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم . فكفى لهم غياً ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحق وإيضاعهم إلى العمى والجهل . إنهم والله لم ينفروا من جورٍ ولم يلحقوا بعدلٍ<sup>٢٦٣</sup>.

ج- منع الاعتقال بالشبهة:

١- الزبير وطلحة:

إقترح عبدالله بن العباس عليّ عليّ (عليه السلام) عندما علم بنوايا الزبير وطلحة في قيادة حرب ضده بإعتقالهما ومنعهما من السفر لكن الإمام رفض هذا الإعتقال لأنه لا دليل عليّ النوايا:— يا بن عباس أتأمرني أن أبدأ بالظلم وبالسيرة قبل الحسنه، وأعاقب عليّ الظنة والتهمة وأخذ بالفعل قبل كونه ٢٦٤.

٢- الخريث بن راشد الناجي:

عندما أعلن الخريث بن راشد نواياه في الخروج والقيام بحركة إنشاقية ضد عليّ (عليه السلام) إقترح أحد أتباع الإمام أن يعتقله ويضعه في السجن، فرفض عليّ (عليه السلام) لنفس الأسباب السابقة:— إنا لو فعلنا هذا بكل من يتهمة الناس ملأنا سجننا منهم، ولا أراه— الإعتقال— حتى يظهر لنا الخلاف ٢٦٥.

٣- الخوارج بعد النهروان:

عقب موقعة النهروان التي قام فيها عليّ (عليه السلام) بقتل بعض مجموعات الخوارج التي قامت بالإعتداء على السكّان.. لم يحاول عليّ (عليه السلام) إعتقال أي مجموعة من المجموعات الخارجية الأخرى التي لم تلجأ لإستخدام العنف في دعوتها الفكرية بل رفض أن يعتقل مجموعة من زعمائها بلغفه عن طريق الخريث بن راشد أنهم يتآمرون لتدبير الخروج عليه:— لقد كان ينبغي لك أن تعلم أنني لا أقتل من لم يقاتلني ولم يظهر لي عداوة ٢٦٦.

٤- الخوارج بعد إغتيال عليّ (عليه السلام):

قام ابن ملجم بتدبير إغتيال عليّ (عليه السلام) في المسجد ومع علم الإمام عليّ (عليه السلام) بإتساء بن ملجم للخوارج فإنه أمر ألا يتم الحجر على حريتهم وحقوقهم أو الإعتداء على أرواحهم بحجة تأمرهم عليه:— يا بني عبدالمطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي ٢٦٧.  
رغم إن إغتيال الحاكم يعد ظرفاً إستثنائياً حيث تتخذ بعض الدول احتياطات

كالقبحض على المنتمين لنفس التيار واعتقالهم إدراياً إضافة إلى توسيع دائرة الإشتباه وهو ما حذر منه علي (عليه السلام).

تدابير الظروف الإستثنائية عند علي (عليه السلام):

لا مجال للإدعاء بأن علياً (عليه السلام) تعامل مع الظروف الإستثنائية بنفس طريقة تعامله مع غيرها.. رغم حرص علي (عليه السلام) على 'مراعاة الحقوق الخاصة بالمواطنين و عدم الإعتداء عليها، فإنه أتخذ في بعض الاحيان تدابير متباينة الشدة والحزم كانت تستلزمها الإحداث والظروف المحيطة بالدولة في تلك الأوقات .

أ- تهديد المعارضين ظروف بالبصرة:

في أثناء الصراع بين حكومة علي (عليه السلام) و معاوية.. وردت أخبار إلى الإمام علي (عليه السلام) ببعض التحركات غير المطمئنة بالبصرة ومع خشيته من أن يترك ورائه معارضة عسكرية تشكل خطراً على جيشه فقد لجأ إلى تهديد البصريين قائلاً:— فإن خطت بكم الأمور المردية وسفه الآراء الجائرة إلى منابذتي وخلافي فيها أنا ذا قد قربت جيادي و رحلت ركابي، ولئن ألجأتكموني إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلا كلعقة لاقق.. غير متجاوز متهماً إلى بريء، ولا ناكثاً إلى وفي<sup>٢٦٨</sup>.  
وقد كان علي (عليه السلام) يدرك خطورة وجود بعض فصائل قبيلة تميم المعارضة خلفه وكان من الضروري استخدام نوع من الشدة معهم.

ب- قرار تنحية أبي موسى الأشعري:

في حرب الجمل حاول أبو موسى الأشعري والي الكوفة تخذيل الناس وتخويفهم من الحرب فاتخذ الإمام علي (عليه السلام) قرار عزله فوراً لخطورته على الوضع الداخلي:— فإن كرهت ففتح إلى غير رحب ولا في نجاة<sup>٢٦٩</sup>.

ج-- قرار عزل محمد بن أبي بكر وتولية مالك الأشتر:

من الواضح أن الإمام علياً (عليه السلام) إتخذ هذا القرار بتولية قائد عسكري كمالك الأشتر على مصر بناءً على بعض القلائل التي أثارها العثمانيون ضد الوالي المدني محمد بن أبي بكر و

يبدو من مهام مالك الأشر أنه وُلِّيَ للتعامل مع هذه القلاقل بنوع من الشدة:— فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الردع... فإن أمركم أن تنفروا (من أجل الحرب) فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا فإنه لا يقدم ولا يحجم، ولا يؤخر ولا يقيم، إلا عن أمري<sup>٢٧٠</sup>.

د - قرار ضرب بعض المنشقين بالبصرة:

يقول عليّ (عليه السلام) في رسالة إلى واليه بالبصرة بعد أن أخبره عن بعض محاولات التمرد — ذلك اثناء الحرب مع معاوية —:— فإن عادوا إلى ظل الطاعة، فذاك الذي نحبُّ وإن توافت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك<sup>٢٧١</sup>.

هـ - عقوبات المنهزمين اثناء الحرب:—

وضع الإمام عليّ (عليه السلام) عقوبات استثنائية اثناء الحرب كظرف استثنائي على المنهزمين والمتراجعين من الجيش:— وليعلم المنهزم أنه مسخط ربّه، وموبق نفسه وإن في الفرار موجدة الله عليه، والذل اللازم والعار الباقي وإعتصار الفيء من يده، وفساد العيش عليه، وإن كان الفار لا يزيد في عمره، ولا يرضى ربّه<sup>٢٧٢</sup> فأول هذه العقوبات كما يتضح من النص هي:—

١- الإعلان عن فرار أي جندي— من الحرب ووصمه بالجبن.

٢- غضب الله عليه.. كعقوبة أخروية.

٣- غضب المواطنين عليه واحتقارهم له بناء على هذا الإعلان.

٤- اسقاط حقوقه المالية كمقاتل.

\*\*\*

ويبدو أن هذه الإجراءات لم تكن شاملة فلم يتأثر بها المواطنون العاديون وإنما وجهت إلى المسيبين لها فقط. مما يدل على أن علياً (عليه السلام) لم يتأخذ أيّ سلطات إستثنائية في الظروف الإستثنائية وتؤخذ كحجة في هذه الأيام من قبل الحكومات للتحلل من القوانين الحالية للشعب من بطش السلطات التنفيذية وإذا كانت هذه الحكومات تحاول الحفاظ على أنظمتها واطاعة مناصب السلطة نصب أعينها فإن علياً (عليه السلام) كان يحافظ على

العدالة بصفة أساسية واضعاً قدسية الشرعية العادلة أمام عينيه مراعيّاً ومعتبراً أن مخالفتها جور لا يُطلبُ النصرُ به لا تُقَوِّنُ سُلْطَانَكَ بِسَفْكَ دَمٍ حَرَامٍ<sup>٢٧٤</sup>.

## الهوامش

١. ديفيد كاتلر - ماركيز... / نقد الحضارة البرجوازية - إعداد / أنطوني دي كرسبني / كينيث مينوج - أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة - ترجمة. د / نصار عبدالله - القاهرة ١٩٩٩ ص ١٨، ١٩.

٢. مجموعة باحثين - الإسلام والشيوعية - القاهرة ١٩٧٦ - من ص ٢٧ إلى ص ٢٩ - من ص ٤١ إلى ص ٤٢، من ص ١١٤ إلى ص ١١٩.

الإسكندر بينجسن / شانتال لومر سيبه / كيلكجي - سلطان غالييف - ترجمة سوزان خليل - القاهرة ١٩٩٢ الفصول ٥، ٦، ٧.

لينين - ماركس / أنجلس / الماركسية - ترجمة إلياس شاهين - موسكو ١٩٧٤ - مقال الثورة البروليتارية والمرشد كاوتوسكي .

٣. الإسكندر بينجسن وآخرون - م. س (= المصدر السابق)، ص ١٣٧.

مجموعة باحثين - م. س. - من ص ١١٤ إلى ص ١١٩.

\* لا بد من نقل هذا الشرط من كلمة سلطان غلييف التي صرح بها سنة ١٩١٨ (لنأخذ على سبيل المثال البروليتاريا الإنجليزية و هي أكثرها تطوراً. فإذا ما قدر لأحدى الثورات أن تُحقق انتصاراً في إنجلترا، سوف تواصل هذه البروليتاريا استغلال المستعمرات وإنتهاج سياسة الحكومة البرجوازية الحالية، من منطلق إهتمامها باستغلال المستعمرات. و على ذلك فإنه حتى يمكننا أن نتجنب تعريض عمال الشرق للقهر علينا أن نوحّد الجموع الإسلامية في حركة شيوعية محلية مستقلة) وهو يشير هنا إلى البروليتاريا الروسية أكثر من أي نموذج آخر لأنها التي تحوي عدداً أكبر من العمال المسلمين كما ورثت عن القيصرية مستعمرات إسلامية شاسعة ولم تحاول التخلي عنها لأي سبب. ألكسندر بينجسن وآخرون - م. س. ص ١٣٧ فيما يخص دكتاتورية البروليتاريا ننقل هنا أحد نصوص لينين في تعريفها (إن الدكتاتورية الثورية للبروليتاريا هي سلطة تظفر بها البروليتاريا وتحتفظ بها بالعنف على البرجوازية، سلطة لا يحدّها قانون) ولن نعلق على هذا التعريف وخاصة في عبارته الأخيرة. لينين - م. س. ص ٥١٦.



## الحقوق السياسية عند الامام علي (ع) من منطلق العدالة ١٧٩

٤. هانس بيتر مارتين / هارولد شومان — فح العولمة — سلسلة عالم المعرفة. الكويت ١٩٩٨ — ص ١٣٦.

\* نضرب المثال على هذه الحقيقة بالقصة التي رواها الصحفيان الألمانيان سالفى الذكر:— حينما أنتقل كليتون في عام ١٩٩٢ إلى البيت الأبيض كان قد وعد ناخبه بإجراء إصلاحات واسعة النطاق ترمي، من ناحية، إلى تجديد المدارس الحكومية الخربة وتحويلها إلى نظام تعليمي يفي بالمتطلبات، ومن ناحية أخرى أن يكون لدى كل مواطن أمريكي تأمين ضد المرض... و بعد فوزه بالانتخابات مباشرة، أخذت أسعار سندات الدين الحكومي الأمريكية بالإنخفاض و هذا ليس بالأمر العجيب فقد عارض مصرفيو صناديق الإستثمار هذه الإصلاحات علانية، وبالتالي وبعد أشهر وجيزة من تسلمه الحكم. كانت هذه الإصلاحات قد صارت في خبر كان. م.س.

٥. ديفيد كاتلر — م.س. ص ٢٣.

٦. محمد مهدي النراقي — جامع السعادات — قم ١٤١٧ هجرية — ج ١ — ص ٥٠.

٧. م.س. — ج ١ ص ٥٣ — .

٨. م.س. — ج ١ ص ٥٣.

٩. م.س. ج ١ ص ٧٠.

١٠. د / محمد طي — الإمام علي (عليه السلام) و مشكلة نظام الحكم — بيروت ١٩٩٧ — ص ٢٠٦.

١١. م.س. ص ٢٠٦.

١٢. م.س. ص ٢٠٦.

١٣. م.س. ص ٢٠٧.

١٤. الإمام علي (عليه السلام) — نهج البلاغة — جمع / الشريف الرضي — شرح / محمد عبده — بيروت ١٩٩٠ — ج ١ ص ٢٩.

١٥. الشيخ عبدالهادي عاصي — المنهج السياسي عند الإمام علي (عليه السلام) — بيروت ١٩٩٦ — ص ٢٩ — .

١٦. م.س. ص ٦٤.

١٧. م.س. ص ٦٥.

١٨. الإمام علي (عليه السلام) — م.س. ج ٢ ص ١٦٨.

١٩. م. س. ج ١ ص ٦٥-٦٦.

٢٠. جورج جورداق - روائع نهج البلاغة - بيروت ١٩٩٦ ص ١١٦.

٢١. عبدالهادي عاصي - م. س. - ص ٧٧.

٢٢. النراقي - م. س. ج ١ ص ٥٠.

٢٣. د / نوري جعفر - فلسفة الحكم عند الإمام - القاهرة ١٩٧٨ ص ٤٢.

٢٤. م. س. ص ٣٨.

٢٥. الإمام علي (عليه السلام) - م. س. ج ٤ ص ٤١٧.

٢٦. عبدالهادي عاصي - م. س. ص ٧٢.

\* يوجه هذا النص تقدماً لاذعاً للحكام الذين ينفصلون بحياتهم ومظهرهم عن الوضع العام للغالبية العظمى من الشعوب. فلا بد حسب رؤية الامام علي (عليه السلام) أن يتساوى الحاكم و المواطن في تحمل الأوضاع السيئة.

٢٧. م. س. ص ٤٨.

٢٨. نوري جعفر - م. س. ص ٩٠.

٢٩. الإمام علي (عليه السلام) - م. س. ج ١ ص ٣٦.

٣٠. م. س. ج ١ ص ٦٥، ٦٦.

٣١. محمد باقر المحمودي - نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة - بيروت (بدون

تاريخ) - ج ١ ص ١٩٨.

٣٢. م. س. ج ١ ص ١٩٨.

٣٣. الإمام علي (عليه السلام) - م. س. ج ٣ ص ٤٠٤.

٣٤. م. س. ج ٣ ص ٣٩١.

٣٥. م. س. ج ٣ ص ٣٣٣.

٣٦. م. س. ج ٣ ص ٣٧٠.

٣٧. م. س. ج ٣ ص ٣٧١.

٣٨. م. س. ج ٣ ص ٣٧٠.

٣٩. م. س. ج ٣ ص ٣٦٠.

\* من الضروري الإشارة إلى أن علياً (عليه السلام) يطرح الرحمة كمبدأ دائم لا مجال لمخالفته ويجب على الحاكم تطبيقه من وازع عقيدته الأخلاقية وليس كوسيلة مؤقتة للإحتفاظ بالحكم.

٤٠. م. س. ج ٤ ص ٤٣٧.

٤١. م. س. ج ٤ ص ٤٤٠.

٤٢. م. س. ج ٤ ص ٤٧١.

٤٣. م. س. ج ١ ص ٢٩.

\* رغم أن أئينا لم تكن دولة بالمعنى المعروف الآن، فقد كانت دولة مدينة (بليس)، إلا إنني أوردت نظمها الديمقراطية هنا إعترافاً بفضلها على الحضارات اللاحقة والتي نقلت عنها هذه النظم.

٤٤. هـ. د. كيتو - الإغريق - ت / عبدالرزاق يسري - القاهرة ١٩٦٢ ص ١٢٩ \* مجلس

الأوريباجوس كان يشبه كثيراً في إختصاصاته مجلس السناتو في روما - م. س. ص ١٢٩.

٤٥. م. س. ص ١٢٨.

٤٦. م. س. ص ١٢٨، ١٢٩.

٤٧. أ. هـ. م. جونز - الديمقراطية الأئيتية - ت / عبدالمحسن الخشاب - القاهرة ١٩٧٦ -

ص ٨، ٧.

٤٨. م. س. ص ٩.

٤٩. م. س. ص ٥٧.

٥٠. م. س. ص ١٥ - ١٦.

٥١. د / ناصر الأنصاري - المجلد في تاريخ القانون المصري - القاهرة ١٩٩٨ - ص

١٣٢.

٥٢. جونز - م. س. ص ١٥، ٢٦.

٥٣. د / إبراهيم رزق الله أيوب - التاريخ الروماني - سبها ١٩٩٦ - ص ٦٧، ٦٨.

٥٤. م. س. ص ٧٠.

٥٥. م. س. ص ٧٠ وما بعدها.

٥٦. م. س. ص ٧٣، ٧٤.

\* كانت طبقة الأشراف تستمد سلطتها من كونها الأكثر تدريباً على القتال والأوفر عدّة و بإستطاعة عشائرها حشد أعداد كبيرة من المقاتلين، إعتماًداً على أتباعهم في الحروب، كما تسمح لها ثقافة أبنائها بتولي كبريات الوظائف الدنيوية والدينية في الدولة - م. س. ص ٣٩.

\* المئين هو الفرقة المكونة من مائة مقاتل في الجيش الروماني - م. س. ص ٧٥، ٧٦.

٥٧. م. م. س. من ص ٨٩ إلى ص ٩١، ص ١٨٨.

٥٨. م. م. س. ص ٦٩.

٥٩. م. م. س. ص ٣٧.

٦٠. د / ناصر الأنصاري - م. م. س. ص ٣٧.

٦١. جلال الدين السيوطي - تاريخ الخلفاء - بيروت ١٩٧٤ - ص ١٨٣ (\*) يقول الحسن

البصري في معاوية بن أبي سفيان هو أول من شرع النظام الملكي في الإسلام :- أربع خصال كُنَّ في معاوية لو لم تكن إلا واحدة لكانت موبقة، إنتزأؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر عن غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة. واستخلافه بعده ابنه سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير. صالح الورداني - السيف والسياسة - القاهرة ١٩٩٦ ص ١٣٤. خدمة قريش للكعبة كانت تعطيها مكانة كبرى بين القبائل العربية كما منحها الزعامة على مكة رغم أنها لم تكن ملزمة للقبائل الأخرى.

٦٢. المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجوهر - القاهرة ١٩٦٦ ج ١، ص ٥١٧.

٦٣. صالح الورداني م. م. س. ص ٩\* الغرض من بحثنا حول هذه الأحزاب هو توضيح

أصول فكرة الانتخاب.

٦٤. شهاب الدين التويري - في نهاية الأرب في فنون الأدب - ت / محمد أبو الفضل

إبراهيم - القاهرة ١٩٧٥ - ج ١٩ ص ٢٩.

السيوطي - م. م. س. ص ٦٢.

٦٥. التويري م. م. س. - ج ١٩ ص ٣٠، السيوطي م. م. س. ص ٦٢.

٦٦. م. م. س. ج ١٩ ص ٣٠.

\* لم تذكر الروايات الشخصية التي أبلغت عمر بن الخطاب بأمر هذا الاجتماع، ويبدو أنها كانت موالية للحزب المهاجري وذات مصلحة في عدم تولي سعد بن عبادة للخلافة، كما تظهر الروايات أن الأنصار كانوا حريصين على سرية اللقاء وعلى مبايعة سعد دون علم المهاجرين ووضعهم أمام الأمر الواقع.

٦٧. م. م. س. ص ٣٤.

٦٨. م. م. س. ص ٣٦.

٦٩. م. م. س. ص ٣٥.

٧٠. محمد بن جرير الطبري - تاريخ الرسل والملوك - ت / محمد أبو الفضل إبراهيم -

القاهرة ١٩٧٩ ج ٣ ص ٢٠٣.

\* كان عليّ (عليه السلام) و بنو هاشم مشغولين في ذلك بتجهيز الرسول (صلى الله عليه وآله) وإقامة الشعائر الجنائزية لدفنه .

٧١. النوبري م. س. ص ٣٦ (\*) لم تذكر الروايات كيف علمت قبيلة أسلم بأمر بيعة أبي بكر بينما كان بعض المدنيين غافلين عما يحدث .

٧٢. السيوطي - م. س. ص ٦٤.

٧٣. الشهرستاني - الملل و النحل - ت / عبدالرحمن خليفة - القاهرة ١٣٤٨ هـ ج ١ ص ٢٥،

٢٦.

٧٤. السيوطي - م. س. ص ٦٢.

\* مثل ما تم مع القبائل المسلمة التي رفضت الاعتراف بأبي بكر خليفة للمسلمين .

\* والي الإمام علي (عليه السلام) على مصر.

٧٥. المسعودي م. س. ج ٢ ص ١٢ (\*) كان معاوية يقصد بكلمة (فعل ذلك به قبلنا) أي ما

حدث من أبي بكر ضد الإمام علي (عليه السلام) وقد استدلت بهذه الجملة للتدليل على حصول أبي بكر عليّ الخلافة بالقوة و كون هذه الوسيلة قد أصبحت نموذجاً شرعياً لمن بعده .

٧٦. السيوطي - م. س. ص ٧٧.

صالح الورداني م. س. ص ٧٣ .

ابن قتيبة الدينوري - الإمامة والسياسة - القاهرة ١٩٦٩ - ج ١ ص ١٩ .

٧٧. م. س. ص ٧٧، م. س. ص ٧٣، م. س. ج ١ ص ١٩ .

٧٨. عبد المعز عبدالحميد الجزّار - مع الإمام علي (عليه السلام) - القاهرة ١٩٩٩ - ص ٤١

(بتصرف) (\*) أوردت الروايات التاريخية أن عمر جلس أمام الناس ومعه شديد مولى أبي بكر وهو - أي عمر - يقول :- أيها الناس أسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله إنه يقول إني لم ألكم نضحاً .

\* المقنب جماعة من الخيل تجتمع للإغارة

٧٩. مرتضى العسكري - معالم المدرستين - قم ١٩٩٦ - ج ١ ص ١٧٣ تقرأ عن البلاذري

- أنساب الأشراف - ج ٥ ص ١٧ .

٨٠. د / فوزي أدهم - نحو مفهوم جديد للشورى في الإسلام - مجلة المنهاج شتاء ١٩٩٨

- ص ١١٣ .

٨١. مرتضى العسكري - م. س. - ج ١ - ص ١٧٣ .
٨٢. م. س. - ج ١ ص ١٧٤ .
٨٣. م. س. ج ١ ص ١٧٥ .
- \* كان عبد الرحمن زوج أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط وأمها أروى بنت كرز وهي أم عثمان كذلك فزوجة عبدالرحمن هي أخت عثمان من أمه .
٨٤. المحمودي م. س. ج ١ ص ١١٤ (\*) لا بُدَّ من الإشارة إلى أن طلحة كان غائباً وقت الشورى .
٨٥. مرتضى العسكري م. س. ج ١ ص ١٧٢ .
٨٦. م. س. ج ١ ص ١٧٥ (\*) ينتمي سعيد بن العاص إلى بني أمية و كان أبوه من كسبار قريش الذين قُتلوا على يد عليّ (عليه السلام) في معركة بدر.
٨٧. م. س. ج ١ ص ١٧٥ .
- \* أعطى سعد صوته لعبد الرحمن بينما أعطى طلحة صوته لعثمان وأعطى الزبير صوته لعليّ (عليه السلام) فانسحب عبد الرحمن من الترشيح و معه سعد حتى يقوم باختيار الخليفة.
٨٨. محمد باقر المحمودي - م. س. ج ١ ص ١٤٣ .
٨٩. محمد كاظم القزويني - الإمام عليّ (عليه السلام) من المهدي إلى اللحد - بيروت ١٩٩٢ - ص ١٩٠، ١٩٢. عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) - م. س. - ج ١ ص ١٢٥ .
- \* أغامت :- غطيت بالغييم، والمحجة قد تنكرت :- الطريق المستقيم تغيرت علائمه و صارت مجهولة.
٩٠. مرتضى العسكري - م. س. ج ١ ص ١٧٩، الطبري - م. س. ج ٤ ص ٤٢٧ .
٩١. محمد مهدي شمس الدين - حركة التاريخ عند عليّ (عليه السلام) - بيروت ١٩٨٥ ص ٥٠ .
٩٢. م. س. ص ١٥٠ .
٩٣. مرتضى العسكري - م. س. ج ١ ص ١٧٩ .
٩٤. توفيق أبو علم - الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) - القاهرة ١٩٨٦ - ص ٩٢ .
٩٥. محمد كاظم القزويني . - م. س. - ص ١٩٤ .
٩٦. عليّ (عليه السلام) - م. س. ج ٢ ص ١٧٧ .
٩٧. م. س. ج ٢ ص ٣٠٥ .
٩٨. م. س. ج ٢ ص ٣٠٥ .

١٠٩٠ م. س. ج ٣ ص ٣٨٧، ٣٨٨.

١٠٠٠ م. س. ج ٢ ص ٢٠٥.

\* لا بد من الإشارة إلى أن اتباع الديانات الأخرى لم تكن هذه الأحداث تهمهم في شيء ولم يساهموا فيها سلباً أو إيجابياً.

١٠١٠ م. مهدي عبد الحسين النجم - مالك بن الحارث الأشتر - بيروت ١٩٩٨ - ص ٣٩.

١٠٢٠ م. توفيق أبو علم - م. س. ص ١١٤، ١١٥.

\* الأحزاب / ٣٣.

١٠٣٠ م. س. من ص ٩٨ حتى ص ١٣٥.

\* لا بُدَّ من الإشارة إلى أن علياً (عليه السلام) أوفد أبي موسى الأشعري بناءً على إصرار أغلب أتباعه.

١٠٤٠ م. س. ص ١٧١، حتى ص ٢٣٢.

\* سبق توضيح لجوء أبي بكر إثارة العصبية القبلية بين الأوس والخزرج، ثم لجوءه إلى القوة في تعامل مع الأنصار لإجبارهم على بيعته، وفرضه لعمر كخليفة على المسلمين، ولجوء عمر إلى خطة خداعية لإبعاد الخلافة عن علي (عليه السلام) وتوليها لعثمان، الذي أقسم على العمل بالقرآن والسنة وسيرة الشيخين ثم لم يلتزم بأيّ منهم. وقد كان الاعتذار الجاهز دوماً لكل هذه الأفعال هو مصلحة الأمة كما دافع أبو بكر عن نفسه حين أتهمه علي (عليه السلام) قائلاً: - أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقاً. فكانت الإجابة: - بلى ولكنني خشيت الفتنة. المسعودي - م. س. - ج ١ ص ٥١٧.

\* رفض قبول الآخر - الطبقي أو الحضاري - ركناً أساسياً داخل الشخصية الأوربية يبرر العقيدة الإمبريالية للأوربيين والتي تتغير مظاهرها بتغير الظروف.

\* قام قصي بن كلاب ببناء هذه الدار بجوار الكعبة للشورى وكان الإلتحاق بها من حق كل المنتسبين إلى القبيلة في حالة بلوغه سن الأربعين.

١٠٥٠ م. جورج زبدان - تاريخ التمدن الإسلامي - القاهرة ١٩٦٨ ج ١ ص ٣٧، ٣٨.

المسعودي م. س. ج ١ ص ٣٨١، ٣٨٢ (بتصرف).

١٠٦٠ م. أحمد حسين يعقوب - المواجهة مع رسول الله (ﷺ) - بيروت ١٩٩٧ - ص ٢٩٧

تقلاً عن المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٠٧.

١٠٧٠ م. ابن قتيبة الدينوري - م. س. ج ١ ص ١٠، الطبري م. س. ج ٣ ص ٢٠٧.

١٠٨. المحمودي - م. س. ص ٤٥، ٤٦، العسكري - م. س. ج ١ ص ١٥٦ وما بعدها.
١٠٩. ابن قتيبة م. س. ج ١ ص ١٢.
١١٠. م. س. ص ١٣.
١١١. الشيخ محمد بن النعمان المفيد - الإرشاد - بيروت ١٩٩٣ - ج ١ ص ١٩٠، ١٩١.
١١٢. الشيخ المفيد - الاختصاص - بيروت ١٩٩٣ - ص ١٨٦، ابن قتيبة - م. س. ج ١ ص ١٣، الطبري م. س. ج ٢ ص ٢٠٣.
١١٣. الإمام علي (عليه السلام) م. س. ص ٣٣٧.
١١٤. المسعودي م. س. ج ١ ص ٥١٨، ابن قتيبة - م. س. ج ١ ص ١١٨.
١١٥. أحمد بن علي المقرئ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - القاهرة ١٩٩٩ ج ٤ ص ٣٤٦، الشهرستاني م. س. ج ١ ص ٦٥، الطبرسي - الإحتجاج - بيروت ١٩٨١ ج ١ ص ٨٣.
١١٦. المجلسي - بحار الأنوار - بيروت - ج ٤٣ ص ١٧٢، النعمان بن محمد - دعائم الإسلام - القاهرة ١٩٤٨ ج ١ ص ٢٤٦.
١١٧. مرتضى العسكري م. س. ج ٢ من ص ١٧٨ إلى ص ١٨٨.
١١٨. علي إبراهيم حسن - التاريخ الإسلامي العام - القاهرة (بدون تاريخ) - ص ٢٢٠، ٢٢١. ابن كثير - البداية والنهاية - القاهرة ١٣٨٧ ج ٦ ص ٣٥٩.
١١٩. ابن كثير - م. س. ج ٦ ص ٣٥٢.
١٢٠. مرتضى العسكري م. س. ج ١ ص ٢٣٨، ٢٣٩. نقلاً عن فتوح البلدان للبلاذري
١٢١. م. س. ج ١ ص ٢٣٨\* ذكر البلاذري أن الحارث بن معاوية الكندي سأل زياد بن لبيد عامل أبي بكر على الصدقات :- أخبرني لما نحيتم عنها أهل بيته؟ وهم أحق الناس بها لأن الله عز وجل يقول (وألو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) الأحزاب - فأجابه زياد :- إن المهاجرين والأنصار أنظر لأنفسهم منك، فقال الحارث :- لا والله ما أزلتموها عن أهلها إلا حسداً منكم وما يستقر في قلبي أن رسول الله (ﷺ) خرج من الدنيا ولم ينصب للناس علماً يتبعونه .
١٢٢. ابن كثير م. س. ج ٦ ص ٣٦٣.
- \* حاول بن كثير أن يدافع عن هذا التصرف الوحشي لخالد وبيبره بإدعاء أنه أراد إرهاب الأعراب من المرتدين وغيرهم .



١٢٣. مرتضى العسكري م. س. ج ١ ص ٢٤٠.

١٢٤. م. س. ج ١، ٢٣٩.

\* وقد حدثت مواجهة بين رسول أبي بكر والأشعث بن قيس الكندي زعيم قبائل كنده حيث قال له الأشعث :- إن صاحبك يلزمنا الكفر بمخالفتنا له، ولا يلزم صاحبه الكفر بقتله قومي وبني عمي، فرد رسول أبي بكر :- نعم يا أشعث: يلزمك الكفر لأن الله تبارك وتعالى قد أوجب عليك الكفر بمخالفتك لجماعة المسلمين .

١٢٥. ابن كثير م. س. ج ٦ ص ٣٤٣، ٣٤٤\* و صحب هذه المقولة هو أبو هريرة الدوسي وقد روى عن عاشة أنها قالت :- لما قبض رسول الله أرادت العرب قاطبة، واشربت النفاق والله لقد نزل بي ما لو نزل بالجبيل الراسيات لهاضها..م. س. ص ٣٤٣، ٣٤٤.

١٢٦. الطبري م. س. ج ٣ ص ٢٤١، ابن كثير م. س. ج ١ ص ٣٤٣، ابن قتيبة - م. س. ج ١ ص ١٩، ٢٠.

\* والملاحظ أنه حتى الكتب التاريخية الحديثة لم تحاول القيام بأي دراسة متأنية لهذه المرحلة الزمنية، ونقلت أخبارها كما تلقفتها دون نقد

١٢٧. نجاح الطائي - نظريات الخليفين - بيروت ١٩٩٨ - ج ٢ ص ٢٠.

١٢٨. م. س. ج ٢ ص ١٣، ١٤ (\*) و من غير المفهوم أو المبرر أن يكون نقل حديث الرسول إلى المسلمين تهمة تستحق الحبس ومن الواضح أن هؤلاء الصحابة كانوا يروون أحاديث لم يكن الخليفة يرغب في أن يسمعها المسلمون .

١٢٩. م. س. ص ١٤.

١٣٠. م. س. ص ٤٦. (\*) و تنهم بعض الدراسات التاريخية المعاصرة عمر بن الخطاب

بدم السم لخالد بن الوليد .

١٣١. العسكري - م. س. ج ١ ص ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠.

\* وقد تجاهلت الكثير من المراجع التاريخية خبر فاة سعد بن عباد.

١٣٢. نجاح الطائي - م. س. ج ٢ ص ١٥٣، ١٥٤.

١٣٣. ابن قتيبة الدينوري - م. س. بيروت ١٩٩٧ - ج ١ ص ٢٨.

١٣٤. م. س. ج ١ ص ٣١، ٣٢.

١٣٥. المسعودي م. س. ج ١ ص ٥٤٩.

١٣٦. م. س. ج ١ ص ٥٤٩.

١٣٧. ابن قتيبة - م. س. ج ١ ص ٣١، ٣٢، العسكري - أحاديث أم المؤمنين عائشة - طهران ١٩٩٩ - ج ١ ص ١٣٢ إلى ١٣٤ .

١٣٨. المسعودي م. س. ج ١ ص ٥٤٨، مرتضى العسكري م. س. ج ١ ص ١٣٤، ابن قتيبة م. س. ج ١ ص ٣٢ .

كان يشغل منصب خازن بيت المال، العسكري م. س. ج ١ ص ١١٤، ١١٥ .

١٣٩. م. س. ج ١ ص ١١٦، ابن كثير - م. س. ج ٧ ص ١٦٣ .

١٤٠. ابن قتيبة م. س. ج ١ ص ٣٢، ٣٣ .

١٤١. م. س. ص ٣٢، ٣٣ المسعودي م. س. ج ١ ص ٥٥٠، ٥٥١، ابن كثير م. س. ج ٧ ص

١٦٣، الطبري م. س. ج ٥ ص ١١٩، ١٢٠، ١٢١ .

\* اتهم عثمان الإمام علي (عليه السلام) بهذا الإتهام بسبب تدخل الإمام أكثر من مرة لحماية الصحابة المعارضين له من بطشه بهذه الوسائل القمعية كما تكرر هذا الإتهام حينما اكتشف الثوار مؤامرة عثمان عليهم وتحريضه لواليه بمصر على قتلهم و طالبه الثوار بأن ينحي نفسه عن الخلافة فأتهم علياً (عليه السلام) بأنه هو المحرض للثوار على هذه المطالب .

١٤٢. ابن قتيبة م. س. ج ١ ص ٣٣، المسعودي م. س. ج ١ ص ٥٥٠، ٥٥١ .

١٤٣. الطبري، م. س. ج ٤ ص ٤٧٧ .

١٤٤. م. س. ج ٥ ص ١٢٠، ١٢١ .

١٤٥. م. س. ج ٥ ص ١٢٢ .

\* ينتمي طلحة بن عبيد الله إلى بني تيم بن مرة كعائشة .

\* صرح الإمام علي (عليه السلام) ببعض هذه الأسباب في احدي خطبه أهمها هو تفضيل

الرسول (ﷺ) لعلي (عليه السلام) على أبي بكر. محمد بن النعمان المفيد - الجمل - بيروت

١٩٩٣ - من ص ٤٠٩ إلى ص ٤١٢ .

١٤٦. المفيد - الجمل - م. س. ص ١٥٧ وما بعدها، محمد بن النعمان - م. س. ج ١ ص

٣٨٤ .

١٤٧. المسعودي م. س. ج ١ ص ٦٠٣

\* يذكر الطبري أن الخريت عندما علم بمسير معقل بن قيس أخذ يتودد إلى كل الفصائل

في جيشه من الخوارج العثمانيين ومانعو الصدقة والمرتدين ويحاول إيهام كل منهم بأنه على

رأيه، الطبري م. س. ج ٥ ص ١٢٥ .

١٤٨. المسعودي م. س. ج ١ ص ٦٠١، ابن قتيبة م. س. ج ١ ص ١١٩.
١٤٩. ابن قتيبة م. س. ج ١ ص ٦٩ (\*) يورد ابن قتيبة خبر مبايعة أهل الشام لمعاوية بالخلافة كما يرد في ص ٧٠ المراسلات بين علي (عليه السلام) ومعاوية وهي تؤيد في مضمونها أن معاوية كان يعد منشقاً وليس مُعارضاً. أنظر الإحتجاج للطبرسي - ج ١ ص ١٧٢.
١٥٠. المفيد - الإرشاد - م. س. ج ١ ص ٢٨١.
١٥١. م. س. ج ١ ص ٢٧٢، ٢٧٣.
١٥٢. المفيد - الأمالي - بيروت ١٩٩٣ - ص ١٢٨.
١٥٣. المفيد - الإرشاد م. س. ص ٢٧٣.
١٥٤. م. س. - ج ١ ص ٢٨١.
١٥٥. الإمام علي (عليه السلام) - م. س. ج ١ ص ١٦١.
١٥٦. م. س. ج ١ ص ٧٦.
١٥٧. المفيد - الإرشاد م. س. ج ١ ص ٢٤٣، ٢٤٤.
١٥٨. المحمودي - م. س. ج ١ ص ٢٩٨، ص ٢٩٩.
١٥٩. المفيد الإرشاد م. س. ج ١ ص ٢٥٥.
١٦٠. الإمام علي (عليه السلام) - م. س. ج ٢ ص ٢١٧.
١٦١. م. س. ج ١ ص ٣٣.
١٦٢. م. س. ج ١ ص ٣٣.
١٦٣. المفيد - الإرشاد م. س. ج ١ ص ٢٤٧.
١٦٤. المحمودي - م. س. ج ١ ص ٢٨٥، ٢٨٦.
١٦٥. المفيد - الإرشاد م. س. ج ١ ص ٢٤٦.
١٦٦. الإمام علي (عليه السلام) - م. س. ج ١ ص ٦٥.
١٦٧. م. س. ج ١ ص ٧٥ (\*) يقصد علياً بهذه العبارة، إنقلبوا شر منقلب بضلالكم في زعمكم، وارتدوا على أعقابكم بفساد هواكم. هامش ص ٧٥.
١٦٨. م. س. ج ٢ ص ٢٣٠ (\*) يقصد علياً. فليكتفوا من الشر والخطيئة بخروجهم من الهدى فهو كفيل لهم بكل شق هامش ص ٢٣٠ (بتصرف).
١٦٩. المفيد - الإرشاد - ج ١ - ص ٢٥٢.
١٧٠. الإمام علي (عليه السلام) - م. س. ج ٢ ص ٢١٧.

١٩٠ مجموعة مقالات الدولي مؤتمر الامام علي (ع)

١٧١. المفيد - الإرشاد - م. س. ج ١ ص ٢٦٠.

١٧٢. الإمام علي (عليه السلام) - م. س. ج ٣ ص ٣٢٧

١٧٣. م. س. ج ٣ ص ٣٢٧.

\* يراجع الهامش رقم ١، ٢، ٣، ٤.

١٧٤. المحمودي - م. س. ج ١ ص ٢٨٥، المفيد - الجمل - م. س. ص ١٦٤.

١٧٥. المفيد - م. س. ص ١٦٦.

١٧٦. م. س. ص ١٦٧.

١٧٧. م. س. ص ٩٥، ٩٦، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٥٢.

١٧٨. م. س. ص ٩٢، ٩٣.

١٧٩. م. س. ص ٥٤.

١٨٠. م. س. ص ٩٤، ٩٥، ٩٦.

١٨١. م. س. ص ٢٥٣، المفيد - الأمالي - م. س. ص ١٢٨.

١٨٢. النعمان - م. س. ج ١ ص ٣٩٣.

١٨٣. د / محمد طي - علي (عليه السلام) و قانون الطوارئ - م. س. ص ٦٥.

١٨٤. الطبري م. س. ج ٥ ص ١١٣.

١٨٥. م. س. ج ٥ ص ١١٥.

١٨٦. المفيد - الإختصاص - م. س. ص ٢٨٣، ٢٨٤.

١٨٧. المحمودي م. س. ج ١ ص ٣٧٥.

\* كان الخوارج يرون أن قتل أتباع علي (عليه السلام) حلال أما قتل أهل الذمة فهو حرام.

١٨٨. المسعودي م. س. ج ١ ص ٦٠١، ابن قتيبة م. س. ج ١ ص ١٢٠.

١٨٩. م. س. ج ١ ص ٦٠٢، ٦٠٣، م. س. ج ١ ص ١٢٠، ١٢١.

١٩٠. الطبري م. س. ج ٥ من ص ١١٨ إلى ص ١٢٧.

١٩١. د / محمد طي - مجلة المنهاج - م. س. ص ٦٥.

١٩٢. ابن قتيبة - م. س. ج ١ ص ١١٨.

\* كانت الوسائل الإعلامية المتاحة في تلك الفترة هي الخطبة سواء في المسجد أو في

التجمعات العامة أو الشعر.

١٩٣. المفيد - الجمل م. س. من ص ٢٢٧ إلى ٢٣٢

## الحقوق السياسية عند الامام علي (ع) من منطلق العدالة ١٩١

١٩٤. المفيد م. س. ص ٥٤.
١٩٥. ابن قتيبة م. س. ج ١ ص ١١٣، ١١٤، الإمام علي (عليه السلام) م. س. ج ٢ ص ١٦٨.
١٩٦. م. س. ج ٤ ص ٤٧١، المجلسي - م. س. ج ٤١ ص ٤٩.
١٩٧. المحمودي م. س. ج ١ ص ٤١١.
١٩٨. م. س. ج ١ ص ٤١٣، المفيد - الجمل م. س. ص ٤٢٢.
١٩٩. الإمام علي (عليه السلام) م. س. ج ٣ ص ٣٨٤.
٢٠٠. المحمودي م. س. ج ١ ص ٤٠٦، المفيد - الجمل م. س. ص ٤٢٠، ٤٢١.
٢٠١. المحمودي م. س. ج ١ ص ٢٤٧.
٢٠٢. م. س. ج ١ ص ٢٧٧.
٢٠٣. م. س. ج ١ ص ٢٨٥، المفيد - الجمل م. س. ص ٢٦٨.
٢٠٤. م. س. ج ١ ص ٣٠٣.
٢٠٥. م. س. ج ١ ص ٣٠٦.
٢٠٦. المفيد - الجمل م. س. ص ٢٢٧ وما بعدها.
٢٠٧. ابن قتيبة م. س. ج ١ ص ١١٣ وما بعدها.
٢٠٨. م. س. ج ١ ص ١١٥.
٢٠٩. م. س. ج ١ ص ١١٣ وما بعدها.
٢١٠. د / محمد طي - م. س. ص ٦٤، ٦٥.
٢١١. الطبري م. س. ج ٥ ص ١١٤.
٢١٢. م. س. ص ١١٥.
٢١٣. المسعودي م. س. ج ١ ص ٥٩٣.
٢١٤. النعمان م. س. ج ١ ص ٣٩٣.
٢١٥. السيد محمد الشيرازي - الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام -  
(بدون ذكر مكان الطبع).
٢١٦. م. س. ص ٣٣٨ (١٩٨٥ ص ٣٣٨).
٢١٧. المسعودي م. س. ج ١ ص ٥٢٤، ٥٢٥، ابن قتيبة م. س. ج ١ ص ٢٢.
- \* نذكر على سبيل المثال حادثتان الأولى: استخلاف أبي بكر لعمر دون أي استشارة رغم رفض الرأي العام العربي.

- الثانية: مشاوره عمر له و للصحابه حول حربہ للفرس بطريقه انفرادية مما يؤكد أن رأيهم لم يكن ملزم له .
٢١٨. المسعودي م. س. ج ١ ص ٥٢٤، ٥٢٥. (\*) نذكر واقعة استشارة عمر لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) و عبد الرحمن بن عوف غيرهما من الصحابة في حرب الفرس وكلهم قرشيون استشارته للهرمزان الفارسي في ذات المشروع.
٢١٩. ابن قتيبة م. س. ج ١ ص ٢٨.
٢٢٠. المسعودي م. س. ج ١ الفصل الخاص بعثمان من ص ٥٤٣ وإلى ص ٥٥٣، ابن قتيبة م. س. ج ١ ص ٣٢، ٣٣، المحمودي م. س. ص ١٧٢.
٢٢١. السيد الشيرازي - الشورى في الإسلام - بيروت ١٩٩٩ - ص ٦١.
٢٢٢. م. س. ص ٦١.
٢٢٣. م. س. ص ٦١.
٢٢٤. م. س. ص ٦٤ (\*) و يعني بهذه العبارة تدبر عواقب الرأي حتى يظهر الصواب .
٢٢٥. م. س. ص ٦٦.
٢٢٦. م. س. ص ٦٠.
٢٢٧. د / محسن باقر الموسوي - الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي (عليه السلام) - بيروت ١٩٩٨ ص ١١٨، ١١٩.
٢٢٨. المفيد - الجمل م. س. ص ٢٣٩، ٢٤٠، ابن قتيبة - م. س. ج ١ ص ٥٦.
٢٢٩. الموسوي - م. س. ص ١١٩.
٢٣٠. ابن قتيبة م. س. ج ١ ص ٩٧ وما بعدها.
٢٣١. م. س. ج ١ ص ١٠٥، ١٠٦، المسعودي م. س. ج ١ ص ٥٨٨، ٥٨٩.
٢٣٢. الإمام علي (عليه السلام) - م. س. ج ٢ ص ٢٨٢.
٢٣٣. م. س. ج ٣ ص ٣٧٢.
٢٣٤. السيد الشيرازي - م. س. ص ٦٨.
٢٣٥. م. س. ص ٦٩.
٢٣٦. م. س. ص ٦٩.
٢٣٧. م. س. ص ٦٩.
٢٣٨. م. س. ج ٣ ص ٣٧٢.

٢٣٩. م. س. ج ٣ ص ٣٧٢، ٣٧٣.
٢٤٠. م. س. ج ٣ ص ٣٧٣.
٢٤١. السيد الشيرازي م. س. ص ٦٧.
٢٤٢. م. س. ص ٦٣.
٢٤٣. م. س. ص ٦٣.
٢٤٤. م. س. ص ٦٨.
٢٤٥. الإمام علي (عليه السلام) م. س. ج ٣، ٣٧٢.
٢٤٦. السيد الشيرازي م. س. ص ٦٧.
٢٤٧. الإمام علي (عليه السلام) م. س. ج ٣ ص ٣٧٠.
٢٤٨. المحمودي م. س. ج ١ ص ٤٢٢.
٢٤٩. سعيد فهم خليل - الحماية الدولية لحقوق الإنسان في الظروف الإستثنائية -  
القاهرة ١٩٩٩ ص ٥٢.
٢٥٠. م. س. ص ٥٣.
٢٥١. م. س. ص ٥٣.
٢٥٢. م. س. ص ٥٣.
٢٥٣. م. س. ص ٥٣.
٢٥٤. م. س. ص ٥٣.
٢٥٥. م. س. ص ٥٣.
٢٥٦. م. س. ص ٣٥٧.
٢٥٧. م. س. ص ٣٤١، ٣٤٢.
٢٥٨. الطبري م. س. ج ٤ ص ٤٢٧.
٢٥٩. المفيد - الجمل - م. س. ص ٩٥ - ٩٦.
٢٦٠. م. س. ص ٢٢٦ وما بعدها.
٢٦١. محمد طي - المنهاج - م. س. ص ٦٣ وما بعدها.
٢٦٢. المفيد م. س. ص ١٦٦.
٢٦٣. م. س. ص ١٦٦، ١٦٧.
٢٦٤. الإمام علي (عليه السلام) م. س. ج ٢ ص ٢٣٠.

١٩٤ مجموعة مقالات الدولي مؤتمر الامام علي (ع)

٢٦٥. م. س. ج ٣ ص ٤٠١ - ٤٠٢.
٢٦٦. المفيد - م. س. ص ١٦٧.
٢٦٧. الطبري م. س. ج ٥ ص ١١٥.
٢٦٨. الإمام علي (عليه السلام) م. س. ج ٣ ص ٢٦٦.
٢٦٩. محمد طي م. س. ص ٦٥.
٢٧٠. الإمام علي (عليه السلام) م. س. ج ٣ ص ٣٣٩.
٢٧١. السيد المرتضى - نهج الكفاح - بيروت ١٩٧٧ ص ٤٨.
٢٧٢. م. س. ص ١٤٠.
٢٧٣. م. س. ص ١٤١.
٢٧٤. م. س. ص ١٤٢.
٢٧٥. الإمام علي (عليه السلام) م. س. ج ٣ ص ٣٨٥.



## علي والعدالة الاجتماعية

دكتور أحمد راسم النقيس

الأستاذ بكلية الطب جامعة المنصورة

مصر

الإمام علي بن أبي طالب أبو الأئمة وسيد الأوصياء ذاك الذي قاتل علي تأويل القرآن و تطبيقه مثلما قاتل رسول الله (ﷺ) علي تنزيله حتى جاء الحق وظهر أمر الله و هم كارهون .

ابتلى (عليه السلام) بإدارة دولة الإسلام بعدما اختلطت المعايير والتبس الحق بالباطل في المراحل السابقة فكانت المواجهة من أجل تأسيس نموذج لدولة العدل الإلهي من هنا كان إصراره (عليه السلام) أن تكون البيعة له في العلن لرضا الأمة ثم اصطدم بعد ذلك مباشرة بطبقة تكونت حول النظم السابقة ترى لنفسها مكانة اجتماعية و مالية متميزة عن باقي المسلمين فواجههم وأعاد الأمور إلى نصابها أي المساواة الصارمة بين الناس في الحقوق والواجبات فاشتعلت الحروب في وجهه (عليه السلام). على الناحية الأخرى كان المعسكر الأموي يستخدم سياسة الرشوة وشراء الذمم والضمان وهو ما رفضه الإمام مصراً على اتباع سياسة العدل و المساواة بين الناس، لم يكتف الإمام بهذا وإنما صادر كل الأموال المنهوبة والتي تملكها البعض عبر السلب والنهب .

كان الإمام حريصاً فوق كل هذا أن يعطي من نفسه و من خاصته وأوليائه القدوة و الأسوة و المثل والنموذج الزاهد في ملذات الدنيا باعتبار أن هذا المناخ هو الخلفية الطبيعية لسياسات العدالة الاجتماعية.

بالإضافة إلى هذا كان الإمام حريصاً على رعاية الإنتاج والمنتجين و عدم تكليفهم ما

لا يطيقون من أعباء ضريبية ومعاملتهم معاملة كريمة.  
أما عن سياسته في جمع الصدقات فكانت بنفس النهج الرحيم و حفاظاً على حقوق  
الفقراء الذين فرض الله عزّ وجلّ حقوقهم على أغنياء المسلمين.

## علي والعدالة الاجتماعية

ذكر أبو الحسن الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية عن ابن اسحق عن الزهري عن  
ابن عباس قال:

(وجدت عمر ذات يوم مكروباً فقال ما أدري ما أصنع في هذا الأمر؟ أقوم فيه وأقعد فقلت  
هل لك في علي فقال إنه لها لأهلٌ ولكنه رجل فيه دعابة وإنني لأراه لو تولى أمركم  
لحملكم على طريقة من الحق تعرفونها قلت فأين أنت من عثمان قال لو فعلت لحمل ابن  
أبي معيط على رقاب الناس ثم لم تلتفت إليه العرب حتى تضرب عنقه والله لو فعلت  
لفعل ولو فعل لفعلوا وفي رواية أخرى لنفس المصدر عن عمر بن الخطاب لما دخل منزله  
مجروحاً سمع هدة فقال ما شأن الناس قالوا يريدون الدخول عليك فأذن لهم فقالوا: اعهد  
يا أمير المؤمنين، استخلف علينا عثمان فقال: كيف؟؟ يحب المال والجنة!! فخرجوا من  
عنده. ثم سمع لهم هدة فقال ما شأن الناس؟؟ قالوا يريدون الدخول عليك فأذن لهم فقالوا  
استخلف علينا علي بن أبي طالب قال: إذن يحملكم على طريقة هي الحق.  
قال: عبد الله بن عمر فاتكأت عليه عند ذلك وقلت يا أمير المؤمنين وما يمنعك منه فقال:  
يا بني أتحملها حياً وميتاً؟؟. (ص ١٤)

ثم كان ما كان من أمر الشورى مما يخرج عما نريد الحديث فيه ولكن يبقى أن علم  
عمر بأن إمرة علي (عليه السلام) ستحمل الناس على طريقة هي الحق لم تدفعه إلى اختياره  
خليفة للمسلمين مثلما تولى هو الخلافة بعهد من أبي بكر وكل ما هنالك أنه جعله سادساً  
في شورى كان يعلم سلفاً أنها ستؤدي إلى اختيار عثمان بن عفان الذي يحب المال والجنة  
ليحمل بني معيط على رقاب الناس وليضرب الناس عنقه كما كان يتوقعه عمر بن الخطاب  
بدهائه الفطري وكأنه كان يسعى للوصول إلى هذه النتيجة.

لماذا لم تسلم الأمة الأمر إلى علي (عليه السلام) منذ البداية؟ ولماذا لم يفعل عمر بن الخطاب ما كان متوقفاً من رجل يحرص على مصالح الأمة وعلى وحدتها وعدم تشرذمها لأنه يكره أن يحمل الناس على الحق أم لأن علياً (عليه السلام) به دعاة!! أي يقصد؟

على أية حال فقد أعطاها عمر بن الخطاب إلى عثمان بن عفان بصورة غير مباشرة من خلال تلك الشورى فحمل بني معيط على رقاب الناس، فقتلوه، واجتمع الناس على علي بن أبي طالب يلحون عليه أن يقبل بالخلافة، والرواية هنا للشريف الرضي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام):

حتى إذا مَضَى لسبيله (أي عمر بن الخطاب) جعلها في جماعة زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَبِإِلَهِهِ  
وَلِلشُّورَى مَنِيَّ اعْتَرَضَ الرِّيبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صَرْتُ أَقْرَبَ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ وَلَكِنِّي  
أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفُوا وَطَزْتُ إِذْ طَاوَزُوا فَضَعَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضَغِينِهِ وَمَالَ الْآخِرِ لِصَهْرِهِ مَعَ هُنَّ وَهُنَّ -  
إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنِيهِ بَيْنَ نَشِيْلِهِ وَمُعْتَلِفِهِ وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ  
خِضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنْ انْتَكَتْ فَتَلَّهُ وَأَجْهَرَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَكَبَّتْ بِهِ بَطْنَتُهُ - فَمَا زَاعَنِي إِلَّا  
وَالنَّاسُ كَعْرِفِ الضَّبْعِ يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْتُ وَطِيءَ الْحَسَنَانَ وَشَقَّ عِطْفَانِي،  
مَجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرِيضَةِ النَّعْمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَّتْ طَائِفَةٌ وَمَرَّقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ  
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي  
الْأَرْضِ وَلَا فُسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا وَلَكِنْ خَلَيْتُ الدُّنْيَا فِي  
أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زَبْرُجْهًا.

نافجاً حِضْنِيهِ رافعاً لهما يقال للمتكبر جاء نافعاً حِضْنِيهِ، النشيل، الروث، والمعتلف أي  
موضع العلف، أي همه الطعام والإخراج.

كعريف الضبع عرف الضبع ثخين ويضرب به المثل في الازدحام ينتالون أي يتتابعون  
مزدحمين.

ثم يقول (عليه السلام):

أَمَا وَالَّذِي فَتَقَى الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ  
عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارَوا عَلَى كِبَظَةِ ظَالِمٍ وَلَا مُسْتَبَغَةِ مَظْلُومٍ لِأَلْقِيَتْ حَبْلُهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقِيَتْ  
آخِرَهَا بِكَاسِ أَوْلِهَا وَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَانِي هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزِ.

هذه مقدمة لازمة لبيان الطريقة التي تولى من خلالها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولاية الأمر فلا كانت ولايته بشورى خمسة أشخاص كتلك البيعة التي عقدت في سقيفة بني ساعدة ولا هي بعهد من الخليفة السابق بل كانت من خلال بيعة عامة كانت تجديداً

ليبعة عامة سابقة تناساها وتغافل عنها ذلك (الجيل القرآني الفريد) على حد وصف سيد قطب وهي يوم الغدير التي عقدها رسول الله (ﷺ) لدى عودته من حجة الوداع .  
 أيضاً فلم تكن بيعته (عليه السلام) بعهد من الخليفة السابق وهو ما يحاول وعاظ السلاطين إسباغ الشرعية عليه فالخلافة وكالة عن الأمة وليست تملكاً لمصيرها إنها ليست صكاً للتملك ولا نوعاً من العبودية بحيث يستطيع مالك الرقبة تحويله لمن يحب ويهوى كما فعل الخليفة الأول عندما أقطعها للخليفة الثاني وكما فعل الخليفة الثاني حين بعثها بين ستة عالماء بأن الكرة لا بد أن تقع في يد عثمان ليحمل بني معيط أي بني أمية على رقاب الناس والباقي معلوم . لقد كانت بيعته (عليه السلام) بيعة عامة وصفها بقوله :

فَمَا رَأَيْتُ إِلاَّ وَالنَّاسُ كَتَرَفِ الضَّبْعِ يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وَطِئَ الْخَسَنَانِ وَ  
 شَقَّ عِظْفَايَ مُخْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرِيضَةَ النَّعَمِ .

هذه إحدى ركائز الحكومة الإسلامية العلوية التي قامت بسيعة جماهيرية عامة فليسها من شاء حكومة ديمقراطية أو شوروية إنها ملامح دولة الحق والحق هو النور والنور نقيض الخفاء والتآمر والظلام والحق يأبى أن يأتي إلى الخلق ثمرة لصفقة أبرمت بليل لا يدري الناس كيف ولا أين ولا مراميها ولا أهدافها .  
 هذه واحدة .

ويسأل سائل أو يشغب مشاغب فيقول أين ما تدعونه من أن إمامة علي (عليه السلام) كانت بنص جاء على لسان رسول الله (ﷺ) طالما أنه كان محتاجاً لبيعة الناس ورضاهم لكي يصبح خليفة للمسلمين ولماذا لم يخاطبهم الإمام قائلاً أنا إمام معصوم والنص جاء على لسان رسول الله (ﷺ) يوم الغدير و يوم الدار ويوم كذا وكذا وما عليكم إلا تدعوا لتلك النصوص والواقع يقول أن النص الإلهي والبيان النبوي كان وما زال يحتاج إلى الإذعان البشري ليعطي مفعوله في أرض الواقع ويتميز الناس إلى فريقين مؤمن وكافر أو مدعن ومكابر ومهما عاند الناس في مواجهة الأمر الإلهي فسيبقى النص حجة عليهم ولن يكون البشر يوماً حجة على سيدهم وخالقهم .

والأمر نفسه ينطبق على النبوة فكم من الأنبياء بعثوا وما آمن لهم إلا قليل وليس هناك شك في نبوة أحد منهم ولكن الأثر المترتب على بعث الأنبياء لا يتحقق إلا باستجابة البشر للأنبياء والمرسلين .

ولا يختلف الأمر بالنسبة للإمامة عن ذلك لأن الإمامة امتداد للنبوة و بيان لحقائق

الدين وهداية للبشرية إلى صراط الله المستقيم و حجة الله على العالمين والحكومة الإسلامية جزء من وظائف الإمامة مثلما هي جزء من وظائف النبوة.

وهكذا نلج إلى اللحظة التي التحمت فيها الحكومة مع الإمامة بعد انفصال دام أكثر من عشرين عاماً إنها اللحظة التي بايعت فيها الأمة لإمام الحق بعد طول التواء وتأخير.

البيعة لإمام الحق: مواجهة مبكرة.

روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٧١ عن أبي جعفر الإسكافي في كتابه نقض العثمانية:

لما اجتمع الصحابة في مسجد رسول الله (ﷺ) بعد قتل عثمان للنظر في أمر الإمامة أشار أبو الهيثم بن التيهان و رفاعة بن رافع و مالك بن العجلان و أبو أيوب الأنصاري و عمار بن ياسر بعلي (عليه السلام) و ذكروا فضله وسابقته وجهاده و قرابته فأجابهم الناس إليه فقام كل واحد منهم خطيباً يذكر فضل علي (عليه السلام) فمنهم من فضله على أهل عصره خاصة و منهم من فضله على المسلمين كلهم كافة ثم بويع و صعد المنبر في اليوم الثاني من يوم البيعة وهو يوم السبت لأحد عشر ليلة بقين من ذي الحجة فحمد الله وأثنى عليه و ذكر محمداً فصلى عليه ثم ذكر نعمة الله على أهل الإسلام ثم ذكر الدنيا فزهدهم فيها و ذكر الآخرة فرغبهم إليها ثم قال:

أما بعد فإنه لما قبض رسول الله استخلف الناس أبا بكر ثم استخلف أبو بكر عمرَ فعمل بطريقه ثم جعلها شورى بين ستة فأفضى الأمر منهم إلى عثمان فعمل ما أكرهتم فعرفتم ثم خصر و قتل ثم جئتموني طائعين فطلبتم إلي وإنا أنا رجل منكم لي مالكم و علي ما عليكم و قد فتح الله الباب بينكم وبين أهل القبلة وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ولا يحمل هذا الأمر إلا أهل الصبر والعلم بمواقع الأمر وإني خاملكم على منهج نبيكم (ﷺ) ومنفذ فيكم ما أمرت به إن استقمتم لي وبالله المستعان، ألا إن موضعي من رسول الله بعد وفاته كموضعي منه أيام حياته فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عند ما تنهون عنه ولا تعجلوا في أمر حتى نبئته لكم فإن لنا عن كل أمر تنكرونه عذراً. ألا وإن الله عالم من فوق سماويه و عرشه أني كنت كارهاً للولاية على أمة محمد حتى اجتمع رأيكم على ذلك لآتي سمعت رسول الله (ﷺ) يقول أيما والٍ ولي الأمر من بعدي أقيم على حد الصراط و نشرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلاً أتجاه الله ببدله وإن كان جائراً انتفض به الصراط حتى تترايل مفاصله ثم يهوي إلى النار فيكون أوّل ما يتقيها به أنفه و حر وجهه ولكني لما اجتمع رأيكم لم يسعني ترككم.

ثم التفت (عليه السلام) يمينا وشمالاً فقال ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الرققة فصار عليهم عاراً وشناراً إذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك و يقولون حَرَمْنَا ابنُ أَبِي طالبِ حقوقنا ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يرى الفضل له على من سواه لصحبته فإن الفضل النير غدا عند الله وثوابه وأجره على الله وأيما رجل استجاب لله وللرسول وصدق بملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً وثواباً وما عند الله خير للأبرار وإذا كان غداً إن شاء الله فاغدوا علينا فإن عندنا ما لا نقسمه فيكم ولا يتخلفن أحد منكم عربي ولا عجمي كان من أهل العطاء أو لم يكن إذا كان مسلماً حرّاً، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ثم نزل.

كانت هذه هي البداية أو خطبة الافتتاح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. إنه الخطاب الزلزال أو الصاعقة التي نزلت على رموز تلك الطبقة المترفة التي تكونت وراكمت المصالح في ظل المرحلة السابقة وهم من خاطبهم (عليه السلام) بصفتهم لا بأسمائهم (رجال قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الرققة).

كل هذا حدث والإسلام لم يزل بعد غضاً طرياً لم يمض على بعثة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم وفاته إلا أعواماً قليلة وكان ينبغي أن يتوجه جهده هؤلاء لتثبيت دعائم الدولة الإسلامية في أرض الواقع وترسيخ القيم الرسالية التي جاء بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما عند الله خير وأبقى ولكن العكس كان هو الذي حدث حيث فتح باب التنافس من أجل الدنيا وتكونت طبقة مترفة صاحبة مصلحة في استمرار تلك الأوضاع الجائرة. إنه انقلاب مضاد على المعايير المحمدية الأصلية وها قد جاء علي وبالأحرى عاد علي مذكراً بأنه ما زال في نفس الموضع الذي كان حال حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدافع الأول عن الإسلام في وجه أعدائه وفي مواجهة قوى الانحراف والتزييف.

لم تكن خلافة علي (عليه السلام) في هذه الآونة أمراً مرغوباً فيه ولا في أي آونة فالرجل يريد العودة بهم إلى عصر فات مرحلة من المساواة والمعاناة بعدما أصبح الجهاد

والتضحيات مجرد ذكريات تلوكها الألسنة وبعدهما صار هؤلاء المجاهدون السابقون كبار رجال الدولة ووجهاء المدينة وهي حكاية لا يمل التاريخ البشري من تكرارها فمن الذي صنع هذا؟؟ اسألوا الخليفة الثاني.

كان من الواضح أن علياً (عليه السلام) يعلن مبادئ دولته بل ويبادر إلى التنفيذ على الفور إنها سياسة إلحاق الأعمال بالأقوال .

### دستور الدولة الإسلامية العلوية:

المبدأ الأول المساواة في الحقوق والواجبات والمبدأ الثاني هو عدالة التوزيع. ليس هنا تفاوت بين عربي ولا عجمي ولا مهاجري ولا أنصاري ولا بين السابقين أو اللاحقين في هذه الدنيا الفانية الرخيصة وإذا كان البعض قد ضحى في سبيل الله فليكن أجره على الله ولا مبرر لأن يحبط عمله بأن يأكل أموال الناس بالباطل كبديل عن ثواب الله وما عند الله خير وأبقى .

(فأيا رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده).

(فأنتم عباد الله والمال ما لله يقسم بينكم بالسوية).

(لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً).

### علي يلحق الأعمال بالأقوال. بدايات التمرد.

فلما كان الغد غداً وغدا الناس لقبض المال فقال: لعبيد بن أبي رافع كاتبه ابدأ بالمهاجرين فأعطهم وأعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير ثم ثن بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك و من يحضر من الناس كلهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك فقال سهل بن حنيف يا أمير المؤمنين هذا غلامي بالأمس وقد أعتقته اليوم فقال نعطيه كما نعطيك فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير و لم يفضل أحداً على أحد وتخلف عن هذه القسمة يومئذ طلحة والزبير وعبد الله بن عمر وسعيد بن العاص و مروان بن الحكم ورجال من قريش وغيرها.

وسمع عبيد الله بن أبي رافع عبد الله بن الزبير يقول لأبيه و طلحة و مروان و سعيد

(ما خفي علينا من كلام علي ما يريد فقال سعيد بن العاص والتفت إلى زيد بن ثابت

إياك أعني واسمعي يا جارة).

لم يكن هؤلاء يجهلون معنى كلام الإمام علي (عليه السلام) كلام كان فيه الظاهر والمضمر

وإذا كان الظاهر بالغ المرارة بما فيه من مساواة لا يقدر أحد من هؤلاء على تحملها بعدما استمروا الأثرة والتميز والاستعلاء على باقي العباد فما بالك بما فيه من نية معلنة لاستعادة الحقوق المغتصبة ورد كل شيء إلى أصله تطبيقاً لشعار آخر رفعه الإمام (إن الحق القديم لا يغيره شيء)

وأن لا مجال لإبقاء الحال على ما هو عليه ورفع شعار (عفا الله عما سلف).  
 عاد عبید الله بن أبي رافع إلى الإمام علي (عليه السلام) فقص عليه ما سمع فقال والله إن بقيت لهم و سلمت لهم لأقيمهم على المحجة البيضاء والطريق الواضح قاتل الله بني العاص لقد عرف من كلامي ونظري إليه أمس أني أريده وأصحابه ممن هلك فيما هلك.  
 قال فبينما الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير و طلحة فجلسنا ناحية عن علي (عليه السلام) ثم طلع مروان و سعيد و عبد الله فجلسوا إليهما ثم جاء قوم من قريش فانضموا إليهم فتحدثوا نجياً ساعة ثم قام الوليد بن عقبة بن أبي معيط فجاء إلى علي (عليه السلام) فقال : يا أبا الحسن إنك وترتنا جميعاً أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً وخذلت أخي يوم الدار بالأمس وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب وكان ثور قريش وأما مروان فسخفت أباه عند عثمان إذ ضمه إليه ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبدمناف ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال أيام عثمان وان تقتل قتله وإننا إن خفناك تركناك فالتحقنا بالشام، فقال : أما ما ذكرتم من وتري إيتاكم فالحق وتركم أما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا غيركم وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ولكن لكم علي إن خفتموني أن أؤمنكم وإن خفتكم أن أسيركم فقام الوليد إلى أصحابه فحدثهم وافترقوا على إظهار العدواة وإشاعة الخلاف.

بدأت الأمور في التفاقم بعدما أدرك هؤلاء القوم أن زماناً كانوا هم سادته ونجومه ومترفوه قد ولى وأن ملامح نظام العدل الإلهي الذي فارقه قبل سنين يوشك أن يعود بل جاءهم بالحق والعدل وأكثرهم للحق كارهون و عندها أدرك هؤلاء (المجاهدون السابقون) أن بقاء هكذا نظام فضلاً عن توطيد أركانه سيجعل منهم مجرد أفراد عاديين كبقية المسلمين وهو أمر لا تطيقه تلك النفوس التي ألفت الكبر والأثرة وما كانت لترضى أن تنتزع منها مكاسبها التي أتت إليها عبر تلك الأوضاع المقلوبة في غياب الحكومة العلوية القيادة الشرعية الحقيقية الوحيدة للأمة الإسلامية.



كان لابد لهؤلاء من التآمر والتمرد فبدءوا في التحرك لتأليب من يمكن تأليبه وضمه لصفوفهم وبدأت معالم التحرك في الظهور فجاء نفر من المخلصين للإمام (عليه السلام) فقالوا يا أمير المؤمنين أنظر في أمرك وعاتب قومك هذا الحي من قريش فإنه قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك وقد دعونا في السر إلى رفضك هداك الله لرشدك وذاك لأنهم قد كرهوا الأسوة وفقدوا الأثرة ولما آسيت بينهم وبين الأعاجم أنكروا واستشروا عدوك وعظموه وأظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة وتألفاً لأهل الضلالة فرأيتك فخرج علي (عليه السلام) فدخل المسجد وصعد المنبر وقال:

أما بعد فإننا نحمد الله ربنا وإلهنا وولينا وولي النعم علينا الذي أصبحت نعمه علينا ظاهرة وباطنه امتناناً منه بغير حول منا ولا قوة لئبلونا أنشكر أم نكفر فمن شكر زاده ومن كفر عذبه فأفضل الناس عند الله منزلة وأقربهم من الله وسيلة أطوعهم لأمره وأعملهم بطاعتهم وأتبعهم لسنة رسوله وأحياهم لكتابه ليس لأحد عندنا فضل إلا بطاعة الله وطاعة الرسول هذا كتاب الله بين أظهرنا وعهد رسول الله وسيرته فينا لا يجهل ذلك إلا جاهل معاند للحق منكر. قال الله تعالى:

(إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

ثم صاح بأعلى صوته  
(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتهم فإن الله لا يحب الكافرين)

ثم قال:

يا معشر المهاجرين والأنصار أتمنون على الله ورسوله بإسلامكم بل الله يمين عليكم أن هذاكم للإيمان إن كنتم صادقين.

ثم قال:

أنا أبو الحسن و كان يقولها إذا غضب ثم قال:

ألا إن هذه الدنيا التي أصبحت تمتوها وترغبون فيها وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له فلا تغرنكم فقد حذرتموها واستتموا نعم الله عليكم بالصبر لأنفسكم على طاعة الله والذل لحكمه جل ثناؤه فأما هذا الفيء فليس لأحد على أحد فيه أثره وقد فرغ من قسمته فهو مال الله وأنتم عباد الله المسلمون وهذا كتاب الله به أقرنا وله أسلمنا وعهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض به فليتول كيف شاء فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه ثم نزل المنبر فصلى ركعتين .

كان أبا الحسن علي بن أبي طالب (عليه السلام) يواجهه أمراضاً قاتلة قد ضربت المجتمع المسلم في الصميم والبعض الآخر كان موروثاً جاهلياً لم يجز التخلص منه بعد وهو النعرة

القبلية العنصرية التي ترى أن العرب خير من العجم بل وخير من باقي البشر وهو تفضيل بلا مفضل لا يزال ممتداً في هذا الجنس البشري إلى يومنا هذا إنها نزعة لا تتوقف عند المقارنة بين العرب وغيرهم بل تتجاوز هذا إلى عقد المقارنات بين القبائل العربية نفسها تلك النعرة التي جاء الإسلام ليحاربها بقوله تعالى:

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ولو كان هناك من بين هؤلاء القوم من يستحق الفخر والتفاخر لكان علي بن أبي طالب الذي وقف في وجه تلك النزعة العنصرية الطبقيّة الجاهلية لأنه كان بحق خليفة رسول الله (ﷺ) ووصيه ووارث علمه وحكمته .

جاء علي (عليه السلام) ليعلن المساواة بين البشر في الحقوق والواجبات بغض النظر عن العرق والجنس محاولاً قطع الطريق على ذلك التيار الفاسد الذي أرسى دعائمه الخليفة الثاني ثم جاء عثمان بن عفان ليفتح الباب على مصراعيه أمام التفاوت الطبقي وتكريس دعائم الظلم والتمييز وخلق طبقة داعمة وعايزة تحيط بقمة النظام (الإسلامي) تقدم الدعم والتأييد عند اللزوم وتقف في وجه تطلعات الجماهير المتلهفة لقيادة عادلة ومضحية كانت ممثلة يومها في شخص الإمام علي (عليه السلام) إنها سياسة قديمة جديدة تلجأ إليها أغلب النظم الجائرة التي لا ترى لنفسها هدفاً إلا الاستمرار في الحكم والاستمتاع بالنهب المنظم وغير المنظم لثروات الشعوب فضلاً عن مرض الكبر الذي يضرب تلك النظم في الصميم ويجعل من استمرار عذابات الناس وحرمانهم لذة ومتعة لا تعدلها متعة فكيف يحس هؤلاء المتسلطون بالاستعلاء والتمييز في ظل نظام يقوم على العدالة والمساواة.

كان الإمام علي (عليه السلام) في المقابل حريصاً على إقامة دولة الحق بالاستناد إلى الجماهير تلك الدولة التي تستمد قوتها من الشرعية الإلهية لا من دعم هؤلاء المرتشين أصحاب الولاء الذي يباع ويشترى (فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه).

الأهم من ذلك كله أن الإمام كان حريصاً على إبراز أن الدولة الإسلامية لا ينبغي لها أن تقوم على أسس طبقية سواء كانت طبقية اجتماعية أو سياسية أو نظام الحزب القائد أو ما أسماه البعض (أهل الحل والعقد) فهؤلاء المتمردون (طلحة والزبير) كانوا من هذه الجماعة بل وكانوا من المجاهدين الأوائل ولكن طبيعة النفس البشرية وتقلباتها في مواجهة فتن الشر والخير تجعل من المستحيل القطع بأن هذا الشخص أو ذاك سينتهي

حياته مثلما بدأها و من هنا تأتي أهمية أن يبقى المجتمع لنفسه خط الرجعة والقدرة على محاسبة الكبير والصغير بغض النظر عن سابقته وجهاده .

كان الإمام (عليه السلام) حريصا على أن تكون حكومته هي حكومة الجماهير لا حكومة الحزب ولا الجماعة ولا الجبهة ولا أهل الحل والعقد وهو يؤكد هذا المعنى في وصيته لمالك الأشر

(ولیکن أحبُّ الأمورِ إليكِ أوسطها في الحقِّ وأعمقها في العدلِ وأجمعها لرضي الرعيّة فإنَّ سُخْطَ العامّةِ يُجْحِفُ برضي الخاصّةِ وإنَّ سُخْطَ الخاصّةِ يَغْتَفِرُ مَعَ رضى العامّةِ وليسَ أحدٌ من الرعيّةِ أثقلُ على الوالي مؤنةً في الرخاءِ وأقلُّ معونةً له في البلاءِ وأكزّةٌ للإِنصافِ وأسألُ بالإلحافِ وأقلُّ شكرا عندَ الإِعطاءِ وأضعفُ صبِرا عندَ ملماتِ الدهرِ من أهلِ الخاصّةِ وإنّما عمودُ الدينِ وجماعُ المسلمينَ والعدّةُ للأعداءِ العامّةُ من الأمةِ فليكن صغوكَ لهمُ و ميلكَ معَهُمُ). شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٢١ .

لم يستسلم الإمام لهذه الضغوط النفسية و لم يفرح بفكرة المواجهة التي أطل شبحتها في تلك اللحظات بل فتح باب الحوار مع أولئك المتذمرين من العدل الملحّين في عودة الجور إلى أوطانه فأرسل إلى طلحة والزبير وقال لهما :

نشدتكما الله هل جُنتماني طائعين للبيعةِ ودعوتماني إليها وأنا كارهةٌ قالوا نعم قال غير مجبرين ولا مقسورين فأسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما قالوا نعم قال فما دعاكما بعد إلى ما أرى قالوا أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضي الأمورَ ولا تقطعها دوننا و أن تستشيرنا في كلِّ أمرٍ ولا تستبد بذلك علينا ولنا من الفضلِ على غيرنا ما قد علمت فأنت تقسم القسم وتقطع الأمرَ وتمضي الحكمَ بغير مشورتنا ولا علمنا فقال لقد نعمتُما سيرا وأرجأتما كثيرا فاستغفرا الله يغفرو لكما ألا تخبرانني أدفعتكما عن حقِّ واجبٍ لكما فظلمتكما إياه قالوا معاذَ الله قال فهل استأثرتُ من هذا المالِ لنفسي بشيءٍ قالوا معاذَ الله قال فوقع حكم أو حق لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفتُ عنه قالوا معاذَ الله قال فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي قالوا: خلافتك عمر بن الخطاب في القسم إنك جعلت حقا في القسم كحق غيرنا وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى علينا بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا وأخذناه قسرا قهرا ممن لا يرى الإسلام إلا كرها فقال أما ما ذكرتماه من الاستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكنكم دعوتموني إليها وجعلتموني عليها فخفت أن أردكم فتختلف الأمة فلما أفضت إلي نظرت في كتاب الله وسنة رسوله فأمضيت ما دلاني عليه واتبعت ولم أحتج إلي آرائكما فيه ولا رأي غيركما ولو وقع

حكم ليس في كتاب الله أو في السنة برهانه واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه وأما القسم والأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ ذي بدء قد وجدت أنا وأنتما رسول الله يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وأما قولكما جعلت فيأنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا فقد يماً سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلم يفضلهم رسول الله (ﷺ) في القسم ولا آثرهم في السبق والله سبحانه موفي السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلا هذا أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر ثم قال :

(رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ وَرَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْنًا لِلْحَقِّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ) شرح النهج ج ٢ ص ١٧٣ .

هذه هي الصورة الحقيقية للدولة الإسلامية في بداياتها البكرة إنها ليست تلك الصورة الوردية التي يحكيها خطباء المنابر في أهازيجهم التي يلقوها جزافاً دون ما حاجة لتأصيل أو تدقيق وخاصة إذا ما تطرق الحديث إلى ما يسمونه بالخلافة الراشدة التي هي عندهم مصدر ثالث للتشريع بعد كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) فكيف يمكن لتك المتناقضات فيما بينها والتي ينقض بعضها كتاب الله وسنة رسوله أن تكون مصدراً للتشريع (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) فالخليفة الثاني والثالث عملا في هذه المجموعة من (الأصحاب) من الصف الأول إلى إعلان التمرد والعصيان والخروج على طاعة إمام الحق الذي بايعوا له بكامل إرادتهم قبل أيام قليلة.

لا يكفي إذن أن ترفع الدولة شعار تطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة الحدود كما يتصور البسطاء ليصبح كل شيء على ما يرام بينما تمارس هذه الدولة أشنع أنواع القهر والتمييز وتتحول مجموعة (المناضلين السابقين) أو (أعضاء اللجنة المركزية للحزب القائد) أو (أفراد الأسرة المالكة أو الحاكمة) إلى مجموعة من (السوبر بشر أو ما فوق البشر) تستأثر وحدها بالمكاسب والمغانم بينما يتضور الباقون جوعاً أو يموتون قهراً وكمدلاً لعجزهم عن تحقيق الحد الأدنى من الحياة الكريمة. إن الدولة الإسلامية ليست مجرد شعار يتحدث عن تطبيق الشريعة ونطق تقطع عليه الرؤوس بعد صلاة الجمعة في قلب العاصمة إنها عدل يقام حق يحيي وباطل يموت .

الدولة الإسلامية واقع يشهد له الفقراء والبسطاء لا أولئك المترفون من (الخبراء) في السلب والنهب (فإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة) إنهم أي العامة هم الهدف الذي ينبغي

على الدولة الإسلامية أن تتوجه نحوه وليس طبقة الخاصة وسائر الفئات التي لا ترضى ولا تشبع مهما أخذت من مكاسب سهلة ولقمة سائغة طرية يسهل الحصول عليها نظراً لقرب المواقع وليس بالعرق والجهد كما تحتم على العامة من الناس أن يفعلوا.

لم يكن علي (عليه السلام) داعية للصراع الطبقي ولا داعية لتجريد (الأغنياء) من أموالهم ومن ثم حرمان المجتمع من نشاطهم الاقتصادي والاستثماري فالمسألة كلها كانت تطبيقاً لمبدأ إسلامي راسخ هو إقامة العدل (وإذا حكمتهم بين الناس أن تحكموا بالعدل)، (إن الله يأمر بالعدل والأحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى).

هذه هي الدولة الإسلامية دولة العدل الإلهي أما غير ذلك فلا يمت إلى الإسلام بسبب ولا بنسب وإذا كانت الدولة ممثلة في شخص الإمام أو القائد الأعلى عاجزة عن تحقيق المساواة في العطاء بين أبنائها فمن يقوم إذن هذه المهمة والمسألة لم تكن تتعلق بحق الناس في العمل والكسب والاستثمار ولا بوضع حد أقصى للملكية بل بفرصة متكافئة أمام الجميع تقوم على عدالة التوزيع في العطاء الذي يمثله الآن ما تضمنه وتقدمه الدولة لمواطنيها من تعليم وصحة وضمن اجتماعي

### البدايات الحقيقية للخلل الاجتماعي.

ويبقى السؤال عن تسبب في التفاوت الاجتماعي ومهد الطريق لذلك الخلل الطبقي؟؟. الإجابة نجدتها فيما نقله الشارح المعتزلي عن أبي الفرج بن الجوزي المحدث في أخبار عمر و سيرته عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال :

(استشار عمر الصحابة بمن يبدأ في القسم و الفريضة فقالوا ابدأ بأل رسول الله ﷺ) و ذوي قرابته فبدأ بالعباس و فرض له اثني عشر ألفاً ثم فرض لزوجات رسول الله ﷺ) لكل واحدة عشرة آلاف و فضل عائشة عليهن بألفين فأبت فقال ذلك بفضل منزلتك عند رسول الله ﷺ) فإذا أخذت فثأنتك و استثنى من الزوجات جويرية و صفية و ميمونة ففرض لكل واحدة منهن ستة آلاف فقالت عائشة إن رسول الله ﷺ) كان يعدل بيننا فعدل عمر بينهن و ألحق هؤلاء من الأنصار لكل واحد أربعة آلاف و قد روى أنه فرض لكل واحد ممن شهد بدرأ من المهاجرين أو الأنصار أو من غيرهن من القبائل خمسة آلاف ثم فرض لمن شهد أحدأ و ما بعدها إلى الحديدية أربعة آلاف ثم فرض لكل من شهد المشاهد بعد رسول الله ﷺ) ألفين و خمسمائة و ألفين و ألفاً و واحدأ إلى مائتين و هم أهل هجر) شرح النهج ج ٣ - ص (١٥٢).



إقراراً لمبدأ إسلامي أصيل هو إقامة العدل الذي هو أساس الملك حيث ما زالت الصورة الحقيقية للإسلام ونهجه ملتبسة عند الكثيرين من أتباعه الذين يمتلكون تصوراً ملفقاً عن الاقتصاد الإسلامي و موقف الإسلام من مسألة العدالة الاجتماعية إنه موقف يصدر عن مزيج من الجهل بالتاريخ ومزج النقااض فضلاً عن جريمة هؤلاء الكبرى بإغفالهم لنهج أهل البيت (عليهم السلام) وطمس تاريخهم الذي هو التطبيق الحقيقي للإسلام وكل ما عدا ذلك يبقى موضعاً للنظر والأخذ والرد.

انتهت هذه الفتنة التي أشعلها حب الرئاسة والمال وكره الحق بمعركة الجمل و مصرع طلحة والزبير و مقتل آلاف من أبناء الأمة الإسلامية ثمناً لسياسة خاطئة أرسى دعائمها الخليفة الثاني وإن أردت الدقة قلت أرسى دعائمها غياب القيادة الشرعية للأمة الإسلامية أهل البيت (عليهم السلام) وبقي الإمام قابضاً على الجمر يواجه ما تبقى في جعبة المفسدين وما أكثر ما تبقى في جعبة معاوية بن أبي سفيان و مستشاريه الفاسدين الملتفين من حوله يجمعهم حب المال وكرهية آل محمد.

### المرحلة الثانية: حروب المال .

لم تنتهِ الحروب بانتهاء معركة الجمل التي سقط فيها هؤلاء الكبار ضحية لأطماعهم بل بدأت على الفور معركة أخرى هي معركة الخلافة التي ارتدت قميص عثمان معركة استخدم فيها المال السياسي هذه المرة أبشع استخدام والحديث هنا يبقى قاصراً على الجانب المالي أما الجانب السياسي والعقائدي فقد تحدثنا عنه في مواضع أخرى .

لقد واجه الإمام (عليه السلام) معركة الفساد والإفساد التي استخدم فيها ابن آكلة الأكباد سلاح الرشوة العلنية هذه المرة لرؤساء القبائل استمالة لهم أما الأتباع فلم يحصلوا إلا على الفتات وكأنما كتب على هؤلاء الأتباع أن يعيشوا حياة الحرمان إضافة إلى الظلم وكان من المنطقي أن يسعى هؤلاء للتحرير من أولئك المستكبرين والعيش في بحبوبة العدل فإن العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور أضيق ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث فقد اختار المظلوم الوقوف بجوار الظالم إنها القبلية والتبعية في أبشع صورها.

جاء إلى الإمام من يعاتبه على التسوية وتصويره الناس أسوة في العطاء فقال :

(أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُلِّبْتُ عليه والله ما أطورُ به ما سَمَرَ سَمِيرٌ وما أمَّ نجم

في السماء نجماً ولو كان المال لي لسَوِّتُ بينهم فكيف وإنما المال مال الله ثم قال :

ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في

الآخرة ويكرمه عند الناس ويهينه عند الله و لم يضع أمرؤ ماله في غير حقه و عند أهله إلا حرمه الله شكرهم و كان لغيره و دهم فإن زلت به القدم يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشر خليل (وأم خدين) شرح النهج ج ٢ ص ٣٠٥.

لم يكن الأمر مقصوراً على العدالة في توزيع الأموال حيث كان الاقتصاد يومها في مرحلة البدائية لم يتطور إلى ما هو عليه الآن إنها - فرصة عادلة و متكافئة أمام الجميع - في الوصول إلى منابع الثروة و هي السياسة التي جرى العمل بعكسها خلال المراحل السابقة من خلال ذلك المنهج الجائر في التوزيع الذي تحدثنا عنه فيما سبق .

لقد سبق علي بن أبي طالب القرن الحادي والعشرين بتلك المبادئ التي أرساها وقاتل من أجلها و لم يسمح لنفسه بالمداورة و الإلتفاف حولها برغم كل الضغوط التي هددت الاستقرار السياسي للدولة الإسلامية و نجحت بالفعل في تقصير عمرها فالمبادئ أبقى من المصالح .

يروى المدائني عن فضيل بن الجعد قال :

(أكد الأسباب في تقاعد العرب عن علي (عليه السلام) أمر المال فإنه لم يكن يفضل شريفاً على مشروف ولا عربياً على عجمي ولا بصانع الرؤساء و أمراء القبائل كما يصنع الملوك ولا يستميل أحداً إلى نفسه و كان معاوية بخلاف ذلك فترك الناس علياً و التحقوا بمعاوية فشكى علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر تخاذل أصحابه و فرار بعضهم إلى معاوية فقال الأشتر:

يا أمير المؤمنين إنا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة و أهل الكوفة و رأي الناس واحد و قد اختلفوا بعد و تعادوا و ضعفت النية و أنت تأخذهم بالعدل و تعمل فيهم بالحق و تنصف الوضيع من الشريف فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ عموا و اغتموا من العدل إذ صاروا فيه و رأوا صنائع معاوية عند أهل الغناء و الشرف فتأقت أنفس الناس إلى الدنيا و قل من ليس للدنيا بصاحب و أكثرهم يجتوي الحق و يشتري الباطل و يؤثر الدنيا فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين يمل إليك أعناق الرجال و تصف نصيحتهم لك و يستخلص و دهم صنع الله لك يا أمير المؤمنين و كبت أعدائك و فض جمعهم و أوهم كيدهم و شنت أمورهم إنه بما يعملون خبير فقال علي (عليه السلام):

أما ما ذكرت من عملنا و سيرتنا بالعدل فإن الله عز و جل يقول من عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها و ما ربك بظلام للعبيد . و أنا من أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف، و أما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور إذا فارقونا إلى عدل و لم يلتمسوا أئلاً لدنيا زائلة عنهم و ليستلن يوم القيامة أ للدنيا أرادوا أم لله



عملوا؟ وأما ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال فإنه لا يسعنا أن نؤتى امرأ من الفيء أكثر من حقه و قد قال الله سبحانه وتعالى وقوله الحق.

(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

وقد بعث الله محمدا (ﷺ) وحده فكثّره بعد القلة وأعزّفته بعد الذلة وإن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذل لنا صعبه ويسهل لنا حزنه وأنا قابل من رأيك ما كان لله عز وجل رضا.

وذكر الشعبي قال:

دخلت الرحبة بالكوفة وأنا غلام فإذا بعلي (عليه السلام) قائما على صبرتين من ذهب وفضة ومنه مخفقة وهو يطرد الناس بمخفقتة ثم يرجع إلى المال فيقسمه بين الناس حتى لم يبق منه شيء ثم انصرف ولم يحمل إلى بيته قليلا ولا كثيرا فرجعت إلى أبي فقلت له لقد رأيت اليوم خير الناس أو أحق الناس قال من هو قلت علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رأيت يصنع كذا قال يا بني بل خير الناس .

كما روي أيضا عن زاذان قال :

انطلقت مع قنبر غلام علي (عليه السلام) فإذا هو يقول:

قم يا أمير المؤمنين لقد خبات لك خبيثا فقال وما هو قال قم معي فانطلق به إلى بيته وإذا بغرارة (كيس) مملوءة من جامات ذهب و فضة فقال يا أمير المؤمنين رأيتك لا تترك شيئا إلا قسمته فادخرت لك هذا من بيت المال فقال علي (عليه السلام) ويحك يا قنبر لقد أردت أن تدخل بيتي نارا عظيمة ثم سل سيفه و ضربه ضربات كثيرة ثم دعا بالناس فقال اقسموه بالحصص ثم قام إلى بيت المال فقسم ما وجد فيه ثم رأى في البيت إبرا و مسال فقال قسموا هذا فقالوا لا حاجة لنا فيه.

وروي مجمع التيمي قال:

كان علي (عليه السلام) يكنس بيت المال كل جمعة و يصلي فيه ركعتين و يقول ليشهد لي يوم القيامة .

وروي بكر بن عيسى عن عاصم بن كليب الجرمي عن أبيه قال :

شهدت عليا (عليه السلام) و قد جاءه مال من الجبل فقام و قفنا معه و جاء الناس يزدحمون فاخذ حبالا فوصلها بيده و عقد بعضها إلى بعض ثم أدارها حول المال و قل لا أحل لأحد أن يجاور هذا الجبل فقعد الناس كلهم من وراء الجبل و دخل هو فقال أين رؤوس الأسباع و كانت الكوفة يومها أسباعا فجعلوا يحملون الجوالق حتى استوت القسمة سبعة أجزاء و وجد مع المتاع رغيفا فقال اكسروه سبع كسر وضعوا علي كل جزء كسرة ثم أقرع عليها و دفعها إلى

رؤوس الأسباع.

وروى مجمع التيمي عن أبي رجاء قال :

أخرج عليّ (عليه السلام) سيفاً إلى السوق فقال من يشتري مني هذا فوالذي نفسي بيده لو كان عندي ثمن إزار ما بعته فقلت له أنا أبيعك الإزار وأنسوك ثمنه إلى عطائك فدفعت إليه إزاراً إلى عطائه فلما قبض عطائه دفع إلي ثمن الإزار.

وجاءه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فقال يا أمير المؤمنين لو أمرت لي بمعونة أو نفقة فوالله ما لي نفقة إلا أن أبيع دابتي فقال لا والله ما أجد لك شيئاً إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك.

شرح النهج ج ١ ص ١٨٠-١٨١.

كان علي (عليه السلام) يصدر في سلوكه هذا عن رؤية ترى أن العدالة ليست مجرد نظام قانوني بل أصل عقائدي من مقتضيات النظام الإلهي الرباني.

لم تكن هذه الرغبة أيضاً تصدر عن حقد طبقي ولا نزعة مادية وإنما عقيدة إيمانية ترى الدنيا مجرد ممر وليست بمقر وأن السلوكيات المالية للأشخاص وتعاملهم في أمر المال إنما هو تعبير عن نظرتهم للكون ولعلاقتهم بالخالق عز وجل حيث واجه علي (عليه السلام) أولئك المفتونين بقوله تعالى:

(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين).

إنها القاعدة الذهبية في إقامة الدين والدنيا فالذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والذين يمشون على الأرض هوناً يحرصون على إقامة العدل إرضاء لله سبحانه وفي نفس الوقت فإنهم لا ينطلقون في إقامة هذا العدل من رؤية شخصية ولا من شرعية وضعية بل انطلاقاً من التزام صارم بالكتاب والسنة كما جاءت من عند الله وكما طبقها رسول الله (ﷺ)

والأئمة الأطهار من بعده وعلى رأسهم إمام الثوار والأبرار علي بن أبي طالب (عليه السلام). إنها ليست مجرد نظرية أو إطار قانوني فنفس النظرية والإطار القانوني كانت بين يدي من سبقوه ولكنهم ولعل في أنفسهم أعملوا ما أسموه بالاجتهاد في مواجهة النص وفي مواجهة سنة رسول الله (ﷺ) فالنظرية وحدها لا تكفي لتحقيق العدالة سواء كانت اشتراكية أو إسلامية أو بعنوان السوق الحر بل لابد من وجود الأمناء على النص الذين يطبقونه على أنفسهم وعلى أصحاب القوة والنفوذ ويكون لهم القدرة على مواجهة

الجميع بلا استثناء الذين يحبون والذين يكرهون.

أضاف الإمام علي (عليه السلام) إلى كل ما سبق إرساء مبدأ قانوني وأخلاقي بالغ الأهمية والخطورة وهو أن السلب والنهب جريمة لا تسقط بالتقادم ولا بتراكم آثارها وهي قاعدة من ضرورات العدالة الاجتماعية حتى لا يفلت المجرم بجريمته وتتوارث الأجيال عار الجريمة المرة لتبقى معولاً من معاول هدم النظام الاجتماعي كله فقد روى الشريف الرضي في نهج البلاغة عن الإمام (عليه السلام) بعد أن رد على المسلمين قطائع عثمان التي كان أقطعها لبني أمية (والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق) شرح النهج ج ١ ص ٨٩. وهو ما رواه الكلبي عن ابن عباس أن علياً (عليه السلام) خطب في اليوم الثاني من بيئته بالمدينة فقال:

(ألا إن كل قطعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال فإن

الحق القديم لا يبطله شيء ولو وجدته قد تزوج به النساء و فرق في البلدان لرددته إلى

حاله فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه الحق فالجور أضيق.

ثم أمر بكل سلاح وجد لعثمان في داره مِمَّا تقوى به على المسلمين فقبض، وأمر بقبض نجائب كانت في داره من إبل الصدقة فقبضت وأمر بقبض درعه وسيفه وأمر أن لا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمين وبالكف عن جميع أمواله التي وجدت في داره وغير داره وأمر أن ترتجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث أصيب أصحابها فبلغ ذلك عمرو بن العاص وكان بأبلة من أرض الشام أتاها حين وثب الناس على عثمان فنزلها فكتب إلى معاوية ما كنت صانعاً فاصنع إذ قشرك بن أبي طالب من كل مال تملكه كما تقشر عن العصا لحاها. شرح النهج ج ١ ص ٩٠.

نحن أمام نظرة بالغة التقدم والرقي للسياسة الإسلامية تجاه قضية العدل الاجتماعي

تقوم على ما يلي:

١. المساواة بين البشر في الحقوق والواجبات بغض النظر عن اللون والجنس والمكانة الاجتماعية والمنزلة الساسية.

٢. الحقوق أكثر أصالة وقدماً من السلب والنهب والجريمة، الحق قديم والجريمة طارئة ولا يمكن أن يكتسب الغصب أية قيمة أو اعتبار قانوني مهما كانت درجة التقادم ولهذا وضع الإمام قاعدة قانونية هي رد الحقوق لأصحابها عن طريق مصادرة المال المغصوب

وإسقاط كل الآثار القانونية المترتبة على ذلك الفصب ولو كانت زواجاً أو تملكاً للإمام ولو تفرقت في البلدان فكل ما بني على باطل و كل ما ترتب على الفصب من آثار فهي ساقطة ومهدرة.

٣. إن نظام الحكم الذي يريد إقامة العدل عليه أن يبدأ بنفسه و عليه أن يضرب المثل والأسوة للناس و هذا ما التزم به الإمام علي (عليه السلام) أثناء قيادته للأمة.

٤. إن النظام الإسلامي ينبغي عليه الامتناع عن استخدام الرشاوى في شراء و لاء الأتباع و أصحاب النفوذ فالمال مال الله لا مال السلطان و لا مال الخليفة و النظام مستخلف في هذا المال من حيث إقامة العدل و رفع الظلم عن المظلومين.

٥. إن المال أمانة عند الدولة صاحبة القوة لتحمي به الضعفاء الذين لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلاً و المسألة لا تقتصر على النقد بل تمتد لكل ما تحوزه الدولة من ثروات و حقوق الانتفاع التي ينبغي أن تتاح للجميع فرصة عادلة و متساوية للاستفادة منها.

إن نظرة واحدة على أوضاع العالم من حولنا ترينا أن هذه الثغرة التي حرص علي بن أبي طالب على سدها هي المنفذ الذي تحرص النظم الحاكمة على إبقائه مفتوحاً لتوصيل الرشاوى لمن يرغب النظام في إدامة و لائه و شراء ذمته إنها الرشاوى التي تقدم لهؤلاء بأسعار (مدعمة) على حساب قوت تلك الشعوب و الطبقات المستضعفة التي لا يتاح لها حتى الفرصة لمشاهدة تلك القصور الفارحة التي تحصل عليها تلك الطبقة الخادمة للنظام بأقل من الأسعار التي يدفعها المستضعفون للحصول على أكواخ للحياة فيها.

كان الإمام حريصاً على أن يربط تلك المبادئ برؤية رسالية ترى أن ما عند الله خير و أبقى و أن التنافس في حطام الدنيا لا يليق بالمؤمنين الأخيار الذين يرون كل ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً و أن الله عز و علا جاعل كل هذا صعيد جرزاً.

إن إيجاد النموذج الزاهد و طرحه في الساحة ليبقى ماثلاً أمام أعين الجميع هو ضرورة عملية و أخلاقية لإقامة العدل الاجتماعي و إدامته فالإطار القانوني لا يضمن بمفرده تحقيق المطلوب فالمجتمع يتكون من أفراد و جماعات خيرة تتفاوت ظروفها و احتياجاتها من يوم لآخر تزيد و تنقص و يبقى أن العلاقات الاجتماعية و الإنسانية و الأخلاقية هي الإطار الذي يحيط بالأوضاع القانونية و السياسية و يتعامل مع الحالات الفردية الطارئة بالإضافة إلى أن النمط السلوكي الذي يعم المجتمع يمكنه أن يزيد من حاجاته الاستهلاكية على نحو ضار أو يضبط إيقاع الإنفاق لتتلاءم مع الحالة الاجتماعية

الغالبية فالمجتمع الذي يتفنن فيه قاداته ونجومه في ممارسة سلوك استهلاكي و ترفي فاجر سيرتد على باقي المجتمع في اتجاهين:

١. الاتجاه الأول هو تقليص الأموال التي سيتم توجيهها إلى عجلة التنمية دخل المجتمع فالأموال التي يتم إهدارها في تلك السهرات الفاجرة تخصم من رصيد المجتمع ككل. فعندما ينفق في حفلة زفاف فاجرة لا تستمر إلا عدة ساعات مبلغ ثلاثة ملايين دولار في مصر المعاصرة فماذا يبقى إذن للتنمية أو للفقراء.

٢. أن هذا السلوك الترفي الفاجر إنما هو خصم حقيقي من حقوق الفقراء والواقع يقول أن أي مجتمع لا بد أن يبقى فيه فقراء ربما لعجزهم الجسدي أو الذهني عن العمل وربما لأسباب أخرى ولا بد من إبقاء رصيد مالي حقيقي لهؤلاء الفقراء رغم أنهم من هنا نفهم قول الإمام علي (عليه السلام)

(إن الله فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء فما جاع فقير إلا بما متع به غني والله

تعالى سألهم عن ذلك) شرح النهج ج ٤ - ص ٣٩٣.

هذا هو المفهوم الإسلامي لقضية التكافل إنها رؤية لا تتسم بالاستسلام للواقع بكل ما فيه من صور للجور والظلم الذي هو صناعة إنسانية بل هي رؤية ترد الأمور إلى أسبابها الحقيقية فالجوع الذي يعاني منه الفقراء لا يمكن بسبب نقص الموارد أو لأنها إرادة الله .

كان الإمام علي (عليه السلام) حريصاً على ضبط السلوك الاجتماعي وخاصة للطبقة الحاكمة والنأي بها عن ذلك السلوك الترفي الفاجر الذي يمكن أن يجعل منها طائفة تقبل الرشاوى وترى نفسها في موقع يبيع لها حقوقاً لا تباح للآخرين.

فقد بلغه أن عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري قد دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها فأرسل إليه هذه الرسالة:

أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان و تنقل إليك الجفان و ما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو و غنيهم مدعو فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشبه عليك علمه فألفظه و ما أيقنت بطيب وجهه فنل منه.

ألا وإن نكل مأموم إماماً يقتدى به ويستضيء بنور علمه ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه و من طعامه بقرصيه ألا وإتكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد و عفة وسداد فو الله ما كنزت من دنياكم تبراً و لا ادخرت من غنائمها و فرأ و لا أعددت لبالي ثوبي ظمراً و لا حزت من أرضها شبراً و لا أخذت منها إلا كقوت أتان دبره و

لهي في عيني أوهى من عضة مقرة و لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل و  
لُباب هذا القمح ونسائج هذ القرز و لكن هيهات أن يغلبني هواى و يقودني جسعي إلى تخير  
الأطعمة و لعل بالحجاز أو باليمامة من لا طمع له في القرص و لا عهد له بالشبع أو أبيت مبطناً  
و حولي بطون غرثى و أكباد حرى أو أكون كما قال القائل:

وَحَسْبُكَ عَاراً أَنْ تَبَيْتَ بِيْطَنَةً      وَحَوْلَكَ أَكْبَادُ تَحْنٍ إِلَى الْقَدِّ.

شرح النهج ج ٤ ص ٧٦ و ١٠٦.

أي والله حسبك عاراً أن تبيت بيطنة و حولك أكباد تحن إلى القدي.

إن هذا السلوك الذي ذمه الإمام كان و لا زال سلوكاً يومياً حيث تعقد الولايم هنا  
وهناك على نفقة تلك الهيئة أو الشركة ليفتن الناس في ابتلاع أطيب الطعام و بالتقرب منهم  
بطون غرثى و أكباد حرى و حسبك كل هذا عاراً.

### الإمام علي و سياسات التنمية:

ظهر في الآونة الأخيرة ضجيج و عجيج حول ما يسمونه بسياسة الإصلاح الاقتصادي  
وهي سياسة سيئة السمعة تعتمد على منظومة من الإجراءات أو الإملاءات و إن أردت  
الدقة قلت تعليمات البنك الدولي إنها سياسة كسب للوقت و المال من دون جهد و لا  
تنمية تتبعها النظم المفلسة اقتصادياً و سياسياً و بالطبع أخلاقياً لتأخذ باليمين ما أخذته  
بالييسار من قبل فهذه النظم التي استولت على الثروة قبل هذا من خلال سياسات احتكار  
مصادر الثروة المشروعة و غير المشروعة و استخدمتها في سياسات تنموية فاشلة  
و أخرى سياسية و عسكرية أكثر فشلاً عادت لتبيع تلك الحقوق بعد اكتسابها قيمة  
تضخمية لمستثمرين أجانب و محليين و راحت تفتش جيوب الفقراء لتأخذ منها ما تبقى  
فيها من فتات بدعوى أن عليها أن تبيع الماء و الكهرباء و ربما حشائش الأرض بأسعارها  
العالمية.

هذه الحكومات التي تقوم بدور الخصم و الحكم و الجلاذ غفلت أو تغافلت هي و  
أبواقها الإعلامية الفاجرة عن أنها لا تعطي الناس أجوراً بالأسعار العالمية أو حتى دون  
ذلك بمراحل و أن فشلها في إدارة عملية التنمية سابقاً ينبىء عن فشلها الأخلاقي  
و الإداري المزمّن التي لن يحلها تعاليم البنك الدولي أو غيره و عودة إلى عهد الأشر تلك  
الوثيقة السياسية الرائعة و النادرة التي كتبها الإمام علي (عليه السلام) إلى عامله على مصر مالك  
الأشتر تدلك على تلك المعاني و أكثر منها و تقتطف منها ذلك الجزء المتعلق بالاقتصاد (و

تفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في إصلاحه وصلاحيهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة و من طلب الخراج بغير عمارة فقد أخرج البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً فإن شكوا ثقلًا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤنة عنهم فإنه ذخري يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به فإن العمران محتمل ما حملته . وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع و سوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعباد. شرح النهج ج ٤ - ١٣٥.

إنها سياسة جباية تعتمد على التنمية أما الجباية بلا تنمية حقيقية فهي نوع من السلب والنهب تمارسه دولة و نظام لا هم له إلا الاستمرار والبقاء مهما كان الثمن الذي يدفعه الناس باهظاً فالضرائب والرسوم التي يدفعها الأفراد والمؤسسات جزء رئيسي من موارد أية دولة ( لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله)، (ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج).

### إنها مجموعة من المبادئ الحاكمة:

- أن الناس كلهم معتمدون على هذا المورد الرئيسي من موارد الدولة.
- أن توجه الإدارة ينبغي أن يكون اتجاهًا تنموياً في أساسه قبل أن يكون جبايياً فزيادة الموارد لا تتحقق إلا بزيادة الإنتاج لا بالتشدد في سياسات الجباية.
- أن التشدد في سياسات الجباية من دون معدلات الإنتاج والتنمية خراب للبلاد والعباد وهي سياسة لا يمكن أن تستمر طويلاً.
- أن الإدارة ينبغي أن تضع في اعتبارها ما يقع للمنتجين من أوضاع طارئة تجحف بإنتاجهم و عليها في هذه الحالة أن تخفف الأعباء الضريبية بالقدر الذي يعينهم على دوران عجلة الإنتاج من جديد.
- أن تخفيف الأعباء الضريبية عن المنتجين بما يساعد على دوران عجلة الاقتصاد لا

ينبغي وضعه في خانة الخسائر بل هو رصيد للجميع للدولة وللمنتجين الذين هم عماد الاقتصاد فضلاً عن أنه يخلق مزيداً من الثقة و المودة والتراحم بين الطرفين الذين لا يستغني واحداً منهم عن الآخر لأن قوتهم إضافة لرصيد النظام عند هؤلاء المنتجين الذين قد تدعو الحاجة يوماً ما إلى الطلب منهم بأكثر مما هو مألوف .

● العمران محتمل ما حملته وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها. فالمجتمع القوي قادر على مواجهة الأزمات و على مزيد من النمو أما المجتمع المكبل الذي تتحول فيه الإدارة إلى مصاص للدماء لا يهتمها إلا البقاء مهما كانت درجة الانكماش الذي تسبب فيه لصغار المنتجين الذين يلهثون وراء أعمالهم طوال النهار لتأتي الضرائب المختلفة لتلتهم كل هذا فهو مهدد بالخراب و توقف عن النمو الحقيقي.

أما عن الوسائل المستخدمة في جمع الخراج من قبل عماله فنراه يصدر التعليمات الآتية:

(ألا تبيعن الناس في الخراج كسوة صيف و لا شتاء و لا دابة يعتملون عليها و لا عبداً و لا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم و لا تمسن مال أحد من الناس مصل و لا معاهد إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعتدي به على أهل الإسلام فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليه) شرح النهج ج ٤ ص ١١٦ .  
ونراه يوصي أحد عماله : (إياك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج) بحار الأنوار ج ٤١ - ١٢٨ .

فالإمام - إمام العدل والرحمة - لا إمام النكال والنقمة يحظر و يمنع مجموعة من الممارسات الجائرة على عماله:

- يحظر حظراً باتاً بيع ملابس الناس أو أياً من حاجياتهم الشخصية لقاء مديوناتهم لإدارة الضرائب.
- يحظر حظراً باتاً بيع أدوات الإنتاج الأساسية مثل الدواب التي يعتملون عليها أو العبيد (العمال).
- يحظر حظراً باتاً استخدام العقوبات البدنية لتحصيل الضرائب.
- لا يجوز مصادرة أموال أحد من المسلمين أو غير المسلمين باستثناء الوسائل و الأدوات القتالية التي يستخدمها الخارجون على القانون.



## سياسته في الصدقات:

ينطلق الإمام في سياساته المالية من رؤية ثابتة تركز على المزاجية بين إحياء الرقابة الذاتية المنبعثة من الخوف من الله و تفعيل الرقابة السياسية والقانونية على أولئك المسؤولين.

ويخطيء من يهمل الشق الأول انطلاقاً من تصور لا يرى للدين و لا للضمير و لا للرقابة الإلهية دوراً في ضبط السلوك الإنساني فلا الرقابة القانونية تغني عن الرقابة الذاتية الضميرية و لا هذه الرقابة الضميرية تغني عن نظام قانوني رقابي صارم في محاسبة المسؤولين السياسيين والإداريين وإلزامهم بضوابط قانونية وأخلاقية في أداء أعمالهم.

كان الإمام حريصاً على تنبيه عماله وموظفيه لمثل هذه الضوابط السلوكية بشكل تفصيلي فيها هو يوصي عامله على الصدقات التي تشكل أداة سياسية أساسية من أدوات إقامة العدل و تحقيق مجتمع الرحمة:

(انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له و لا تُرَوْعَنَّ مسلماً و لا تجتازن عليه كارهاً و لا تؤخذن منه أكثر من حق الله في ماله فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم و لا تخدج بالتحية لهم).

إنها دولة تحترم حقوق الإنسان و جعل من هذا الاحترام مقدمة ضرورية لكل سياستها الاقتصادية و الاجتماعية والأمنية فالغاية لا تبرر الوسيلة لأن الغاية والوسيلة ينبغي أن تكون في نفس الإطار الأخلاقي الإلهي الذي يحظر كل أنواع العدوان ( و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) أي كان نوع العدوان مادياً كان أم معنوياً.

١. لا تُرَوْعَنَّ مسلماً - يمنع سياسة الإرهاب والتخويف وحشد القوات.
٢. لا تجتازن عليهم كارهاً - يحظر حظراً باتاً اختراق الحرمات وانتهاك الملكية الخاصة.
٣. يحظر حظراً باتاً انتهاك الخصوصية أو التجسس.
٤. يحظر حظراً باتاً الظلم والتجاوز في تحصيل المستحقات المالية.
٥. التعامل مع الجماهير ينبغي أن يكون باحترام كامل و ندية كاملة ( و لا تخدج بالتحية لهم ) أي لا تعاملهم بغطرسة و عجرفة.
٦. التعامل مع الجماهير ينبغي أن يكون على أساس التصديق و الاحترام المتبادل.

(ثم تقول عباد الله أرسلني إليكم ولي الله و خليفته لآخذ حق الله في أموالكم فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه فإن قال قائل لا فلا تراجعوه وإن أنعم لك منع فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعدوه أو تعسفه أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة).

إنه نظام يقوم على قاعدة أن المواطن صادق ما لم يثبت كذبه وهي القاعدة التي قامت عليها كل المجتمعات المتحضرة في عصرنا الراهن . بينما تركز النظم القمعية على تطبيق قانون الاشتباه الذي يفترض أن المواطن كاذب و عليه أن يبذل كل ما يملك من جهد لإثبات براءته إلى أن تحين الفرصة الملائمة للإيقاع به و لو بعد حين.

(فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه فإن أكثرها له) ما هذه العظمة و الروعة فالدولة الإسلامية القوية تلتزم نفسها و عمالها باحترام الملكية الخاصة إلى هذا الحد و تمنع مندوبيها وممثلها من الدخول إلى حرمة الملكية الخاصة إلا بإذن صاحبها لأن أكثر المال له بالرغم من وجود حق عام في هذا المال.

(فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه و لا عنيف به و لا تفرن بهيمته و لا تسؤن صاحبها فيها و اصدع المال صدعين ثم خيره فإذا اختار فلا تعرض لما اختاره ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فإذا اختار فلا تعرض لما اختاره فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه و فاء لحق الله في ماله فاقبض حق الله فيه فان استقالك فأقله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تؤخذ حق الله في ماله و لا تأخذن عوداً و لا هرمة و لا مكسورة و لا ملهوسة و لا ذات عوار).

إنها السلطة الحانية تلك التي تتعامل مع الداخلين في حيزها تعامل الوالد الشفيق مع الابن. إنها ليست تلك السلطة المتجبرة التي تستعذب سماع أصوات تكسير العظام من أجل فرض النظام فأى نظام هذا الذي يستمتع بأنات المعذبين و صراخ المظلومين. إن تلك النظم التي تسمت و تتسمى زوراً و بهتاناً باسم الإسلام و الدين بينما هي تمارس تلك الموبقات من ظلم و إرهاب و تعسف و تخويف هي أنظمة جائرة ينبغي التبرؤ منها و نسبتها إلى أصحابها لا إلى الدين و الإسلام.

فإذا خرجت الصدقات من يد مالکها الأول صارت مالاً عاماً مملوكاً للمسلمين فيوصي بحفظه و الرفق به حتى يصل إلى ولي أمر المسلمين ليقسمه بين المستحقين له. (ولا تؤمنن عليها إلا من تثق بدينه رافقاً بمال المسلمين حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم و لا توكل بها إلا ناصحاً شفيقاً و أميناً حفيظاً غير معنف و لا مجحف و لا ملغب و لا

متعب ثم احذر إلينا ما اجتمع عندك نصيره حيث أمر الله فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ولا يمر لبنها فيضرك ذلك بولدها ولا يجهدنها ركوبا وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها وليرفه على اللاغب وليستأن بالنقب والظالع وليوردها ما تمر به من الغدر - جمع غدير - ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطريق وليروحها في الساعات وليمهلها عن النطاف والأعشاب حتى تأتينا بإذن الله بدنا منقبات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك).

إنها سياسة الرفق العام، الرفق بالفقراء والرفق بالأغنياء وأخيراً الرفق بالحيوان كلها من خلق الله، سياسة لا تستثني شاردة ولا واردة ولا تترك شيئاً للظروف والملابسات فالهدف هو إقامة العدل في صورته المثلى حتى لا تتحول عملية إخراج الزكاة إلى أداة للانتقام والتشفي من أصحابها ونوع آخر من المصادرة.

ثم يحدد الإمام علي (عليه السلام) دور الإدارة الإسلامية بعد انتقال حق الفقراء إلى يديها فقد صارت أمنية على هذا المال الذي انتقل انتقالاً عابراً من الملكية الفردية إلى الملكية العامة على سبيل الأمانة التي ينبغي صيانتها حتى يصل الحق إلى أصحابه من الفقراء والمساكين والمحتاجين ومن هنا ينبغي صيانة هذا المال والحفاظ عليه. شرح النهج ج ٣ ص ٤٣٥.

لم يدع الإمام فرصة لتنبه عماله لما ينبغي عليهم مراعاته من الناحية الأخلاقية والسياسية فيبعث إلى واحد منهم يوصيه (آمره بتقوى الله في سرائر أمره وخفيات عمله حيث لا شاهد غيره ولا وكيل دونه وأمره أن لا يعمل بشي من طاعة الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسر ومن لم يختلف سره وعلاتيته وفعله ومقالته فقد أدى الأمانة وأخلص العبادة وأن لا يجبههم ولا يعرضهم ولا يرغب عنهم تفضلاً بالإمارة عليهم فإنهم الإخوان في الدين والأعوان على استخراج الحقوق وإن لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقاً معلوماً وشركاء أهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة وإنا موفوك حقا فوفهم حقوقهم وإلا تفعل فإنك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة وبؤس لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارمون وابن السبيل ومن استهان بالأمانة ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا وهو في الآخرة أذل وأخزى وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة وأعظم الغش غش الأئمة والسلام).

إنها المبادئ الأخلاقية اللازمة لصيانة حقوق الأمة:

● تقوى الله في السر والعلن .

● موافقة الظاهر للسرائر فهذه هي التقوى الحقيقية و عكس ذلك هو النفاق الحقيقي .

● الرفق والتواضع للعباد والرحمة بهم فإنهم الإخوان والأعوان .

● خذ حقلك وأعط الناس حقوقهم فإن لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقاً معلوماً

وبؤس لمن كان خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون وأبناء

السبيل .

● عاقبة الخيانة مرة ووخيمة في الدنيا والآخرة .

هذه هي الحكومة الإسلامية حكومة علي بن أبي طالب حكومة العدل الإلهي التي

فقدناها وفقدنا آثارها في زحمة الجدل والضجيج والعجيج في سوق الإسلام المعاصر

والمستتير والإسلام السلفي و غير السلفي . لم نكن نهدف إلى دراسة حصرية لكل آثار

الإمام وهدية (سلام الله عليه) فربما فاتنا الكثير مما كان ينبغي علينا ذكره والالتفات إليه

ولكن يبقى أن عرض ذلك القسط عن رباني هذه الأمة سيفتح أعين أولئك الجاهلين

والمتمدشقين بالحديث عن الإسلام ونهجه و الذين يزعمون أنهم وحدهم أصحاب الفهم

الصحيح للإسلام وهم لم يقرأوا سطراً واحداً عن علي و صدق الله العلي العظيم (ومنهم

أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون) .

أحمد راسم النفيس

المنصورة مصر

٩ شعبان ١٤٢١

٥ نوفمبر ٢٠٠٠

## العدالة الاجتماعية في نهج الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

محمد أمين أبو جوهر

فلسطين

خلف الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) منظومة فكرية متكاملة تصعب الإحاطة بمضامينها ومعانيها! فهي معيّنٌ تُرّ لا ينضب . ما نهل منه شاربٌ إلا وخرجَ بجديد ينفع الناسَ والمخلوقات كافةً. وليس في الأمر مبالغةٌ إن أسميتها: «البيان الجامع». إن إصلاح العباد والبلاد هو الهدف الأساسي الذي يقوم عليه نهج أمير المؤمنين (عليه السلام). فقد عالجت خطبه ورسائله، وأقواله شؤون المجتمع الاجتماعية والاقتصادية، والعلمية، والسياسية، والبيئية، والحفاظ على أمن الناس، وتأمين العيش الكريم لهم، ورسمت المعالم الأساسية لأول ميثاق لحقوق الإنسان.

وكان (عليه السلام)، في سلوكه اليومي وممارسته العملية منسجماً تمام الإنسجام، مع أقواله ليس فقط مع محبيه، بل حتى مع مبغضيه، لأنه كان يؤمن أن الناس كلهم أخوة سُوداً كانوا أم بيضاً، مسلمين، أو معاهدين.

### لمحة تاريخية:

ولما كانت العدالة الاجتماعية في نهج أمير المؤمنين (عليه السلام) هي موضوع بحثي، فسأمتاح منها قدر طاقتي، وليس بقدر ما فيها من معانٍ وتجليات! وقبل الدخول في الموضوع يكون مفيداً التطرق بإيجاز، إلى بعض القضايا، منها:

### ١- العرب قبل الإسلام

نشأت بين القرنين السادس والسابع الميلاديين فئة من كبار التجار العرب، وكانت تنمو نمواً متسارعاً، وتحمل في عوامل تكوينها الاجتماعي تباشير ولادة مجتمع العلاقات الاجتماعية التجارية. وكانت هذه الفئة الاجتماعية هي الجنين الطبقي لذلك المجتمع. أما في مكة تحديداً، فقد ضم مجتمعها فئة قليلة (ملاً قريش) تمتلك الثروات الطائلة: تقديية وعينية، وأراضٍ واسعة. حصلت على أموالها عن طريق الإحتكار والتجارة، والربا، و عن طريق إستثمار الفقراء والعييد (أي الأغلبية الساحقة من الناس)، في تربية المواشي، أو في زراعة الأرض وجني محصولها.

كانت قريش تتألف من عدة فروع أفقرها الفرع الهاشمي الذي تحدر منه النبي وابن عمه علي. ولم تكن لهذا الفرع المسؤوليات الخطيرة ولا الهامة في حكومة الأغنياء حكومة ملاً قريش وتجارها، وملاك قوافل تجارتها وعبيدها.

### ٢- ظهور الإسلام

ولما بعث محمد نبياً، ناصره الفقراء والمستضعفون وفي مقدمتهم الهاشميون. هال ذلك ملاً قريش فناصروه العدا، وحاربوا أتباعه اقتصادياً وسياسياً، وأبوا عليهم القبائل العربية.... تمكن المسلمون لاحقاً من الإنتصار على ظالمهم، وفتحوا مكة، وانتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية، ودانت له قبائلها.

وكان سيف علي بن أبي طالب (عليه السلام) من أبرز السيوف التي طالما قطعت في ساحات القتال رقاب أشرف قريش وعتاتها، الذين تصدوا لدعوة الإسلام.

### ٣- وفاة النبي

بعد وفاة النبي مباشرة، تحركت نوازع الصراع على السلطة، وظهرت فجأة إلى السطح رواسب الصراع القديم بين مكة والمدينة، وظهرت أيضاً المشاعر الطبقية الجينية التي كان يتحسس بها الأنصار من قبل. كما تنبتهت رواسب الفوارق القديمة في الجاهلية بين بني هاشم من جانب، وبين فروع قريش الأخرى.

وتحول ظاهر الصراع من كونه صراعاً بين المهاجرين والأنصار على السلطة، إلى كونه صراعاً بين الهاشميين وسائر الفرقاء على من هو صاحب الحق بالخلافة؟! وكانت الخلافة بحد ذاتها - كمنصب ديني - تبدو أنها المحور الذي يدور حوله هذا التناقض، في حين ان

الدوافع الاجتماعية، والطموح إلى ما يعنيه هذا المنصب من إمتلاك زمام السلطة، لتحقيق أهداف كل فريق هي التي كانت تكمن وراء هذا التناقض!

إذن من سيكون الخليفة، ولمصلحة من سيعمل؟

وقبل أن يوارى جسد النبي في الثرى بويج أبوبكر بالخلافة، واعترف عمر بن الخطاب بأن البيعة كانت (فلتة) وحذر من تكرارها! ثم تولاهما عمر، ومن بعده عثمان بن عفان. وأعلن عمر صراحة لعبد الله بن عباس: إن قريشاً كرهت أن تجتمع لبني هاشم النسبوة والخلافة! (يعني استبعاد علي (عليه السلام)).

#### ٤ - خلافة عثمان بن عفان

إتبع عثمان سياسة مكنت التيار القرشي القديم (ملاً قريش) ومن سار معه، من تحقيق مطامحه الاجتماعية، على حساب التعاليم الاجتماعية الثورية التي بشر بها الإسلام، وعلى حساب جماهير الفقراء، وكان الفرع الأموي من قريش بزعامة أبي سفيان، في مقدمة الذين إستفادوا من هذا التطور الاجتماعي، ورأى في تولي عثمان الخلافة فرصة طالما إنتظروها كي تعود لهم المكانة الأولى من جديد.

وقف أبو سفيان على قبر حمزة بن عبدالمطلب وهو يقول:

«رحمك الله يا أبا عمارة، لقد قاتلتنا على أمر صار إلباء».

(الامتناع والموانسة - أبو حيان التوحيدي - ج ٢ - ص ٧٥).

ومن الأساليب التي إتبعت لتحقيق طموحات ذلك التيار، أذكر الآتي:

- إستخدام عثمان الكثير من أقربائه ولأه وحكاماً وقد إستبدوا بالأمرِ دونه ولم تكن أموال

الجزية والخراج تذهب إلى بيت مال المسلمين، إنما تذهب إلى هؤلاء الحكام.

- أقطع كثيراً من الصحابة مساحات واسعة من الأراضي التي كانت ملكية عامة لبيت

المال، والتي بلغ دخلها في عهده خمسون مليون درهم، وكان أول من أقطع أراضي

العراق.

- أعلن عثمان وبصفته إماماً أنه يحق له التصرف كيف شاء في الأموال الزائدة من بيت

مال المسلمين، وتساءل: اليس المالُ لي ولكم؟! فلم لا اصنع بالزائد ما أحببت؟ فلم كنت

إماماً إذاً؟! ولم يجد حرجاً في منح ابنته عند زواجها ستمائة ألف درهم كلها من أموال

الجزية والخراج!..

- تكون لديه موقف فكري لا يرى فيه حرجاً على الناس، ولا على ضمائرهم، من السعي في سبيل جمع الأموال، وإن التقوى والإيمان لن ينقص منهما جمع الأموال، شريطة أن يتصدق أصحابها، ويكرموا الضيوف، ويبدلوا منها قدرًا معلومًا، في بعض وجوه البر والإحسان!

وهكذا تبدت مظاهر الثراء والبذخ، على عدد كبير من بني أمية، ومن الصحابة، وفيما يأتي غيظ من فيض، من الشواهد:

\* - ذكر المسعودي خبراً عن عبدالله بن عتبة أن عثمان بن عفان يوم قتل كان له عند خازنه من المال (خمسون ومائة الف دينار، وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القري وحنين وغيرها مائة الف دينار، وخلف خيلاً وإيلاً). (مروج الذهب - ج ٢ - ص ٣٤٠).

\* - بني الزبير بن العوام " عدة دور فخمة بالبصرة والكوفة ومصر، والإسكندرية، وعندما تحضره الوفاة يحصون في ثروته: خمسين ألف دينار، وألف فرس، وألفاً من العبيد والإماء.. إلخ " (المصدر السابق - ج ٢ - ص ٣٤٢).

\* - «أما طلحة بن عبيدالله التميمي فكان دخله من ممتلكاته بالعراق وحدها ألف دينار في اليوم الواحد، عدا عن الدور في العديد من المدن. وكان لعبد الرحمن بن عوف مائة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف شاة من الغنم، وعندما توفي قدرت ثروته بأكثر من مليونين ونصف من الدراهم».

وعندما أحضرت لعثمان بن عفان بعض أكياس دنانير ودراهم عبد الرحمن بن عوف بعد وفاته، قال عثمان :

"إني أرجو لعبد الرحمن خيراً، لأنه كان يتصدق، ويقري الضيف، و ترك ماترون".

(المصدر السابق - ج ٢ - ص ٣٤٩).

\* - كانت ثروة زيد بن ثابت " من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة الف دينار " (المصدر السابق - ص ٣٤٢).

موجز القول: خلقت تلك التحولات الإقتصادية والفكرية شرحاً عميقاً في المجتمع، بين أكثرية فقيرة مسحوقة، وبين قلة ذات ثراء فاحش، وفجرت صراعاً حاداً بين جهات عديدة وصل الأمر ببعضها إلى قتل الخليفة عثمان بن عفان!

كما أوجدت في الوقت نفسه الأرضية الصلبة التي يركز عليها الظالمون، وهيأت



الأسس الكافية لنجاح إنتقاليهم، وإعلانهم نقض بيعة الإمام علي (عليه السلام).  
يثبت التاريخ أنه كان بالإمكان حماية عثمان من القتل فقد طلب المساعدة من معاوية بن أبي سفيان، فأتاه منفرداً، تاركاً جيشه على حدود بلاد الشام، متذرعاً بأنه جاء للإستطلاع، فيقول لعثمان :

"قدمت لأعرف رأيك وأعود فأجيبك بهم، ويجيبه عثمان: لا والله ولكنك أردت أن أقتل، فتقول: أنا ولي الثأر! ثم غاب معاوية ولم يعد إلا بعد مقتل الخليفة" (تاريخ يعقوبي - المجلد الثاني - ص ١٧٥).

#### ٥ - علي خليفة

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

«إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها وأشياعنا أوراقها فمن تعلق بنصن من أغصانها نجا ومن زاغ هوى ولو أن عبداً عبدالله بين الصفا والمروة ألف عام يصير كالشن البالي ثم لم يدرك محبتنا كبه الله علي منخريه في النار» .

ثم تلا قوله تعالى:

«لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى» .

(مجمع البيان للطبرسي في تفسير هذه الآية ورقمها ٢٣ الشورى).

نشأ علي وشب في بيت ابن عمه رسول الله، وظل ملازماً له حتى انتقل النبي إلى الملاء الأعلى. وكان (عليه السلام) يقول :

«وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو، والدرع من العضد» .

وشهد النبي أنه مدينة العلم وعلي بابها. ومهما اختلفت التفسيرات والاجتهادات حول حديث غدیر خم، ففيها إجماع على أن علياً هو مولى رسول الله ووصيه. ولا يعقل إطلاقاً أن يكون الموصي جاهلاً بوصيه، وغير عارف أو متأكد من قدرات وصيه، هذا إذا كان الموصي شخصاً عادياً، فما بالك إذا كان محمداً سيد ولد آدم وخاتم النبيين؟!

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

«ما أعرف أحداً من هذه الأمة عبدالله بعد نبينا غيري، عبدت الله قبل أن يعبده أحد من

هذه الأمة تسع سنين» .

أصبح الإمام علي أول الراسخين في العلم بعد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)!

كان أبو بكر و عمر وكثير من الناس يستفتونه ويسألونه، وكانت إجاباته وفتاويه شافيةً كافيةً.

كان قرماً صلباً لا يخشى في الحق لومة لائم! وأكثر الناس حلماً، وأطولهم أناةً وصبراً، زاهداً في ملذات الدنيا، وهو القادر لو شاء لنال منها ما شاء، وهي الموضوعه بكل زخرفها بين يديه!

كل ذلك جعل منه (عليه السلام) أكثر الناس قدرة على الفهم العميق لكتاب الله وسنة نبيه تفسيراً وتأويلاً، وكان هذا الفهم منهجاً له، ينطلق منه في صغير الأمور وجليها! بويح بالخلافة سنة ٦٥٧ ميلادية، بايعة الفقراء والمستضعفون، وفي مقدمتهم أكثر الصحابة فقراً، وعارضه الأغنياء والمنتفعون.

رأى فيه من بايعة أنه الضمانة الأساسية لاستمرار النهج الاجتماعي الذي شهدته شبه الجزيرة العربية، على يد دعاة الإسلام الأوائل، وأن لا يعود الملامن قريش وأغنياؤها الذين إنتحقوا بالإسلام عندما لم يجدوا طريقاً لمقاومته، للإمساك بالسلطة والسلطان، ثانية تحت رايات الدين الجديد وأعلامه!

ان هذا المنهج الإسلامي بالذات للإمام علي (عليه السلام) هو الذي أخاف الظلمة والظالمين، ولكنهم أخفوا ذلك، ورفعوا شعار: والأخذ بثار عثمان!.

تؤكد وقائع التاريخ أن معاوية بن أبي سفيان لم يقتص من قاتلي عثمان، علماً أنه ملك زمام الأمور كلها بعد مقتل الخليفة علي، مع أنه كان أكثر الناس اندفاعاً في المطالبة بدم عثمان. وبدلاً من ذلك، وجه كل نيران حقه وبطشه ضد شيعة علي (عليه السلام) ومحبيه!

### العدالة الاجتماعية في نهجه (عليه السلام)

يُستنتج من "البيان الجامع" كما سميته، في مقدمة بحثي، أن مفهوم العدالة الاجتماعية في نهج أمير المؤمنين (عليه السلام)، لا يقتصر على الجانب الاقتصادي، في حقلي الإنتاج والتوزيع، بل هو مفهوم أكثر إتساعاً يخرج عن قطاع الاقتصاد ليشمل كل القطاعات: السياسي، والاجتماعي، والأخلاقي، والجمالي.. وإن كل ما ينتج في هذه القطاعات يجب أن يعمم بحيث تصبح لدى الجميع الإمكانية كي يمتلكوا ثمارها.

يستحيل علي كما أسلفت الإحاطة بكل ما في نهجه المتعلق بالعدالة الاجتماعية، وإن

ما سأذكره هو غيضٌ من فيضٍ ليس إلا!

### ١- الثورة الشاملة:

كان صوته (عليه السلام) في مقدمة الأصوات التي ارتفعت بالنقد والمعارضة للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على عهد عثمان، وعندما أصبح خليفةً تصدى للإنتقال الهادف إلى طمس معالم الإسلام وصورته وأسس في العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات ومحاربة العصبية الجاهلية. وكان (عليه السلام) يقول:

والذي بعث محمداً بالحق أنه لا بد أن يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم، ويسبقن سابقون كانوا قد قصروا وليقصرن سابقون كانوا قد استبقوا.

و: «والله لو وليتها لأنفضنهم نفض الحمام الوازم التربة» (أي لأزيلنهم كما يزيل عامل الحمام التراب عن الحديد المحماة بواسطة النار).

وقال أيضاً:

«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لئلا نرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك».

وقال :

«وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه ولأقودن الظالم بخزائمه، حتى أوردته منهل الحق وإن كان كارهاً».

وعندما بايعه الناس بالخلافة أعلن ما نسميه في لغة عصرنا:

«الثورة الشاملة» ضد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كانت محل نقده ومعارضته على عهد عثمان بن عفان، فعزل ولاته على الأقاليم ورد الأراضي التي أقطعها عثمان لولاته إلى بيت مال المسلمين وأعلن أن المال مال الله، فألغى التمايز في العطاء، وقدر توزيعه بالسوية... إلى غير ذلك من التدابير!

### ٢- مع من يجب أن يقف الحاكم؟

بداية: ليس المقصود بالحاكم من يقف على رأس النظام فقط، بل يتعداه ليشمل جهاز الحكم بكل مؤسساته، ومكوناته.

ترى بعض النظريات أن الحاكم فوق الطبقات، وموقفه حيادي إزاءها!

وهناك من يؤكد أن الحاكم منحاز شئنا ذلك أم أينا! فهل يعقل أن يكون المرء أياً كان، في حياذ بين الخير والشر، وبين الحق والباطل؟!  
بعث أمير المؤمنين (عليه السلام) كتاباً إلى الأشرار النخعي واليه على مصر تضمن الكثير من التوجيهات والتعليمات التي تتعلق بالشؤون الدنيوية والأخروية. فمنها وصف للطبقات والفئات المكونة للمجتمع المصري، والدور الذي يلعبه كل منها في حياة البلاد ومما جاء فيه: «واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض: فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل.. ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس...، ومنها الطبقة السفلى من ذوات الحاجة والمسكنة، وكل قد سمي الله له سهمه».

نستنتج مما سبق أموراً كثيرة منها:

- ١- لا يقتصر الوصف على المجتمع المصري، بل ينسحب ويصدق على كل المجتمعات!
- ٢- ان الطبقات والفئات المكونة لأي مجتمع، هي:  
\*طبقات وفئات تقوم بإنتاج الخيرات المادية والروحية، وهم العمال والفلاحون، والصناعيون والحرفيون، والعلماء، والباحثون وسائر المبدعين .  
\*قوى الأمن الداخلي والخارجي.  
\*فئات لا تستغني المجتمعات عن خدماتها كالعاملين، في جهاز الدولة ومؤسساتها على اختلاف مراتبهم ومسؤولياتهم. وهناك أيضاً العاملون في الجهات الحكومية.  
\*فئات، ولأسباب مشروعة، لا تستطيع القيام بأي عمل، بسبب عامل السن أو المرض أو العجز.

\*فئات طفيلية تعيش على كد وتعب غيرها، فتجمع ثرواتها عن طريق الرشاوي والمحسوبيات، أو الاحتكار والسمسرة.. إلى غير ذلك.

تصنف هذه الطبقات والفئات - رغم - تعددها وكثرتها - إلى مجموعتين رئيسيتين :  
أ - مجموعة المنتجين والذائدين عن الحمى، ويسمونها أمير المؤمنين (عليه السلام) بطبقة العامة.  
ب - مجموعة طفيلية.

٣ - يؤكد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إنحياز الحاكم إلى واحدة منها إذ ليس في الأمر

حيادا! ولم يخف إنحيازه إلى طبقة العامة، ويأمر ولاته وعماله بأن يحذوا حذوه. وفيما يأتي بعض الأدلة، على ذلك:

آ- قال (عليه السلام): «ان الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بضعفة الناس لئلا يتبينغ (يشور) بالفقير فقره».

ب- «ولكن أسفاً يعتريني وجزعاً يريني، من أن يلي هذه الأمة سفاؤها وفجارها، فيتخذون من مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، والصالحين حرباً، والقاسطين حزباً».

ج- خلق الله الأرض وما عليها للناس كافة، كي يتمتعوا بخيراتها، ويسعدوا في معيشتهم عليها، ومن عجز عن ذلك فقد غبنَ وظلم! يقول (عليه السلام):

«الكيس من كان يومه خيراً من أمسه! و" من اعتدل يومه فهو مغبون! ».

و: «الفقر هو الموت الأكبر!».

د- «ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمني ...، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى».

## العامة عماد الأمة

يطلب أمير المؤمنين (عليه السلام) صراحة في عهده إلى الأشترا أن يتوصى بالعامة، فيقول له :

«وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، وأعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية، فإن سخط

العامة يصف برفضا الخاصة وإن سخط الخاصة يتفر مع رضا العامة. وليس أحد من الرعية أثقل

على الوالي مؤونة في الرخاء ، وأقل مؤونة له في البلاء، وأمره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف ، وأقل

شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملات الدهر من أهل الخاصة، وإنما

عماد الدين وجماع المسلمين للأعداء، العامة من الأمة، فليكن صفوك لهم ، وميلك معهم».

هـ - التدابير التي يأمر (عليه السلام) باتخاذها للضرب على أيدي المستغلين والمحتكرين

والمرتشين .. إلخ ، ومنها:

- تلتف حول كل مسؤول جماعة من الناس ، هي الخاصة قد تجد فيه فرصتها لجني

المكاسب والأرباح فتكون بطانة سوء. يحذر أمير المؤمنين (عليه السلام) واليه الأشترا، من ذلك

قائلاً:

«ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم إستنثار وتناول وقلة إنصاف في معاملة ، فأحسم مادة

أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ، ويتابع تحذيره :

«ليكن آثرهم عندك أقولهم بمّر الحقّ لك... ثم رضهم على أن لا يطروك، ولا يبجحوك ببطل

لم تفعله ، فإن كثرة الإطراء تُحدث الزهو وتدني من العزة!»،

«وبعد أن يُعدّد (عليه السلام) المنافع التي يقوم بها التجار، يُبين سلبياتهم، ويُحذر منها، قائلاً:

«إن فيهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع ، وتحكماً في البياعات ، وذلك باب

مضرة للعامة وعيبٌ على الولاة.

وليكن البيعُ سمحاً: بموازينٍ مُدليّ ، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن

قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقبه في غير إسراف!»،

«ويطلب (عليه السلام) من ولاته إختيارَ أفضل الرعية للقضاء ممن :

«... لا يزدهيه إطراءً ، ولا يستميله إغراءً ، وأولئك قليل!»،

«الدليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له. والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه!»،

### ٣- الحاكم القدوة

نضجت في ذهن أميرالمؤمنين (عليه السلام) فكرة العدالة الاجتماعية على أساس من حقوق

الجماعة ومن عرف علي بن أبي طالب وموقفه من قضايا المجتمع، أدرك أنه السيف

المسلط على رقاب المستبدين الطغاة. وانه الساعي في تركيز العدالة الاجتماعية بأرائه

وأدبه وسياسته ، وبكل موقف له، ومن ذلك:

أن الحاكم العادل هو الذي يكون قدوة للمحكومين ، فما هو مباح له مباح لرعيته ،

وما هو حرام عليه حرام على رعيته، ولا يعفيه مركزه من مخالفة القوانين، بل يجب أن

يكون السابق إلى تنفيذها.

قال (عليه السلام):

«ما أحثكم على طاعة إلا و سبقتكم إليها ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتأهني قبلكم عنها.»

وكتب للحارث الهمداني :

«واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكرهه لعامة المسلمين، واحذر كل عمل إذا سئل عنه

صاحبه أنكروه أو إعتذر منه!»،

### ٤- الرجل المناسب في المكان المناسب

عانت أنظمة الحكم وتعاني من أمورٍ قد تؤدي إلى هلاكها، في مقدمتها توسيدُ الأمرِ لمن ليس أهلاً له! أدرك أمير المؤمنين (عليه السلام) خطورة ذلك فكان من أهم متطلباته لكل والٍ، قوله:

«فضع كل إمرئٍ موضعه!».

٥- من أين لك هذا؟

تلجأ العديد من الدول المعاصرة إلى مسائلة موظفيها عما لديهم من أموال، قد تكون زائدة عما اكتسبوه، من رواتب وتعويضات، وقد لا تتم المساءلة على وجهها الصحيح. والملفت للنظر حقاً هو سلوك أمير المؤمنين (عليه السلام) انه وقبل أربعة عشر قرناً خاطب أهل الكوفة قائلاً:

«يا أهل الكوفة، إن خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلامي فأنا خائن!».

٦- المال العام

كان يقول لعثمان بن عفان:

«ألا تنهني سفهاء بني أمية عن أعراض المسلمين وأبشارهم وأموالهم؟! والله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركاً بينه وبينك».

وعندما أصبح خليفة أطلقها صرخة مدوية:

«المال مال الله!».

وقد رفض أن يعطي أخاه عقيلاً - ولو القليل - من بيت المال بالرغم من حاجة أخيه الماسة للمساعدة كما رفض إعطاء عبد الله بن زمعة وهو من شيعة.

٧- الإنتاج والتوزيع

إن الشرط الأول لوجود المجتمع البشري، هو تبادل الأشياء مع الطبيعة، وتلبية حاجات ومتطلبات الناس من الغذاء واللباس والمسكن.. الخ. ولا يجد الإنسان في الطبيعة جميع الخيرات الضرورية للحياة جاهزة، فهو مضطر إلى إنتاجها بنفسه. وعليه يكون الإنتاج على الدوام وفي جميع الظروف أساس وجود الناس وضرورة أبدية وطبيعية.

حدثت في الماضي، وتحدث في الحاضر، صراعات حادة حول ملكية الانتاج والأدوات المستخدمة فيه، وقد شاهدنا كيف أن قلة من الناس (زمن الخليفة عثمان)

امتلكت الأراضي الشاسعة وجعلت من العاملين عليها عبيداً ، فتجمعت لدى تلك القلة ثروات طائلة، في حين عانت الغالبية العظمى من الناس العوز والحرمان !  
 رأى أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك حيفاً كبيراً على العامة. وقرر أنه لا يجوز أن تترك خيرات الأرض بين أيدي المتخمين والمترهلين الآكلين على شبع والشاربين على غير ظمأ المتبذخين بأموال العامة على غير جهد وبلاء! لأن الفقر كما قال :  
 «منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت»! وقال (عليه السلام):

«إن الله سبحانه، فرض في أموال الأغنياء قوت الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني، والله تعالى سألهم عن ذلك».

وكانت سياسة أمير المؤمنين (عليه السلام) تقوم على تشجيع الإنتاج فهو يؤكد أن :

«الحرفة مع العفة، خير من الغنى مع الفجور». و «لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان» و «ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، و «طوبى لمن طاب كسبه!».

وكان (عليه السلام) يحسب إقتطاع الأرض بالقرابة والنفوذ في جملة المال المنهوب ، وفي ذلك يقول :

«و لا يطمعن منك في إعتقاد عقدة - إقتطاع ضيعة - بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم».

من لا يعمل لا يأكل :

إن العدالة تقتضي أن تكون الأموال والأراضي والضياع وجميع مصادر الثروة هي ملك الجماعة توزع على الأفراد بقدر الإستهقاق والحاجة بعد أن تُتاح الفرصة للعمل لجميع هؤلاء. فقد رفض أمير المؤمنين (عليه السلام) إعطاء عبدالله بن زمعة ، لأنه لم يُشارك في العمل قائلاً له:

«إن هذا المال ليس لي ولا لك وإنما هو فيء المسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حريهم كان لك مثل حظهم وإلا فجنة أيديهم لا تكون لغير أفواههم».

وقال :

«والنهر لمن عمل دون من كرهه!».

وقوله للأشتر:

«ثم إعرف لكل إمريء منهم ما أبلنى ولا تضيفن بلاء إمريء إلى غيره .. ولا يدمونك شرف



إمرىء إلى أن تعظم من بلانه ما كان صغيراً ولا ضعة امرىء إلى أن تستصغر من بلانه ما كان عظيماً.

#### ٨- المضمون الاجتماعي والاقتصادي للوطنية

يخلق التفاوت الهائل في الملكية والثروات، الكثير من السلبيات، منها:

- ضعف الحس الوطني.

- الإنحطاط الخلقي.

- تفشي الجريمة والمخدرات والأمراض الفتاكة.. الخ.

أدرك المصلحون وعلماء الاجتماع مؤخراً خطورة تلك السلبيات فوضعوا لعلاجها الكثير من النظريات. وأثبتت التجارب سلامة وقوة المجتمع الذي يعيش مواطنوه متضامنين متكافلين، ينعمون بخيرات بلدهم بمعنى أنه بقدر ما يكفله الوطن لمواطنيه من حقوق مادية وروحية تيسر لهم أمورهم الحياتية بقدر ما يزداد حبهم لوطنهم! وبهذا فقد اكتسبت الوطنية مضموناً اجتماعياً واقتصادياً. و عن هذا المعنى عبرت كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) الجامعة، ومنها:

«إن الغنى في الغربة وطن، والفقير في الوطن غربة»

«وإن المقل غريب في بلده» . أو:

«إحذروا صولة الكريم إذا جاع، واللنيم إذا شبع» لأنَّ

«الفرق يُخرس الفطينَ عن حجته».

و «إذا أقبلت الدنيا على أحد أمارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه».

#### ٩- الخراج

كانت قيمة المنتجات الزراعية في المجتمعات السابقة تُشكل النسبة الكبرى من الثروة القومية. وكان الخراج (الضرائب) المفروض على الأرض مصدر التمويل الأساسي لميزانية الدولة.

ويحدثنا التاريخ عن كثير من الحكام الذين أفرطوا في جباية الخراج، فأحلوا تعذيب الفلاحين، ومصادرة ممتلكاتهم، وأوجدوا القوانين التي تُجيز لهم بيع الفلاحين المعدمين في سوق النخاسة، علماً أن أساليبهم الظالمة هي التي كانت سبباً لإملاق الناس! لم تغب أهمية الخراج عن ذهن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إلا أن الإنسان كان الأكثر أهمية

عنده ! وكان يأمر العاملين على الخراج بالرفق في العباد والبلاد وفي كتابه للأشتر مثالاً ساطعاً على ذلك إذ جاء فيه :

«و تفقد أمر الخراج، بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم الا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله.

وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في إستجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة. ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً.

يشدد (عليه السلام) في تحريم أخذ الخراج من الشعب اذا لم يكن الشعب راضياً عن حالته الإقتصادية و عن ولاته وحكامه ! يقول (عليه السلام):

«لا تبعن الناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها. ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم، ولا تمسقن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد! ونهى زياد بن أبيه عن الزيادة في أخذ الخراج، فقال له:

«استعمل العدل، وأحذر العسف والحيف، فإن العسف يعود بالجللاء(هجرة العباد إلى خارج البلاد) والحيف يدعو إلى السيف».

إن الحلول التي قررها أمير المؤمنين (عليه السلام) حول الأرض والخراج تصلح للصناعة ، والسياحة ..، وكل المرافق التي تحقق مردوداً مادياً أو روحياً، لأن الإنسان هو مركز الرحى في تلك الحلول .

#### ١٠- سياسة المحاسبة

إنطلاقاً من إيمانه المطلق بالعدالة، فقد كان (عليه السلام) يراقب ولاته وعماله ويتفقد السوق بنفسه ، وينهي عن الإحتكار، .. و يحاسب الظالمين بشدة، فقد خاطب أحد ولاته قائلاً:  
«بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت قدميك، فأرفع إلي حسابك».

كان همه (عليه السلام) أن يكون للمستضعفين والمظلومين والفقراء عوناً ينصفهم من المستغلين والمحتكرين ويمسك عليهم الحياة وكريم العيش .. ويا لشرف القول :  
«أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش !!».

أو قوله :

«من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل

تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤديهم!.

وطلب إلى واليه الأشر:

«أنصف الله من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك ألا تفعل  
تظلم».

كان جوهر الرقابة الذي طبقه علي نفسه، ويطلب إلى ولاته تطبيقه، يقوم علي  
الإفصاح في المجال بأن تكون الرقابة أولاً وقبل كل شيء رقابة الجماهير الشعبية، وكلما  
ارتقى الموظف بمسؤولياته يجب أن تزداد الرقابة عليه .

وحذر أمير المؤمنين (عليه السلام) من اختيار الموظفين والمسؤولين بناء على القرابة، أو  
المحابة. وشدد علي أن يكون المعيار الأساسي للاختيار مبنياً على الكفاءة والإخلاص  
في العمل . فقال للأشر:

وتم أنظر في أمور عمالك فاستعملهم إختياراً ولا تولهم محابة وإثرة، ثم تفقد أعمالهم وابعث  
العبون من أهل الصدق والوفاء عليهم!.

## ١١- حقوق الإنسان

تضمن العهد الذي بعث به (عليه السلام)، إلى الأشر واليه علي مصر، مبادئ، تعتبر وبحق  
وثيقة ناجزة لحقوق الإنسان. وتتجلى هذه المبادئ بأقواله الآتية:

- (١) لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً.
- (٢) إياك والإستئثار بما الناس فيه أسوة.
- (٣) وأما الذنب الذي لا يغفر، فظلم العباد بعضهم لبعض .
- (٤) لأنصفن المظلوم من ظالمه .
- (٥) بئس العدو ان العدو ان علي العباد.
- (٦) أحبيب لغيرك ما تحب لنفسك، وأكره له ما تكره لها.
- (٧) أشقى الرعاة من شقيت به رعيتته .
- (٨) لا زعامة لسييء الخلق .
- (٩) من أمنت أذيتته فأرغب في جواره .
- (١٠) وأشعر قلبك الرحمة بالرعية واللفظ بهم والعطف عليهم ولا تكن عليهم سبعا ضارياً  
تغتتم أكلهم فإن الناس صنقان :

«إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق!».  
أدرك الإمام علي (عليه السلام) بثاقب نظره عظمة الانسان، وأنه أثنى رأس مال فسن له دستوراً يحميه دنيا وآخرة. كان ذلك قبل أكثر من ألف عام!  
عصف الظلم بالشعب الفرنسي فانتفض عليّ ظالميه، وكانت الثورة الفرنسية، وصيغت عليّ إثرها وثيقة لحقوق الانسان!

أصدرت الهيئة العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٤٩، إعلاناً لحقوق الانسان!.  
لم تزد الوثيقتان حرفاً عليّ الأصول التي تضمنها دستور أمير المؤمنين (عليه السلام)! شارك في صياغة الوثيقتين عدد كبير من الاختصاصيين، في حين صاغ علي بن أبي طالب (عليه السلام) وحده تلك الوثيقة.

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) حازماً في تطبيق دستوره. أما الموقعون عليّ إعلان حقوق الانسان، فإننا نرى منهم العجب العجاب: فأكثرهم جعجعةً وتشدقاً بالدفاع عن حقوق الانسان أشدهم بطشاً بالانسان قبل حقوقه!

## ١٢- موقفه من المعارضة!

كانت المعارضة الأولى لأمر المؤمنين، عندما إتخذ قراره بتوزيع العطاء، الذي قسم بالعدل بين الأسود والأحمر فوزع مال الله بالتساوي بين أشرف العرب والموالي والمعاهدين من جميع الطبقات. وكان في مقدمة المعارضين: طلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وعبدالله بن عمر، ومروان بن الحكم، وبلغوا في معارضتهم لقرار التسوية هذا نقض بيعتهم له وإعلان الحرب عليه تحت ستار الطلب بدم عثمان!

فماذا فعل بمعارضيه؟ ناقش طلحة والزبير وقال لهما: ما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟ قالوا: خلافك عمر بن الخطاب في القسم أنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا... ثم طلبا منه الأذن للخروج إلى العمرة، فعرف أنهما يريدان العمرة ستاراً للخروج عليه ولم يمنعهما من ذلك. وكتب (عليه السلام) لسهل بن الأحنف الأنصاري عامله عليّ المدينة، يقول:

«وعلّموا أن الناس عندنا في الحق أسوة، فهربوا إلى الأثرءة، فبدأ لهم وسحقاء».

وكان (عليه السلام) لا يستعمل في حربه إلا ما وافق الكتاب والسنة، وكان معاوية يستعمل خلاف ذلك، بل ويستعمل جميع المكائد حلالها وحرامها. قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم ولا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا باباً مغلقة».

حاربه الخوارج بشراسة، ولم يكن (عليه السلام) يريد محاربتهم، إلى أن تصاعد ارهابهم حتى أن بعض أصحابه قال له :

عَلَّامَ نَدَعِ هَؤُلَاءِ وَرَاءَنَا يَخْلِفُونَا فِي عِيَالِنَا وَأَمْوَالِنَا؟ سَرَبْنَا إِلَيْهِمْ فَإِذَا فَرَّغْنَا مِنْهُمْ سَرَبْنَا إِلَى عَدُونَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ! وَكَانَ (عليه السلام) يعطي الخوارج نصيبهم من الفياء أسوة بسائر الناس، ويفسح لهم في المجال لأن يتوجهوا حيث يشاؤون!

صاح أحد الخوارج إلى علي:

«قاتله الله كافرأ ما أفقهه؟!»

فوثب أتباع الخليفة ليقتلوه فنهاهم عنه وهو يقول:

«إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب».

(عبرية علي لعباس محمود العقاد - ص ٢٣).

أدخل ابن ملجم علي (عليه السلام)، فقال علي:

النفس بالنفس إن أنا مت فأقتلوه كما قتلني وإن سلمت رأيت رأيي فيه، فقال ابن ملجم وتقد

إشتريته بألف (يعني السيف) وسممته بألف فإن خائني فأبعده الله!

ويكرر أمير المؤمنين طلبه لأبنائه بعدم إنزال العقاب بابن ملجم قبل معرفة نتيجة

الإعتداء، بل يوصي قائلاً:

«وأطيبوا طعامه وألينوا فراشه فإن أعش فأنا ولي دمي إما عفوت وإما إقتصدت وإن

مت فألحقوه بي ولا تعتدوا فإن الله لا يحب المعتدين! (الامامة والسياسة لابن قتيبة - ج

١ - ص ٢٢ و تاريخ البعقوبي - ج ٢ - ص ٢١٢).

### ١٣- الحفاظ على الكوكب الأرضي

خاطب الإمام علي (عليه السلام) البشرية جمعاء بلا إستثناء قائلاً:

«اتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم وأطيعوا الله ولا

تصوه».

وقال :

«الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل علي حب أمه!».

أي شيء أكثر عظمة من هذا الخطاب؟

لم يقتصر مفهوم العدالة عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، على الناس فيما بينهم، بل إتسع هذا المفهوم ليشمل كوكبنا وما عليه، كما أنه يشمل الكون كله! يستنزف المستكبرون ثروات الأرض على نحو غير عقلائي، ويحتكرون الماء والطعام والدواء. وينشرون التلوث في البر والبحر والجوا فغلاف الأرض الجوي يعاني من إتساع في ثقب الأوزون، وفي إتساعه خطر جدي على أنواع الحياة كافة! وتظهر أمراض فتاكة كالإيدز وغيره، ويزيد مرض السرطان في إنتشاره!

إن كل ذلك يشكل خطراً حقيقياً ليس على الأرض والحيوان والنبات فقط، بل وخطراً مميتاً على الإنسان، هذا الإنسان الذي جعل الله منه في الأرض خليفة! نشطت وتنشط في عصرنا منظمات إنسانية، تناضل من أجل الحفاظ على البيئة، وتدعو للرفق بالحيوان ...

إن تعزيز وتوسيع دور هاتيك المنظمات الإنسانية، وجعلها أكثر فاعلية، يُشكل إستجابة لنداء أمير المؤمنين (عليه السلام).

من الأرض أتينا وعليها نحيا وإليها نعود... إنها أملنا فلنكن بها بارين إن كنا لها أوفياء! والبر فيها يعني إبقاءها نظيفة معطاة لتنهل الأجيال اللاحقة من معينها الثراء.

### الخاتمة

وأخيراً، فإن نهج الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، المتصل بالعدالة الإجتماعية يصلح لكل المجتمعات التي يعاني أهلها من الفقر والحرمان. وإن الحلول المستوحاة من ذلك النهج حول ملكية الأرض أو توزيع الإنتاج والثروة، وتكافؤ الفرص .. الخ هي حلول تصدق على وسائل الإنتاج كافة.. بمعنى أن تكون ملكيتها مشتركة بين الناس، ومنافعها موزعة حسب الجهود المبذولة فيها، لأن في كل ذلك صلاح وخير للناس كافةً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

## الامامُ عليُّ العادلُ الحكيمُ — حاملُ عِلْمِ العَدالةِ العَظيمِ

بقلم الحاج محمود شمس الدين

الصين

### ١. مفهومُ العَدالةِ و تعريفُها العامُّ عندَ البشرِ

كلمة العَدالةِ في اللغةِ العربيةِ تعبرُ عن المعاني المختلفةِ، وأمَّا معناها الأساسي الذي يقصدهُ الناسُ عليّ وجهِ العمومِ الانصافِ والقسطِ والاستقامة. أمَّا معناها في الاصطلاح عند علماء الاجتماعِ فهو احتواؤها على الوجوه المختلفة الايجابية التي يتمناها ويطلبها أبناء الشعوب المختلفة والمواطنون في مختلف الاقطار والمفكرون والفلاسفة والعلماء في العالم وتدعوا اليها الأديانُ والأحزابُ والمذاهبُ وفق مفاهيمهم وآرائهم ودوافعهم المختلفة منذُ بداية الحياة الانسانية والنظام الاجتماعي ومطلع الحضارة البشرية، وخصوصاً الشعوب التي تحت نير حكم الظالمين، حتى صارَ تحقيق العَدالة في أنحاء العالم من المُثلِ العليا المشتركة للبشرية قديماً وحديثاً.

### ٢. مفاهيمُ العَدالةِ عندَ البشرِ تشيرُ إلى النقاطِ التالية:

- أ. حقّ حياة و بقاء البشر.
- ب. المساواة بين المواطنين في السياسة والاقتصاد والاجتماع والرفاه.
- ج. المساواة بين القوميات والأجناس المختلفة.
- د. المساواة في حقوق الانسان.
- ز. الحرية والمساواة في الاعتقاد الديني وغيره.

٣. العدالة من أركان الاسلام ومن دعائم الايمان ومن تكوينات الأخلاق الاسلامية وأنَّ العدالة من صفات الله تعالى، لذا يأمر البشر بالعدل حيث قال :  
«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يُعَظِّمُ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (سورة النحل ٩٠).

«وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» (سورة النساء ٥٨).

«هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (سورة النحل ٧٦).

«فَإِنْ فَاتَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»

(سورة الحجرات ٩).

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَنْفِذُ أَمْرَ اللَّهِ كَامِلًا وَيَطْبِقُ تَعَالِيمَ الْقُرْآنِ صَادِقًا وَيَدْعُو أُمَّتَهُ إِلَى الْعَدَالَةِ تَعْلِيمًا فِي سُنَّتِهِ وَتَطْبِيقًا فِي جَمِيعِ سُلُوكِهِ فَقَالَ (ﷺ):

«زَيْنَ اللَّهِ السَّمَاءُ بِثَلَاثَةِ : الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ وَزَيْنَ الْأَرْضِ بِثَلَاثَةِ : الْعُلَمَاءِ

وَالْمَطَرِ وَالسُّلْطَانَ الْعَادِلِ».

قال الامامُ عليُّ (عليه السلام) في تقديرِ رسولِ الله :

« سُنَّتُهُ الرُّشْدُ وَكَلَامُهُ الْفَصْلُ وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ ». « ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَخُطْبَةٍ فَصْلٍ ».

خطب الإسكندرُ الكبيرُ (ذوالقرنين) جنودَهُ في مسيرة فتوحاته:

« يَا عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّمَا إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ نَصَرْنَا بَعْدَ حِينٍ وَالَّذِي يَسْقِيكُمْ الْغَيْثَ

عِنْدَ الْحَاجَةِ .. وَقَدْ أَنْبِئْتُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَدْلَ فِي عِبَادِهِ وَيُبْغِضُ الْجَوْرَ ، فَوَيْلٌ لِلظَّالِمِ مِنْ

سَوْطِي وَسَيْفِي ، وَمَنْ أَظْهَرَ الْعَدْلَ مِنْ عُمَالِي فَلْيَسْكِبْ فِي مَجْلِسِي كَيْفَ شَاءَ وَلْيَتَمَنَّ عَليَّ

مَا شَاءَ ... »

إنَّ الدينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ الَّذِي لَيْسَ مُجَرَّدَ عَقِيدَةٍ دِينِيَّةٍ ، إِنَّمَا هُوَ نِظَامٌ إِجْتِمَاعِيٌّ ،

يُنظِّمُ الْحَيَاةَ الرُّوحِيَّةَ لِلنَّاسِ وَهِيَ شَعَائِرُ الدِّينِ أَيْ مَزَاوِلَةُ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ اللَّهِ وَعِبَادِهِ وَ

يُنظِّمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَوِيَّةَ فِي كَافَةِ مَجَالَاتِهَا الْوَاقِعِيَّةِ أَيْ مَزَاوِلَةُ الْحَيَاةِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْعِلَاقَاتِ

وَالْمَعَامَلَاتِ بَيْنَ النَّاسِ.

أَسَّسَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) الشَّكْلَ الْأَوَّلِيَّ مِنَ الْحُكُومَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالِدَوْلَةِ

الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أُسَاسِ مَبَادِيءِ الْإِسْلَامِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى الْعَدَالَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالْمَسَاوَاةِ

وَالْمَوَدَّةِ وَالَّتِي تَمَثِّلُ دَوْلَةً جُمْهُورِيَّةً عَادِلَةً وَنِظَامًا إِجْتِمَاعِيًّا جَدِيدًا وَطَرَازًا أَكْثَرَ تَقَدُّمًا مِنْ

الدَوْلَةِ الرُّومَانِيَّةِ وَالِدَوْلَةِ الْفَارْسِيَّةِ فِي الْعَصُورِ الْوَسْطَى . وَكَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يَدْعُو إِلَى



المساواة بين المسلمين بغض النظر عن القوميات والاجناس حيث قال:

« لا فضل لعربيّ عليّ أعجميّ إلا بالتقوى ».

« النَّاسُ سَوَابِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمِشْطِ ».

« الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ ».

يَدْعُو النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى الْمَسَاوَاةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، بَحَيْثُ سَوَّى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ فِي الْقِصَاصِ وَالدِّيَّةِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَخْضِرُ وَلَا تَمَّ أَهْلَ الْكِتَابِ وَمَجَالِسِهِمْ وَيُوَاسِيهِمْ فِي مَصَانِعِهِمْ.

أَبَاحَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ طَعَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَذَبَائِحِهِمْ، عَمَلًا بِآيَةِ الْقُرْآنِ: « طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ ». (سورة المائدة ٥) وبذلك صار النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قُدْوَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ فِي مِمَارَسَةِ الْعَدَالَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالْمَسَاوَاةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ الْآخَرَى فِي مَجْتَمَعِ الْبَشَرِ.

٣. الامام عليّ حامل ورافع علم العدالة عالياً تعليماً و تطبيقاً

ان الامام عليّ (عليه السلام) بصفته وصي النبي و وارثه يمارس تعليماً و تطبيقاً تاماً مباديء الاسلام و تعاليم الكتاب و السنة بحزم و عزم و عدم خوفٍ من المشاكل و الاخطار المحتمل وقوعها حتى فقد سلطته و ليس عنده هدف شخصي لأن الدين و القرآن و السنة قد هيمنوا على روحه و لحمه و دمه، و كانت حياته و وفاته في سبيل الله، حيث قال في وصيته للحسن (عليه السلام):

« يَا بَنِي إِنْكَ أَنْمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا وَاللْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ ».

وقال في كتابه الى معاوية:

« إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا وَابْتَلَى فِيهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ لِسُنَا

لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا وَ لَا يَبَالِسَعِي فِيهَا أَمْرُنَا وَ إِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا... ».

قال الحسن البصري: إِنَّ الْإِمَامَ عَلِيًّا سَهْمٌ صَائِبٌ صَوَّبَهُ اللَّهُ نَحْوَ الْمُنَافِقِينَ.»

أ. تعريف العدالة عند الامام عليّ و تعليماته فيها:

«العدل يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا وَ الْعَدْلُ سَائِسُ عَامٍ وَ الْجُودُ

عارض خاص.» (نهج البلاغة).

«الايمانُ علي أربع دعائم، على الصبر واليقين والعدل والجهاد... والعدل منها علي أربع شَعَب...» (نهج البلاغة).

«ان أفضل عباد الله امام عادل وإن شَرَّ الناس عند الله امام جائر...» (نهج البلاغة).

وقال الامام علي في كتابه الي الأشر النخعي لَمَّا وُلَّاهُ علي مصر:

«يا مالك، إني قد وجهتكَ الي بلادٍ قد جرتُ عليها دُولٌ قبلك من عدلٍ و جورٍ وإنَّ

الناسَ ينظرونَ من أمورك في مثل ما كُنْتَ تنظرُ فيه من أمورِ الولاية قبلك.. وليكن أحب

الامور اليك أوسطها في الحقِّ وأعمها في العدل.. وأجمعها لِرِضَى الرعية...»

«وإنَّ أفضلَ قُرَّةِ عَيْنٍ الولاية استقامة العدل في البلادِ وظهورُ مودةِ الرعية...»

«ان الله تعالى قَرَضَ علي أئمةَ العدل ان يُقدِّروا أنفسهم بضعةِ الناس...»

«تزيين ولايتك مع استجلايك حُسنَ ثنائهم وتبجُّحك باستفاضةِ العدلِ فيهم مُعتمداً فضل

قوتهم...»

«أعظم ما افترضَ سبحانه من تلك الحقوقِ حقُّ الوالي علي الرعية و حقُّ الرعية

علي الوالي فريضة فرَضها الله سبحانه لكلِّ علي كلِّ فجعلها نظاماً لألفتهم وعزاً لدينهم،

فليست تصلحُ الرعية الا بصلاح الولاية ولا تصلحُ الولاية الا باستقامة الرعية، فاذا أدت

الرعية الي الوالي حَقُّهُ وأدى الوالي اليها حَقُّها عَزَّ الحقُّ بينهم وقامت مناهجُ الدين و

اعتدلتُ معالمُ العدلِ و جرتُ علي أذلالها السُننُ فَصَلَحَ بذلك الزمانُ...» (٢١٦ خطبة)

«أشعرُ قلبك الرحمةُ للرعية والمحبةُ لهم واللطفُ بهم ولا تكوننَ عليهم سَبْعاً ضارياً

تقتنمُ أكلهمُ فإنهم صئفان: أما أخُ لك في الدينِ أو نظيرُك في الخلقِ...» (كتابه الي

الأشر من نهج البلاغة)

«أنصفِ اللهَ وأنصفِ الناسَ من نفسك و من خاصةِ أهلك و من لك فيه هوىٌ من

رعيِّك فانك. إلا تفعلْ تظلمْ و من ظلمَ عبادَ الله كان اللهُ حَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ...» (كتابه

الي الأشر)

«واعلمُ أنَّ الرعيةَ طبقات لا يصلحُ بعضها الا ببعضٍ ولا غِنىٌ ببعضها عن بعضٍ:

فمنها جنودُ الله و منها كُتَّابُ العامةِ والخاصةِ و منها قضاةُ العدلِ و منها عمالُ الإنصافِ

والرِفقِ و منها أهلُ الجزيةِ والخراجِ من أهلِ الذمَّةِ ومُسليمةِ الناسِ...» (كتابه الي الأشر)

قال الامام علي في كتابه الي محمد بن أبي بكر حين وُلَّاهُ علي مصر:

«فأخفِضْ لهمُ جناحَكَ وألنْ لهمُ جانبَكَ وانبسطْ لهمُ وجهَكَ وآسِ بينهمُ في اللحظةِ

والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا يياس الضعفاء من عدلك عليهم...» (نهج البلاغة)

### ب. تطبيقات الامام عليّ في العدالة:

إن الامام علياً امام عادل معروف عند المسلمين وغير المسلمين في العالم بأسره، يعترف بعدالته وأخلاقه الجميلة الأخرى شيعة وأتباعه وخصومه وأعداؤه، يطبق بكل جهوده أصول العدالة ومبادئها في جميع سلوكه في مدى حياته حتى في آخر رمق من حياته.

هنا نقدم بعض الأمثال الرائعة:

#### المثال الاول

موقف الامام المبدئي الثابت لآخيه من الأب والأم عقيل، اذ طلب من الامام عليّ بعد توليد الخلافة المساعدة المالية من بيت المال لأنه فقير محتاج حقاً رازح تحت أعباء عيش عياله ودُيونه، ولكن الامام رفض إعطائه شيئاً من بيت المال، اذ قال في خطبته:

«لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من برّكم صاعاً ورأيت صبيانه سُغت الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظيم وعاودني مؤكداً وكزّر عليّ القول مُردداً فاصغيت إليه سمعاً، فظنّ أنّي أبيعُه ديني وأتبعُ قيادته مفارقاً طريقي..»

عن حميد بن هلال أن عقيلاً سأل علياً (عليه السلام) فقال:

«حتى يخرج عطائي.» فقال له عقيل: «بيوت المال بيدك وأنت تُسوفني بعطائك.»

فقال عليّ: أتأمرني أن أدفع إليك اموال المسلمين قد ائتموني عليها؟

لجأ عقيل إلى معاوية الذي أعطاه مائة الف درهم من بيت المال.

#### المثال الثاني

قدّم عبد الله بن زَمْعَةَ على الامام عليّ في خلافته وهو من شيعة فطلب منه مالاً،

فقال الامام له:

«ان هذا المال ليس لي ولا لك وإنما هو قبيءٌ للمسلمين و جَلْبُ أسياهم فان

شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم.»

#### المثال الثالث

رَوَى أَبُو اسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ اتَّاعَتَا عَلِيًّا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِحْدَاهُمَا مِنَ الْعَرَبِ وَالْأُخْرَى مِنَ الْمَوَالِي فَسَأَلَتْهُ فُدِّعَ إِلَيْهَا دِرْهَمٌ وَطَعَامًا بِالسَّوَاءِ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا، إِنِّي امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ وَهَذِهِ مِنَ الْعَجَمِ.

فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي، وَاللَّهِ، لَا أَجِدُ لِبَنِي إِسْمَاعِيلَ فِي هَذَا الْقِيءِ، فَضْلًا عَلَى بَنِي إِسْحَاقَ.

#### المثال الرابع

رُوِيَ عَنْ شُرَيْحِ الْقَاضِي قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَى قِتَالِ مَعَاوِيَةَ افْتَقَدَ دِرْعًا لَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ وَجَدَهَا فِي يَدِ يَهُودِيٍّ يَبِيعُهَا بِسُوقِ الْكُوفَةِ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: هَذَا الدِّرْعُ دِرْعِي لَمْ أَهْبُ وَلَمْ أُبِعْ. قَالَ الْيَهُودِيُّ: الدِّرْعُ دِرْعِي وَفِي يَدِي.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْقَاضِي، فَاتْيَانِي لِأَقْضِي بَيْنَهُمَا، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: هَذَا الدِّرْعُ دِرْعِي لَمْ أُبِعْ وَلَمْ أَهْبُ. قَالَ الْيَهُودِيُّ، دِرْعِي وَفِي يَدِي.

قال شريح: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟

قال: نعم، الحسنُ ابني وقتبُرُ يشهدان أنَّ الدرعَ دِرْعِي.

قال شريح: يا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، شَهَادَةُ الْإِبْنِ لِأَبٍ لَا تَجُوزُ.

فَقَالَ الْإِمَامُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا تَجُوزُ شَهَادَتُهُ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدَّمَنِي إِلَى قَاضِيهِ وَقَاضِيهِ يَقْضِي عَلَيْهِ، أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا الدِّينَ عَلَى الْحَقِّ وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ الدِّرْعَ دِرْعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، سَقَطَ مِنْكَ لَيْلًا.

#### المثال الخامس

أَلَامَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) دَخَلَ لَيْلَةً فِي بَيْتِ الْمَالِ لِيَكْتُبَ قِسْمَةَ الْأَمْوَالِ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَأَطْفَأَ السَّرَاجَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَمَرَ بِاحْضَارِ سَرَاجٍ آخَرَ مِنْ بَيْتِهِ فَسَأَلَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ، كَانَ زَيْتُهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، لَا يَنْبَغِي أَنْ نَصَاحِبَكُمْ فِي ضَوْئِهِ.

#### المثال السادس

بَلَغَ الْخَلِيفَةَ أَنَّ عَامِلَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ - عَثْمَانَ بْنَ حَنْفِيَةَ دُعِيَ إِلَى وَليمة قوم من أهلها

فكتب اليه:

أما بعد، يا بن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً من فتيّة أهل البصرة دعَاكَ الى 'مأدبة' فأسرعت اليها تُسْتَطَابُ بِكَ الألوانُ وتُنْقَلُ اليك الجفانُ وما ظننتُ أنّك تُجيبُ الى طعام قومٍ عائلهم مَجْفُوقٌ و غَنِيهُمُ مَدْعُوقٌ، فانظر الى ما تَقْضِيهِ مِنْ هَذَا المَقْضَمِ، فما اشتبهَ عليكِ علمُه فَالْفِظَةُ..

### المثال السابعُ

رُوي أنَّ الامامَ عليّاً وَلى أبا الاسودِ الدؤليّ القضاءَ في يومٍ ثمَّ عَزَلَهُ، فقالَ الدؤليّ، لِمَ عَزَلْتَنِي؟ فواللّهِ ما خُنْتُ ولا خُوْتُتُ.  
فقالَ الامامُ: بلغني أنَّ كلامَكَ يعلو كلامَ الخصمينِ اذا تَحَاكَمَا اليكَ.

### المثال الثامنُ

قبل معركة صفين إستولى جيشُ معاويةَ على شريعةِ الفراتِ وَمَنَعُوا جيشَ الامامِ من شُرْبِ المائِ والتوضأِ به وقالَ معاويةُ لجيشيه: اقتلوا أعدائكم بسيفِ الظمأ. اذ قال الامامُ: قد استَطَعْمُوكم القتالَ (أي طلبوا القتالَ منكمُ بمنعِ المائِ عليكم) فَأَقْرُوا على مَذَلَّةٍ وتأخيرِ مَحَلَّةٍ أو رَوُّوا السيوفَ من الدماءِ تَرَوُّوا من المائِ فالموتُ في حياتكمُ مقهورين والحياةُ في موتكم قاهرين.....

ثمَّ هَزَمَ جيشُ الامامِ جيشَ معاويةَ بقيادةِ الأشرِ قائدِ جيشه — سيفَ اللّهِ و غلبوا على المائِ، فقالَ بعضُ قُوادِ جيشِ الامامِ: يا أميرَ المؤمنينِ اِمْتَنِعْهُمُ المائِ كما منعوكِ، تقتلُهُمُ بسيفِ العطشِ فلا حاجةَ الى الحربِ.

فقالَ الامامُ: لا، واللّهِ، لا أكافُهُمُ بمثلِ فِعْلِهِمُ وأفسَحُوا لَهُمُ عن بعضِ الشريعةِ ففي حدِّ السيفِ ما يغني عن ذلك، و نعرضُ عليهم كتابَ اللّهِ و ندعوهم الى الهدى... فيزدحمُ جيشُ العراقِ وجيشُ الشامِ على المائِ بالشربِ والتوضأِ ما يؤذي انساناً انساناً.

استولى معاويةُ على ماءِ الفراتِ و منعَ جيشَ الامامِ من الشُرْبِ والتوضأِ ثمَّ غلبَ الامامُ على المائِ و افسحَ لهم الطريقَ الى المائِ ليشربوا ويتوضؤوا، وبذلك انكشفت دلائلُ أهلِ الهدى والعدالةِ وأهلِ الضلالةِ والبغْيِ، وتميزَ الامامُ العادلُ والامامُ الجائرُ،

«قد تبين الرشدُ من الغيِّ» (البقرة ٢٥٦)

و بتأثير سياسة الامام الحكيمية العادلة غادرَ بعضُ أتباعِ معاويةَ آياهُ ولجؤوا الى صفوفِ الامامِ عليٍّ وقَرَّوا من الظُّلْمَةِ الى النُّورِ ومن الضلالِ الى الهدى.

### المثال التاسع

موقف الامام العادل المتسامح لقاتله ابن ملجم (لَعْنَةُ اللَّهِ) اذ وَصَّى الحسَنَ والحسينَ وأهلهُ وأصحابه قبلَ موتهِ لَمَّا ضَرَبَ ابنُ ملجمِ الملعونُ رأسَهُ بالسيفِ المسمومِ ضربةً قاضيةً واختضبت لحيتهُ البيضاءُ بدمِ رأسِهِ كما تنبأ النبيُّ (ﷺ) شهادته بهذا. اذ أوصى.

«أنا بالأمس صاحبكم، واليومَ عِبرَةٌ لكم، وغداً مُفارقُكم، إنْ أَبَقَ قَانَا وَلِيٌّ دَمِي، وَإِنْ أَفَنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا...»  
«انظروا إذا أنا ميتٌ من ضربتي هذه فأضربوه ضربةً بضربةٍ ولا تُمَثِّلُوا بالرجل، فإني سمعتُ رسولَ الله (ﷺ) يقولُ: «إياكم والمُثَلَّةُ ولو بِالْكَلْبِ العَقُورِ؟»  
«لا تقاتلوا الخوارجَ بعدى فليسَ منْ طلبَ الحقَّ فأخطأهُ كَمَنْ طلبَ الباطلَ فأدركهُ»  
(يعني معاويةً وأتباعه)

ظلَّ الامامُ عليُّ (عليه السلام) يحفظُ في ذهنه و يُطبِّقُ في عمله تعاليمَ القرآنِ وسُنَّةَ رسولِ الله (ﷺ) في العدالةِ والتسامحِ والمساواةِ في الحقوقِ والعقوباتِ حتى آخِرِ رَمَقِهِ مِنْ حَيَاتِهِ.

## الإمام علي (عليه السلام) والعدالة

الدكتور محمد القيسي  
جامعة آل البيت - الأردن

### طائفة و قبسات من كلام الإمام علي (عليه السلام)

\*\* اتبعوا الحق وأهله حيث كانوا.

\*\* من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه  
كان العمل بهما أثقل عليه .

\*\* قل الحق ولو على نفسك .

\*\* من ساء خلقه عذب نفسه .

\*\* عليكم بكلمة الحق في الرضى والغضب وبالعدل على  
الصديق والعدو.

\*\* أعينوا الضعيف وانصروا المظلوم وتعاونوا.

## إهداء

إلى من جعل للثورة عنوان  
نور من نور و نور على نور  
تقيم في النفس و في النظام خير حارس  
وهي بذلك....العدل  
ومن مصادرها.... العدل  
وبتشريعها...العدل  
وبتنفيذها.. العدل  
تحرم الظلم و تحاربه...  
ابتداء من العدوان على حدود الله  
وانتهاء إلى العدوان على حقوق العباد  
ومقاومة الظلم ليس مجرد حق بل هو واجب و فرض  
أمر لم يبلغه بعد أي نظام على وجه الأرض وقد أشعل المنارات  
أبو الحسن (عليه السلام)

وقرر أنه :-

لا شرعية بغير شريعة...  
ولا شرعية بغير رقابة...  
ولا شرعية في غياب الحق...  
ولا قيام للحق في غياب من يحمله  
والجزاء بوجهيه لشرعية الحق ثوابا...



## الفصل الأول ويشمل :

١:- التمهييد...

٢:- نسب الإمام...

٣:- منزلة الإمام...

## أولاً: تمهيد:

عندما يبحث عن حياة العظماء ورؤيتهم لابد من معرفة الحياة السياسية والفكرية والثقافية التي كانوا يعيشونها إذ أن الإنسان له صلة في بيئته .

فخط مستقبل الإنسان بوجوده حينما يكون متصلاً مع مجتمعه ويمرّ في أدوار من الصعود والهبوط حتى يكون ذات يوم صاحب شأن و صاحب رسالة. لأنه أصبح بين يديه سلاحاً اسمه الإسلام .

والعرب كانت قبل الإسلام في شبه جزيرة تسمى جزيرة العرب، لقد كان مناخها صحراوي يميل إلى الجفاف، وتميل الحرارة فيه إلى الاشتداد، وقد كان سكانها من العرب الذين لم ينقرضوا، وقد جاء الإسلام وهم على حال من التنازع والتقاتل والعداوة والثأر ووأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر وأكل الربا إلى غير ذلك من الأفعال المشينة. ولقد كان يسود أرض الجزيرة اعتقاد بالأوثان، واعتقاد بألهة النور واعتقاد في شيوع المال والنساء. ولقد كانت مكة أقدم تلك المدن يسكنها خزاعة وقريش التي يرد نسبهم إلى النضر بن كنانة، وقصة عام الفيل وأبرهة الحبشي معروفة إلى أن كان مولد النور والهدى بمولد محمد (ص) الذي هياه الله جلّ وعلا سنة ستائة و عشر ميلادية بالرسالة في شهر رمضان المبارك وعمره أربعون سنة.

جاء الإسلام بالتوحيد - بالمساواة والعدالة بين الناس إلا أن حزب الكفر رفض ما يطرح من قضايا التوحيد والرفعة والسمو فكانت الحرب والتميز بين معسكرين أحدهما معسكر حزب الله والآخر حزب الشيطان حزب الكفر.

وقد تزوج النبي (ﷺ)، بخديجة التي أنجبت له أبناءه منها رضوان الله عليهما، وقد كان في المدينة المنورة اليهود والمشركون من العرب وقد كانت سمة المشاكل العامة الاجتماعية والسياسية ينتابها الفوضى والمشاكل فإلإدارة والقضاء والتعليم والحماية والدفاع والحرب والتنظيم الاجتماعي (الزواج - الطلاق - كفالة الأيتام - الإرض - الوقف الوصية - الخ - إضافة إلى السكر - القمار - الفسق - الخرافات) كان موجوداً وسائداً في تلك الحقبة.

في ظل هذا المناخ جاهلية وانهايار على كافة الصعد في مكة. ويهود المدينة أهل خيبر والمنافقون الذين كانوا خطراً جاثماً في المدينة قد شكلن وشكلن نطاً اجتماعياً لا يختلف كثيراً عن واقع مكة إن لم يكن أخطر إلا أن الإسلام دين الله الخالد الذي كان مفتاح إصلاح

البشرية قرآناً يُتلى وأحاديث شريفة حملها رجال اطهار أولهم رجال آل بيت محمد (عليه السلام).

وقد عاصر الإمام علي (عليه السلام) كافة هذه المظاهر جاهلية كانت أو ما عاصره من أزمات حقيقية قد واجهت الدولة الإسلامية حتى استشهاده إذ أن الأزمة السياسية قد بدأت في الجاهلية، وهو معروف بالعداء الداخلي الاقتصادي بين عشائر قريش حول مسألة السقاية والرفادة إلى غير ذلك.

وقد ازدادت الشقة المأ حينما توفي الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ولم يكن خليفته هاشمياً وتوفي أبا بكر ولم يكن خليفته هاشمياً - وتوفي عمر ولم يكن خليفته هاشمياً. والذي يظهر لي كباحث أن الحياة التي عاشها الأمام قد شكلت له رؤية خاصة حينما رأى الظلم المتوالي النازل عليه وعلى آل البيت الكرام، وإذ به يرى ضعف عثمان وسوء تصرفه بمعنى عدم وجود عدالة ومساواة في تعيين الولاة وفي أنفاق الأموال وكل ذلك قد شكل عند الأمام بأن الحياة الإدارية والسياسية والثقافية والاجتماعية بحاجة إلى إعادة صياغة كما كانت في عهد أخيه وحببيه وصديقه جد أبنائه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وفي ظل هذه الأوضاع يمكن أن نستخلص بأن الأمام علي (عليه السلام) رجل مخضرم - فذ - شجاع وقد عاصر الجاهلية بمكة، وشرور وجاهلية اليهود ومكر المنافقين وعرف أبواب الخير أنهاراً من الثقافة والعلم والنور فكان من أفضل الأصحاب وأعظمهم محبة للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

فأخذ ينهل العلم من حبيبة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حتى أنه ازداد الخير لديه إذ أن زوجته الربانية سيدة نساء العالمين فاطمة ابنة محمد وخديجة (عليهما السلام).

حتى وصلت منزلته العظيمة أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قد آخى بينه وبين علي (عليه السلام) بقوله أنت أخي في الدنيا والاخرة<sup>١</sup> ولو أردنا أن نتحدث عن فضائل الأمام لاحتاج الباحث إلى عدة أسفار وما انتهى من ذكر المناقب.

وكانت من أبرز معالم الفضل للإمام (عليه السلام)، تزويجه بفاطمة، حيث قال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، أن الله تبارك وتعالى زوجة من فوق عرشه وقد رضي الله لرضي فاطمة وقد كان صداقها أربع مائة وثمانين درهماً. وكانت سيدة نساء العالمين، فهي الزهراء المحصنة العظيمة زوجة المجاهد حبيب الله ورسوله الهاشمي السيد صاحب المناقب العظيمة أبي

الحسن والحسين.

فكانت فاطمة بضع الرسول (ﷺ) وأحب ولده إليه وكانت زوجة الشهيد وأم الشهيد. وقد تم تأليف الكثير من المصنفات في الأمام (عليه السلام) ١ رحم الله الأمام (عليه السلام) فهو في منزل صدق عند مليك مقتدر ألحقنا الله بهم وجعلنا من شيعتهم يوم القيامة .

### ثانياً ● نسب الأمام علي (عليه السلام) :-

● هو علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وان اسم والده عبد مناف واسم والدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهي أول هاشمية قد أسلمت وهاجرت الى النبي (ﷺ) ٢ .

ولد الأمام (عليه السلام) بمكة، وحمله النبي (ﷺ)، حين ولادته وكان أشد الناس فرحاً به، وقد كانت له كنيستان (أبو الحسن - وأبو تراب) وقد سماه النبي (ﷺ) بابي تراب وقد توفي (عليه السلام) شهيداً في شهر رمضان يوم الجمعة ١٧ ليلة من سنة ٤ للهجرة .

وقد اختلف العلماء على عمره يوم شهادته فمنهم من قال توفي وهو ابن ٥٨ وقيل ابن ٦٠ وقيل ابن ٦٤. وقد قام الحسن (عليه السلام) خطيباً يوم مقتل والده فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما والله لقد قتلتهم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن وفيها رفع عيسى ابن مريم وفيها قُتِلَ يوشع بن نون ٣ .

كما أن الأمام كان أول من صلى مع النبي - (ﷺ) - كان مولى النبي (ﷺ) حين قال فيه (ﷺ) يوم الغدير من كنت مولاه فعلي مولاه - اللهم وال من والاه، والأحاديث في الباب كثيرة على نص الولاية ٤ .

١. السيوطي الدر المنثور ٦ / ٢٢٠ - الهيثمي مجمع الزوائد ٩ / ٢٢ - أحمد في مسنده ٤ / ١٠٧ الحاكم في مستدرکه ٢ / ٤٦ - البيهقي في السنن ٢ / ١٥٢ - الواقدي في الطبقات ٢ / ٣٣٧ .

٢ - انظر تاريخ بغداد - ١٣ / ١١٢ وتهذيب التهذيب ١٠ / ١٦٢ أنساب السمعاني ٦ / ٢٦٥ .

٣. الواقدي ٣ / ٣٨ - ابن كثير البداية والنهاية ٧ / ٣٣٢ - تهذيب التهذيب ٤ / ١٢٦ الطبري ٥ / ١٥٧ - تاريخ بغداد ٩ / ٣٣ .

٤. الخصائص للنسائي - ٢١ واحمد في مسنده ٥ / ٣٥٨ - الحاكم في مستدرکه ٢ / ١٢٩ - البداية والنهاية .

ثالثاً: منزلة علي (عليه السلام) عند أخيه وحبيبه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد كان للأمام (عليه السلام) منزلة ومرتبة خاصة عند حبيبه (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو ابن عمه وزوج ابنته الغالية سيدة نساء العالمين فاطمة بل وصل الأمر يوم الهجرة بان يكون علي (عليه السلام) الفداء أمام ركب الكفار عوضاً عن الحبيب (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أنزل علي (عليه السلام) المنزلة وهو أهل لها ويستحقها ونال الأوسمة التالية من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله:

١. من كنت مولاه فعلي مولاه .
٢. أنت مني بمنزلة هارون من موسى .
٣. أنا وهذا حجة علي أمتي يوم القيامة يعني علياً .
٤. من ناصب علياً للخلافة بعدي فهو كافر .
٥. أن الله عهد إلي في علي عهداً أنه راية الهدى .
٦. أنت سيد المسلمين وإمام المتقين .
٧. أنا مدينة العلم وعلي بابها .
٨. أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة .
٩. لكل نبي وصي ووارث ووصي ووارثي علي .
١٠. أشد غضب الله علي من آذاني في عترتي .
١١. من صلى علي محمد وآله مائة مرة قضى الله له مائة حاجة .

وقد ورد في فضائل الإمام الكثير لاجمال لذكرها في هذه المقالة<sup>١</sup>

أما ما ورد في حق الإمام (عليه السلام) من أسباب النزول بالآيات المباركة نحو إحدى عشرة

آية مباركة .

أذكر منها قول الله تعالى :

(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) (والنجم إذا هوى)

(أنما وليكم الله ورسوله)

وغيرها من الآيات

١. يوجد الكثير من المؤلفات التي بحثت في خصائص الأمام مثل / كتاب المناقب / للخوارزمي / مناقب الأمام علي لأبي المغازلي الشافعي وغيرهم الكثير.

## الفصل الثاني

١: مفهوم العدالة (لغة واصطلاح)

٢: العدالة بالمفهوم الأدبي و الفلسفي

٣: العدالة ورؤية الإمام علي (عليه السلام)

## أولاً: مفهوم العدالة

مصدرها عدل وتأتي على عدة معاني في أوجه اللغة .

منها: (عَدَلَ) الشيء: أقامه وسواه يقال عدل المكيال والميزان .

واعتَدَلَ: توسط بين حالين .

(عَدُلَ) - عدالةً وعدولةً: كان عدلاً وعدلاً فلاناً بفلانٍ سوى بينهما .

١. اصطلاحاً: العدالة: في الفلسفة: إحدى الفضائل الأربع التي سلم بها الفلاسفة في القدم .

وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة .

والعدُل: الأنصاف وهو إعطاء المرء ماله وأخذ ما عليه ١ .

## ثانياً: العدالة

أن البحث في المفهوم الأدبي أو الفلسفي العرفاني عن مفهوم العدالة هل هي مكتسبة أم

فطرية، لدى البشر، لتعددت الإجابات والاجتهادات إلا أنني أرى أن العدالة لدى الإمام

علي (عليه السلام) كانت فطرة جبلية ربانية قد خلق الإمام (عليه السلام) ومعه متلازمة مناراً في الذات

البشرية والالما استحق تلك المناقب العظيمة أما بتزكية آيات النزول وإما بوصف

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والشواهد لدي كثيرة من ذلك اختصر .

قول الإمام (عليه السلام) (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن اعصي الله

في نلة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته).

فدلالة تربية النفس واضحة بينة بذلك حتى يقبل العدالة على نفسه رقابة يقول (عليه السلام)

فاعينوني بمناصحة خالية من الغش سليمة من الريب فوالله أني لأولى الناس بالناس ٢ .

وقوله العظيم (أمره أن يكسر من الشهوات ويزعها عن الجمحات فأن النفس أمارة

بالسوء إلا ما رحم الله ٣ .

فهذا الإمام (عليه السلام) يرسم عدالة النفس البشرية واعتبر النفس ضعيفة أمام العدو الصائل

المسمى بالشهوات لان الاستبداد وقهر العباد نوع من أنواع شهوات النوع كما قال فرعون

/ أنا ربكم الأعلى ٤ / بل يعمي الإنسان عن الحق - أفن اتبع الله هواه ٥ .

١. لسان العرب مادة عدل - المعجم الوسيط ٢ / ٥٨٨ .

٢ - نهج البلاغة خ ١١٨ ص ١٢٤ .

٣ - نهج البلاغة خ ٥٣ ص ٣٢٢ .

٤ - سورة النازعات .

ألا أن الحق المصاحب للعدل لا بد له من الكفاءة والقدرة الشخصية بمفهوم الأيمان وتقوى الله سبحانه واكتساب مفهوم الكفاءة «والذين اهتموا زادهم هدى واتاهم تقواهم»<sup>٦</sup>.

أي أن الهدى والأيمان مكتسب بمفهوم الزيادة والنقصان وهما السلاح نحو الثبات على الحق المصاحب للعدل وقد أكد الأمام (عليه السلام) كثيراً على هذا المبدأ بقوله أيها الناس ان أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه أعلمهم بأمر الله فيه<sup>٧</sup> رحمك الله أيها الأمام فقد حققت رؤية صادقة لعنصر الشعور بالمسؤولية. فقد كان الأمام يراقب الله سبحانه بأعماله ولم يكن متهاوناً أبداً أبداً مع نفسه.

### ثالثاً: العدالة ورؤية الأمام (عليه السلام)

أدرك ابن أبي طالب (عليه السلام) في أعماقه أن المقايضة تصح أصلاً وفرعاً بين السماء والأرض اللتين قامتتا بالحق واستوتا بوجوهه المتلازمة الثلاثة الصدق والثبوت والعدل وبين الدولة التي لا بد لها أن تكون صورة مصغرة عن هذا الكون القائم على أركان سليمة ثابتة فإذا به يحيا في عقله وضميره بهذه المقايضة على صورة عفوية لا مجال لواغلي من الشعور او لغريب من التفكير وها هو يقول (واعظم ما افترض من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرعيّة وحقّ الرعيّة على الوالي فريضة فرضها الله لكل على كل).

وإذا بالروابط العامة الكبرى بين عناصر الدولة على لسان الأمام (عليه السلام) ثم الأعمال الخيرية وبين ثبوت هذه العناصر على أساس من الحق الذي هو لديه الصدق والثبوت والعدل وهذا بنظري الحق التي تقوم به السماوات والأرض.

لان الأمام قد نظر وفكر واعتمد (ألا وانه بالحق قامت السماوات والأرض).

ولو حاولنا أن نجمع كلمة الصدق والثبات في كلمة واحدة لما وجدنا لفظة تحويها إلا لفظة (الحق).

وعند هذا الإحساس قد وجد الأمام (عليه السلام) أن من وراء ذلك جميعاً إن لهذا الكون القائم بالحق ترابط بين عناصره بعضها مع بعض وهذا ارتباط تعاون وتساند كما أن لقوته حقوقاً

٥ - سورة الجاثية.

٦ - سورة محمد.

٧ - نهج البلاغة ١٧٣ ص ١٧٩.



افترضت لبعضها على بعض وأنها متكافئة في وجوهها متلازمة بحكم وجودها واستمرارها.

حتى أن الاستمرار في العطاء لا بد له من دوام النعم و دوام النعم مرهون بما فرض على صاحبها من واجب طبيعي نحو البشرية وان عدم القيام بهذا الواجب كاف وحده لأن يزيلها ويفنيها بذلك يقوم الأمام من كثرت النعم عليه، كثرت الحوائج إليه فن قام فيها بما يجب عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء)

ففي هذين القولين من التعبير عن عدالة الكون والناس مالا يحتاج إلى كثير من الإيضاح فحقوق العباد - على لسان علي - يكافئ بعضها بعضاً فهي أشبه ما تكون بحق الماء على الريح والنبته على الماء والماء على الشمس والشمس على القانون الرباني وهذه السنة التي تفرض على الإنسان ألا يستحق شيء من الحقوق إلا بأدائه حقوقاً عليه ليست إلا سنة الكون العادلة القائمة بهذا العدل وعن هذا التوازن الحكيم في قانون الكون برحابته وأفلاكه وأرضه وسماؤه وجماداته وأحيائه يعبر الأمام (عليه السلام) بهذه الكلمة التي تجمع سداد الفكر إلى عنف الملاحظة وإلى عبقرية البساطة «ولا تنال نعمة إلا بفراق أخرى».

أما الاعتداء على موازين العدالة وثوابتها فان العقاب قائم بطبيعة هذه العدالة العامة التي تقاضي الفاعل مقاضاة لا لين فيها ولا قسوة وإنما عدل ومجازاة .

وها هو الأمام (عليه السلام) يسحق نظريات التجار بقوله (فوالله لو لم يصيبوا من الناس الا رجلاً واحداً متعمدين لقتله بلا جرم جرّه لحل لي قتل ذلك الجيش كله».

ونرى إن الأمام قد عطل نظرية استباحة القوي للضعيف وللكثير ان تتسع أماله بهذه الكثرة وحدها وفي كل ذلك اعتداء على قانون الحياة (العادل) وعلى إرادة وكرامة الإنسان ونحو ذلك يقول ببساطة / ورب يسير أغنى من كثير .

ويقول (وليس امرؤ وان عظمت من الحق منزلته بفوق ان يعان على ما حملة الله من حقه ولا امرؤ وان صغرت النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعيين على ذلك أو يعان عليه).

ثم يسقط الإمام من التاريخ والحاضر الاضطراب الواقع من المقاييس لدى الأفراد والجماعات. لانه رأى إن الاضطراب مستلزم لانحراف موازين العدالة لذا قرر أن المظاهر البراقة الفضفاضة ليست في حكم الواقع الوجودي وهذا ما أزاله وجدده في حرية ضد المظهرية / النفاق بالمصطلح الشرعي .

لذا أن العدالة (الحق) تزن كل حي بميزانها العظيم وتضعه في موضعه لا غش في ذلك ولا خداع ولا مجاملة فالعدالة لا تهون لديها قيمة ولا تعلو عندها ولديها تفاهة.  
كما أنك واجد لدى الأمام (عليه السلام) نظرة علوية واثقة من تطبيق الحق (العدالة).  
لانه مؤمن بإمكانات الإنسان حيث خاطبه بقوله (إن الله لم يخلقكم عبثاً) لان الأمام مؤمن بالطبيعة البشرية والفطرية موجهاً الخير إليها لان البشرية لديه خيرون ونافعون أصلاً وفرعاً ما لم يميلوا عن الحق عامدين .

وفي لحظات فذة من تألق العقل المكتشف والفكر النافذ تبدو لحياة الأمام (عليه السلام) ألوان ساطعة لمفهوم العدالة وما يسعك إلا أن تعجب بهذا العقل وهذا الفكر وهذه الرؤية إذا أن الإمام لم ينطق بلسان علماء العصر لدية بل نطق بالعدالة نفسها (الحق المطلق) ويقرر هذه الحقيقة بقوله (من ساء خلقه، عذب نفسه).

ويقول / يكاد المريب يقول (خذوني) ويقول (فاكرم نفسك عن كل دنية وان ساقك رغب فانك تتعاض بما ابتذلت من نفسك). ويقول (موت الإنسان بالذنوب اكثر من موته بالآجل).

ويقول (لا مروءة لكذوب ولا راحة مع حسد ولا سؤدد مع انتقام ولا صواب مع ترك المشورة).

ويقول إذا كانت في رجل خلة لائقة فانتظروا اخوتها).

هكذا الإبداع العرفاني لدى الأمام عندما ادرك أن الرب واحد عادل والعدالة والحق في وحدانيته سبحانه وعدله في كل الكائنات قائم منه إلى يوم القيامة وما بعدها لذا من عبد رباً واتبع رضاه بما أمره فهذا المنهج القويم والمسمى الحق قد طبقه الأمام على نفسه وعلى مجتمعه وعلى البشرية بكل صورها السياسية والاجتماعية والفكرية.

حتى بات للعدالة عدة وجوه زاهية يجب أن تطبق وفق أمر الله سبحانه ورسوله (صلى الله عليه وآله).

## الفصل الثالث

١: - العدالة والمسؤولية .

٢: - شروط الإمام العادل .

## أولاً: العدالة والمسؤولية

تُرْبَطُ المسؤولية بالعدالة دوماً عند الاستشعار بالسمو وعند الحديث عن العطاء، وعندما نريد أن نتحدث عن رؤية الأمام (عليه السلام) عن العدالة لا بد أن نقرن معها المسؤولية لأن شخصية الأمام المسؤولة القيادية لا بد أن يكون عندها مسؤولية و حسن بالمسؤولية وأي حسن ومرهف يكون لمن تربى على مائدة القرآن وعلى حسن الصحبة للمصطفى (صلى الله عليه وآله). لذا أن الأمام قد أحس بالمسؤولية الملقاة على كاهله كإنسان في البعد النفسي، ومسؤولية حقيقية عمن ولاءه الله أمراً من أمور المسلمين. فعندما تولى (عليه السلام) أمر المسلمين، أسس مبدأ المراقبة الحساسة الدقيقة فقد حقق مبدأ الرقابة الإدارية الثاقبة الدائمة كما فعل بالقاضي شريح حيث قال له :

بلغني أنك ابتعت داراً بثمانين ديناراً وكتبت لها كتاباً أشهدت فيها شهوداً.

فقال له شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين

قال فنظر إليه نظر المغضب ثم قال له :-

يا شريح أما أنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بيتك حتى يخرجك منها شاخصاً ويسلمك إلى قبرك خالصاً فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك أو نقدت الثمن من غير حلالك !

فاذا أنت قد خسرت دار الدنيا و دار الآخرة<sup>١</sup>

ويقول في موطن آخر برسالة إلى زياد بن أبيه وهو على البصرة .

وأني أقسم بالله قسماً صادقاً لئن خنت من فيء المسلمين صغيراً أو كبيراً لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر. وهناك مواقف و نماذج كثيرة تبني أحد أركان العدالة وهو المراقبة بمراقبة الذات ومراقبة الراع لرعيته ومراقبة الراع لمن أوكل إليهم المسؤولية وهذه القاعدة قد ولدت الدقة في اختيار أهل الكفاءة وعزل الكثير من الولاة السابقين وهذا ما قام به حقيقة الأمام بالقضاء على النظام المنحرف وكان هذا القرار بحاجة إلى جرأة في الإصلاحات على مستوى الإدارة ومتابعة الإدارة. والرقابة قد جعلت لدى الأمام هذه العدالة المطلقة في حديثه مع القاضي شريح وقد همز إليه بالخوف من الله سبحانه وأن هنالك دار الدنيا و دار الآخرة فمن استطاع أن تكون الآخرة فهي خير دار وفي ذلك تصحيح مسلك ومسار القاضي بالكلمة التي بها يسترجع الخوف من الجليل قبل أن يقيم

علية حدود الدنيا.

وقد أرسل الى الاشعث بن قيس عامل أذربيجان قائلاً: - أن عمّلك ليس لك بطعمة ولكنّه في عنقك أمانة، وأنت مُسترعى لمن فوقك ليس لك أن تفتت في رعيّة ولا تُخاطر إلا بوثيقة. وفي يدك مالٌ من مالِ الله عزّ وجلّ وأنت من خزائنه حتى تسلّمه إليّ ولعليّ أن لا أكون شرّاً ولا تيك لك،<sup>١</sup>

وبالاستقراء لشروط تولي المسؤولية قد حررت الشروط التي يجب أن تتوفر في الراعي من خلال رؤية الأمام.

ثانياً «شروط الأمام العادل» «عند الأمام (عليه السلام)»

اشترط الأمام شروطاً أساسية يجب أن تكون في الأمام وسلبيات وعيوب يجب أن يبتعد عنها من أبرزها:

١. يجب أن لا يكون بخيلاً.

قال الأمام: - أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته<sup>٢</sup>.

٢. أن يكون عالماً وليس بجاهل.

قال الأمام: - ولا الجاهل فيظلمهم بجهله<sup>٣</sup>.

٣. يجب أن لا يكون جافياً.

قال الأمام: - ولا الجافي فيقطعهم بجفائه<sup>٤</sup>.

٤. يجب أن لا يكون حائفاً للدول.

قال الأمام: - ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم<sup>٥</sup>.

٥. أن لا يكون مرتشياً.

قال الأمام (عليه السلام) ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع<sup>٦</sup>.

١. نهج البلاغة ٢٨٠، الرسالة الخامسة.

٢. نهج البلاغة ص ١٣٤، الخطبة ١٣١.

٣ - نهج البلاغة ص ١٣٤، الخطبة ١٣١.

٤ - نهج البلاغة ص ١٣٤، الخطبة ١٣١.

٥ - نهج البلاغة ص ١٣٤، الخطبة ١٣١.

٦. نهج البلاغة ص ١٣٤، الخطبة ١٣١.

٦. ولا يكون معطل للسنة.

قال الامام (عليه السلام) ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة<sup>١</sup>.

٧. أن يؤمن التعليم والطعام.

قال الامام: وتوفير فيئكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا<sup>٢</sup>.

٨. الاجتهاد والنصيحة للأمة.

قال الامام :- فأما حقكم عليّ النصيحة لكم<sup>٣</sup>.

٩. إقامة الحدود والتأديب

قال الامام :- وتأديبكم كيما تعلموا<sup>٤</sup>.

١٠. الرحمة والمحبة واللفظ بالرعية .

قال الامام :- واشعر قلبك بالرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم<sup>٥</sup>.

١١. البعد عن الفضاضة والشدة في غير مكانها.

قال الامام :- ولا تكون عليهم سبعا ضارباً.

١٢. عدم الاحتجاب عن الرعية والبعد عنهم .

قال الامام :- فلا تطولنّ احتجاجك عن رعيتك<sup>٦</sup>.

١٣. اختيار الأعوان والمساعدين الأكفاء.

قال الامام: - انتم الأنصار على الحق والأخوان في الدين وَالْجَنَّةُ يَوْمَ الْبَأْسِ وَالْبَطَانَةُ دُونَ

النَّاسِ. لَكُمْ اضْرِبِ الْمُدِيرَ وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ فَأَعِينُونِي بِمَنَاصِحَةِ خَالِيَةِ مِنَ الْغَشِّ سَلِيمَةٍ

مِنَ الرَّيْبِ فَوَاللَّهِ أَنِّي لِأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ<sup>٧</sup>.

١٤. الحزم في أمر جمع الشمل والبيعة.

قال الامام من له يوم كيوم العقبة وبيعة كبيعة الرضوان والامام الأهدى<sup>٨</sup>.

١ - نهج البلاغة ص ١٣٤، الخطبة ١٣١.

٢ - نهج البلاغة ص ١٣٤، الخطبة ١٣١.

٣. المراجع السابقة .

٤. المراجع السابقة.

٥. نهج البلاغة ٩٥ .

٦. نهج البلاغة ٩٥ .

٧. نهج البلاغة ٩٥ .

٨. نهج البلاغة خ ١١٨ ص ١٢٤ .

١٥. الولاية تكليف وليست تشريف .
- قال الأمام :- والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية أربة ولكنكم دعوتوني إليها و حملتوني عليها<sup>١</sup>.
١٦. أداء الأمانة إلى أصحابها.
- قال الأمام ثم أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها<sup>٢</sup>.
١٧. في تعظيم حرمان الله سبحانه
- قال الأمام :- سلطان الله لأمركم فأعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها<sup>٣</sup>.
١٨. أن يبقى بابه مفتوحاً للمظالم وينتصر للمظلوم .
- قال الأمام الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه<sup>٤</sup>.
١٩. ترك العصبية بكل صورها .
- قال الأمام :- فان كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال و محامد الأفعال وفي ومحاسن الأمور.
٢٠. صاحب قوة في الدين و حزم في لين .
- قال الأمام فمن علاقة أحدهم أنك ترى له قوة في دين و حزمًا في لين .
٢١. أن يكون حكماً .
- قال الأمام :- لتلك المرأة التي جاءته تطلبه أني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني اسحق<sup>٥</sup>.
٢٢. حسن السابقة والسمعة بين الناس .
- قال الأمام أن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً<sup>٦</sup>.
٢٣. الكفاءة والقدرة في الصفات الشخصية.

١. اليعقوبي ٢ / ٧٧.

٢. المصدر السابق خ ٢٠٥ / ٢٣٥.

٣. نهج البلاغة خ ٩٩ ص ٢٣٢.

٤. نهج البلاغة ص ٧٣٤.

٥. نهج البلاغة خ ٣٧ ص ٤٣.

٦. البحار ج ٤١ / ص ١٣٧.

قال الامام :- أيها الناس أن أحقَّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه أعلمهم بأمر الله فيه .  
٢٤. أن يكون صاحب تقوى وورع .

قال الامام :- انصف الله وانصف الناس من نفسك .<sup>٢</sup>

٢٥. عدم تخلق الحب بين الوالي والرعية.

قال الامام :- واعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في ديناهم ولا تشاركوا أهل الدنيا في آخرتهم .<sup>٣</sup>

٢٦. أن يكون قدوة بأفعاله وأقواله وسائر شؤون حياته .

قال الامام :- ألا وأن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه ألا وإن أمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه .<sup>٤</sup>

٢٧. الرقابة الدائمة على الراعي والرعية.

قال الامام :- أما بعد فان دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة.

وهذا قبس يسير فقط من كلمات الامام (عليه السلام) للشروط الواجب توفرها بالإمام أو من

تولى شؤون المسلمين.

١. نهج البلاغة كتاب ٥٣ / ص ٤٣٥ .

٢. نهج البلاغة ٢٧ / ٢٨ .

٣. نهج البلاغة ٥٣ ص ٣٤٤ .

٤. نهج البلاغة كتاب ٣ ص ١٧٠ .



## «الفصل الرابع»

١. نظرية الإمام لمشروع تطبيق العدالة

٢. الإمام والعدالة الإدارية

## أولاً:- نظرية الإمام لمشروع تطبيق العدالة :

إنَّ المتأمل في الأنظمة والتشريعات التي تعلن عن حقوق الإنسان وتأمّر برعايتها والمحافظة عليها لا يضبطها في النتيجة أي ضابط دقيق إلا نظرية الإمام المطلقة نحو مفهوم الحق المطلق التي أسست المعنى الصحيح للعقل السليم والنفس المهذبة والضمير الراقى لذا فإن دين الناس مربوطة بأخلاق القيمين على دساتيرها وأنظمتها وبمدى الخير الذي يتسع في نفوسهم أو يضيق علماً أنه لن يمكن أن تنجح الأنظمة والتشريعات في إقامة العلاقات الإنسانية بمقدار ما يمكنها أن تتوجه إلى العقل والضمير فتقنعها بالخير فتخلق الانسجام الرائع بين إتاحة الفرصة للعمل النافع. لهذا قدّمت باستقراء مفصل لكلام الإمام (عليه السلام) وقد خرجت بالرؤية التالية نحو نظرية مباركة للإمام :-

١. الحق بين الناس يكمن بالتعاون والمساندة وان يعمل واحد منهم من اجل نفسه والآخرين سواء بسواء وإلا يكون هذا العمل رياء من جانب هذا (لكي يعمل في الرغبة لا في الرهبة) على حد ما يقول الإمام ثم يضحى بالقليل والكثير توفيراً لراحة الآخرين واطمئنان الخلق بعضهم لبعض وان تأتي هذه التضحية بمبادرة لا بعد سؤال ولا بعد قسر أو إجبار وكل ما من ذلك على صعيد مادي أو روحي

٢. يرى الإمام (عليه السلام) أن العدالة لا تأتي إلا عملاً ثم قولاً لأنَّ الإنسان يجب أن يكون واحداً كالحق الواحد وان يساند بعضه بعضاً ووفاء لهذه القاعدة فان قال فعل ومن تلك الروائع قول الإمام (يدعي بزعمه انه يرجو الله كذب والعظيم ما باله لا يتبين رجاءه في عمله فكل من رجا عرف رجاءه في عمله) أما إذا عملت خيراً فمن حَقك عند ذلك أن تقول «قل خيراً واعمل خيراً» .

٣. قبول توبة البشر قاعدة عمل بها الإمام في التوبة باباً يلجئ من جديد إلى عالم الخير إذا شاء وبذلك يقول الإمام:

«أقبل عذر من اعتذر إليك وأخر الشر ما استطعت»

ويعرف التاريخ كم لحق بالإمام (عليه السلام) من إساءات فهذا الإمام (عليه السلام) / يرسل إلى أبي موسى الأشعري: قائلاً «أما بعد فانك امرؤ خلقك الهوى واستدرجك الغرور فاستقل الله يقلك عثرتك فان من استقال الله أقاله» .

٤. إيمان الإمام (عليه السلام) المطلق بان فطرة الإنسان خيرة وعظيمة وقوى الخير تتداعى ويشد بعضها بعضاً شداً مكيناً فإذا وجد إنسان جانباً من الخير فلا بد من ارتباطه بجوانب

أخرى منه ولا بد من ظهور هذه الجوانب في عدة مناسبات حيث قال :-  
«إذا كان في رجل خلة لا ثقة فانتظروا أخواتها».

٥. التحذير من مجالسة الخلة السيئة «اطلب الخير عند أهله».

٦. المبادرة بالتعلق بمفهوم العدل والحقوق بان لا يقول المرء أن أحداً أولى مني بهذا الخير والحق (لا يقولنَّ أحدكم إن أحداً أولى بفعل الخير مني).

٧. عدم استكثار فعل الخير، كثيراً يقول الامام (عليه السلام) في اهل الحق (ولا يرتضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون).

٨. ان العدالة والانسان متلازمان فهذا الضمير الانساني ثقته بالعدل تجعله حكماً خيراً في كل ما يضر وما ينفع .

٩. الخطاب خطاباً نحو الضمير لان الضمائر تهذب الخلق خاصة في رعاية النظم العادلة وفي بث الحرارة في المعاملات بين الناس كما ان هذا التهذيب يطلب لذاته بما انه من القيم الانسانية كما هو الاساس والسياج لحماية العدالة الاجتماعية واسسها.

١٠. ايمان الامام بثورية الحياة وان الاحياء ممكن ان يصلحوا انفسهم ويمكن ان يكونوا اسبياد مصائرهم وهذا يستلزم على المؤمنين العمل على اساس الحق والعدل المطلق ليتحقق زجر كل من تصرف تصرفاً غير مسؤول يتوهم اصحابه انهم يستطيعون الوقوف معه في وجه المؤمنين .

١١. ايمان الامام بالتعليم وبالتطور .

حيث يقول: فانك اول ما خلقت جاهلاً ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الأمر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك)

وفي ذلك دلالة على ان الانسان يتعلم ويتطور للانتفاع .

١٢. الرعية مرآة للراعي .

ويقول الامام :- «وقلوب الرعية خزائن راعيها فما أودع فيها عدل أو جور وجدته فيها».

١٣: الحق أمانة والتفريط فيه خيانة .

ويقول الامام: والله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي

هوادة ولا تقرباً مني بارادة حتى أخذ الحق منهما وأزِيل الباطل عن مظلمتهما.

١٤. وجوب اتباع الحق واهله ويقول الامام - أتبعوا الحق واهله حيث كانوا.

## ثانياً: الامام والعدالة الادارية:

ان العدل يبلغ في ميزان الله ان يكون قرين الوحدانية وان الظلم في شريعة الله سبحانه يبلغ قرين الشرك ومن ثم كان الظلم في بعض حالاته مستقلاً لكل شرعية عن أي نظام .  
ان الله سبحانه هو (العدل) وقد نزلت كلمات الله سبحانه تبين ذلك (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته).

وكانت أوامره ان تقام شريعته بين الناس بالعدل (واذا حكتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) واساس عظمة شرع الله ان يقام بالعدل. ولتنفيذ الشريعة لا بد ان يكون العدل لان العدل مصدر والعدل في مرحلة التشريع و في مرحلة التنفيذ يجب ان يكون لله ومن الله الذي اتصف به وكان احد اسمائه الحسنی لهذا ايقن الامام (عليه السلام) ان العدل الذي يجب ان يكون في صورة الاسلام الخالد لا يميل مع الرابة ولا يحيف مع الشنتان (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين )

وقوله سبحانه ولا يجرمكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى) إذ ان الشريعة قد جاءت لتحريم الظلم بكل صورته وقد جاء قوله صريحاً (اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) وعليه فان كان العدل واجباً والظلم محرماً فان مقاومة الظلم تكون واجبة اذ ان الظلم فتنة والسكوت عليه فتنة والواجب نصره المظلوم لتحقيق الشريعة المتوازنة وتضان الاعراض وتشر الطمأنينة والسكينة عندما يدخل العدل في المجال الاداري.

فبعد مقتل عثمان عام ٣٥ هـ اخذ المسلمون يلحون على الامام (عليه السلام) بالخلافة حتى وجد نفسه مجبراً عليها ووجد امامه أكبر مشكلة تواجه الدولة الاسلامية ومسؤوليته كخليفة مشكلة الفساد الاداري والمالي الذي كان سبباً رئيسياً في مقتل عثمان بصفة مباشرة فضلاً عن استغلال بني امية و على راسهم معاوية الظروف العامة لاهداف سياسية وبعزم و حزم الرجال كانت اولى خطوات الامام بهذا الصدد حيث قام مُقَرَّرًا عزل جميع ولاة عثمان واستبداهم بما يراه مناسباً

فارسل عثمان بن حنيف الى البصرة

وارسل عمارة بن شهاب الى الكوفة

وارسل عبيد الله بن عباس الى اليمن

وارسل سهل بن حنيف الى الشام

وقد كانت المفاجئة للامام (عليه السلام) للنتائج التي كانت في الولايات الاسلامية في ولاية البصرة كانوا منقسمين وفي ولاية الكوفة كانوا يفضلون عثمان فرجع عمار بن شهاب بعد تهديده بالقتل اما ولاية الشام فقد رجع سهل من تابوك مهدد بالقتل من معاوية وولاية مصر مضطربة والملاحظ ان التمرد الاداري الذي تزعمه المعارضين وعلى راسهم معاوية كان وراء صعوبة تطبيق النظم والاصلاحات الادارية ومع هذا رفض الامام التراجع ورفض ان يبيع دينه بدنياه او يجامل أحداً فقام غير متردد بانتزاع كافة الاملاك التي اقتطعها عثمان لاتباعه ومُرِيدِهِ واعاد تقسيم الخراج ومن خلال هذه الحركة الاصلاحية وهي تجريد عمال عثمان من مناصبهم وسحب الامتيازات وانتزاع الاملاك مع اعلان مبدأ المحاسبة.

وعلى ضوء هذه الاجراءات كانت ردود الفعل التالية:

١. قام عمال عثمان بالتنازل عن مناصبهم دون مقاومة.
٢. ظهور ظاهرة التحدي لدولة الخلافة من خلال ولاية الشام (معاوية).
٣. ظهور خليفة المسلمين الامام (عليه السلام) بشخصية قوية مسؤولة ويظهر ذلك من خلال التعميم الاداري الاتي:

\* انصفوا الناس من انفسكم .

\* لا تمنعوا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبه .

\* لا تضربن احداً سوطاً بمكان درهم .

\* لا تمس مال أحد من الناس قصداً ومعامداً .

\* لا تذخروا انفسكم نصيحة ولا الجند حسن سيرة .

ومن خلال هذا التعميم تتضح لنا الطريقة الفعالة للرقابة الادارية عند الامام (عليه السلام)

والخصمها بالنقاط التالية:

١. تمثل الامام العدل بنفسه كونه حاكماً مسلماً واعتبر ان كل شيء امانة حتى يلتقي الله

جلّ وعلا .

٢. كان حازماً ولا تؤخذه بالله لومة لائم ولا يجامل احداً بالحق .

٣. الحرص والعدالة في تقدير الخراج وتقسيمه وطرق جبايته .

٤. النظر في الشكاوى والعمل على انصافهم .

٥. تتبع ومراقبة سلوك الولاة والعمال .

٦. تلبية حاجات الناس .

٧. عدم الارهاب والتعذيب .

٩. حسن اختيار الجند.

وعليه بات أبو الحسن (عليه السلام) يأكل ويشرب من ماله الخاص وتعفف عن مال بيت المال فقد كان القدوة وان تألق عصره في مجال الاصلاحات حري بالباحثين ان يقفوا عندة وقفة اجلال وتكريم وخدمة لتلك الحقبة المزيينة بآل البيت الكرام .

### الخاتمة

خرجت آبا الحسن (عليه السلام) من الدنيا شهيداً وبذمة طاهرة وأصبحت أسطورة في تاريخ العدل والنزاهة والعفة والشرف ورسمت للتاريخ الإسلامي عزة وفخراً إذ انك جعلت لمال الله وللأمة وللمسؤولية وللإدارة معنى باستمرار الحياة الكريمة .  
وقد أسست الرقابة الإدارية والمالية نبعا صافياً من ضمير وأخلاق ووجدان الإنسان فهو الرقيب على نفسه قبل أن يكون عليه رقيب من الدولة. وهذه أسس وسائل الأمن في المجتمع المسلم .

حيث حدد الإمام (عليه السلام)، إن وظائف المال عند المسلم لا تخرج عن ثلاث :-

١. الكسب من مصادر الحلال والإنفاق على الأهل والأنفس من غير معصية الله .

٢. الإنفاق على ما تتطلبه العبادات والالتزامات الدينية الأخرى مثل الزكاة والصدقات وتكاليف الحج وغيرها .

٣. المساهمة في بناء المجتمع .

فالثورة والانقلاب والتجديد قد طبقتها أيها الإمام في أصعب الظروف وأحلكها .

وفي الختام إن الكلمات هذه لا تنفي الإمام حقه أبداً وأبداً وسأقوم بإذن الله سبحانه بإجراء

دراسة وافية وكبيرة عن الإمام ورؤيته في شتى المجالات .

أني أشكر الاخوة القائمين على المؤتمر باختيارهم هذه المواضيع الهامة .

لان فيها تقدير وتعظيم أهل البيت الكرام .

وجزاكم الله خيراً

الدكتور محمد القيسي

أستاذ مشارك / الجامعات الأردنية

## الفهارس

قبسات من كلام الإمام .....	٢٤٩
الإهداء .....	٢٥٠
التمهيد .....	٢٥٢
نسب الإمام .....	٢٥٤
منزلة الإمام .....	٢٥٥
مفهوم العدالة .....	٢٥٧
العدالة .....	٢٥٧
العدالة ورؤية الإمام .....	٢٥٨
العدالة والمسؤولية .....	٢٦٢
شروط الإمام العادل .....	٢٦٣
نظرية الإمام لمشروع تطبيق العدالة .....	٢٦٨
الإمام والعدالة الإدارية .....	٢٧٠
الخاتمة .....	٢٧٢





## العدالة الاجتماعية عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

إعداد الدكتور عاطف حميد عواد

لبنان

يعتبر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من الأفضال النادرين الذين محور عظمتهم إنما هو الإيمان المطلق لكرامة الإنسان وحقه المقدس في الحياة الحرة الشريفة، وبأن هذا الإنسان متطور أبداً، وبأن الجمود والتقهقر عند حال من أحوال الماضي أو الحاضر ليست إلا نذير الموت و دليل الفناء.

فقليل جداً من عظماء التاريخ الأقدمين هم الذين يبدرون مثل هذه القاعدة الأصل من قواعد التطور، وكان علياً ينزع بها لسان الطبيعة و قلب الحياة: «لا تُسرروا أولادكم على أخلاقكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم».

ويلقون في النفس مثل هذه القاعدة العظيمة التي تطال المسلك الإنمائي بكامله فتوجه كل نشاط و تراقب كل عمل: «من اعتدل يومه فهو مغبون».

و ما يريد بذلك إلا التصريح بأن الغبن لا يلحق الجماعة من الناس إلا إذا استوى حاضرهم و أمسهم، وبأن الغنم هو أن يكون حاضرهم خيراً من يومهم و لا يتم ذلك إلا بالانسحاق مع تيار الحياة الذي لا يهدأ و هو يؤكد أن موازين العدالة الكونية تنبثق عن نفسها و تقوم، مكتشفة بنور العبقريّة أن «من أساء خلقه عذب» وهو القائل (عليه السلام):

«لكل إنسان نظير في الخلق» و «أن الناس أسوء» و «أن الاحتكار جريمة» و «أنه ما جاع فقير إلا بما متع به غني» و أن «الذنب الذي لا يغتفر هو ظلم العباد بعضهم لبعض» ثم راحوا يخلقون القوانين و يظمون الدساتير على أساس هذا الوعي الكريم.

و قليل جداً من عظماء التاريخ الأقدمين هم الذين عاشوا هذه المبادئ الأصول

جميعاً و جلوها وأقاموا عليها مذاهب فكرية المستقل بعضها عن بعض الى اقامة البناء الواحد ذي القواعد والأركان.

وهو الذي قال لأحد ولاته أنه يقسم بالله صادقاً إن هو خان من مال الشعب شيئاً صغيراً أو كبيراً ليشدُنَّ عليه شدةٌ تدَّعهُ قليل الوفْرِ، ثقيل الظهرِ، ضئيل الأمرِ ويخاطب آخر هذا القول الموجز الرائع الإيجاز: « بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فأرفع إلي حسابك» و يتوعد ثالثاً ممن يرتشون و يسعون في الإثراء على حساب المستضعفين، يقول: « فاتق الله وأردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربتُ به أحداً إلا و دخل النار».

وهو الذي كان أميراً على زمانه و مكانه يطحن لنفسه فيأكل ما يطحن خبزاً يابساً يكسره على ركبته، ويرقع خفه بيديه، ولا يكتز من دنياه كثيراً أو قليلاً على ما مر، لأن همة ليس إلا أن يكون للمستضعف و المظلوم و الفقير ينصفهم من المستغلين و المحتكرين و يمسك عليه الحياة و كريم العيش؛ فما يعنيه أن يشيع ويرتوي و ينام هاتناً و في الأرض « من لا طمع له في القرص» وفيها « بطون غرثي وأكباد حرّى» قائلاً، ويا لشرف القول: «أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين و لا أشاركهم مكاره الدهر؟» و لأنَّ أقل ما في هذه الدنيا شأناً هو خير عنده من ولاية الناس إن لم يقيم حقاً و يزهق باطلاً؟ إن تاريخ العدالة يقرر أنه (عليه السلام) في مواطن العدالة، عظيماً ما كان إلا على حق ولو تألب عليه الخلق في أقاليم الأرض جميعاً و ما كان عدوه إلا على باطل و لو ملأ السهل و الجبل. لأن العدالة فيه ليست مذهباً مكتسباً و إن أصبحت في نهجه مذهباً فيما بعد؛ و ليست خطة أوضحتها سياسة الدولة و إن كان الجانب من مفاهيمها لديه؛ و ليست طريقاً يسلكها عن عمد فتوصله من أهل المجتمع إلى مكان الصدارة و إن هو سلكها فأوصلته إلى قلوب الطيبين، بل لأنها في بنيانه الأخلاقي و الأدبي أصل يتخذ بأصول، و طبع لا يمكنه أن يجوز ذاته فيخرج عليها، حتى لو كانت هذه العدالة مادة ركب منها بنيانه الجسماني نفسه في جملة ما ركب منه، فإذا هي دم في دمه و روح في روحه .

«ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتم أكلهم فانهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق! أعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه و صفحه، ولا تتدمن على عفوي و لا تبجحن بعقوبة!» ثم يقول له:

«وأمنع من احتكار» وتشديد عليّ في منع الاحتكار كان من الأسباب البعيدة في ما كان من أمره وأمر معاوية وأنصاره فهؤلاء يريدون الملك والمال والمغانم لأنفسهم وعلّيّ يريدونها جميعاً للشعب .

و جاء في وصيته للحسن والحسين: « قولوا الحق، وكونا للظالم خصماً و للمظلوم عوناً».

وأوصاهما بأن يكونا للظالم خصماً و لو كان من ذويهما. وأن يكونا للمظلوم عوناً و لو كان من أقاصي الأرض! و لظالما سعى عليّ في تحطيم الظالمين و في رفع الحيف عن المستضعفين: و سعى لذلك بقلبه و لسانه و حسامه و دمه! و كان لا يُسائر في هذا السبيل و لا يهادن و لو فقد حياته!

و ليس غريباً أن يكون علي (عليه السلام) أعدل الناس، بل الغريب أن لا يكونه! و أخبار عليّ في عدله تراث يشرف المكانة الإنسانية و الروح الإنساني.

للأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حقوق الإنسان و غاية المجتمع أصول و آراء تمتد لها في الأرض جذور و تعلوها فروع. أما العلوم الاجتماعية الحديثة فما كانت إلا لتؤيد معظم هذه الآراء و هذه الأصول .

و كان لعلي بن أبي طالب في تاريخ حقوق الإنسان شأن و آراؤه فيها تتصل اتصالاً كثيراً بالإسلام يومذاك و هي تدور على محور من رفع الاستبداد و القضاء على التفاوت الطبقي بين الناس و من عرف عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) و موفقه من قضايا المجتمع، أدرك أنه السيف المسلط على رقاب المستبدين الطغاة. و أنه الساعي في تركيز العدالة الاجتماعية بآرائه و أدبه و حكومته و سياسته، و بكل موقف له ممن يتجاوز الحقوق العامة إلى امتهان الجماعة و الاستهتار بمصالحها و تأسيس الأمجاد المتعبة.

نضجت في ذهن الأمام القوي، فكرة العدالة الاجتماعية على أساس من حقوق الجماعة التي لا بد أن تنتهي بإزالة الفروق الهائلة بين الطبقات التي يتخمر ثريها و أميرها و يضوي فقيرها و صغيرها. فكان صوته في معركة العدالة الاجتماعية هذه مدوياً أبداً و سوطه عاملاً أبداً، و دفاعه عن قيم الإنسان عظيماً أبداً، شديداً لا هوادة فيه و لالين. كان في حكومته المثل الأعلى للحاكم الواعي لحقوق الإنسان في تلك الحقبة من تاريخ البشر. العامل على تنفيذ منطوقها بكافة ما لديه من وسائل. و لم يكن في ذهن الإمام ما هو أوضح - عليّ و ضوح الأشياء جميعاً فيه - من واقع المجتمع في زمانه كيف يكون و

على أي أساس من الغبن الاجتماعي يقوم ثم كيف يجب أن يكون وإلى أي مدى يأذن الزمان بتطويره، ولم يكن في إرادة الإمام - علي ما فيها من الدوافع إلى الخير - ما يشغلها أكثر مما يشغلها السعي في هذا التطوير. ولم يكن في المغريات جميعاً ما يجنح بهذه الإرادة عن هذا السعي. ولا في المؤتمرات ما يكبت فيها قوة الانطلاق إلى العمل والإجادة فيه فليس هنالك ما هو أحب علي قلب الإمام من أن يقيم حقاً ويزهق باطلاً على أساس لا يتزعزع من رأيه في الحق والباطل وموضوعاتهما. وكان صدقه في التفكير والشعور، ثم إخلاصه في تطبيق ما يفكر به ويشعر، سببين في ألا يعطي فكرة غامضة في شأن من الشؤون العامة. وفي ألا يقف متراجعاً أمام امتهان الولاية والعمال الأقرباء للجماهير والمستضعفين خصوصاً وأما الافتراءات على سلطان الحق واقعاً ما وقع تدبيره من هوى الأخصام والأنصار. وذلك تقريراً لحقوق الإنسان الطبيعية في العيش الكريم وفي الحياة الخيرة لا تشطر الناس شطرين فترخي عليهم ستارين مختلفين: أسود موجعاً وأبيض ضاحكاً!

كانت قاعدة الأرسقراطيين النبلاء في أواخر خلافة عثمان، ولا سيما الأمويين منهم، أن يخرج معظمهم على سنن الإسلام في طلب العدالة والمساواة في الحقوق. وأن يذلوا الجماهير ويستعبدوها ويلقوا في صفوفها الخوف من الحاكم والذعر حتى من المثل بين يديه. وأن يهدروا دماءها كما يهدرون حقوقها إذا وقع ذلك في نفوسهم موقعاً حسناً. وألا يعفوا عن الرشوة وما إليها، ثم يبعثوا عن أنفسهم إرهابات تنبئ بما هم ساعون فيه أو مقبلون عليه من تخضيب راياتهم بدماء الذمم والحقوق العامة وتحويل الخلافة إلى ملك، وديمقراطية الإسلام إلى عنجهية حكم فردي. وبات هؤلاء بين صلابة الإمام علي في العدالة الاجتماعية وبين مطامعهم في الرئاسة والمال، يسلكون مسلك المقامرين يترقبون مفاجات الربح والمغرم بين حين وحين.

ولما كانت قاعدة أولئك القوم هذا الفيض من المطمع المنحرف وهذا الأسلوب في التربص بالعدالة الاجتماعية للتركيز من جديد على قواعد من الوثنية السياسية والوثنية الاجتماعية، كان ابن أبي طالب أمام تجربة قاسية، غاية في القسوة، تتشابه عناصرها وتداخل، وتفرض عليه موقفاً هو من الصعوبة بحيث يتعسر على صاحبه مداراة الأزمة والخروج منها والعصر عصر اضطراب وقلق وأحداث رهيبه.

وهو من الخطورة بحيث يترتب عليه، إلى حد بعيد، مصير الخلافة وإسلام و ما

يستوجبانه في الناس من فضائل خلقية و عدالة اجتماعية. وهو من الدقة بحيث يكون المحك لشخصية صاحبه و حقيقة مواهبه في الوفاء للحقوق العامة، و مضاء عزيمته في إشاعة الفضائل الفردية و الاجتماعية، وطاقته على الصبر و الصمود.

نظرة عليّ إلى الوجود نظرة لا يتعطل فيها حد من حدود العقل و القلب و الجسد، ولا يطنى فيها تأمل الإنسان في الكون و الاندماج في كمالته، وعلی النظر في حقوق الإنسان المرتبط بالأرض ارتباط عيش و بقاء. أو علی النظر في حقوق الجماعة المتعاونة المتكافلة في سبيل البقاء و ما يقتضيه من مقومات .

و إن رغبة عليّ الصادقة في الارتفاع بالمسلك الإنساني، وفي تربية العقل و القلب و الضمير، و في تصفية الدخائل و إشاعة الفضائل الروحية فيها، وهي التي حملته على أن يبدأ، قبل الخلافة و بعدها، و من نقطة انطلاق معينة في بنائه الخلقى و الاجتماعي السليم و أعني بها: تيسير الخبز و الماء و المسكن و الكساء لهذا الإنسان الذي يريده في ذروة الخلق الكريم. أو قل تيسير آلة العيش للإنسان الذي يدعوه لصفاء الروح !

فلا يستطيع إعجاباً بروعة الوجود و لا شعوراً بجمال الخلق و قيمة الحياة، و لا يفرغ لإنماء المعاني الإنسانية الشريفة في القلب و الوجدان، ذاك العامل الذي يعمل - أياً كان نوع العمل - و لا يقبض أجراً مع جهده بل يأكل أجره محتكراً ثري و قح المطمح و الهوى ! و لا يستطيع إعجاباً بروعة الوجود و لا شعوراً بجمال الخلق و قيمة الحياة و لا يفرغ لإنماء المعاني الإنسانية الشريفة في القلب و الوجدان، ذاك المواطن المضطهد الذي يتلقى السياط الموجهة من «نبيل» أقام نفسه عليه أميراً فأتخّم حيثُ جاع، و أثري حيثُ فقدت القوتَ الضروري. أو من حاكم جاء ليكون له خادماً فإذا هو الناهب السالب المحيي المميت بغير حساب !

و لا يستطيع أن يكون رجلاً واثقاً بجمال الحياة، مؤمناً بعدالة الخلق، ناصحاً لأخيه محباً لقريبه، ذاك الذي يضح في معدته سعير الجوع فيمتنص من جسمه دم الحياة و يطنىء في روحه لهب الإيمان و يحول الحب إلى أحقاد عمقيه، وطمأنينة خاطر و صفاء الروح إلى ظنون سوداء و مخاوف مقبئة!

لا يستطيع أن يحب فيسمو به الحب، ذاك الذي تقيده أغلال ثقيلة من الشعور بالدونية و التعبية و زراية الذات، هو شعور يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحاجة و العوز. لا يستطيع أن يكون فاضلاً، ذاك الذي يحتاج إلى الرغيف! فالرغيف لجميع الطبقات

هو أداة السلام الأولى. وهو عدة الاستقرار والنظام والآلة التي تعد الإنسان لأن يفكر و يحس و يقيم علاقاته بالناس على أساس صحيح. ورفع العوز هو السلم التي يصعد على دراجاتها الشعب من المهبط الذي رناه فيه الحرمان والكبت، وحجر فيه على أحاسيسه الشريفة، وجعل السواد الأعظم فيه يشعرون بأنهم غرباء عن الأرض، وعن بلادهم، وعن أنفسهم، وعن العمل الفاضل المفيد. ورفع العوز وحده يقضي على التبعية و على الشعور بالدونية، و على الانحدار إلى أتون الأحقاد.

وهو القائل (عليه السلام): «الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلاء والنار» و يثبت من يعمل و يأمر له بما يحفظ له كرامة العيش. و يرغب في ألا يكون على وجه الأرض معوز او فقير. وكان، حين يجيئه الفيء، و يوزعه بين أصحابه و يرحىء أبنته فاطمة و يقول: «حتى يكتفى الناس أولاً» و يروي الشعبي أنه دخل الرحبة في الكوفة و هو غلام في غلمان فإذا هو بعلي بن أبي طالب قائماً على صرّتين من ذهب و فضة. إذا بعلي (عليه السلام) يقسم المال بين الناس حتى لم يبق منه شيء، ثم إنصرف و لم يحمل إلى بيته قليلاً أو كثيراً.

ولكن علياً (عليه السلام) الذي لم يحمل إلى بيته من المال شيئاً، وهو الذي يخاطب كلاً من الناس قائلاً له: «إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً».

مسلك الحق في نظر علي (عليه السلام) لا يؤدي إلى ما هو أجل و أعظم من رفع الحاجة عن

الناس .

وله في ذلك قول صريح لا يحتمل تأويلاً: «لو سلكتم الحق من نهجه لابتهجت بكم السبل و ما عال فيكم عائل - أي افتقر فيكم فقيراً!».

وهو إذا هاجم عرب الجاهلية هاجم فيهم قناعتهم وزهد العيش قائلاً:

«أنتم، معشر العرب، منيخون بين حجارة خش، تشربون الكدر و تأكلون الجث - أي الطعام الغليظ الفقير».

ويصرح علي أنه لا يأنف الطعام الشهوي الملبس الناعم و المسكن الغني .

ولكنه يأنفها و في الأرض قوم فقراء إلا يحظون بما يحظى به هو إن فعل .

وفي هذا التصريح دليل على أنه يرغب أول ما يرغب في أن يوفر للناس نصيباً كافياً من آلة العيش، وأنه مادام في الناس من لا عهد له بالشبع و لا مطمع له بالقرص، فعلى قائد هؤلاء الناس أن يحمل ما يحملون، و يعاني ما يعانون، حتى إذا زال شبح الفقر عنهم زال عنه، و إلا فما معنى القيادة و ما معنى الولاية؟ يقول علي:

«أنتع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين، ولا أشاركهم مكاره الدهر؟» وهكذا، فإن مكاره الدهر تعني عند علي: مساوىء الفقر.

وأنه لمن الطبيعي أن يبدأ علي من هنا وهو الذي يُلاحظ أن السياط الموجعة التي يضرب بها الله الناس، كثيرة، وهي أو واحداً منها لا يؤلم ويؤذي كهذا السوط المخيف و أعني: الفقر. أو ليس هو صاحب هذا القول الذي يكشف لك عن الإيمان العميق بضرورة رفع الحاجة، و عن الفهم الصحيح لأحوال الناس و طبائع الأشياء و مقدمات الأمور ونتائجها وأقول أليس هو صاحب هذه الكلمة:

« ما ضرب الله عباده بسوط أوجع من الفقرا! هذا الفقر الذي زينه بعض الزاهدين و دعوا إليه الناس. فأخطتوا وأساءوا عن قصد أو غير قصد.

والذي حاربه الإمام في الناس كما حاربه النبي، و كما حاربه النائر العظيم أبو ذر الغفاري رأس شيعة عليّ وضحية بني أمية وأسلوبهم في الحكم والسياسة؟ لقد أدرك علي (عليه السلام) أن الفقر يتحدى كل فضيلة حتى ليغدو آلة الكفر و الجحود.

لذلك راح يحارب الفقر في كل مجال و يأخذ السبيل عليه و يخزي كل من دعا إليه. فإذا كان المرء فطيناً «الفقر يخرس الفطن» في مذهب علي و إذا الوطن يريد أن يضم أبناء مخلصين محبين، لا أشتاتاً من الناس متحاسدين مبغضين يشعرون الغريب المستوحش، فعلى هذا الوطن ألا يدع بين أبنائه فقيراً لأن «الفقر غريب في بلده» كما يقول علي! وإذا كان الموت أبشع ما يلّم بالإنسان من أحداث و جوده فإنه - على لسان علي - دون الفقر بشاعة لأن «الفقر هو الموت الأكبر».

و ما أقدس هذا السوط يرفعه علي على الفقر و على الذين يزونه من المنافقين: فيأكلهم كما يأكل لهيب نار العصافة الخبيثة، و يحطم مكايدهم على عيونهم إذ يقول: « لو تمثل لي الفقر رجلاً لقتلته! ».

والمجتمع في نظر ابن أبي طالب جسد واحد لا يجوز أن يجمع المتناقضات و أن يقوم نظامه على التفاوت في الحقوق و الواجبات. و لا يجوز في مجتمع ابن أبي طالب أن يتخم عضو و يجوع آخر. و أن يعمل عضو و تجري المكافأة بالأرزاق لغير العامل. و على شدة اهتمام ابن أبي طالب بالسماء، فإن يوماً واحداً لم يمض عليه إلا و يشغله بالاهتمام بعباد الله على الأرض فلا يهمل من أمورهم يسيراً و هم أجمل نماذج الخلق الكامل، و ذلك تمشياً مع نظرتة العامة إلى الناس و الوجود، و وصلاً لسيرته بسيرة النبي الذي جاء على

لسانه القول: « وجعلنا الليل لباساً، وجعلنا النهار معاشاً» .

من هنا، وعلى هذا الأساس، اتجه الإمام علي إلى المجتمع يحيي قوانينه ويعمل لها و يريد لها صالحة خيرة. ثم يضع كلاً من النصح و السيف في موضعه تدعيماً لآرائه و تثبيتاً لموقفه من طبقات الناس في زمانه، وراح لا يعنى بشيء عنايته بتوطيد أركان العدالة الاجتماعية، أو ليس هو القائل لمهنته بالولاية فيما بعد، وقد دخلوا عليه فإذا هو يرفأ نعله بيديه: « إن هذا النعل هو خير عندي من ولايتكم هذه إن لم أقم حقاً أو أزهق باطلاً»

أما العاملون للآخرة، فإن الإمام يريد منهم أن يتوسلوا لتعيمها بخدمة الجماعة قبل غيرها من الوسائل. لذلك جعل الإمام خير الآخرة، لمن يريده، منوطاً بالعمل في الناس عملاً مستقيماً. وفي طليعة هذا العمل: المساهمة في توفير الخبز و الماء و الكساء للمجموعة البشرية، في رفع الحاجة عن العامة و محاربة الظالمين و إغاثة المظلومين، ثم في إعلان حقوق الناس و الدفاع عنها.

و قد بلغ به اهتمامه بحياة الناس على الأرض، قبل الآخرة، وخبزهم اليومي، أنه كان يفتدى فجر كل نهار و يطوف في أسواق الكوفة و هو خليفة و يقف على أهل كل سوق و ينادي قائلاً:

( يا معشر التجار، اتقوا الله، واقربوا من المبتاعين، و تزيناوا بالحلم، و تناهوا عن اليمين، و جانبوا الكذب، و تجافوا عن الظلم، و انصفوا المظلومين، و أوفوا المظلومين، و أوفوا الكيل و الميزان، و لا تبخسوا الناس أشياءهم، و لا تعيشوا في الأرض مفسدين! )

و روي عن نوف البكالي أنه قال :

«أتيت أمير المؤمنين و هو في مسجد الكوفة فقلت: عليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال و عليك السلام يا نوف ورحمة الله وبركاته».

فقلت له:

يا أمير المؤمنين، عظني، فقال: احسن إلى الناس يحسن الله إليك.  
فقلت: زدني يا أمير المؤمنين، فقال: يا نوف، إن سرك أن تكون معي يوم القيامة فلا تكون للظالمين معيناً»

فخدمة الإنسان، و رفع الحاجة، و تحطيم الظالم، هي نقطة الانطلاق في سياسة ابن أبي

طالب! و قد نظر إليه النبي مرة و قال له :



«يا علي! إن الله قد زينك بأحب زينة لديه: وهب لك حب المستضعفين فجعلك ترضى بهم اتباعاً ويرضون بك إماماً»

لقد حرر علي نفسه مما قيد به ولاة زمانه من أغلال الإشادة بالحسب والنسب! وحرر نفسه من المطمع في الملك و المال و الجاه و الكبر و الإستعلاء! و حرَّر نفسه من العرف إن لم يدُر في نطاق العقل السليم و الحاجة الاجتماعية و الشوق الإنساني الخيرا و حررها من تخصيص ذويه و محبيه بما ينفعهم دون سواهم، و من الحقد على خصومه و الانتقام من مبغضيه! و حرَّر ضميره من مناخاة عمل لا يثق بصلاحه أو قول لا يرضاه، فكان الضمير العملاق! ثم حرر جسده من شهوة المأكل و المشرب و الملبس و المسكن إلا ما كان من الضرورات من بيت المال العام على حقه في الحصول على نصيب منه كبعض عماله و وولاته على الأقل. فتحدثنا الرواية الثابتة أنه باع سيفه و درعه و أمتعته ليأكل و بنيه بأثمانها، فيما كان يوسع على العُمَّال و الولاة كي لا يضطروا إلى قبول الرشوة مما يؤدي إلى ظلم الحق و مسaire الباطل!

حرر الإمام علي نفسه من هذه الأمور جميعاً لئتم له أن يتفكَّت من كل قيد يحول بينه و بين العدل على الصديق و العدو معاً. و يوجز، هو نفسه، حالته هذه بقوله «من ترك الشهوات كان حراً».

أما تقواه فما كانت إلا تقوى الأحرار، يؤمنون فيعملون بوحى ما يؤمنون به لا تظاهر هناك ولا موارد! لا خشية من عقاب و لا طمع في ثواب! أما ضمان الحرية للناس، فيقوم في الدرجة الأولى على العمل. وقد أنزل الإمام الجسد العامل من الأرض منزلة القلب الكريم من الجنة فقال في الطيبين «قلوبهم في الجنان و أجسادهم في العمل» و يقوم نفع العمل بإثابة العامل بما يعمل.

ولما كانت شخصية علي بن أبي طالب من التماسك الشديد بحيث تتساقق منبثقاتها جميعاً و تتعاون، بحيث تتحد في أصلها الأصيل و غايتها الأخيرة. فإننا لا شك نجد هذا المفهوم للحرية.

أما إذا لم نلاحظ الصلة الوثيقة بين معنى، أو عمل من أعماله، و بين هذا المفهوم للحرية، فما علينا إلا نعيد النظر من جديد في ما نحن بصدده. حيث أننا أمام هذه الصلة الوثيقة وجهاً لوجه.

فعلي بن أبي طالب (عليه السلام) من تماسك الشخصية بحيث لا يتناقض أبداً و هو من

سلامة الطبع وأصالة الفكر بحيث لا يتعارض .

إن الحرية بمفاهيمها الواسعة هي مصدر الأصالة في حكومة علي، وفي سياسته. وأنها لديه مرتبطة بعلاقات أبناء المجتمع بعضهم ببعض بقدر ما هي مرتبطة بالضمير والوجدان. ثم أن الإنسان الصاعد في طريق التعاون والتآخي، ولا يمكنه هذا الصعود إن لم يكن حراً بجانبه الذاتي والاجتماعي.

فليس حراً ذلك الذي لا يصفو ضميره من الشوائب التي تحط بالقدر الإنساني، وليس حراً ذلك الذي يهمله المجتمع وإن أقر بحقوقه، أو ببعضها، إقراراً نظرياً.

في سبيل هذا البناء في الفرد وفي الجماعة، وقف علي من محبيه ومبغضيه على سواء موقف المصمم العازم لا يقهر مطمع في غير الحق ولا زعزعه عما هو عليه وعد أو وعيد. وكان يعلم حق العلم أن ذلك ثقل على بعض الناس فيقول: «إن أمرنا صعب مستصعب». وكان يعلم حق العلم أيضاً أن ذلك ثقل على الولاة خاصة فيقول «الحق ثقل على الولاة... وكل حق ثقل!»

ولكن سواء عند ابن أبي طالب أثقل الحق على الولاة والوجهاء أو خف فإن عقله وضميره جميعاً يأمران وما لغيرهما شأنٌ لديه. وهما يأمران بالأب يهمل الظالمون إلى العدل الاجتماعي وألا يهون على المشتري والحاكم أمرهم فيعانوا من الحاجة ما يبذلهم فيلصقهم بالأرض، ويقاسوا من الجوع ما يجف به حلقوهم وتستعر أجوافهم، ويحرقوا بُح الهجير أحة الليل، أيموتوا تحت سوط الرياح في زهير الشتاء! وهما يأمران بالأب تترك خيرات الأرض بين أيدي المتخمين والمترهلين الآكلين على شبع والشاربين على غير ظمأ، المتبذخين بأموال العامة على غير جهد وغير بلاء! أولئك الذين أخذوا الدنيا كما يأخذ الفيل إذ يكتفي من دنياه بقرض عشب لم يزرعه، وشرب ماء لم يحفر ينابيعه، والاستراحة في الظل بعد استراحة لم يسبقها عناء!

وقد صدق ظنُّ ابن أبي طالب في أن النافذين والوجهاء من القوم لن يتحملوا أسلوبه في الولاية ولن يطبقوا صلابته في الدفاع عن الأسلوب، على نحو ما أعلن قبل البيعة. فقد أراد، بعد البيعة، أن يكون لهم دون العامة، فأبى أن يكون لغير الحق .

وقد يغتفر علي للمجرمين بعض ما أجزموا. وللظالمين بعض ما أظلموا غير أنه لا يغتفر جريمة الاحتكار ونهب أموال الشعب. ولا يغتفر لطبقة المحتكرين أن يظلموا العامل والكادح والمستضعف وبخبرهم ومائهم. وإن الظلم بألوانه جميعاً لعنة على لسان

ابن أبي طالب. غير أن أفحشه هو ظلم القوي، والمحتكر للعامة. والحاكم للمحكوم. وعلي لا يتسامح بمثل هذا الظلم الذي يخلق في المجتمع الطبقيّة المادية، وردائلها وجرائمها. الأدلة التي تقيم الحجة الصريحة على المستغلين و الغاصبين في أدب علي (عليه السلام)، كثيرة وافية. فأنى اتجهنا في « نهج البلاغة » نحس تلك الحرقة التي تلهب أقوال علي (عليه السلام)، ساعة يتحدث عن الاستغلال والغصب، ويكاد يتحدث عنهما في كل خطبة وفي كل مقام، وفي أقواله (عليه السلام) جميعاً ما يدل على أنه واثق بأن الغصب جريمة اجتماعية والمستغل مجرم أيّاً كان. وأن جمع المال من غير طريقه الطبيعية إنما له تبعات جسام تلزم صاحبها على كل حال .

إليك ما يقوله علي (عليه السلام) في إحدى خطبه وكان يتحدث عن جامع المال: «ويتذكر أموالاً جمعها وأغمض في مطالبها - أي لم يفرق بين حلال وحرام - وأخذها من مصرحتها ومشتبهاتها، وقد لزمته تبعات جمعها!» أما كسب الحلال الذي لا بد فيه لاستغلال أو إحتكار، فيقول علي (عليه السلام) في صاحبه: «من مات من كسب الحلال مات واللّه راض عنه!».

لذلك عزم عليّ على أن يدك ما ارتفع في العهد السابق من حصون الاحتكار و استغلال النفوذ ونهب الأرزاق و سائر ما شيده أولئك الأثرياء الذين يقول في أمثالهم: « وأما الأغنياء من مترفة الأمم فتعصبوا الآثار مواقع النعم». فخطب الناس يقول:

« ألا إن كل قطعة أقطعها عثمان: وكل ما أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء و فرق في البلدان لرددته. فإن العدل في سعة. ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيّق!».

قد يعدل بعض الولاة و أصحاب السلطان فلا يشيرون على غير جهد، ولا يبذرون مال الشعب بإرادة متقرب أو قريب، أو بإشارة صديق أو حبيب. أما أن يعود والٍ إلى من أيسروا في عسر الشعب، في أيام لم تكن أيامه، فيحاسبهم .

فيستعيد منهم ما ليس لهم، فتلك دلالة صريحة على عمق نظرتة إلى الأمور، وعلي أن إيمانه بالعدالة الاجتماعية ليس ما يتيسر لجميع الناس من الإيمان .

بل أنه موطن عليّ دعائم من العقل الرجيح الذي لا تفوته خفايا الأمور ولا يطغى عليه

هذه الحقوق العامة يوصي بها علي، ويرعاها، ويحصر في رعايتها معنى الولاية، ثم إنه على ضوءها يثبت عاملاً ويعزل آخر. وتتسع مفاهيم هذه الحقوق عنده وتتشعب، غير أنها تلقي جميعاً في نطاق حصين من رفع الحاجة عن العامة و ألا يكون فيهم من يجوع فتهان كلمة الجنس الإنساني .

ولا بأس أن تجاز القوانين لرفع هذه الحاجة، إذا لم يكن في تطبيق القانون ما يكفي لرفعها. كما أن العبادة في مذهب عليّ ليس من شأنها أن تجعل الإنسان متنكراً للحياة العامة، وكما أن الدين هو المعاملة، وسلامة العقيدة هي سلامة المسلك، فكذلك لا بد أن تسخر الأنظمة والقوانين لتيسير الحاجات المادية الكافية ورفع الحاجة عنها حتى لا يهون المرء على نفسه ولا تهون عليه دنياه. ورفع الحاجة عن الشعب واجب على المتشرع والحاكم لا منة. وهو بالنسبة للشعب حق لا سؤال. وقد شدد علي (عليه السلام) في ذلك حتى قل أن تجد له كلاماً أو وصية أو عهداً إلا ويملاه ما قرره من هذا الحق على العمال والولاة .

وقد يضطر عليّ إلى تهديد هؤلاء الولاة بأشد العقوبات إذا هم خانوا من مال الشعب شيئاً صغيراً أو كبيراً. وقد يبلغ التوجع في نفسه مبلغاً عظيماً إذا أدركه أحدهم بأن والياً أو عاملاً بات على غضب أو احتكار. فإذا به يوجه إليه قولاً تملأه عصبية الحق و ثورة العدل.

بعث إلى بعض عماله يقول:

«بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك فأرفع إلي

حسابك!» .

وأوصيك خيراً بقوله: «فأرفع حسابك» فوراءه إيمانه المطلق بضرورة الإنصاف حتى أنه لا يرى مكاناً للإطالة والتعليل والإمهال. وهذا الإيمان الذي يجمع، في ومضة خاطفة الفهم العميق لواقع المجتمع المتأرجح بين حق مهضوم وآخر مطلوب ؛ إلى إدراك ما قد ينجم عن ذلك من انهيار خلقي واجتماعي في الغاصب والمغصوب على السواء ؛ إلى الثقة الكاملة بضرورة إقامة العدل و ليقع هذا من نفوس الأعوان حيث وقع كل ذلك على عصبية تأتي فتغضب فتوجز قائلة

« فأرفع إلي حسابك!»

وعند ما بلغة أن عاملاً آخر يأكل ما تحت يديه من أموال العامة، بعث إليه علي عجل

يقول :

«فاتق الله و اردد إلى هؤلاء أموالهم. فإنك إن لم تفعل ثم أمكني الله منك لأغزرن إلى الله فيك و الله لو أن الحسن و الحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لها عندي هودة، و لا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منها، و أزيل الباطل عن مظلمتها».

و أرسل علي (عليه السلام) رجلاً يدعى «سعد» إلى زياد بن أبيه يأمره بأن يحمل إلى بيت المال ما عنده منه. و كان قد بلغه أن زياداً يتقلب في النعيم يستأثر به على الضعيف و الفقير و الأرملة و اليتيم. و أنه يتظاهر و هو عنها بعيد. فلما كان الرسول عند زياد ألح عليه، تجبر زياد و تكبر و نهره، فكتب إليه عليّ يقول:

«إن سعداً ذكر لي أنك شتمت ظالماً و أجبتة تجبراً و تكبراً، و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «الكبرياء و العظمة لله». فمن تكبر سخط الله عليه. و أخبرني أنك مستكثر من الألوان في الطعام. و أنك تدهن كل يوم. فإذا عليك لو صمت أياماً و تصدقت ببعض ما عندك محتسباً، و أكلت طعامك في مرة مراراً أو أطعمته فقيراً، أنطعم، أنت متقلب في النعيم تستأثر فيه على الجار المسكين و الضعيف و الفقير و الأرملة و اليتيم، أن يجب لك أجر الصالحين المستصدقين. و أخبرني أنك تتكلم كلام الأبرار و تعمل عمل الخاطئين. و إن كنت تفعل ذلك ففسك ظلمت و عملك أحببت الخ».

و يواصل علي (عليه السلام) مرة أوامره للولاية بكف الأيدي عن الغضب بكافة ألوانه، و يحارب الرشوة و هو يرى فيها أتفه ما يربط الحاكم بالمحكوم من علاقة، و أوهن صلة بين الحق و صاحبه. و يسمى الحكام الذين يقبلونها «أكلة الرشا». ثم يدرك إلى أي مدى من الفساد يقاد المجتمع بالفساد حتى إذا بلغه أن أحد أمراء الأجناد يرتشي، خلع له كتفيه بهذه الهزة العنيفة: «أما بعد، فإنما أهلك من كان قبلك أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه و أخذوهم بالباطل فاقتدوه».

و قد يدعى أحد الولاة إلى وليمة فيمضي إليها، فإذا بعلي يؤنبه أشد تأنيب، و يوبخه أعنف توبيخ! أفلا إقامة حق يريدون أن يرشوه بالدعوة و الحق يقام بدون رشوة؟ أم لا يزال الباطل منزلة الحق و ليس للوالي أن يفعل ذلك و لو أعطي سلطان الأرض؟! ثم، كيف يمضي إلى وليمة يدعى إليها الثري و يبعد عنها الفقير و المعوز، و في ذلك مظهر من مظاهر التفرقة بين الناس، ثم إشعار لهم بهذه التفرقة، مما يجرح بعض الخواطر، و يجرح قلب عليّ! أما حين يستقيم المجتمع، فليدع قوم و ليبع آخرون، فما في ذلك غيب!

ويشدد علي في تحريم أخذ الخراج من الشعب إذا لم يكن الشعب راضياً عن حالته الاقتصادية و عن ولاته و حكامه. فأصول الاجتماع، والقواعد الإنسانية، والمقاييس الأخلاقية، تحتم جميعاً أن يكون عطاء الشعب للدولة عن يسر لا عن عسر. فليُنظر الولاية في تحسين أحوال العامة. إذن، قبل أن ينظروا في الأخذ منهم، يقول علي لعماله علي الخراج :

«و لا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء و لا صيف. و لا رزقاً يأكلونه، و لا دابة يعملون عليها. و لا تضربن أحداً منهم سوطاً لمكان درهم. و لا تقمه علي رجله في طلب درهم. و لا تبع لأحد منهم غرضاً في شيء من الخراج. يصلح أهله. فإن في صلاحه و صلاحهم صلاحاً لمن سواهم. و لا صلاح لمن سواهم إلا بهم!» وهذه النظرة إلى أحوال الأرض و تراوحها بين العمارة و الخراب. و ترتيب صلاح الدولة على صلاح العامل و الفلاح، هي من الصحة و الدقة بحيث أن العلوم الاقتصادية و الاجتماعية تؤيدها اليوم، و قد انقضى علي عهد صاحبها قرون طوال !

و لكن، كيف يتاح لهذا الشعب أن يجهد في عمارة الأرض و يفجر منها الخير فيأمن الأفراد و الجماعات؟ لقد وضع علي (عليه السلام) لذلك قاعدة عامة هي من القواعد التي تقرها العلوم الاجتماعية الحديثة أيضاً!

رأى بعض المفكرين الأوائل أن عمارة الأرض تكون بأن يستخدم فيها الأرقاء و الأسرى و المستضعفون غصباً و قسراً. وإن هم رحموا فالأجورون من الناس ينتجون فينالون بعض الجزاء أما الجزاء الأوفى في شرع أولئك المفكرين فيذهب لطبقة تملك الأرض و تستغلها بغير جهد، هي طبقة أصحاب الجلالة و السمو و «الشرف» الرفيع و النبلاء و الأثرياء و أهل الأرستقراطية الفارغة و الفساد العريض و سائر المترهلين .

أما علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فتتوضح الأمور في عقله علي صورة رائعة! لقد أدرك أن الأرض ملك من يعمل فيها، و أنها لا يخربها إلا عوز أهلها و لا يعمرها إلا المستفيدون منها. فهم إما ذهب أتعابهم إلى أفواه الحكام و بطون المترفين و أكياس الولاية و جيوب المحتكرين، توانوا و أهملوا، و ابتأست حالهم و من حقهم ذلك! و إن هم ذهب أتعابهم إلى أولادهم، ثم إلى بيت مال الدولة التي تعنى، فعلاً بالمصالح العامة، أقبلوا على العمل و ثبتوا فيه، و انتعشت حالهم و انتعشت فيه الدولة.

إن رضا الشعب في نظر علي، هو المقياس الوحيد لصلاح النظام و صلاح الحاكم. أما

الضغط والقسر فهما من سوء التدبير. يقول علي (عليه السلام): «وإن أفضل قررة عين الولاية استقامة العدل في البلاد. و ظهور مودة الرعية، وأنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلا بقلّة استئثار دولهم!».

فإن علياً (عليه السلام) الذي يرى أن الفقر هو الموت الأكبر، وإن الفقير غريب في بلده، لا يريد أن يقطع الفقر والجوع بضمن من المنة المهينة و العطف الكاذب من جهة الحاكم. ولا بضمن من الخضوع و المذلة و المسكنة من جهة المحكوم.

لذلك يقرر هذه الحقيقة تعظيماً لكرامة الإنسان إذ يقول: «الجوع خيرٌ من ذل الخضوع!» فعلى المرء أن ينال حقه و نفسه في عافية لأن «شر الفقر فقر النفس!».

و كانت وصايا الإمام (عليه السلام) لعماله على الأوصار تتلاحق وفيها أوامر مشددة برفع كل حجز، و عدم استيفاء الضرائب من أهل الحاجة؛ ثم بمساعدة هؤلاء كي تقبل عليهم الأرض بالخير. فيما كان يأمر باستيفاء هذه الضرائب أضعافاً مضاعفة من الأغنياء كي يثري بين مال الجماعة لما يمكن تحقيقه من المساواة بين الناس!

من أقوال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

«ولئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه و بموضع الشجا من مساع ريقه. و لقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، و أصبحت أخاف ظلم رعيتي» و يقول (عليه السلام):

«أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه! و الله لا أطور به ما سمر سمير، و ما أم نجم في السماء نجماً».

وقوله (عليه السلام):

«أيها الناس، أعينوني على أنفسكم. و أيم الله لأنصِفَنَّ المظلوم من ظالمه، و لأقودَنَّ الظالم بخزائمه، حتى أورده منهل الحق و إن كان كارهاً».

ثم قوله (عليه السلام):

« فأعلم أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هدي و هدى فأقام سنة معلومة، و أمات بدعة مجهولة».

وقوله (عليه السلام):

«و أقدموا على الله مظلومين، و لا تقدموا عليه ظالمين».

ثم قوله (عليه السلام):

« الذي صدق في معياده، وأرتفع عن ظلم عبادته، قام بالقسط في خلقه، و عدل عليهم في حكمه».

وهذا قوله (عليه السلام):

« فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، و جرت على أدلاها السنن، فصلح بذلك الزمان، و طمع في بقاء الدولة، وريست مطامع الأعداء. وإذا غلبت الرعية واليهما، واجحف الوالي برعيته، واختلف هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدين، وتركت محاج السنن، فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، و لا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عن أهل البدرة، و لا تخالطوني بالمصانعة، و لا تظنوا بي استنقالاتاً في حق قيل لي، و لا التماس إعظام لنفسي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بها أثقل عليه. فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل».

وهذا قوله (عليه السلام):

« و الله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً، أو أجرّ في الأغلال مصفداً، احب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد و غاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفسي يسرع إلى البلى قفوها و يطول في الثرى حلوها؟!».

ثم قوله (عليه السلام):

« و ظلم الضعيف أفحش الظلم».

وقوله (عليه السلام):

« وإن البغي و الزور يوتغان المرء في دينه و دنياه، وبيديان خلله عند من يعيبه».

وقوله (عليه السلام):

« ثم أعلم يا مالك، أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور، و إن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنتظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السنة عبادته فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، و شح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت. وأشعر قلبك الرحمة للرعية و المحبة لهم، واللطف بهم، و لا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتمهم فإنيهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منه الزلل، أنصف الله وأنصف الناس من



نفسك، وخاصة أهلك، ومن لك فيه هوى رعبتك، فإنك إلا تفعل تظلم! ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خصمه الله وادحض حجته، وكان لله حرباً حتى يزغ أو يتوب».

وليس شيء أدعى إلى تغير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة عليّ ظلم، فإن الله سميعٌ دعوة المضطرين، وهو للظالمين بالمرصاد.

و ليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضي الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضي الخاصة، ولا حريصاً يزين لك السر بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله».

وقوله (عليه السلام):

« للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر القوم الظلمة».

ثم قوله (عليه السلام):

« وأفضل من ذلك كله، كلمة عدلٍ عند إمام جائر».

وقوله (عليه السلام):

«بئس الزاد إلى المعاد، العدوان على العباد».

وقوله (عليه السلام):

«يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم».

وهذا قوله (عليه السلام):

«وإن عملك ليس بطعمةٍ ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك ليس لك أن

تفتات في رعية، ولا تخاطر إلا بوثيقة».

ثم يقول (عليه السلام):

«فأخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وإسبط لهم وجهك، وآس بينهم في اللحظة و

المنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم».

وقوله (عليه السلام):

« ولو شئت لا هتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّو

لكن هيئات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة - ولعل في الحجاز أو

اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع - أو أبيت مُبْطِناً وحوالي بطون غرثي

وأكباد حرى أو أكون كما قال القائل:

«حسبك داءاً أن تبيت بسبطةٍ و حولك أكباد تحن إلى القد»

أقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوءَ لهم في جشوبة العيش» .

وقوله (عليه السلام):

«أما بعد، فإن حقاً على الوالي إلا يغيره على رعيته فضل ناله، وطول خص به وأن يزيده ما قسم الله له من نعمة دنواً من عباده، وعطفاً على إخوانه».

ومنه قوله (عليه السلام):

«أيها الناس، إن لي عليكم حقاً، ولكم علي حقٌ: فأما حقكم علي فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كي تعملوا، وأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم».

وهذا قوله (عليه السلام):

«فمن أتاه الله مالاً فليصل به القرابة، وليحسن منه الضيافة، وليفك به الأسير والعاني، و ليعط منه الفقير والغارم، وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب، فإن فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا، وأدرك فضائل الآخرة، إن شاء الله» .

وقوله (عليه السلام):

«يا كميل، مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، ويدلجوا في حاجة من هو نائم، فوالذي وسع سمعه الأصوات، ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً. فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل».

ختاماً يمكننا القول :

إن أية محاولة للإحاطة بالسيرة العظيمة الخالدة، للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في بحث صغير - كهذا - سوف لن تقدر على الإحاطة - مهما حاولت - وحسبنا أننا نحاول أن نكسب شرف المحاولة.

إن العدالة الاجتماعية لم تكن شعاراً في يوم من الأيام عند الإمام علي (عليه السلام)، بقدر ما كانت نهجاً وتطبيقاً، سجله التاريخ له .

وإن هذه الطائفة المختارة من أقواله وأحاديثه (عليه السلام) من نهج البلاغة وبعض الكتب

الأخرى، وقد تمت الاستعانة بها كدليل لا يحتاج لإثبات.

### المصادر و المراجع :

- ١ - نهج البلاغة - للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) - تحقيق: د. صبحي الصالح - دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط ١ - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- ٢ - الهادي إلى موضوعات نهج البلاغة - تصنيف: علي المشكيني - مؤسسة نهج البلاغة، طهران - إيران - محرم الحرام سنة ١٤٠٥ هـ .
- ٣ - الدليل على موضوعات نهج لبلاغة - علي انصاريان - طهران - ١٣٩٨ هـ .
- ٤ - الإمام علي - صوت العدالة الإنسانية - جورج جرداق - بيروت - منشورات دار مكتبة الحياة - ط ١٩٧٠ .



## العدالة والحرية في منظور الإمام علي (ع)

زهرة دشتي

### المقدمة

إن الحقيقة التي لا مناص منها، أن مجتمعاتنا الإسلامية تعاني من فراغ واسع في معرفة ماهية الفكر الاجتماعي الذي يتصل اتصالاً مباشراً بالعقيدة الإسلامية السمحاء، وما يتعلق بهذا الفكر الاجتماعي من مفاهيم الحرية، و الأخلاق الإسلامية للحاكم والمحكوم، والتي تعبر عن العدالة الاجتماعية و أي إنسان منا لا تصبو روحه للعدالة و تتجه فطرته لمبادئ الحرية و المساواة بل إن كثيراً من المجتمعات في الأزمنة السابقة قد تناحرت و تنازعت لتأمين الحرية و العدالة بين أركانها و كم من راع و مشرع شرع قوانين، هي في ظاهرها تدعو لمفاهيم الحرية، و المساواة، ولكنها تظل اجتهادات فردية لا تخرج من نطاق الفكر البشري القاصر المحدود.

إن مسألة الحرية من الأمور البديهية التي تحتاج إلى جدل منطقي، فكم شغلت عقول الناس جميعاً من الفلاسفة و غيرهم و منذ أقدم العصور، و كم تشعبت فيها الأقوال و تعددت.

فهي تتصل بفطرة الإنسان و روحه التي تصبو إلى التحرر من قيود الدنيا و استعباد الشهوات، لان الإنسان مجبول بالفطرة على الحرية و إنما نفس الإنسان إذا لم يروضها فكر اجتماعي مستمد من المنطق و الروح الإسلامية فإنها تنحرف عن الطريق و تنهج منهجاً يعارض مفهوم الحرية بجوهره فتتولد آفات المجتمع التي تكوّن مفاهيم أخرى خارج نهج الإسلام كالظلم، و التفرقة الاجتماعية، و من هنا تبرز أهمية الفكر الإسلامي في إحياء مفاهيم العدل و المواسة و الحرية بين المجتمعات.

إلا أن مجتمعاتنا وبعدها وصلت إلى الثورة بالمعلومات، والعولمة، والحواسيب الآلية نست أو تناست شريعة الرحمن التي شرعها منذ ١٤ قرناً من الزمان، وما تحمله من أسمى مفاهيم المساواة، والحرية، والعدالة الاجتماعية، وبما يؤمن المواءمة البشرية والتوازن الطبقي لأركان المجتمع الإسلامي.

وبما أننا نعيش في زمن غارق في الظلم والجور، واستعباد الحريات و تكثر فيه المآسي والآلام والنكبات فإننا أشد ما نحتاج إليه هو العودة إلى شريعة الرحمن، وإلى العقيدة الإسلامية التي تحمل بين طياتها كل ما يرسى العدالة والمساواة لصالح البشرية جمعاء.

ولقد حاولت في هذا البحث أن أظهر فكر الإمام علي (عليه السلام) الاجتماعي فيما يتعلق بمفهوم العدل والحرية، وإبراز ذلك مع إسناده بالحقائق التاريخية، والاعتماد على الركائز الإسلامية التي فصلها وبينها في أحداث متعددة، والتي تعتبر أساساً للفكر الاجتماعي والبناء الفكري للمجتمع الإسلامي، ولقد أسندت ذلك بالآيات القرآنية الشريفة.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في نسج خيوط البحث والوصول بالقارئ إلى الهدف المرجو منه والحمد لله على ما انعم و وفقنا لصالح الإسلام والمسلمين.

### معنى الحرية في اللغة

تطلق الحرية في اللغة على الخلوص من العبودية مثلاً عندما يقال: أنت حرُّ أي حرُّ غير مملوك من قبل شخص أو إنسان آخر. وتطلق أيضاً على الخلوص من القيود فيقال: أنت حرُّ أي غير أسير. وتطلق أيضاً على الخلوص من كلِّ شيء دخيل فعندما نقول: فرس حرُّ أي أصيل وليس مهجن. وتطلق بمعنى الشرف والكرم فنقول: هو حرُّ أي شريف وكريم وطيب الأصل. وعندما نقول: هو من حرية القوم أي من أشرافهم و وجهائهم.

وحرية الرأي تغير حق القول أو حق الكلمة، أي حقي في أن أبدي رأيي: في أن أقند خطأ.. أن أصوبه أو أردد عليه بما يرد للصواب كرامته ويستبقيه في الحياة. ولكن بداهة حدود هذه الحرية تبدأ عندما تبدأ في الاصطدام بالآخرين لتجور عليهم.. أنا حرُّ.. أنت حرُّ.. وغيرنا حرُّ. فيجب أن توضع أنظمة حتى لا تتداخل الحريات وتبدأ الاشتباكات فأنا حرُّ في حدود ألا أؤذي الآخرين، وألا أعتدي على حرياتهم لكن الذي يحدث أن

الإنسان في بعض البلاد يفقد حريته و في البعض الآخر يتوغل في ميدان الحرية حتى يجوز على الآخرين، الإسلام يرفض ذلك.<sup>١</sup>

لأن الإسلام أطلق الحريات وها هو الرسول صلى الله عليه و علي آله و سلم يخاطب أصحابه «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً»<sup>٢</sup> و يأمرهم أن يصغوا لصاحب الرأي ليقول كلمته<sup>٣</sup> و قول الرسول (ﷺ) خير دليل على إعطاء المسلم الفرصة لإبداء رأيه، و «أن حرية الرأي بالمفهوم الإسلامي هي الحرية المقيدة بالشرع الإسلامي، فصاحب الرأي يجب أن يراعي حسن الكلمة و حكمة الطريق و أدب الأسلوب و حق الله و التجاني عن النفاق و مراعاة حقوق الآخرين، و يجب أن يسير إبداء الرأي على المنهج الإلهي المتمثل في قوله تعالى: «وقولوا للناس حسناً»<sup>٤</sup>

«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»<sup>٥</sup>

يقول الدكتور محمد عمارة «نحن كمسلمين ملزمون بإبداء الرأي، و لكن في الإطار الإسلامي الذي يبقى على وحده الأمة، و هذا هو المعنى الحقيقي لحرية الرأي في الإسلام».<sup>٦</sup>

### مفهوم الحرية في الإسلام

إن مفهوم الحرية في الإسلام نابع من أصل خلق الإنسان، فقد خلق الله الإنسان حراً، و قد ولدته أمه حراً، و إنما المجتمع هو الذي يقيد حرية الإنسان و إرهابات المجتمع المادي هي التي تقيد روحانية الإنسان و تسجنها في سجن الشهوات واللذات أي سجن الدنيا. فالطفل حينما يخلق و يولد طليقاً فتأخذه القابله و تقمطه بقمطه و تشد يديه و رجله و

١. كتاب حرية الرأي في الإسلام للدكتور محمد مصطفى «مقابلة علمية مع فضيلة الشيخ محمد

الغزالي بتاريخ ١٩٨٥/٩/٢» ص ٣٤-٣٥.

٢. رواه مسلم، مسلم، ج ٣، ص ١٢٢٥.

٣. كتاب حرية الرأي في الإسلام للدكتور محمود مصطفى (مقابلة علمية مع د. أحمد عمر

هاشم بتاريخ ١٩٨٥/٩/٩ م).

٤. سورة البقرة: ٨٣.

٥. سورة النحل: ١٢٥؛ محمود مصطفى، حرية الرأي في الإسلام، (مقابلة علمية مع أ. د

الأحمدي أبو النور بتاريخ ١٩٨٥/٩/١١ م).

٦. د. محمود مصطفى، حرية الرأي في الإسلام، (مقابلة علمية مع أ. د محمود عمارة بتاريخ

١٩٨٥/٩/١١ م).

تمنع حركته فتبدأ بتقييد حريته.

في حين أن الإمام علي (عليه السلام) أورد في أحد كلماته التي تعبر عن مدلولات تحريرية و معان سامية هدفها خلق الإرادة الفكرية والعلمية لدى الإنسان بقوله: «لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حُرّاً». فالعبودية في الإسلام خالصة لله تعالى لا لغيره والإنسان حُرٌّ في إرادته و في تفكيره و في حياته العامة و لكن الإسلام شرع هذه الحرية للإنسان مع مراعاة الجوانب والقواعد التي حددتها الشريعة حتى لا تتعدى حرية الإنسان على حُرِّيَّة حقوق الآخرين المشروعة في العيش بسلام و أمان. ولتأمين صيانة الحياة العامة والنظم التي تسير عليها الحياة الاجتماعية بما يكفل حماية المجتمعات من الانحراف و تجاوز احترام القوانين التي تنظم المسيرة الاجتماعية.

و قد يتساءل البعض، لماذا إذن هذه القوانين ما دام الإنسان حُرّاً؟ إن هذه القوانين هي في أصلها من المشرع الإلهي أقرها الإسلام و أوردها في الدستور السماوي حماية للفرد و حتى تكفل حرية الفرد والجماعة ضمن إطار الشريعة الإسلامية فلو تُرك الإنسان المحدود الفكر والمنطق دون مدد إلهي لن يستطيع أن يحرر ذهنه من الضغوطات القاتلة لحركة الإيداع والتطور.

و سوف يؤول حاله للذل والاستعباد والحقارة كما نرى في يومنا هذا، فهل هناك أفضل من خالق ليرشد الخلق لما ينفعهم ويسدد خطاهم، وإذا جئنا إلى الجانب الإيماني العقائدي فالإسلام يرفض الاعتقاد الوراثي المقلوب والجاهز والقائل بأن الإنسان يرث الشرّ والخير من والديه، فالوراثة تلعب دوراً و لكنها ليست العامل الرئيسي والأساسي في نسج شخصية متحررة للإنسان فالإنسان يجب عليه التدبر و التفكير قبل الإيمان و الاعتقاد حتى يضمن تماسك التيارات والعقائد.<sup>١</sup>

و لنصل إلى حقيقة الحرية و مفهومها في الإسلام لنرجع إلى أصل خلق الإنسان فالله سبحانه و تعالى خلق الإنسان وجعله قادراً على كل شيء و ربما أن الإنسان لم يكتشف بعد طاقاته الكامنة في أعماق نفسه التي خلقها الله و صورها و أحسن تكوينها، ثم إن الله سبحانه مكننا من أفعالنا و أمرنا بالخير و نهانا عن الشر و وعدنا بالثواب إلى الخير، و توعدنا بالعقاب على الشر، فالإنسان ليس مجبراً على فعل المعصية و إنما هو حُرٌّ و يوردها باختياره لذا فليس هنالك جبراً بالمعنى التي تقول به الجبرية، و لا تفويض

١. معالم الفلسفة الإسلامية، نظرات في التصوف والكرامات، محمد جواد مغنية.



بالمعنى التي تقول به القدرية، وإنما أمر بين أمرين. وبهذا وحده يسلم لله سلطانه و عظمته وللإنسان اختياره وحريته ولا ينكر هذه البديهة عاقل إلا لجهل أو هدف غير نبيل. ومن هنا نجد أن حرية الإنسان لما كفلها الله من ناحية العقيدة والإيمان هي مكفولة في الإسلام أصلاً من الناحية الاجتماعية والأخلاقية.<sup>١</sup>

### اهتمام الإسلام بحرية الرأي

حرية الرأي ليست منحة قوانين وضعية وإنما هي أمر فطر الله تعالى الإنسان عليه فهي مطبوعة في ضمائر البشر الذين حررهم جلّ شأنه من العبودية لإله سبحانه وتعالى. فلا سلطان غير سلطانه جلّ شأنه على الناس فالله تعالى هو الذي منح الناس جميعاً الشعور بالحرية وهذا يدفع به إلى الخوف والخشية من الله تعالى.

الحرية ليست حقّ للمرء فقط بل هي واجبة عليه بحيث أن يستغل هذا الحق ولا يعطله فيجب أن يشارك في الأمور التي تهم المسلمين تنفيذاً لقول المصطفى: «من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم». فمن رأى منكراً في المجتمع وجب عليه أن يغيره إما بلسانه أو قلبه وهو أضعف الإيمان.

أن حرية الرأي مرتبطة بالقدرة الثقافية والعلمية للفرد فليس من حقه أن يتكلم في موضوع يجهله بل يجب أن يتحدث في موضوع هو ملم بجميع جوانبه مثلاً أن من يتحدث بالاقتصاد يجب أن يكون ملماً بقوانين الاقتصاد ونظم الاستيراد والتصدير والعوامل التي تتحكم في أسعار السلع والعملات وكذلك حرية الرأي مرتبطة بدرجة إيمان الإنسان ووعيه الديني.

فإذن على صاحب الرأي أن يراعي أسلوبه في إيداء رأيه في عرض أفكاره ويجب أن يكون ليّناً حسن القول، فقد قال تعالى عندما أمر سيدنا موسى وأخاه هارون أن يذهبا لفرعون أمرهم أن يكون كلامهما ليّناً مع فرعون وهذا من آداب الحديث وإيداء الرأي «أذهبا إلي فرعون إنه طغى فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى»<sup>٢</sup>

حرية الرأي في الإسلام تدعو الإنسان إلى التدخل فيما يعنيه فليس من حقّ الإنسان المسلم أن يدلي برأيه في موضوع لا يخصه ولا يخص أمة الإسلام باعتباره جزء لا يتجزأ

١. عبدالرضا الزبيدي، في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي، دراسة في ضوء نهج البلاغة.

٢. سورة طه: ٤٤.

منها وأن يعيش هموم المسلمين والمستضعفين في العالم. «فمن تدخل فيما لا يعنيه لقي ما لا يرضيه».

قال عليه الصلاة والسلام: «الدين النصيحة»

وقال أيضاً: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا وأسأت. ولكن وطنوا أنفسكم أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا أساءتهم».

حثَّ النبي عليه أفضل الصلاة والسلام المسلمين على الاهتمام بمشاكل المجتمع الذي ينتمون إليه، والدخول في تكوين الرأي بخصوص المسائل التي تهتم جماعة المسلمين، و نهاهم عن الوقوف منها موقف المتفرج الغير مبالٍ.

قال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: «من بات ولم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم.» وهكذا جعل الرسول شرط الانتساب لعضوية المجتمع المسلم هو المشاركة في الأمور التي تمسّ قطاعاته. وتفسيراً لهذا الحديث يقول الرسول مخاطباً المسلمين قائلاً أيها المسلم أنت جزء لا يتجزأ من المجتمع الإسلامي إذا أعلنت رأيك فيما يهم مجتمعك، أما إذا أختفى رأيك لم تبده ووقفت موقف اللامبالاة فإن هوية المسلمين تسقط عنك أي لست فرداً من المجتمع الإسلامي. قد يكلف الرأي قائله الكثير ولكن الإسلام أمن المسلم على الأمور التي قد تخيفه و تجعله يحجب رأيه الصريح، مثال على ذلك إخفاء الرأي بغرض التقية فقد قال تعالى وقوله الحق «إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير»<sup>١</sup>.

هنا يقول تعالى أن الحياة والممات هي بيده تعالى ولا يقدر أحد غيره أن ينتزعها من الإنسان إلا هو جلّت قدرته فلذلك لم الخوف إذن من إيداء الرأي، فيقول الرحمن في كتابه العزيز «و في السماء رزقكم و ما توعدون»<sup>٢</sup> و قال أيضا «ان الله هو الرازق ذو القوة المتين»<sup>٣</sup> و «و ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها»<sup>٤</sup> إذن ما دام الموت بيد الله والرزق كذلك فلا مجال أبداً للخوف من أيّ إنسان كان فالأرزاق مقدره و مكفولة للبشر و لن يموت إنسان قبل أن يستوفي رزقه و أجله و قد قال عليه الصلاة والسلام: إن روح القدس قد نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها و أجلها فاتقوا الله

١. سورة ق: ٤٣.

٢. سورة الذاريات: ٢٢.

٣. سورة الذاريات: ٥٨.

٤. سورة هود: ٦.

و أجملوا في الطلب»<sup>١</sup>. فلذلك استمد الناس من هذا التأمين الإسلامي زاداً جعلهم يستهينون بالحياة و يدفعون بالرأي إلى ساحة العلانية غير مباليين بذلك ما قد ينتظرهم و لو كان ذهاب حياتهم و نذكر مثلاً واحداً على ذلك لا على سبيل الحصر وإنما اختصاراً و إيجازاً في توضيح أهمية إيداء الرأي في الإسلام من قبل أهل الرأي و منهم العالم الجليل أبو حازم بن دينار عندما وقف بين يدي الخليفة عبد الملك بن مروان مقدماً رأيه بكل صراحة غير عابىء بأي شيء رغم علمه بأنه يخاطب الخليفة الذي تودّ الناس نيل رضاه الدائم سأله الخليفة: ما رأيك فينا يا أبا حازم؟ فقال أبو حازم في جرأة «إن آباءكم اغتصبوا هذا الأمر من الناس، أخذوه عنوة بالسيف من غير مشورة و لا اختيار — و يقصد بذلك الخلافة و الحكم — و قد قتلوا من أجله خلقاً كثيرين، و بعد حين رحلوا، فلو تدري مصيرهم عند الله؟<sup>٢</sup>

و مما سبق ذكره نستخلص أن مبدأ إيداء الرأي في الإسلام الغاية منه هو تغيير المنكر و دفع الفساد و أيضاً إسداء النصيحة تطبيقاً لقول المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم: «الدين النصيحة»<sup>٣</sup>

### حدود حرية الرأي في الإسلام

قال تعالى: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد»<sup>٤</sup>

«إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة و لهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم بما كانوا يعملون»<sup>٥</sup>

هناك حدود و قواعد للكلمة في نظر الإسلام أمانة في عنق صاحبها و هو مسئول حين ينطق بها تيمناً بقوله تعالى «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد»<sup>٦</sup>

«و قد قال محمد (ﷺ) مجيباً عن تساؤل معاذ بن جبل: أو مؤاخذون بما نقول يا رسول الله؟ فرد الرسول: ثكلتك أمك يا معاذ، و هل يكب الناس في النار على وجوههم إلا

١. أحمد حسن الباقوري، قطوف من أدب النبوة (القاهرة، ١٩٨٢).

٢. دكتور محمود مصطفى - حرية الرأي في الإسلام، ص ٤٨.

٣. صحيح البخاري، ج ١، ص ٥٤.

٤. سورة ق: ١٨.

٥. سورة النور: ٢٣-٢٤.

٦. سورة ق: ١٨.

حصائد ألسنتهم»<sup>١</sup>

فالمضي في ممارسة الحرية بغير حدود و لا أصول من شأنه أن يدفع بالبعض إلى الاعتداء على حقوق الآخرين لذلك لا بدّ من وجود قواعد و حدود لحرية الرأي عند الإنسان حتى لا يعتدي على حقوق غيره ظاناً أنها من حقوقه. فلا يحق للمرء بدعوى حرية الرأي أن يمسّ سمعة الآخرين و شرفهم فيجب أن يتخذ كل إنسان من النبي عليه افضل الصلاة والسلام قدوة له في عدم التعرض لأحد بالأذى عن طريق القول و كان يراقب جوانب النقص في الآخرين و يحاول أن يزيلها دون أن يشعر أحد أنه يشير إليه و يقصده بالكلام و خير مثال على ذلك. قال الرسول محدثاً الصحابة و كان يقصد أسامة بن زيد بقوله عندما أتاه شافعاً للمرأة المخزومية و لكنه لم يرد أن يجرح شعوره. «ما بال أناس يشفعون في حد من حدود الله إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه و إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» فلا يجوز لنا بدعوى حرية الرأي أن نخوض في سير الناس و ننال من كرامتهم و سمعتهم، فرب كلمة بسيطة و يظن صاحبها إنها تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه فقد تؤدي إلى هدم كيان أسرة و تشب العداوة والبغضاء بين الناس و هذا نهانا عنه الإسلام فالإسلام دين المحبة والإخلاق الحسنة الحميدة فلنكن كما قال تعالى «كنتم خير أمة أخرجت للناس».

### أقوال للإمام علي في الحرية

— لا تكن عبد غيرك و قد جعلك الله حُرّاً

— و قد أذنت لك أن تكون من أمرك على ما بدا لك

— و لم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين

— فبايعاني على هذا الأمر، و لو أبا لم أكرههما كما لم أكره غيرهما.

هذا الإيمان الأصيل العميق بالحرية، تلقاه في الأسس التي قامت عليها مناهج علي في الحكومة والسياسة والإدارة. و هو بوحياها فصلّ و أجمل، و أمر و نهى، و سأل و حارب، و عزّل و أثبت، و خالط الناس، و عامل ولده، و عبد ربّه أمام نظرتة إلى الحرية فمستقاة من نظرتة العامة إلى الكون، و إلى المجتمع: قطب هذا الوجود المتحرك في طريق

الخير الأعلى.

أمّا معاني هذه الحرية فتتبع من العلاقات التي يرتبط بها أبناء المجتمع، بقدر ما تتبع من الضمائر والوجدان. ولها أركان هنا وأركان هناك، ولا تقوم مقاييسها إلا عليها جميعاً. هكذا يقرر العقل والتجربة، وهكذا يقرر ابن أبي طالب! أمّا العلاقات التي يرتبط بها أبناء المجتمع، وهم ذوو صفتين فردية واجتماعية، فقد وقف الإمام سياسته وحوكمته وإدارته على تجويدها بما يمكن للناس من العيش الكريم، ويهبهم الفرصة للانطلاق في ميدان الحرية بأمتع أشكالها ومعانيها، وللامتداد في الأفق الإنساني الواسع.

أول مسلك في هذا النطاق لأمر المؤمنين، كان أن أعلن الناس بمسئوليته في إقامة ما هو حقّ وتهديم ما هو باطل إعفاء لهم من محاولة فاشلة قد يفكرون باللجوء إليها لمعصية أو إثم فردي، مستشفعين لذلك بمودة أو قرابة أو مناصرة يراد بها أجر يلحق الغبن بالجماعة. ثم أنه قدم، لتقرير هذه المسؤولية، إرهاصات من قوله وعمله قبل الخلافة وبعدها. وأرى القوم مسلماً ذا وجه إيجابي يقوم بالتوجيه إلى الخير والعمل على تركيز أسبابه والدوافع إليه. ومسلماً آخر ذا وجه سلبي يقوم بالشدة في إقامة الحدود مع الأبعدين والأقربين وفيهم خصمه وأخوه. ثم أنه مطمئن إلى ما يعرفه الناس، كلّ الناس، من زهده وتعففه، والتزامه ما لا يلزم من أسباب الزهد والتعفف. وما ذلك إلا إمعاناً منه في تجريد الذات إلا مما يمسك عليها الحياة المتيقظة لرعاية الحقّ؛ وإمعاناً في رعاية المستضعفين بالشعور والوجدان إلى جانب ما هو عازم عليه من السعي في رفع الجور عنهم، ورفع الحاجة بما هو من باب العقل ومن باب الجود والإحسان.

وإعلاء منه لشأن الحرية، والعمل الحرّ، اشترط للأيّ جبر عامل على عمل. فالعمل الذي لا يواكبه الرضا الوجداني العميق، فيه إساءة إلى الحرية ثم إلى العمل ذاته. يقول: (ولست أرى أن أجبر أحداً على عمل يكرهه). ويكتفي للحث على العمل الذي يفيد الجماعة، وللمحافظة على الحرية الفردية في وقت واحد، بأن يجعل نتيجة العمل من حقّ العامل وحده، وبأن يحرم من كرهه لغير مبرر مقبول: (والنهر لمن عمل دون من كرهه).

ولما كان مفهوم الحرية عند علي هو هذا المفهوم الدقيق العميق، كان لا بد لمعناها من أن يكون هو المعنى الذي ينظر على أساسه إلى الأحوال الخاصة والعامة، إلى كلّ ما يرتبط بوجدان الناس ونزعاتهم وحياتهم الداخلية، وإلى كلّ ما يتصل بالعلاقات العامة وكان لا بد أن تبنتي عليه حقوق الإنسان.

إن أمير المؤمنين سلام الله عليه قطب العدالة و مؤسس المساواة المثالية الاجتماعية في عهد الخلافة، فإن من الحطام من يبغى الدنيا و زينتها و يعيش سعيداً في ملذاتها، غاضاً النظر بينما ينظر بلا اكتراث لآلاف المستضعفين و المقهورين و المعذبين الذين يتضورون جوعاً و يقاسون الآلام و المآسي بكل معانيها و هناك صورة أخرى للحاكم الذي رفض هذه الدنيا و عاش مع الناس حياتهم بل حرم نفسه من أبسط معنى للحياة حتى لا يكون في قلبه ذرة من حب الدنيا و لذاتها و هذا أمير المؤمنين أبرز مثال للحالة الثانية من الحكام، و رسالته لابن ضيف تعطي أبعاد ذلك حيث قال: «ولو شئت لا هتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل و لباب هذا القمح و نسائج هذا القز و لكن هيهات أن يغلبني هواي و يقودني جشعي إلى تخيير الأطمعة. و لعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص و لا عهد له بالشعب. أو أبيت مبطاناً و حولي بطون غرني و أكباد حرني؟ أقتنع نفسي بأن يقال أمير المؤمنين و لا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسله شغلها تقمها تكثرش من أعلافها و تلهو عما يراد بها، أو أترك سدى أو أهمل عابثاً أو أجر حبل الضلالة أو اعتسف طريق المتاهة.<sup>١</sup>

عدم أجباره أحد علي بيعته:

إن قوماً يرحلون من الحجاز و العراق و يأتون الشام ليلحقوا بمعاوية، فما كان علي(ع) ليصدهم أو يعرض لهم، و ما كان يحاول استبقائهم أو إغرائهم فهم في مذهبه أحرار يعملون عن مدى تصورهم و يسلكون سبيلهم إلى ما يريدون، يقول علي(عليه السلام): (اللهم إني دلتهم على طريق الرحمة و حرصت على توفيقهم بالتنبيه و التذكرة، ليشيب راجع و يتعظ متذكر، فلم يطع لي قول اللهم إني أعيد عليهم القول).

لقد دلهم هو علي طريق الخير و تركهم أحراراً لا يجبر و لا يستكره فليستخدموا هذا الحق في الحرية فمن شاء منهم اهتدى، و من لم يشأ فأمامه طريق الشام رحبة واسعة، و معاوية في انتظاره يعطي فيكثر العطاء.

و لما كتب إليه عامله على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري يخبره بان قوماً من أهلها لحقوا بمعاوية، كتب علي عليه السلام إليه يقول:

١. نهج البلاغة ٢٦٢ ص، تحقيق د. صبحي الصالح.

(أما بعد، فقد بلغني إن رجالاً من قبلك يتسللون إلى معاوية. فلا تأسف علي ما يفوتك من عددهم و يذهب عنك من مددهم فإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها. و مسرعون إليها و قد عرفوا العدل و رأوه و سمعوه و وعوه، و علموا أن الناس عندنا في الحق أسوة، فهربوا إلى الأثرة، فبعداً لهم و سحقتاً إنهم، واللّه، لم ينفروا من جور، و لم يلحقوا بعدل).

### إعطاؤه الحرية لمعارضيه:

و شاهد آخر على معرفة الإمام حقّ الناس في الحرية الواسعة أسلوبه في معاملة الخوارج فقد كان يحسن معاملة من أقام منهم معه و يعرف أن أحدهم يهيم بالخروج فلا يستكرهه و لا يستبقيه، و لا يرضى بأن يتعرض له من أصحابه أحد ثم أنه كان يعطيهم نصيبهم من الفياء أسوة بسائر الناس، و يفسح لهم في المجال لأن يتوجهوا حيث يشاءون فالحرية أساس في المعاملة و الناس أحرار في ما يرون من عمل و قول، و موالة و معاداة، إلا أن يعتدوا على الناس و يفسدوا في الأرض فأنهم حينذاك غير أحرار و إنه حينذاك مقيم ما لزمهم من الحدود في غير لين.

### عدم معاقبته أحداً على الكلام ضده (حرية التعبير عن الرأي)

قد أخبره أحدهم مرة، و اسمه الخريت بن راشد، بأنه لن يأتّم به و لن يشهد معه الصلاة و لن يأتّم بما يأمر و لن يكون له عليه سلطان فما كان من علي عليه السلام إلا أن أقرّه على ما ارتأى و أراد، و خلاه حراً في ما شاء ثم كانت أيام خرج الخريت بن راشد بعدها و معه أصحاب له كثير فما استكرههم علي عليه السلام على البقاء معه و لا منعهم من الخروج، و بيده أن يستكره و أن يمنع فلما أساؤا و استغلال هذه الحرية فاعتدوا على الناس الأبرياء و نهبوا و عاثوا في الأرض فساداً و تركوا على أنفسهم سبيلاً، أرسل الإمام إليهم من أنصف منهم للأرض و الناس.

ولعل أكثر ما يبهرنا في أمير المؤمنين اعترافه للناس بحريتهم، و الانسجام بين سيرته في الناس و بين إيمانه بأن الحرية أصل إنساني لا يجوز فيه التأويل و لا يصح عنه الانحراف فهو معترف بهذا الحقّ في الحرية لأصحابه حتى في أخطر المواقف عليه: في جهاد القاسطين و الفاسقين و أهل الردة عن الحق و قد ملأوا الأرض و طلبوا دمه في جملة ما يطلبون فلما كان جهاد هؤلاء أمراً تقضي به كلّ المقاييس و الموازين، و يقضي به

الوجدان الذي يرعى العدالة والحق، كان لابد لعلي عليه السلام من أنصار في الحرب و أعوان. ولكنه لم يكن ليستكره أحداً من هؤلاء الأنصار على جهاد و قتال و لم يكن يجبر قريباً أو بعيداً، بما لديه من حق الولاية و بما في يده من قوة السلطان، على أن يثبتوا إلى جانبه في محاربة القاسطين الفاسقين.

عدم استعماله لقانون الطوارئ و الاحكام العرفية:

لم يكن ليلجأ في ذلك إلى قهر مادي أو معنوي فالفهر، بمختلف ألوانه، مناف لأصول النظر العلوية إلى الحرية و شروطها إنما كان يتوجه إلى عقول القوم بمنطق العقل و ما لديه من حجة و برهان و يتوجه إلى قلوبهم و ضمائرهم بمنطق القلب و الضمير و ما لديه من قوة و دليل فيلحق به من يلحق و يتخلف عنه من يتخلف فيأخذ الأولين بالرضى و الثناء و يعود على الآخرين بأبلغ الوعظ و أبلغ النصيح و أبلغ التحريض فمن ظل منهم حيث هو، فإنه حرّ فعلي عليه السلام لا يقبل الإكراه و لا يجيزه و هو يأبى أن يلحق به أحد الناس عن غير بصيرة و غير إيمان لذلك لم يجبر من الناس أحداً على أن يلحق به في حرب الجمل و حرب صفين و حرب الخوارج، و لو شاء لجند من الناس ملء السهل و الجبل! لقد أدرك الإمام عليه السلام الحرية بأصولها، فأطلق إدراكه هذا نصاً صريحاً و أقام على هذه الأصول بناءه الجبار في الأخلاق الخاصة و العامة، و في علاقات الناس بعضهم ببعض و عمل بموجباتها مصلحاً و مشرعاً و قائداً و حاكماً و واعظاً و أعطى على احترامه حقّ الناس في الحرية الواسعة كل يوم دليلاً، و لكن ضمن نطاق يرسمه مفهوم الحرية نفسه، و هو ألا تسيء حرية البعض إلى حرية الجماعة.

و لكي يجعل الإمام عليه السلام حرية الفرد في نطاق من حرية الجماعة و مصلحة أهلها، قاده النظر العميق إلى اكتشاف حقيقة اجتماعية أساسية و هي أن الناس المرتبطين بالمجتمع، لابد لهم من توجيه شعورهم بالحرية توجيهاً معيناً لا يحد من أصول هذه الحرية، بل يمنع استخدامها على أسلوب بدائي يضر بالآخرين. فحرية الأفراد لديه ليست الحرية الإباحية الرعناء. بل هي مقترنة أبداً بالشعور بالمسؤولية و لكي يجعل هذا الشعور بالمسؤولية أمراً لا يتعارض مع الشعور بالحرية الواسعة، لم يلجأ، شأن بعض الفلاسفة و المفكرين الأقدمين، إلى التضييق على الناس في معنى الحرية بل لجأ إلى وسيلة هي في نظرنا أجل الوسائل شأناً و أعظمها قيمة و أدلها على عمق الأغوار



الإنسانية والمفاهيم الاجتماعية في شخصية علي عليه السلام، و هي مستمدة من سنن القرآن و أصول الشريعة الإسلامية.

## الحرية عند الغرب

مفهوم الحرية عند الغرب:

كانت الحرية عند اليونان هي الحدّ الفاصل بين المواطن و بين العبد والإنسان. والإنسان الحرّ في عرف الإغريق هو الشخص الذي يخضع لعبودية كائن أو شيء أياً كان هذا الكائن أو هذا الشيء. وقد أستحوذ اليونانيون على حريتهم بطريقة تدريجية إذا استردوا أولاً حريتهم المدنيّة، و ذلك عندما حرم سولون الإكراه البدني ثم حصلوا بعد ذلك على حريتهم القانونيّة و ذلك عندما صدر تشريع يكفل الحماية البدنية للمواطن. و قد عرفت هذه الحرية بكونها حقّ اليوناني في عدم الانصياع إلا للقانون وحده، أي ما يطرق عليه طاعة القانون في ظل المساواة. فالحرية إذن تمتاز بمظهرين: استقلال كامل عن كل إكراه شخصي والطاعة والخضوع للقانون العام.

و يحدد أرسطو مفهوم الحرية بكونه الحالة التي يكون فيها الإنسان حاكماً و محكوماً بصفة دوريه. و في نظره تكون الحرية بمثابة القبول الإداري لنظام معين. والجدير بالذكر أن القانون عند الإغريق و جب احترامه و طاعته والخضوع له من قبلهم لأنه ابتكار وهبة من الآلهة و هو ما ينصح الحكماء والمشرعون بإتباعه و سيادته.

«نظرية الحد عند مونتسكيو و هو كاتب و مفكر فرنسي توضح رأيه بوجه عام على تمجيد الحرية والسعي إليها واحتقار الاستبدادية والتحذير منها. و يصفها قائلاً بأنها تمثل القانون والعقل والسلامة والاعتدال. و قد تحدث عن الديمقراطية قائلاً إنها تتمثل في الحرية التي بدورها (أي الحرية) تخضع للقوانين التي يصوغها الشعب و تقيم الحرية من قبل فضيلة المواطن أي أن المواطن يجب أن ينسى مصلحته الشخصية في سبيل الصالح الوطني. و المساواة بين الأفراد و عدم التمييز بينهم والعزوف عن كلّ متعه خاصة أو رغبة كمالية. و لكن إذا ذهبت فضيلة المواطن فأصبح الأفراد يفضلون مصالحهم على مصلحة الدولة و لا يتمسكون بها لذاتها بل لما تأتي به إليهم من مصالح و ذهبوا بذلك أيضاً إلى ابتغاء الحرية ضد القانون بدلاً من الحرية في ظل القانون فإن الدولة بذلك تتهاوى و تسقط في أحضان الاستبداد سواء أكان هذا الاستبداد من صنع فرد واحد أو مجموعة من

الأفراد. وقد حذر مونتسكيو من عواقب الاستبداد إذ إن الحرية في نظره صعبة المنال و من العسير إرساء دعائمها بينما يعتبر الاستبداد أمراً يسير التحقيق. وقد نادى أيضاً بضرورة تلافي الخلط بين الحرية والاستقلال الذي يعني استقلال كل فرد في أن يفعل ما يريد دون حائل بينه وبين رغباته. كما قال يجب ألا نعتبر الحرية و قفأً على الديمقراطية فقط و تستبعد وجوداً في ظل النظم الملكية الفردية. فالدول الديمقراطية والأرستقراطية لا تعتبر دول حرة بطبيعتها إنما الدول الحرة هي تلك التي ينص دستورها على مبدأ أساسي و هو ألا يكون الفرد مكره على أداء الأمور التي لا تجبره القوانين على أدائها ولا أن يكون مرغماً على الإمتناع عن أن يقوم بأداء ما تسمح به القوانين»<sup>١</sup>

### مقارنة فيما بين مفهوم حرية الرأي عند المسلمين و عند الغرب

في القوانين الحديثة لأكثر الدول نص يلزم المواطن بالاشتراك في انتخابات الرئاسة. و قد سبق الإسلام إلى ذلك منذ أربعة عشر قرناً من الزمان إذ يقول رسول الله (ص): «من مات و ليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية». و أيضاً هناك بعض الدساتير الوضعية قديماً تحرم أخذ رأي المرأة و لكن قال الحق تبارك و تعالى في محكم كتابه «فبايعهن و استغفر لهن الله إن الله غفور رحيم»<sup>٢</sup> و الحرية أيضاً في الإسلام تدعو ضد التمايز الطبقي كالنبلاء و أصحاب الدم الأزرق (النازية عند هتلر) و قد نص القرآن على ذلك قائلاً «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»<sup>٣</sup> و في الدساتير الوضعية نص على سيادة القانون في علاقة السلطة بالشعب و صيانة الدولة لحقوقه الحيوية الثلاثة (حق الحياة - حق الملكية - حق الحرية الشخصية) فلا تمس بسبب تعبيره عن رأيه و هذا يدل على أن حقوق الأفراد في هذه الدساتير الوضعية معرضة للانتهاك إذا ما أبدوا رأياً معارضاً للحاكم أو من له منصب كبير في الدولة أما بالنسبة للإسلام فهو يصون حقوق الإنسان الثلاثة فحق الحياة: أي أن يكون آمناً على حياته و دمه و عرضه و حق الملكية أي يصبح آمناً على أمواله فلا تصادر و عمله لا ينقل منه أو يعزل عنه. و أخيراً حق الحرية الشخصية أي يصبح آمناً على حريته فلا يعتقل. قال المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم «كل المسلم على المسلم حرام: دمه

١. ابراهيم دسوقي أباطه و آخرون، تاريخ الفكر السياسي (دارالنجاح، ١٩٧٣) ص ٢٣٠ و ما بعدها.

٢. الممتحنة (١٢)

٣. الحجرات (١٣)

وماله وعرضه» وفي رواية «ألا يظن به إلا خيراً» وهذا يعتبر فرق كبير جداً فيما بين الدستور الإسلامي المتمثل بالقرآن الكريم وسنة المصطفى (ص) الدستور الإسلامي المتمثل بالقرآن الكريم وسنة المصطفى (ﷺ) والدساتير الوضعية. وأخيراً قد جاءت المسيحية في أصولها دين روحانيات يخاطب النفس ويدعوها إلى سواء السبيل. ولذلك لم تتناول تعاليمها فيما تناولته شئون الدولة والحكم بالتوجيه والتنظيم. وكانت تقتصر على كل ما يختص بالسلطة الزمنية. وجاء الإسلام متمماً لهذه الناحية الدنيوية. فقد جاء منسقاً ومنظماً لكل ما يتعلق بشئون الحياة في المجتمع فكان بذلك ديناً ودنياً. كيف لا يكون كذلك وهو يعتبر خاتم الرسالات السماوية.

### مفهوم العدل بشكل عام:

يقصد بالعدل كون الشيء موزوناً؛ فإذا نظرنا إلى مجموعة فيها أجزاء مختلفة تهدف إلى هدف خاص فإنه لا بد من توفر شروط معينة لذلك من حيث المقدار اللازم من كل جزء ومن حيث كيفية ارتباط تلك الأجزاء ببعضها، وباجتماع هذه الشروط جميعاً تستطيع تلك المجموعة أن تبقى وأن تعطي الأثر المطلوب منها وأن تفي بالخطوة الموضوعية لها.

فمثلاً أي مجتمع يريد لنفسه البقاء والاستقرار فإنه لا بد أن يكون متعادلاً، أي يكون كل شيء فيه موجوداً بالقدر اللازم وليس بالقدر المساوي، وكل مجتمع متعادل يحتاج إلى فعاليات متنوعة، منها اقتصادية وسياسية وتربوية وقضائية وثقافية ولا بد من تقسيم هذه الفعاليات بين أفراد المجتمع واستخدام أفراد لها بالقدر الضروري.

فالتعادل الاجتماعي يفرض علينا النظر بعين الاعتبار إلى ميزان الاحتياجات فنخصص لها ميزانية مناسبة ونصرف فيها قوة لازمة وعند ما نصل إلى هنا نجد أمامنا مسألة المصلحة للجميع التي فيها بقاء ودوام الكل فيدفعنا هذا إلى الاهتمام بالأهداف الكلية. ومن وجهة النظر هذه يكون الجزاء وسيلة فقط وليس له أي حساب مستقل. والعالم كله متعادل وموزون ولو لم يكن كذلك لم تقم له قائمة ولم يوجد نظام ولا حساب ولا مسير معين، وقد جاء في القرآن الكريم (والسمااء رفعها ووضع الميزان) وذكر المفسرون عند تناولهم هذه الآية أن المقصود بها هو كون العالم قد روعي في بنائه التعادل، فاستفيد من كل شيء ومن كل مادة بقدر ما يلزم، وقد قيست الفواصل بدقة

متناهية.

ب - المعنى الثاني للعدل هو التساوي و نفي أي لون من ألوان الترجيح فعندما يقول الناس فلان عادل فهم يقصدون أنه ينظر إلى الأفراد بالمساواة، أي من دون ترجيح، فالعدل بهذا المعنى يعني المساواة.

و هذا التعريف للعدل يستدعي توضيحاً: فإن كان المقصود به أن العدالة توجب عدم مراعاة الأنواع المختلفة للاستحقاق، و توجب النظر بعين واحدة إلى كل شيء و إلى كل شخص فهذه العدالة هي عين الظلم، و إذا كان الإعطاء بالسوية عدلاً فلا بد أن يكون المنع بالسوية عدلاً أيضاً، و الجملة المتداولة على ألسن العامة من أن الظلم بالسوية عدل، نابعة من هذا اللون من التفكير.

و أما إذا كان المقصود بالعدالة هو مراعاة التساوي عند ما يكون الاستحقاق متساوياً، فهذا معنى مقبول لأن العدل يوجب مثل هذه المساواة و يستلزمها و هذا المعنى يرتبط بالمعنى الثالث للعدالة الذي سنذكره.

ج - المعنى الثالث للعدل هو رعاية حقوق الأفراد و إعطاء كل ذي حقّ ماله من حقّ و الظلم بهذا المعنى إنما هو عبارة عن سحق الحقوق و التجاوز على حقوق الآخرين. و هذا المعنى للعدل - أي العدالة الاجتماعية - هو الذي يجب احترامه في القانون الإنساني و يتحتم على الأفراد الالتزام به. و العدل بهذا المعنى يعتمد على شيئين:

الأول: الحقوق والأولويات، أي أن لأفراد البشر نوعاً من الحقوق والأولويات عند ما نقيس بعضهم إلى البعض الآخر فمثلاً إذا عمل شخص عملاً ما و أدى ذلك العمل إلى إنتاج معين فإن ذلك العامل يملك أولوية بالنسبة إلى ذلك الإنتاج، و سبب تلك الأولوية هو عمله و فعاليته و كذلك الطفل عند ما تلده أمه فإنه يملك أولوية بالنسبة إلى حليب أمه، و منشأ تلك الأولوية هو تصميم الخلقة بصورة جهاز هادف بحيث يكون ذلك الحليب قد أوجد من أجل ذلك الطفل.

الثاني: الخاصة الذاتية للإنسان: حيث أنه أبدع بشكل يستخدم في أعماله نوعاً من الأفكار الاعتبارية و يستفيد منها بعنوان أنها آلة للفعل ليصل بواسطتها إلى مقاصده و هذه الأفكار تشكل سلسلة من الأفكار الإنشائية التي يمكن تعيينها بواسطة لآبدها و من جملتها أنه لكي يصل أفراد المجتمع بصورة أفضل إلى السعادة فلا بد أن تراعي الحقوق

والأولويات وهذا المفهوم للعدالة الإنسانية يقره وجدان كل فرد أما النقطة المقابلة لذلك و هي الظلم فإن الوجدان يرفضها.

### مفهوم العدل في الإسلام:

إن مفهوم العدل في الإسلام مستمد من مفهوم العدل الإلهي، فإن لمسألة العدالة أهمية خاصة و موقفاً لا نظير له، فإن موقف العلماء المسلمين من الشيعة اعتبر العدل ثاني أصل من أصول الدين. ولكن يجدر الإشارة إلى أنه لو كان العدل باعتباره صفة من صفات الله داخلياً ضمن أصول الدين لوجب أن نعدّ من أصول الدين صفات الله الأخرى من قبيل العلم والقدرة والإرادة. و لكن هناك سبب آخر لاعتبار العدل واحداً من أصول الدين، فأهمية العدل تنبع من تأثيره العميق على كيان المجتمع والأمة. قال تعالى: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان و إيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون».

«وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة و أنشأنا بعدها قوماً آخرين».

إن الإنسان باعتباره موجود مفكر و لهذا فهو يستند في المسائل العلمية والاجتماعية على الاستدلال، و في استدلالاته يستند إلى بعض الأصول والمبادئ التي يستنتج بناء على تلك المبادئ والأصول.

إن الإنسان حينما يواجه المسائل الاجتماعية والأخلاقية لابد وأن يقيمها في نفسه و فكره، و من هنا جاء الإسلام و قوم طريقة تفكير الإنسان و بدل أساليب الفكر. و نحن حينما نقول ذلك فإننا نعني أن الإسلام بمفاهيمه الخالدة ارتقى بالفكر والمنطق فأعلى قيماً و رفعها، و أهبط مفاهيماً كانت سائدة و لم تكن صالحة للمجتمع. و من ضمن هذه المفاهيم التي رفعها مفهوم العدالة الاجتماعية. فالإسلام لم يوص بالعدالة و اتباعها فحسب، و بتطبيقها و إجرائها فقط بل إن الإسلام رفع من قيمتها و وزنها و شدد على أهميتها لذا اعتبرها علماؤنا ثاني أصل من أصول الدين»<sup>١</sup>.

### مفهوم العدالة عند الإمام علي (ع):

إذن قضية العدالة و ارتباطها بمصير المجتمعات بها تعطي الدافع الكبير لتربية الأفراد من

١. مرتضى المطهري، في رحاب نهج البلاغة

خلال نهج أمير المؤمنين علي عليه السلام الواضح الجلي الذي هو نهج الإسلام بعينه والذي أعطى للإنسانية الصورة المثلى للعمل الصالح بل كيف يربي الرجل أسرته وأهل بيته وإذا كان قائداً أو إماماً أو حاكماً كيف يربي أمته ويوجهها نحو الإصلاح فقد روى أحد أصحاب الإمام علي عليه السلام أنه (كان الإمام علي يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة، يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالتجار فيفتح القرآن ويقرأ: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً)، ثم يقول نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس).

ولو قسمنا العدالة إلى قسمين العدالة الخلقية والعدالة الاجتماعية فلا ريب أن العدالة الخلقية أساس العدالة الاجتماعية، إذ لو لم يتصف الأفراد فكيف يمكن للمجتمع أن يتصف بها؟ أليس المجتمع مجموعة من الأفراد؟ وعليه فانتظار العدالة الاجتماعية مع عدم تنمية الايمان والأخلاق والتقوى وخشية الله في الأفراد وهم من الأوهام، ومن هنا تنشأ مشاكل المجتمعات البشرية المتمثلة في تسليط الجبارين، والتمييز وانعدام العدالة، فلا بد أولاً من بناء الإنسان وتربية أفراد عدول ثم تسليمهم زمام أمور المجتمع بأيديهم، وبذلك يمكن أن نأمل تحكيم العدل واستقرار العدالة الاجتماعية، وهو بالضبط ما عكسه كلام الإمام علي عليه السلام فقد قال بشأن الظلم وانعدام العدالة الذي هو من أعظم الكوارث الاجتماعية (بئس الزاد إلى المعاد، العدوان على العباد).

إن العدل في نظر الإمام عليه السلام هو الأصل الذي يستطيع أن يصون توازن المجتمع، ويرضيه ويهب له السلام والأمن والطمأنينة والاستقرار. أما الظلم والجور والتمييز الطبقي فهو لا يرضي حتى نفس الظالم والذي يظلم من أجله، فكيف بالمظلومين والمحرومين! العدل سبيل عام يسع الجميع ويصل بهم إلى حيث الطمأنينة والاستقرار، أما الظلم والجور فهو طريق ضيق لا يصل حتى بصاحبه إلى ما يريد.

يعني: أن في العدل سعة خاصة تسع الجميع وتشملهم، ومن كان مريضاً متخماً سميناً لا يسعه العدل فليعلم أن مكانه في الظلم والجور أضيق عليه من مكانه في العدل والقسط. وإذا ضاق تدبير الأمور على الوالي بالعدل، فتدبير أموره بالجور أضيق عليه، لأنه حينئذ في مظنة أن يصد عن جوره.

ويعني: أن العدل شيء بالإمكان أن يوصف بأنه من حدود الايمان، فيقنع به المؤمن، أما إذا كان الرجل مسلوب الايمان متجاوزاً حدود العدل، إذن لا تحده الحدود، فإنه كلما

بلغ مبلغاً من شهواته تعطش إلى حدود أخرى لم يبلغها، وأحس بالعطش أكثر فأكثر.

### النظرة العلوية إلى الظلم

إنَّ منهج الإمام علي عليه السلام الاجتماعي المتعلق بهذا الموضوع يجسده كلامه وخطبه عليه السلام التي ترسم في الأذهان الصور المتكاملة والواقعية للعدل والظلم، و سائداً بكلام له عليه السلام يتبرأ فيه من الظلم ويقول فيه:

(والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجر في الأغلال مصفداً، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى ققولها، و يطول في الثرى حلولها).

إن الحاكم والقائد عليه مسؤولية استخدام مختلف الأساليب في علاقاته مع الشعب. و يجب عليه أن يرسى دعائم العدالة الاجتماعية بين طبقات المجتمع وهذا ما يتحتم عليه بأن يكون ملماً بعلم النفس الاجتماعي الذي يعطي أسس الموازنة الاجتماعية. و ما أفضل من حاكم متبحر في القرآن، كتاب الله عز وجل ليستقي منه تلك العلوم والمهارات وفي ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واخفض للرعية جناحك، و ابسط لهم وجهك و أن لهم جانبك و آس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك و لا ييأس الضعفاء من عدلك والسلام»<sup>١</sup>.

وكذلك حينما كتب يطلب فيه تأديب (علي) ابن هرمة وكان على سوق الأهواز فخان و ظلم (إذا قرأت كتابي فنح ابن هرمة عن السوق و أوقفه للناس واسجنه و ناد عليه، و اكتب إلى أهل عملك تعلمهم رأيي فيه، و لا تأخذك فيه غفلة و لا تفريط فتهلك عند الله، و أعزلك أخبث عزلة - و أعيدك بالله منه - فإذا كان يوم الجمعة فأخرجه من السجن، و اضربه خمسة و ثلاثين سوطاً و طف به في الأسواق فمن أتى عليه بشاهد فحلفه مع شاهد، و ادفع إليه من مكسبه ما شهد به عليه و مر به إلى السجن مهاناً مقبوحاً منبوحاً - أي مشتوماً... و اكتب إلى من اخترت بعد الخائن، واقطع عن الخائن رزقه).

أو كما جاء في كتابه عليه السلام إلى حذيفة بن اليمان: (و أتقدم إليك بالإجسان إلى المحسن والشدة على المعاند، و أمرك بالرفق في أمورك والدين، والعدل في رعيتك، فإنك مساءل عن ذلك، و إنصاف المظلوم، والعفو عن الناس، و حسن السيرة ما استطعت، فإن

١. نص العهد للأشتر. في رحاب نهج البلاغة

اللَّهُ يجزي المحسنين... وأقم فيهم بالقسط، ولا تتبع الهوى، ولا تخف في الله لومة لائم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون).

فعلى أمرهم باتباع هذا المنهج العادل الذي رسمه لهم في ادارة الشؤون الإدارية والاجتماعية المهمة في البلاد، حيث أكد على مسألة العدل في الرعية وأعطاهم الأهمية القصوى، وكان كل أمره أن لا يقع حيف أو إجحاف وأن ينتصف للمظلوم وذلك من العدل حتى يستقيم أمر الأمة (وأقم فيهم بالقسط، ولا تتبع الهوى، ولا تخف في الله لومة لائم).

### تطبيقه العدالة بين الناس:

كان الإمام علي عليه السلام مثلاً يقتدى به بين الحكام في كيفية تطبيق العدالة بكل رحمة ورفق بين الناس، وما يثبت ذلك غضبه الشديد عند ما بلغه عن أحد الولاة أنه قد خان أمانة الناس فغضب لذلك أمير المؤمنين عليه السلام وشدّد على واليه الذي فعل هذا الأمر وهذه الخيانة وهو مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على اردشير خره حيث أرسل إليه كتاب يوبخه فيه: (بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك وأغضبت إمامك! أتك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم وأريقت عليه دماؤهم فيمن اعتماك من أعراب قومك، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقاً لتجدن بك عليّ هواناً ولتخفنّ عندي ميزاناً. فلا تستهين بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق فهو لم يسمح لبؤر الفساد والخراب بأن تتكاثر وتتمو على حساب الحلقات الطاهرة في المجتمع أو على حساب مصلحة العامة من الناس وكان مثل هؤلاء الولاة يلاحقهم علي عليه السلام و يشدد عليهم و يعاقبهم في بعض الأحيان، ففي كتاب لبعض عماله في هذا الشأن: (أما بعد، فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، و عصيت إمامك، و أخزيت أمانتك بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يدك، فارفع إليّ حسابك، وأعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس، والسلام).

### تطبيقه العدالة في أهله:

العدالة عندالإمام علي عليه السلام تطبق على القاصي والدائي البعيد والقريب، و قد جسد موقفه ذلك في كلامه الذي يقول فيه:

(والله لقد رأيت عقيلاً، و قد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً و رأيت صبيانه



شعث الشعور غير الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظم وعاودني مؤكداً وكرر علي القول مردداً فأصغيت إليه سمعي فظن أني أبيع ديني و أتبع قياده مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها، فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل، تثن من حديدة أحماها إنساناً للعبة، و تجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه، أثن من الأذى ولا أئن من لظى).

## العدالة عند الغرب

العدالة بين المفهوم الغربي والإسلامي:

« كانت في أوروبا في القرون المتأخرة نهضة مضادة للدين السائد هناك، فقد كانت النهضة مادية عامة والدافع إلى هذا الاتجاه من ضالة المفاهيم الحقوقية، والسياسية في الكنيسة المسيحية، فقد قرر بعض الفلاسفة الأوربيون المسيحيون نوعاً من العلاقة المفتعلة بين (الدكتاتورية) المقيد هو لهذا افتراض بازاء ذلك نوع من العلاقة المفتعلة أيضاً بين اللاتينية والديمقراطية!»،<sup>١</sup> فالناس ليس لهم حق في الحكومة وإنما هم موظفون مكلفون!.

وكان هذا كافياً في أن يبعث المجتمع المتعطش إلى الديمقراطية والحرية في الحكومة على مضادة الكنيسة المسيحية بل مضادة الله والدين بصورة مطلقة، ولقد كانت لهذه الفكرة عروق قديمة في الشرق والغرب منذ القديم البائد.

« كتب جان جاك روسو في كتابه يقول: كتب الفيلسوف اليوناني: فيلون (١٠٠ م) يقول: كان الإمبراطور الرومي البيزنطي كاليكولا يقول: كما أن لراعي قطع الغنم تفوقاً طبيعياً على الأغنام كذلك للقائد تفوقاً نوعياً على قومه المرؤوسين. وكان يستنتج من مقدماته الفكرية هذه و يقول: إن القادة آلهة والرعايا كالأنعام»<sup>٢</sup>

و نلاحظ الفيلسوف هوبز يفترض أن المسؤولية أمام الله تنفي المسؤولية أمام الناس! وأن التكليف من قبل الله يكفي لنفي التكليف لحقوق الناس! وأن العدل إنما هو ما يفعله العالم وأن لا معني ولا مفهوم للظلم.

و يقول آية الله مطهري قدس سره أن الذي لا نراه في هذه الفلسفة: أن يكون الايمان بالله و العقيدة الدينية ضماناً لحقوق الناس والعدالة الاجتماعية، والايمان بالله هو

١. الشهيد مطهري، في رحاب نهج البلاغة، ص ١٠١، بتصرف.

٢. المصدر السابق، ص ٢٧، ٢٨.

الأساس لفكرة العدالة و حقوق الناس، و ضمان لتطبيق العدالة الاجتماعية و إعطاء كل ذي حق حقه عملياً.

يقول الإمام علي عليه السلام في الخطبة ٢٠٩ من نهج البلاغة في باب الحقوق و العدالة الاجتماعية «أما بعد: فقد جعل الله لي عليكم حقاً بولاية أمركم، و لكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم فالحق أوسع الأشياء في التواصف، و أضيقتها في التناصف، لا يجري لأحد الا جرى عليه، و لا يجري عليه إلا جرى له».

إن الإمام الحاكم عند الإمام علي(ع) (في نهج البلاغة) حارس أمين على حقوق الناس و مسؤول أمامهم! و إن كان لا بد من أن يكون أحدهما للآخر فالحاكم هو الذي جعل في هذا الكتاب المقدس للناس، لا أن يكون الناس للحاكم. و من أحاديث الرسول(ص): **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَ كُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**، فالإمام راعٍ و هو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها و هي مسؤولة، والعبد راعٍ على مال سيده و هو مسؤول، ألا فكلكم راعٍ و كلكم مسؤول.

### الخلاصة والاستنتاجات:

الإسلام لم يترك صغيرة و لا كبيرة و لا شاردة و لا واردة من تعاليم الحرية و اصطلاحاتها المعروفة في عصرنا الحديث سواء الواردة منها في دراسات علم السياسة أو في الدساتير الوضعية أو حتى في إعلان حقوق الإنسان إلا و ذكرها و أن كلَّ إدعاء بأن الإسلام لم ينص على الحرية إلا بمعنى العبيد لا حرية الإنسان، هو محض افتراء أو هو نوع من الجهل و عدم الاجتهاد في الدراسة و البحث.

و يمكننا أن نستخلص أيضاً من هذا البحث أن الإمام علي عليه السلام قد لجأ إلى توسيع معنى الحرية في مدارك الناس، و في الوقت نفسه لجأ إلى توسيع معنى الشعور بالمسؤولية و من آياته في هذه الوسيلة الرائعة، ما ذكر من أمره مع أهل القرية الذين شاؤوا أن يحفروا مجرى النهر الذي عفا و درس. فطلبوا إلى عامله على قريتهم أن يسخرهم في العمل فأمره علي بأن يسخرهم، بل يطلب إليهم أن يعملوا في الحفر و يتقاضوا على ذلك أجراً ثم أن يكون الأجر والنهر فيما بعد، لمن عملوا بملء حريتهم، و لمن شعروا بأنهم مسؤولون عما عملوه و هم أحرار في أن يثابوا خيراً و في ألا يثابوا.

و كأن علي عليه السلام يحيي منذ بضعة عشر قرناً هذه العاطفة الكريمة التي صورها

العبري الفرنسي جان جاك روسو منذ قرنين إذ قال: (إن إيماننا بالإنسان، و ولاءنا للإنسانية، هما اللذان يثيران في طبيعتنا الخيرة أعمق الدوافع لأن نجعل من البليد المسخر إنساناً بشرياً نابهاً).

### تابع الخلاصة والاستنتاجات:

فقد أسس المجتمع الإسلامي في بداية تشكيله على ركيزتين هما الكتاب والسنة، و استمد هذا المجتمع قوانينه و مقرراته العبادية والتجارية، والجزائية، والسياسية من ذلك المنبع الإلهي، و ما من شاردة ولا واردة الا ولها في القرآن الكريم صورة صريحة أو مبيناً في السنة القطعية المنتهية إلى شخص النبي الأكرم (ص) أو الأئمة المعصومين من وجهة النظر الشيعية، فان التكليف واضح لا غبار عليه.

أمّا إذا لم تكن هناك آية صريحة ولا سنة قطعية فاللجوء عندئذ يكون للاجتهاد والاستنباط، و لقد تناول الفقه الإسلامي الشيعي مسألة العدل، واعتبره أصلاً عقائدياً، و تفاعل العدل في الميدان الفكري والعلمي، و اقتحم الميدان الاجتماعي أي على المستوى التطبيقي عند عامة الناس.

و نلاحظ من الأفكار البديهية للإنسان المسلم وجوب كون الإمام والزعيم عادلاً، و كذلك القاضي و شاهد المحكمة، و شاهد الطلاق، و إمام الجمعة والجماعة و كل أولئك يشترط فيهم أن يكونوا عدولاً، و حتى المناصب الحساسة لا بد أن تشغل من قبل عدول فترى ان المسلم أحس بالمسؤولية دائماً تجاه هذه المناصب، و قول الرسول (ص): (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) كان على كل لسان. فهذه الجملة خلقت الحماس والشجاعة في صفوف المسلمين.

والإنسان بطبعه يميل إلى العدل و ينفر من الظلم، و قد صرح القرآن الكريم بان الهدف من إرسال الأنبياء و بعثة الرسل إنما جاء من اجل قيام النظام البشري و إرساء الحياة الإنسانية على أساس العدل والقسط «و لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط»<sup>١</sup>، فالعدالة ملكة راسخة لا تزول و لذلك يشترط في مرجع التقليد الأعلّم كشرط من شروط الاجتهاد، و قد تبقى الحكومات مع الكفر و لكن لا يمكن أن تبقى مع الظلم لأنه قبيح في حد ذاته.

فقد أسس المجتمع الإسلامي في بداية تشكيله على ركيزتين هما الكتاب والسنة، و استمد هذا المجتمع قوانينه ومقرراته العبادية والتجارية، والجزائية، والسياسية من ذلك المنبع الإلهي، وما من شاردة ولا واردة الاولها في القرآن الكريم صورة صريحة أو مبيناً في السنة القطعية المنتهية إلى شخص النبي الأكرم(ص) أو الأئمة المعصومين من وجهة النظر الشيعية، فان التكليف واضح لا غبار عليه.

أما إذا لم تكن هناك آية صريحة ولا سنة قطعية فاللجوء عندئذ يكون للاجتهاد والاستنباط، ولقد تناول الفقه الإسلامي الشيعي مسألة العدل، واعتبره أصلاً عقائدياً، و تفاعل العدل في الميدان الفكري والعلمي، واقتحم الميدان الاجتماعي أي على المستوى التطبيقي عند عامة الناس.

و نلاحظ من الأفكار البديهيّة للإنسان المسلم وجوب كون الإمام والزعيم عادلاً، و كذلك القاضي و شاهد المحكمة، و شاهد الطلاق، و إمام الجمعة والجماعة و كل أولئك يشترط فيهم أن يكونوا عدولاً، و حتى المناصب الحساسة لا بد أن تشغل من قبل عدول فترى ان المسلم أحس بالمسؤولية دائماً تجاه هذه المناصب، و قول الرسول(ص): (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) كان على كل لسان. فهذه الجملة خلقت الحماسة والشجاعة في صفوف المسلمين.

والإنسان بطبعه يميل إلى العدل و ينفر من الظلم، و قد صرح القرآن الكريم بان الهدف من إرسال الانبياء و بعثة الرسل إنما جاء من اجل قيام النظام البشري و ارساء الحياة الإنسانية على أساس العدل والقسط «و لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط»<sup>١</sup>، فالعدالة ملكة راسخة لا تزول و لذلك يشترط في مرجع التقليد الأعلّم كشرط من شروط الاجتهاد، و قد تبقى الحكومات مع الكفر و لكن لا يمكن أن تبقى مع الظلم لأنه قبيح في حد ذاته.

إن العدل في نظر الإمام علي هو الذي يصون توازن المجتمع، و وظيفة الهيئة فلا يصح أن يقف المسلم العارف بالإسلام و قفة المتفرج عن ترك الناس العدل و لجوئهم للجور و التمييز الطبقي (فالساكت عن الحق شيطان أخرس).

إن أمير المؤمنين سلام الله عليه قطب العدالة و مؤسس المساواة و المثالية الاجتماعية في عهد الخلافة، فان من الحطام من يبني الدنيا و زينتها و يعيش سعيداً في ملذاتها، بينما

ينظر بلا اكتراث لآلاف الجياع والمستضعفين، والمقهورين، والمعوزين الذين يتضورون جوعاً ويقاسون الآلام والمآسي بكل معانيها، وهذا هو عين العدالة والمساواة التي امرنا بها جلّ و علا.

وختاماً أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا البحث المتواضع، وأسأل الله القبول... والحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

### التوصيات:

- ١- لا بد من تكثيف الدراسة والبحث حول موضوع الحرية والعدالة في الإسلام.
- ٢- لا بد من تعريف غير المسلمين بالحرية والعدالة التي نادى بها الإسلام من ١٤ قرناً من الزمان.
- ٣- لا بد من إلقاء الضوء على شخصية الإمام علي عليه السلام و خصوصاً جوانب الحرية والعدالة التي مارسها في حياته.
- ٤- لا بد من وضع مقارنة مدروسة بين المنهج الذي وضعه الإمام علي للحرية والعدالة وغيره من المناهج.
- ٥- لا بد من اتخاذ أقوال الإمام منهج يسير علي كل حاكم وكلّ راع يريد أن يستبصر طريق الحق و يؤدي ما عليه من مسؤولية بكل أمانة.
- ٦- لا بد من وضع مصنف مستقل يجمع فيه خطب الإمام و أقواله بخصوص الحرية والعدالة كي يستطيع طالب العلم أن يستفيد منه.
- ٧- من الأفضل أن يوضع مصنف يحمل عنوان كيفية سياسة الإمام علي للرعية.
- ٨- لا بد على الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي الرجوع إلى كتاب نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) ليس فقط شرح الكلمات و ترجمة ألفاظ و معرفة بعض الخطب و الإرشادات و المواعظ فحسب، بل معرفة تتجاوز إلى روحه و التعمق في محتواه لنستلهم من مدرسته مختلف المسائل الدينية و الدنيوية.

المصادر:

- ١- صحيح مسلم، الجزء الثالث.
- ٢- صحيح البخاري، الجزء الأول.
- ٣- سنن الترمذي، الجزء الخامس.
- ٤- أحمد حسن الباقوري، قطوف من أدب النبوة، ج ٢ (القاهرة، ١٩٨٢)
- ٥- محمد الخضر حسين شيخ الأزهر السابق، الحرية في الإسلام (دار الاعتصام، بدون تاريخ)
- ٦- د. محمود يوسف مصطفي، حرية الرأي في الإسلام المضمون والحدود (مكتبة غريب، بدون تاريخ).
- ٧- د. إبراهيم دسوقي أباطه و آخرون، تاريخ الفكر السياسي (دارالنجاح، ١٩٧٣)
- ٨- جورج جرداق، علي و حقوق الإنسان، الجزء الأول، مكتبة الحياة، بيروت.
- ٩- الشهيد مرتضى المطهري، العدل الإلهي، ترجمة محمد عبد المنعم.
- ١٠- العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، الجزء السادس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان.
- ١١- عبدالرضا الزبيدي، في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي، دراسة في ضوء نهج البلاغة.
- ١٢- مرتضى المطهري، في رحاب نهج البلاغة، ترجمة هادي اليوسفي، دار التعارف، بيروت لبنان.
- ١٣- د. صبحي الصالح نهج البلاغة.

## القضاء طريق العدالة الانسانية عند الامام علي (عليه السلام)

(الدكتور حسن عباس نصرالله)

لبنان

«عدل السلطان خير من خصب الزمان»

«اعدل الخلق اقضاهم بالحق» (الامام علي)

«فرح العالم الحاكم العادل» (سقراط)

### تعريف القضاء:

أ- لغة: قَضِيَ يَقْضِيْ فهو قَاضٍ: اذا حكم وفصل..

القَاضِي: القَاطِعُ للأمر، المحكم لها.

رَجُلٌ قَاضٍ: سريعُ القضاءِ

ب- اصطلاحاً: في الشرع: فصل الخصومات، وقطع المنازعات.

في القوانين: الحكم بين المتخاصمين، واقامة العدل، واثبات الحق. تشريع الهي للحكم بين الناس، علّمه الانبياء والاصياء وعنهم فاض ...

### غاية القضاء:

اهدافه اقامة العدل بين الناس، وفضّ الخصومات، وحماية الضعفاء، والانتصار

للمظلومين، وتحقيق العدالة في المجتمعات .

مادة القضاء: مصادرها نوعان :

- ١- قوانين الهية حملها الوحي الى الناس .
  - ٢- قوانين بشرية: وضعها المشرعون، اخذوا بعضها من الوحي الالهي، وصنعوا بعضها، وقد ضُمَّت احكاماً تخالف التشريعات السماوية، تبديل احكام: السرقة، الزنا، القتل المتعمد.. اباحة المحرمات: الخمر، الربا، القمار.. الغاء الحدود الشرعية والاكتفاء بالسجن..
- قال تعالى
- «ومن لم يحكم بما انزل الله، فاولئك هم الظالمون»<sup>١</sup>.

### ماهية العدل:

- أ- العدل ضد الجور، وهو الحكم بالحق، والميل اليه، والعدل: الانصاف .
- ب - هو تنزيه الخالق عن فعل القبيح، والاخلال بالواجب «اللَّهُ عدل».
- ج - العادل: هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم. قال الامام: «العادل هو من نفى الهوى عن نفسه»<sup>٢</sup>.

### مستويات العدل :

- أ - العدل المطلق (هو عدل الله) «اليس الله بأحكم الحاكمين»، يقيمه بين عباده يوم القيامة، فيقتضي للمظلوم من الظالم، ويتخطى عدله الانسان الى الحيوان، فيقتص للجئاء من القرناء. العدالة المطلقة لا تترك فعلاً أو حركة أو تصرفاً أو قولاً أو عطاءً أو اخذاً. الا وتصنفه بين الخير والشر، وتجزي عليه ثواباً أو عقاباً، وهو مقرون ابدأ بالرحمة والغفران. قال تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»<sup>٣</sup>.
- ب - العدل التكاملي: عدل المعصوم، النبي والامام: يتنزل العدل الالهي عن طريق الوحي، ثم يعلمه لاوصيائه المعصومين لاستكمال المسيرة العدلية الالهية، ادرك علي (عليه السلام) ابعاد السنن الالهية فقال: «العدل، الاقتداء بسنة الله»<sup>٤</sup>.
- من هذين النبعين نهل علي (عليه السلام) قضاءه وعدالته: ارسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الامام قاضياً علي اليمن فقال علي: «ندبتني يا رسول الله للقضاء، وانا شاب ولا علم لي بكل القضاء،

١. المائدة ٥ / ٤٥.

٢. نهج البلاغة، خطبة ٨٧.

٣. الزلزلة: ٧ / ٩٩ و ٨.

٤. مستدرک الوسائل ٢ / ٣١٠.



فقال الرسول: ادن مني، فدنا منه فسح على صدره بيده، وقال: «اللهم فهمه القضاء»<sup>١</sup>، مثلما فهمته لسليمان، بهذا العلم «اللذني» اراد الامام علي (عليه السلام) صيانة المجتمع بقضاء يلتزم احكام الله، فاطلق اراءه لتكون قانوناً قضائياً اذا طبقت في المجتمع عمته السعادة «فرح العالم الحاكم العادل، والعدل عنده ميزان الله الذي وضعه للخلق ونصبه لاقامة الحق»<sup>٢</sup>.

ج - العدل النسبي: تمثله احكام البشر، القوانين التي وضعها المفكرون، تسير باتجاه العدالة نسبياً، فهي في كثير من الاحيان تتناقض مع الاحكام الالهية، لانها ترضي غرائز البشر ولا تسعى لارضاء الخالق واطاعته.

### عوامل ترسيخ العدالة (طرق العدل):

أ- معرفة الحق والعدل: عرف علي العدالة والحق فنصرهما لجوهرهما، قال: «اعرف الحق تعرف اهله»<sup>٣</sup>. فالرجال والحكام الطغاة يمارسون الظلم والباطل او الشر، وهم يعلنون للناس، انهم يمارسون العدل والحق والخير اما جهلاً واما افتراء.

ب - حسن النية في الرعية: قال الامام علي (عليه السلام): استعن علي العدل بحسن النية في الرعية، وقلة الطمع، وكثرة الورع (غرر الحكم)، فحسن النية يقيم علاقة ودّ ومحبة بين الحاكم والمحكوم، فينحسر الظلم لان المحبة تقتلع الاحقاد من النفوس.

ج - قلة الطمع: المال عنصر اغراء الذنوب والظلم.. وطمع الحاكم بما في أيدي الناس، يحوله الى لصّ، يسرق ارزاق الناس واتعابهم..

د - الورع والتقوى: قال الامام علي (عليه السلام) بالتفاعل بين العدالة والايمان والورع والزهد... عندما تولى الامام علي، اقام المساواة بين الرعية، وانصفهم من نفسه، فكان عندما يوزع الذهب والفضة يعود الى منزله لا يحمل منه شيئاً، وهو يردد: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري..

اكثر الامام من الحكم التي تقيم علاقة وفاقية بين الايمان والعدالة، كانت الغزارة منهجاً، لابقاء فكرة العدالة مطروحة بين الناس متداولة في المجتمعات، تؤكد حضورها حكمة تقال هنا، واخرى تردد هناك...: العدل رأس الايمان - العدل زينة الايمان - العدل أعلى مراتب

١. من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٧.

٢. غرر الحكم: ٢ / ١٢٠.

٣. غرر الحكم: ١ / ٧٥.

الايان .

٤- لا يقوم الايمان إلا على اربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد..

في رأي الامام ان العدل يصنع الايمان، والايمان يصنع العدل، هذه المنظومة التواصلية فيها تفاضل لان «العدل اعلى مراتب الايمان»، ويتجلى الايمان بالعبادات: الصلاة الصوم الحج... وهذه تشكل علاقة الانسان مع خالقه، لكن العدالة تشكل علاقة الانسان بالوجود كل الوجود: الخالق والمخلوق. وان آية أذية لعنصر من عناصر الموجودات: الانسان، الحيوان النبات، الغابات.. او افساد عناصر الطبيعة: الماء، الهواء، البيئة... هو تصرف ضد العدالة وظلم لنعم الله التي انعمها علينا...

عرف علي (عليه السلام) هذه العدالة، فاحترم الموجودات، ولم يغصب «نملة جلب شعيرة» لان الغصب هو جور ومعصية.. والعدالة طاعة... والعدل خير من العبادة المقرونة بالظلم. فالنبي (صلى الله عليه وآله) قال: «عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة».

هـ التربية: ان الحكم التي اطلقها الامام علي (عليه السلام) كانت تهدف الى تربية الناس على الفضائل. بدأ بتوجيه النصائح الى اولاده، لينطلق منهم الى الاجيال. قال يوصي الامام الحسن (عليه السلام): «اوصيك يا بني بالصلاة عند وقتها.. والعدل في الرضا والغضب. اوصي ولده الحسين (عليه السلام): «اوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر... وبالعدل على الصديق والعدو»<sup>٢</sup>.

ادرك الامام ان رقي المجتمعات يصنع بتربية الاجيال على التقوى والعدالة والحق والحرية... والخضوع للقوانين والانظمة.. لقد رسم العلاقة بين السلطان والرعية والعدالة بقوله: «اذا ادت الرعية الى الوالي حقه، وادى الوالي اليها حقها، عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، وأعدت معالم السنن، فصلح بذلك الزمان، وطُمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الاعداء. واذا غلبت الرعية واليهما، أو اجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور...»<sup>٣</sup>.

هذا التوجيه بل التشريع هو ما يحقق العلاقة الحميمة بين الشعب والدولة، والقوانين والحرية... فيرتقي بالدولة الى المرحلة الحضارية المتوقعة... ان بعض الدول الغربية (مثل

١. بحار الانوار: ٤٢ / ٢٠٣.

٢. المصدر السابق: ٧٧ / ٢٣٦.

٣. نهج البلاغة: خطبة ٢١٦.

الدول الإسكندنافية) التي بلغت مرحلة حضارية متطورة من النظام الديموقراطي، حيث تسود العدالة الاجتماعية، لم تبلغها بقوة السلاح، ولم تفرضها فرضاً، انما تم ذلك باختيار الشعب ورضاه، بعد عملية تربوية صعبة، وتوجيهية طويلة... استغرقت اكثر من جيل، انتجت التوازن بين الحاكم والمحكوم، واثرت التزاماً بالشرائع من قبل الجميع فأمسكوا بطرف السعادة. لقد اعتادت اجيالهم هذا النمط من الحياة الذي يؤدي الى سعادة الأفراد، فتمسكوا به، ودافعوا عنه، وحافظوا عليه من عبث العابثين، لقد ادت الرعية الى الحاكم حقاً، وادى اليها حقاً، فاعتدلت معالم العدل. اما مجتمعاتنا فهي من الصنف الاخر الذي وصفه الامام حيث غلبت الرعية واليهاء، أو أجحف الوالي برعيته، فظهرت معالم الجور.. وبات الحاكم يعيش في واد والرعية في واد، وبينهما يرتع الحقد، ويقوم العسف والظلم..

### العدالة الصعبة:

اسس الامام للعدالة الصعبة، أسساً لها تنظيم وتطبيق:

أ- الحقل التشريعي: ارسل الامام حكماً هي بمثابة توجيهات للمسؤولين والقضاة وعامة الناس. العدل الصعب هو الذي يساوي بين الصديق والعدو في الحق. بل الانتصاف للعدو قبل الصديق في ساعة الرضا والغضب.

١- أعدل الناس من انصف من ظلمه، وأجور الناس من ظلم من أنصفه ١.

٢- أعدل الناس من أنصف عن قوة ٢.

٣- أوصيك بالعدل في الرضا والغضب، وبالعدل على الصديق والعدو..

ب- الحقل التطبيقي: ما ميّز علي (عليه السلام) يوماً في أحكامه بين انسان وآخر، بل أنصفهم جميعاً: أعطى الحق صاحبه ولو كان مأخوذاً من صديق او قريب... رفض في المحاكمات التمييز بين المتخاصمين، ولو كان طرفاً في النزاع، اعترض على القاضي في احدى الخصامات عندما كناه وسمى خصمه وقال له: كنيته وسميته. التكنية فيها احترام وتمييز عن التسمية، لم يتهاون الامام بهذه الاشكالية الصغيرة ليلفت انتباه القضاة الى وجوب العدالة في التصرف مع اطراف النزاع (مع العلم ان الدعوى ضد الامام كانت افتراء).

هذا التوجه الى العدالة يستعصي على البشر، وما استعصى على الامام (عليه السلام).

ان قراءة تاريخ الملوك والامراء والقادة والاقوياء يؤكد انهم ما استطاعوا انصاف اعدائهم من انفسهم. بل كانوا يأنفون من الوقوف مع اخصامهم جنباً الى جنب، وان حدث لمرة وانصف القوى من ظلمه، فلعللة تتم هذه العدالة.. لكن علي (عليه السلام) انصف ظالميه، وما ضل مرة عن هذا الانصاف .

### الحقول الدلالية للعدل :

حقول العدالة كثيرة تعدادها تعداد الزهر، فكل زهرة نابئة، غمت على حفنة تراب فيها رائحة العدالة.. وحيث خلا التراب من هذه الرائحة نبت شوكة..

أ- العدل السياسي: في فلسفة الامام علي الحكيم والسياسية، العدل أوسع من الارض، وهو أساس الحكم، وبه قوام العالم، وفرح الرعية، وخصب الزمان... والعدل فضيلة السلطان، وجنة الدول، وطريق اعمار البلاد واصلاح الشعوب، واستمرارية الملك... هذه المضامين هي عناوين حكم ترسم صورة واضحة للعدالة، بمداهها الواسع، فهي أوسع من الارض بل روح الارض والحياة.

١- عدل السلطان حياة الرعية، وصلاح البرية<sup>١</sup>.

٢- العدل أساس، به قوام العالم<sup>٢</sup>.

٣- جعل الله العدل قواماً للانام، وتنزيهاً من المظالم والآثام<sup>٣</sup>.

٤- العدل يصلح الرعية، وبالعدل تصلح الرعية.

٥- اعدل تحكم، اعدل تملك<sup>٤</sup>.

كلماته قواعد لارساء العدالة السياسية التي تؤلف ركيزة التشعبات العدالية، فهي تنبه الى قوة العدالة في انتاج أو صنع الدولة المتفوقة (العدالة جنة الدول)، والجنة الدرع التي تقي الدولة من الضعف والانحلال والزوال.. وقد حرص اصحاب المسؤوليات بل اغراهم بالعدل، ليكون زينة لهم، وفضائل تجعلهم جديرين بمركزهم، فالحاكم هو المصدر الذي يفيض عنه العدل أو الظلم في مملكته أو مقاطعته أو ولايته... وبقدر قوة وعظمة هذه العدالة وشموليتها تزدهر البلاد، ويتطور عمرانها «ما عمرت البلاد بمثل العدل».

١. غرر الحكم ٢ / ٤٢.

٢. بحار الانوار: ٧٨ / ٨٣.

٣. غرر الحكم: ١ / ٣٦٠.

٤. نفسه: ١ / ١٢٤.

ب - العدل في القول: قال تعالى: «واذا قلتم فأعدلوا»<sup>١</sup>.

العدل هو الكلمة الطيبة (الصحة)، والجور هو الكلمة الخبيثة (الغلط). رسم الامام علي (عليه السلام) هذا الحقل بقوله: «من طابق السر علانيته، ووافق فعله مقالته، فهو الذي أدى الامانة، وتحققت عدالته».

ج - العدل في الشرك: «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون»<sup>٢</sup> أى يشركون من الظلم عبادة الاوثان والاشخاص، والعدالة هي معرفة الاله...

د - العدل هو الفدية «ولا يقبل منها عدل»<sup>٣</sup>

العدل هو الامان الحميم الذي يشعر به كل فرد في مجتمعه، الى أية عقيدة انتمى، والى أى عرق انتسب.

### مقومات العدالة:

أسس الامام (عليه السلام) لعلم العدالة مقومات، لانه تحدث عن مادتها، ومستوياتها، وعوامل ترسيخها، وحقولها الدلالية، بالفهم، والعلم، والحكم، والحلم. قال: «العدل على أربع شعب: على غائص الفهم، وغور العلم، وشريعة الحكم، ورساخة الحلم.. فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمر يلبه في الناس»<sup>٤</sup>.

هذه المنظومة المتوالدة تفضي الى الغاية العدلية، وهي عدم التفريط بحقوق الناس، وهذا التصرف لا يتم الا بتفاعل بين الفهم والعلم، والحكم والحلم وشخصية الحاكم الذي يتولى امور الامة..

### القضاء عند الامام علي (عليه السلام): نموذج تطبيقي في الاسلام

قال الامام بتطور الفتاوى والاحكام بتطور الزمن، وتبدل الاحوال، معللاً الاسباب التي تبرر التبدل في الاحكام. سئل عن قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): «غيروا الشيب، ولا تشبهوا

١. الانعام: ٦ / ١٥٢.

٢. الانعام: ١ / ٦.

٣. البقرة: ٢ / ١٢٣.

٤. بحار الانوار: ٢ / ٩٠، مع خلاف في الرواية..

باليهود»، فقال: انما قال (ﷺ) ذلك والدين قل، فأما الان وقد اتسع نطاقه، وضرب بجرانه، فامرؤ وما اختار»<sup>١</sup>.

ان الفتاوى والقضاء تستدعي فقيهاً امتلاً علماً، متمرساً في استنباط الاحكام بثقافة واسعة وتقوى ايمانية، هو عند الامام «الفقيه كل الفقيه من لم يقنط من رحمة الله، ولم يؤيسهم من رُوح اللّٰه، ولم يؤمنهم من مكرالله»<sup>٢</sup>.

هذه أبعاد الفقيه الانسانية والاجتماعية، ومهمته، ان يضع الناس على الطريق الصحيح، فلا قنوط ولا يأس من الرحمة والمغفرة، ولا أمان من المكر، انما عمل مقرون برجاء وخوف، ودعا الى عدم اضاعة الفرائض، والى عدم تجاوز الحدود، وشدد على التزام الاوامر والنواهي، لكنه دعا الى التعامل باتجاه انساني مع الحدود. اذ كان يصون دم الفرد مقابل التوبة، أتاه مذنب وطلب التطهير باقامة الحد، أجابه الامام: يا سبحان الله! أين باب التوبة؟ «لا طهارة أفضل من التوبة»<sup>٣</sup>، واذا أقام الولاية الحدود راقبهم مراعيًا الاتجاهات الانسانية في وقائع التنفيذ كيفية وتوقيتاً. نهى عن ضرب المذنب وقت اشتداد الحر، أو اشتداد البرد «اذا كان في البرد ضرب في حر النهار» و «لا يقام الحد على المريض كما لا يزداد في الحد جلدة واحدة»: «لكل شيء حد ولمن تجاوز الحد حد» فقد عبر الامام علي بين روح القانون ونص القانون. المعنى الأول تحمكه الرحمة والبعد الانساني. والمعنى الثاني تحمكه الواقعية المقررة بالقسوة تحدث الامام عن قضايا غائبة في الفقه، فشرع لها استمرارية الغياب في الحكم، وعدم التكلف في الاستفسار عنها «وسكت لكم عن أشياء، ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها»<sup>٤</sup>. وهذا الحكم مستنبط من الاية الكريمة «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم»<sup>٥</sup>.

وقضى بشيوع التفقه ليصون المرء به عمله مهما كان نوعه، فهو واجب يحتاجه رجل الدين والتاجر والموظف والمزارع.. لان الفقيه يعصم الانسان من تجاوز الشريعة، ويحفظ المرء من الوقوع في أخطاء تنتج عن الجهل بالحكم. هذه الفكرة دعا اليها «كامبانيلا» (١٥٦٨ - ١٦٣٩م) في جمهوريته «مدينة الشمس»: «يوجد بين الشعب من

١. نهج البلاغة: حكمة ١٦.

٢. نفسه: حكمة ٩.

٣. مغنية، محمد جواد: فقه الامام جعفر الصادق: ٦ / ٢٧٢.

٤. نهج البلاغة، حكمة: ١٠٥.

٥. المائدة: ٥ / ١٠١.

القضاة بقدر ما يوجد بيننا من الفضائل». لذلك لا يكون في مجتمعهم لصوص أو قتلة، ولا اغتصاب أو انتهاك للمحارم، ولا زنا ولا نفاق أو كذب...»

ما اجمل المجتمع يسوده رجال تفقهوا في امور الشريعة، وانصرفوا الى اعيالهم بايمان، يتسلحون بعلم فقهي واسع، فلا تقصير في واجب، ولا انحراف عن حق، ولا وقوع في مهالك الضلالات.. قال الامام: «من أتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا»<sup>١</sup>. اختار كلمة ارتطم ليتجاوز بها الوقوع في الذنب والارتباك الناتج عن الجهل الى العقاب الذي ينتظر آكل الربا أى الارتطام في عذاب الجحيم..

### السلطة القضائية والعدالة :

تحدث الامام عن أهمية السلطة القضائية وضرورة وجودها: لتحقيق العدالة بين الناس، ولردع اصحاب السلطة عن ظلم الشعب.. ان التفقه والاستقامة، والنزاهة، والعدالة هي عناوين مشرقة في قضاء الامام علي (عليه السلام)..

قسّم المجتمع الى طبقات تتكامل ومنها قضاة العدل، وفرض وجود القضاة لا للحكم بين الناس فقط انما لضبط الجنود وعمال الخراج ثم لا قوام لهذين الصنفين (الجنود وعمال الخراج) الا بالصنف الثالث من القضاة... لما يحكمون من المعاهد...»<sup>٢</sup>.

ان مشكلة العالم الثالث تكمن في معاناته من تسلط العسكر على المواطنين. فالشرط بأنواعها تبتزّ الاموال من التاجر والمزارع والعامل حتى من المتسول، اذ تشاركه في ما يجمع من صدقات، يتم ذلك باسم السلطة والقانون، فال مواطن الذي يرتكب مخالفة ولو عفوية لا يغفرها التوسل، وطلب الرحمة والتوبة.. وتغفرها الرشوة فقط. هذا النموذج من المجتمعات المتعاقبة في العالمين: العربي والاسلامي مارسه حكام منحرفون فوّضوا شؤون الدولة الى موظفين، غير أكفاء اشتروها بالمال (ولاية، جنوداً، عمال خراج...) متسلطين جشعين لا تنبهم الوظيفة في اقامة العدل وانصاف المظلومين...

انما همهم التسلط، والقهر، وأن يجمعوا بنفوذ الوظيفة ما تمكنهم مراكزهم من اموال الخزينة والشعب.

فالسultan له النصيب الاوفر (الاراضي السنية) ويليه جشعاً افراد اسرته والوزراء والنواب

١. نهج البلاغة، حكمة: ٤٤٧.

٢. نفسه، كتاب ٥٢.

ورؤساء المصالح كلهم يشاطرون الرعية ارزاقها يأكلون أتعابها بالباطل، يأكلون ولا يشبعون، يظلمون ولا يشفقون .

لقد رأى الامام علي (عليه السلام) بجدسه وفكره النير هذه المجتمعات، فأوكل الى القاضي أن يقوم بدور الردع لهذه الفئات الطماعة، المتكالبة على ما في أيدي الرعية.

### النظريات القضائية المتطورة في نهج البلاغة:

شرّع الامام علي (عليه السلام) للقضاء تشريعات لم تدخل قوانين الدول المتطورة الا في القرن العشرين، لكن معظم الدول المتطورة والمتحضرة ظلت تتعامل مع التشريعات نظرياً، وتقتصر في حقل التطبيق... بينما شرّعها الامام علي (عليه السلام) وطبقها في أحكامه، لنقرأ هذه العبارة التي نستخلص

منها قانوناً متفرداً في بناء السلطة القضائية وتقويمها واستقلاليتها: «ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيته.. ثم أكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علتة، وتقل معه حاجته الى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك»<sup>١</sup>.

ان قراءة متأملة في كتاب القضاء الذي أطلقه الامام علي في عهده لمالك الاشر (٣٧هـ / ٦٥٧م) يضع القضاء الاسلامي في مرحلة متطورة مع قوانين القضاء العالمية..

### صفات القاضي

- ١- صاحب فضل وأخلاق .
- ٢- سعة المعرفة، والتفقه في التشريع، حتى لا تضيق به الامور.
- ٣- الرزانة: لا تمحكه الخصوم، أي لا تخرجه مماحكة الخصوم (بجادلتهم) عن الرزانة والحق الى الغضب واللجاج..
- ٤- التراجع عن الخطأ «لا يحصر من النية الى الحق اذا عرفه، لا يتأدى في الزلة» من صفات العدالة عدم الاصرار على الخطأ..
- ٥- تعاهد القضاء: أي مراقبة الاحكام التي يصدرها القضاة.
- ٦- العفة وانتفاء الطمع: «ولا تشرف نفسه على طمع» شهوة الطمع نقيض النزاهة



- ومذهبة لها. الطمع يؤدي الى الرشوة، وتضييع حقوق المواطنين .
- ٧- دراسة القضية دراسة واعية قبل اصدار الحكم «ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه».
- ٨- العودة الى الاصول التشريعية الصحيحة في الاحكام وخصوصاً عند الشبهات .
- ٩- تعليل الاحكام باعتدال البراهين والحجج «وأخذهم بالحجج»، وهذا وصف متطور في تعليل الأحكام «حيثيات الحكم».
- ١٠- عدم التبرم من مراجعة أصحاب الدعاوى. فقضاة الظلم يقفلون أبوابهم أمام المواطنين المظلومين، ولا يفتحونها إلا أمام الزعماء، أو من يحمل الهدايا والرشاوى «أن يكون رحب الصدر يسع الناس بأخلاقه».
- ١١- الصبر على كشف القضايا الغامضة، والجرائم المعقدة..
- ١٢- أن يكون قاضياً: أى سريع القضاء، وعدم المماطلة في اصدار الحكم عند اتضاحه «واصرمهم عند اتضاح الحكم».
- ١٣- الرصانة: «لا يزدديه اطراء» ولا يستخفه الثناء، فيخرج عن رصانته، ويحكم بغير الحق..
- ١٤- «لا يستعمله الاغراء» عدم قبول الاغراءات (الوعود، الرشاوى) مقابل تزوير الاحكام .
- هذه بعض خصائص الشخصية القضائية، إنها صفات تجعل من القاضي - ان تحلى بها- حاكماً مثالياً، لا ينشد في سيرته سوى اقامة العدل بين الناس، واصلاح المجتمع .

## حقوق القاضي

ذكر الامام حقوق القاضي التي يجب أن توفرها له الدولة، ليصون نفسه ونزاهته وحرية واستقلالته في اعطاء الاحكام...

- ١- تعهد السلطان او الدولة للقاضي: قصد الامام (عليه السلام) بالتعهد جملة المعاني التي تنطوي تحت اللفظة: مراقبة، اشراف، توجيه، تشجيع، بذل، عطف، حماية.
- ٢- ترفيه القضاة: بتأمين الراتب الرغدى، الذى يؤمن له الحياة الكريمة، فيكف عما في ايدي الناس .

٣- التقدير والاحترام، ورفع المنزلة، حتى تهابه العامة ولا تطمع به الخاصة. قال الامام: «وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال

الرجال له عندك». اغتيال مفردة تتعمق في سيرة القاضي النفسية القاضي المستضعف والمقهور من الحاكم واقاربه وحاشيته .

٤- استقلالية القضاء: تتم بتعيين أصحاب الكفاءات، وأهل الجراءة في الحق، بعيداً عن المحسوبيات التي تجعل القاضي خاضعاً لأصحاب النفوذ، الذين أوصلوه الى المركز، فيميل في أحكامه عن سبيل الحق، يعدل الى الجور، ارضاء لآسياده الذين يهددون وظيفته ان تجرأ وحكم على المجرمين والمذنبين من أتباعهم. التاريخ القضائي يئن من ثقل وقائع تم فيها قهر القضاة الشرفاء بنقلهم او تقليص صلاحياتهم او عزلهم او قتلهم... لانهم حكموا بالعدل على قوى، او زعيم او احد اتباعه..

**القواعد التي اطلقها الامام وشرعها لتكون ركائز في القضاء الاسلامي - الانساني :**

انسرب القضاء عند الامام علي (عليه السلام) الى تيارين:

الاول: علم القضاء: اى التنظيم والتشريع، واطلاق الحكمة القضائية ليحفظها القاضي والانسان العادى، حتى اذا ضلّ القاضي وانحرف، ذكره الغريم ورده الى الصواب بما يحفظه من حكمة الامام، في حال صدور أحكام مبنية على الطمع او الظن او الميل او الغائب.. ما أجمل أن يبادر المظلوم الى تردد أقوال الامام:

١- آفة القضاء الطمع .

٢- ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن.

٣- أفضل الخلق أقضاهم بالحق.

٤- لا يقضي على غائب...

الثاني: الحقل التطبيقي: ان ممارسة العمل القضائي تؤكد منهجاً قضائياً منظوراً ومتفرداً في الاستنباط والسعي لتطبيق العدالة وتحقيق النزاهة... ما مال الامام علي عن الحق، ولا اتبع الهوى، فأحكامه صادرة عن معرفة ودراسة، وتمعن والهامات، عمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على تنميتها.

أرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الامام قاضياً على ابنه فقال الامام: «ندبتني يا رسول الله للقضاء، وانا شاب ولا علم لي بكل القضاء»، فقال الرسول: ادن مني، فدنا منه فسح على

صدره بيده وقال: «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه»، فما شككت في قضاء بين اثنين بعد ذلك»<sup>١</sup>

ان الملكة القضائية عند الامام علي (عليه السلام) هي «لدية» اي حصيلة اجتهاد الهامي بتفهم الهي. قال تعالى: ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما»<sup>٢</sup>. وأعاد النبي حركة التفهيم مع علي عندما مسح بيده على صدره وقال: «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه». وفي موقف آخر مسح النبي على صدر علي وقال: «اللهم فهمه القضاء»<sup>٣</sup> مثلما فهمته لسليمان بهذا العلم «اللديني» اراد الامام علي (عليه السلام) صيانة المجتمع بقضاء يلتزم أحكام الله، فأطلق آراءه لتكون قانوناً قضائياً اذا طبقت في المجتمع عمته السعادة «فرح العالم الحاكم العادل»

### القواعد القضائية

١ - التزام الاحكام القرآنية: التزم الامام أحكام الشريعة في اقامة الحق، حتى لا تتناقض الاحكام في المسألة الواحدة، أما القضاء العصري، المدني، فيحكم بغير ما انزل الله، فهو قضاء يدخله الجور والظلم استناداً الى الآية الكريمة: «ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الظالمون»<sup>٤</sup>.

والقضاء المدني رمز الطاغوت استناداً الى قوله تعالى: «لم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك، يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به»<sup>٥</sup>. وقال الامام الصادق (عليه السلام): «من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله فقد كفر، ومن حكم في درهمين فأخطأ كفر»<sup>٦</sup>.

٢ - وحدة الاحكام: عدم التناقض في القضية الواحدة.

التشريعات البشرية تفضي الى تعداد الأحكام التي تصدر بحق القضية الواحدة لدى قاض واحد أو جملة قضاة. في حين قال الامام علي (عليه السلام): «لا تقض في أمر واحد بقضائين

١. المفيد، الارشاد: ١٠٠.

٢. الانبياء ٢١ / ٧٩.

٣. من لا يحضره الفقيه: ٧ / ٣.

٤. المائدة:

٥. النساء: ٨٠ / ٤.

٦. بحار الانوار: ١٠٤ / ٢٦٥.

مختلفين، فيختلف امرك، وتزيغ عن الحق..<sup>١</sup>

حذر الامام (عليه السلام) القضاة من الزيغان عن الحق باصدار الاحكام المتناقضة في القضية

الواحدة، وردها الى الاسباب التالية:

أ - ضعف ثقافة القضاة الاسلامية.

ب - ضعف أصول الاستباط.

ج - العمل بالاجتهاد الشخصي مع قلة المعرفة.

د - اهمال تدارس القرآن الكريم.

هـ - مراعاة أصحاب الدعوة بين عدو أو صديق.

و - المعصية والشرك بالله.

كتب الامام أفضل عبارات وأبلغها في هذا الحقل: «ترد على أحدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره، فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم، فيصوّب آراءهم جميعاً، وإلَهُمُّ واحد، ونبيهم واحد، وكتائبهم واحد! فأمرهم الله - سبحانه بالاختلاف فأطاعوه؟ أم نهاهم عنه فعصوه؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على اتمامه؟ أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا، وعليه أن يرضى»<sup>٢</sup>.

٣- اقامة الحدود وعدم تعجيلها، الا عندما تكون التوبة أظهر. «ولكم في القصاص

حياة»، قال الامام في معرض تنفيذه لاحدى العقوبات «اللهم اني غير معطل حدودك، ولا مطالب مضادتك، ولا مضيع لاحكامك، بل مطيع لك، ومتبع سنة نبيك.»

٤- لا يقيم الحد لله، من لله عليه الحد. لو التزم القضاة والحكام هذا البند، لعمت العدالة

المجتمعات البشرية، وساد الرخاء، لان الحكام هم العامل الاول للظلم في مجتمعات المسلمين.. ان من يسرق اموال الخزينة او يرتشي او يظلم كيف يسمح لنفسه ان يقيم الحد على السارق والمرتشي...

شارب الخمر في التشريع الاسلامي لا يقيم الحد على شارب الخمر، ولا السارق على

السارق، ولا القاتل على القاتل، ان حكام العالمين العربي والاسلامي - في معظمهم -

يسرقون ثروة الامة، ويفقررون البلاد، وهم يقفون بتصرفاتهم الغلط وراء الحال المتردية بل

١. بحار الانوار: ١٠٤ / ٢٧٦.

٢. نهج البلاغة: خطبة ١٧.

المتخلفة للأمتين العربية والاسلامية.

- ٥- عدم انتزاع الاعتراف بالضرب أو التهديد عملاً بقول الرسول (ﷺ):  
«لا حد على معترف بعد بلاء، انه من قيد أو حبس، أو تهدد فلا اقرار له».
- لقد عانى الابرياء قبل المجرمين من آلة التعذيب في محاكم العالم، في (محاكم التفتيش في فرنسا)، في السجون، في الاقبية، على أعواد المشانق، في زنايات الانسانية السوداء.
- ٦- التفريق بين الشهود.
- ٧- تسريع الاحكام: نهى الامام (عليه السلام) عن المماطلة في اصدار الاحكام، ودعا الى تسريع القضايا بعد اتضاح الحكم «وأصرهم عند اتضاح الحكم».
- ٨- عدم التهاون في القضايا الصغرى.
- ٩- تنويع الاستجواب.
- ١٠- توليد الاحكام، واستباطها من مقارنات المصادر الفقهية، والايات القرآنية..
- ١١- اطلاق قواعد قضائية: «لا يمين في حد، ولا قصاص في عظم».
- ١٢- المساواة بين الخصوم.
- ١٣- لا يعلو كلام القاضي كلام المتخاصمين.
- ١٤- سماع الاطراف المتنازعة قبل اعطاء الحكم.
- ١٥- عدم تلقين الشهود.
- ١٦- القضاء للرجال، ولا يصح تولية النساء.
- ١٧- انشاء المحكمة العليا.
- ١٨- اسقاط الحكم الغيابي. قال الامام: «لا يقضى على غائب».
- ١٩- انتفاء حكم الظن: «ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن».
- ٢٠- تلازم القضاء والحق: «أفضل الخلق أقضاهم بالحق».

## خلاصة

العدالة أمنيات الانسان ومشتهاه، وبما أنها لم تتحقق على الارض، ولدت فكرة المخلص الذي ينقذ البشرية من الظلم والجور.. فتعلقت آمال الشعوب وأمانيتها، على مرّ العصور، بالعدالة الوعد التي ستشهدها الحياة مع المخلص... وصارت العدالة نوعاً من الاحلام، وليست جزءاً من الواقع، لان الظلم يمارس على الارض لحظة لحظة، لا تخلو منه

لحظة... يمارس في تصرف الانسان ضد أخيه الانسان وضد الموجودات، وضد عقيدة التوحيد...

ان فكرة العدالة بأبعادها الانسانية المشرقة، وما تواجهه من صراع الظلم والقهر شغلت الناس، حتى آمنت الشعوب والاديان والطوائف بفكرة المخلص، ومهمته استعادة العدالة المغيبة، وتغيب الجور الدائم الحضور..

يتجلى المنقذ اسلامياً بالمهدي المنتظر، قال النبي محمد (ﷺ): «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، يملأ الارض قسطاً وعدلاً مثلما ملئت ظلماً وجوراً». يأتي لاحياء السنن السماوية بوعد الهي قال تعالى: «اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها»، قال الامام الباقر (عليه السلام): «يحيي الله الارض بالقائم، المهدي المنتظر». فالمخلص مرصود لتحقيق العدالة الانسانية في العالم ولو لسنين قليلة، ليفرح الانسان، ولتفرح الموجودات، ولتفرح السماء بعدل الارض، والفرح حياة، قال علي (عليه السلام) «العدل حياة».

هذه العدالة المضطهدة حمل الامام همومها، نصرها في صراعها مع الظلم والجور.. أحبها عشقتها، حلّت فيه، حلّ فيها، صارَ عليّ العدالة، وصارتُ العدالةُ علياً... فناجى ربه بجلولية العدالة «الهي لا تؤاخذني بانسان بات ليلته جائعاً ولا علم لي به، الهي لا تؤاخذني بانسان بات ليلته مظلوماً ولا علم لي به، فأنتصر له..».

قهر على الظلم في نفسه، تطلعا الى قهره في نفوس الاخرين: انتشت العدالة بعدما طبّق مبادئها بينه وبين الرعية، أشعل أنوارها، فأضات كالحق.. انطلقت مع علي في حركاته وأفعاله وتفكيره وكلماته وسيرته... كان التزاماً بالدعاء الذي أطلقه، يتعشى ليلة ويطوى ليلة جوعاناً، ويوزع قوته على مسكين أو يتيم أو أسير، مواساة لانسان بات ليلته جائعاً ولا علم له به.

العدالة مع علي (عليه السلام) شيء من تصرف ملائكي، والملائكة مخلوقات انمحت من عالمها مادة الشرور، فهم لا يعرفون الظلم ولا طريقه، لانه غير موجود في ملائكتهم، فما ارتكبه ولا أثموا به هم ما عرفوا الا العدالة المطلقة.. في حين ان الظلم متكثف في دنيا علي، لكنه طلقها ثلاثاً حتى لا تلد له ظلياً، ولا تغريه بجور، فيتلذذ بطعمه مثلما يفعل الطغاة.. هكذا ظل علي (عليه السلام) رقيقاً للعدالة الانسانية، عطف عليها، حرسها، دافع عنها، فتجلت معه انواراً علوية، وتصرفات ملائكية.

## العدالة السياسية (العلاقة المتبادلة بين الحكومة والشعب)

إعداد: نبيل الحلياي

مقدمة:

إذا كان المسلمون قد ذهبوا طرائق قدراً في تقويم الرجال الذين صنعهم الإسلام ومدى تجسيدهم لقيم الإسلام وأبعاده فإنهم لن يختلفوا حول نقطة وحيدة على الأقل؛ وهي أن علياً (عليه السلام) كان فارس السيف والقلم المقدم، وأمير من تكلم (وإنا لأمرء الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه).

وأن ما حفظ لنا من كلامه - على الرغم من الاختلاف حول ما ثبت إسناده إليه - منهل ثر ومنبع خصب لموقف الإسلام من مختلف قضايا الإنسان والإنسانية. ومن أبرز قيم الإنسانية تجسداً في مسيرة هذا الإمام العظيم القولية والفعلية ومن أجلها وأسناها قيمة العدالة.

ومن أبعاد هذه القيمة العلاقة التي جلاها ورسم آفاقها بين الحكم والشعب، بين الراعي والرعيته مما يصلح أن يكون أنموذجاً ومثلاً أعلى للمرتادين وطلاب الحق والحقيقة.

أ - منابع رؤية الإمام علي (عليه السلام) لهذه العلاقة:

يمنح علي (عليه السلام) في رؤيته للعلاقة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم أو قل الراعي والرعيته من منابع متعددة تتلاقى لتعطي لهذه الرؤية أحاداً، وتعد صاحبها لذروة ينحدر عنها

السييل ولا يرقى إليها الطير

- وأول تلك المنابع حكمته المتبصرة وفهمه العميق للصفات الإلهية وعلاقته العرفانية والوجودية بالله تعالى بحيث يقول الرسول (ﷺ) (يا علي ما عرف الله إلا أنا وانت) وقد أشعت صفات الله عز وجل ولا سيما العدل في كلامه بألوان متألقة وأشكال متوهجة.

ومن هذا الفيض المُشعُّ قوله :

خ ٩١: (بل نفذهم علمه وأحصاهم عدده ووسعهم عدله وغمرهم فضله)  
فعدل الله يُسعُ جميع خلق الله ولا يضيق عنهم على كثرتهم وهذا العدل الواسع هو الذي يريد علي (عليه السلام) أن يجعله مثلاً أعلى للتطبيق العلوي (فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق)  
وقوله:

خ ٢٣٣: (الذي عظم حلمه فعفا، وعدل في كل ما قضى، وعلم بما يمضي وما مضى)  
فعدل الله تعالى في قضائه وتشريعه يناغم عدله التكويني  
وقوله:

خ ٢٠٥: (وأشهد أنه عدلٌ وعدلٌ وحكم فصل)  
فعدل الله سبحانه في صفاته يسري في كل فعلٍ من أفعاله ويُرَكِّز علي (عليه السلام) على صفة العدل الإلهية التي تنفي عن العباد كل ظلم وتتجلى في كل قضاء وحكم  
خ ٢٢٧: (الذي صدق في ميعاده وارتفع عن ظلم عباده وعدل عليهم في حكمه)  
- وثاني هذه المنابع القرآن الكريم

وقد عجنت روح علي بالقرآن بعد إذ كان أول من عايش نزول الخطاب الإلهي على رسول الله (ﷺ):

خ ٢٣٤ (ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (ﷺ) فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير وإنك لعلني خيراً).

ومن القرآن الكريم نهل علي (عليه السلام) روح العدل فسرت في وجوده ولم تفارقه لحظة من لحظات حياته الخيرة الكريمة  
فالقسط في الكون يقوم بالله سبحانه :



«شهد الله أنه لا إله إلا الله قائماً وأولو العلم قائماً بالقسط»

والقسط هدف الرسالات جميعاً:

٢٥ الحديد « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس

بالقسط»

والله يأمر نبيه وسيد رسله محمد (ﷺ):

٤٢ المائدة: «وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين»

يؤكد القرآن ذلك على لسان حبيبه المصطفى (ﷺ):

١٠ الشورى «وأمرت لأعدل بينكم»

ويؤمر الناس جميعاً بالعدل في الحكم:

٥٨ النساء «وإذا حكمت بين الناس أن تحكوا بالعدل»

وينوّه القرآن بالأمة العادلة من خلقه في خلقه ولعلهم الأئمة (عليهم السلام)

«ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون»

ويدعو الناس إلى العدل في القول بلغة الفصل

١٥٢ الأنعام «وإذا قلتم فاعدلوا»

وحتى مع مَنْ بَغَضَ: لأن ذلك أقرب للتقوى:

٨ المائدة «ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى» ويندب

المؤمنون إلى أن يكون قيامهم لله وأن يرتقوا إلى مستوى الشهادة بالقسط:

٨ المائدة «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولو على أنفسكم»

ويؤكد على أمر الله بالعدل ضمن أوامر متلازمة متضافرة:

٩٠ النحل «يا أيها الذين آمنوا إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن

الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون»

- وثالث هذه المناهج: رسول الله (ﷺ) الذي حَضَنَ علياً (عليه السلام) ورباه وخصّه بما لم

يخصّ به أحداً سواه وقد حدثنا علي (عليه السلام) عن هذه الخصوصية:

خ ٢٣٥: (وقد علمتم موضعي من رسول الله (ﷺ) - بالقرابة القريبة والمنزلة

الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمنني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني

جسده ويشمني عرفه

وكان يمضغ الشيء ثم يلضمنيه وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطله في فعل)....

وبهذه الخصوصية التربوية أتيح لعلي ما لم يتح لغيره من الاقتداء برسول (ﷺ):  
 (يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به)  
 ومن ها هنا نهل علي (عليه السلام) من عدل رسول الله (ﷺ) كما نهل من سائر أخلاقه  
 وكما عبَّ من علمه وفهمه وحكمته وسائر خصائصه وكمالاته الوجودية ولنستمع إلى  
 علي (عليه السلام) عليه يتغنَّى برسول الله وسيد خلق الله جميعاً

خ ٩٣ (فهو إمام مَنْ إتقَ وبصيرةً مَنْ إهتدى، سراجٌ لمعَ ضوءُهُ وشهابٌ سطعَ نوره وزند  
 برق لمعه. سيرته القصد وستته الرشد وكلامه الفصل وحكمه العدل).

- ورابع هذه المنابع علي نفسه بكل خصوصياته وهو إمام الأئمة ونخبة النخبة في أمة  
 رسول الله (ﷺ) وباختياره الأسمى وحساسيته للعدل بين الناس ورفضه للظلم  
 وشعوره الفائق بالمسؤولية أمام الله تعالى:

خ ٢١٥: (والله لأن أئنتَ على حبِّ السعدانِ مسهراً وأن أُجَرَ في الأغلالِ مصفداً  
 أحبُّ إليَّ من أن ألقى اللهَ ورسولَهُ يومَ القيامةِ ظالماً لبعضِ العبادِ وغاصباً لشيءٍ من الحطامِ  
 وكيف أظلم أحداً لنفسٍ يسرع إلى العلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها)  
 (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله تعالى في نملة أسلبها  
 جلب شعيرة ما فعلته، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي  
 ولنعيم يفنى، ولدة لا تبقى نعوذ بالله من شبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين)

## ب) معالم رؤية الإمام علي (عليه السلام) لهذه العلاقة:

١- الفرق بين الإمامة والحكم: حين مارس ابن العاص خديعته ورفعت المصاحف على  
 الرماح استجاب الخوارج من جند علي (عليه السلام) لها وكان منطلقهم آنذاك (إن القوم يدعوننا إلى  
 كتاب الله).

ولم ينفع منطق علي (عليه السلام) في محاوراته المتعددة معهم في معالجة قصور نظرهم  
 وسطحية تفكيرهم وضيق أفقهم ولقد صور علي (عليه السلام) أمره وأمرهم في هذه المعضلة  
 بقوله:

خ ٣٥: (أما بعد فإن معصيته الناصح الشفيق العالم المحرب تورث الحسرة وتعقب الندامة.  
 وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ونخلت لكم مخزون رأبي «لو كان يطاع لقصير أمر  
 فأبيتم علي إباء المخالفين الجفأة والمنايذين العصاة. حتى ارتاب الناصح بنصحه. وضمن الزند بقدره

فكنت واياكم كما قال أخو هوازن :

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد». وأكّد (عليه السلام) أن إياهم ومخالفتهم هي التي اضطرتّه إلى ما لم يكن ليقبله ويرضه :  
خ ٣٦: (حقّ صرفت رأبي إلى هواكم، وأنتم معاشرٌ أخفاءُ الهامِ شَفَهَاءُ الأحلامِ، ولم آتِ لا أبا لكمُ بُجراً، ولا أردتُ لكمُ ضرّاً).

وبعد إذ تكشّفت هذه المعضلة عن النتائج التي حذّر منها عليّ (عليه السلام) سلفاً؛ أثار هؤلاء الخوارج شبهة كبرى في الفكر السياسي- تصاقب عليها الفوضويّون ورافضوا الحكومة والدولة على مرّ التاريخ، وبشّرها الماركسيون في شيوعتهم المزعومة التي لم تتحقق قطُّ ولن تتحقق أبداً- وذلك حين رفعوا شعار (لا حكم إلا لله) وقالوها بصيغة أخرى (الحكم لله لا لك يا عليّ)

وردّ عليهم (عليه السلام) موضحاً الفرق بين الحكم والإمرة:

خ ٤٠: (كلمة حقّ يُراد بها باطلٌ، نعم أنّه لا حكم إلا لله ولكنّ هؤلاء يقولون لا إمرة؛ وانه لا بُدّ للناس من أمير برّ أو فاجر يعمل في امرته المؤمنُ. ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل. ويجمع به الفياء، ويُقاتلُ به العدو، وتأمّن به السبلُ، ويؤخذُ به للضعيف من القويّ حتى يستريحُ برّ ويستراحَ من فاجر)

فالحكم ابتداء مصدرأ ومرجعيةً ومنطلقاً هو لله ولكن الحكم انتهاء إمرة وتنفيذاً وإجراء وفصلاً بين الناس لا بُدّ له من إنسان .

وقد خلط الناس بين هذا المعنى الأخير للحكم في إطاره المحدود وبين الإمامة في أفقها الرحب فقصروها عليه، وهو بعد، إجرائي تنفيذي لها. وظنوا أن إمامة الأئمة لا تتعداه فضيّقوا واسعاً. ويمكننا أن نبيّن أهم الفروق بين الإمامة والحكم وفق الجدول التالي:

الإمامة قيادة على طريق الهداية للبشرية « وجعلناهم أمة يهدون بأمرنا لما صبروا» وبالمعنى الأشمل للهداية «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد» على حين أن الحكم هو أداة ووسيلة لها وبعدّ من أبعادها للسير بالناس في طريق الهداية السياسية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية.

٢- الإمامة منصبٌ إلهي وجعل ربّانيّ: «قال إني جاعلك للناس إماماً» ولا يتأثر بالتالي بإقبال الناس أو اعراضهم؛ على حين أن الحكم بمعنى الإمرة والتنفيذ والممارسة

والإجراء منصب تعاقدني له صلة بقبول الناس وإقبالهم وبيعتهم .

٣- ليس للإمام أن يتخلى عن إمامته وتحمل أعبائها ولو لم يجد ناصراً واحداً ؛ على حين أن له أن يتخلى عن الحكم وليس له أن يسعى إليه إذا افتقد الأعوان والأنصار .  
خ ٣: (لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة وجور الناصر... لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها).

٤- لا أمة بلا إمامة؛ ولكن الإمام قد يغدو وحده أمة «إن إبراهيم كان أمة» ؛ على حين أن لا حكم إلا بالتفاف الناس حول الحاكم ولا يمكن للإمام أن يحكم وحده .

٥ - لا يدور الأمر بحال بين الإمامة والإسلام إذ هي ركن ركين له وقوة للمسلمين، ولكن إذا دار الأمر بين الحكم من جهة ولو كان حكم الإمام وبين وحدة المسلمين وقوتهم وبقاء الإسلام من جهة أخرى رجّح الأخير على المهم السابق

ك ٦٢: (فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد ﷺ)؛ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً)

٦- لا تتوقف الإمامة عن ممارسة دورها وتحمل أعبائها ولا توقف من قبل أحد على حين أن حكم الإمام قد يتوقف بمعارضة كما حصل للإمام الحسن (عليه السلام)، وقد يحال بين الإمام والوصول إلى الحكم كما هي حال أكثر أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

٧- الإمامة مرتبة ومسؤولية يؤهل الامام لها من قبل الله عزوجل فلا يقال إن الإمام يطلبها ويسعى إليها على حين أن الحكم لا يطلب لذاته ولا ينافس عليه لرغبة شخصية.

ولقد ركز الإمام (عليه السلام) على الإمامة وأهميتها وخصوصيتها ودورها وآفاقها في كثير أقواله ومنها:

١- قوله خ ١٤٤ (أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرّمهم وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستبطن الهدى وسيتجلى العمى، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاية من غيرهم )

فلا رسوخ في العلم وهو مناط التمييز إلا للأئمة ومنزلتهم هي من الله لا من الناس، ودورهم لا يعوّض، وهم صفوة العرب وقريش وهاشم ولا ولاية إلا لهم.

٢ - خ ١٥٠: (نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب؛ ولا تؤتني البيوت من غير أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سُمّي سارقاً...)

فيهم كرائم الإيمان وهم كنوز الرحمن؛ إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا)  
فهم أصل الاسلام، وأوشج الناس بعراه، وألصقهم بأعماقه وأغواره، وهم أبواب الدين  
لا يؤتى إلا من ضلالهم، وهم القادة والرادة، وأغلى المؤمنين وأغنى عطية الرحمن  
للعالمين .

٣- وقوله: مصوراً حال من لا يأتَمَّ بإمام ولا يتبعه ولا يسلك معه إلى الله سبحانه  
ورسوله (ﷺ)

خ ١٥٢: (وهو في مهلة من الله يهوي مع الغافلين ويغدو مع المذنبين بلا سبيل قاصد  
ولا إمام قائد)

٤- وقوله متعجباً من اتباع الناس السبيل بعيداً عن الصراط المستقيم ومنهج الأئمة القويم:  
خ ٨٨: (ومالي لا اعجب من خطأ هذه الفرق مع اختلاف حُجَجِها على دينها؛ لا  
يقتضون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي، كأن كل إمريء منهم إمام نفسه قد أخذ منها بعري  
ثقات وأسباب محكمات)

ح - وقوله ملخصاً قضية الناس مع الإمام والامامة ايجاباً وسلبياً:  
(نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم وينابيع الحكم؛ ناصرنا  
ومحبنا ينتظر الرحمة؛ وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة .

موقف الحاكم من الحكم :

من أسوأ ما مُني به الناس على مر التاريخ حكام ساقطهم إلى حكم الناس شهوة عارمة  
مسلطة تطيح بكل القيم إن اعترضت طريقها وتقضي على كل من يقف في وجهها ولو  
بحق وترفع الحكم والإمرة إلى مستوى الغاية التي لا غاية فوقها اللهم إلا هوى النفس  
وتأليه النفس. «أفرايت من اتخذ آلهة هواه» به ومن هاهنا رأينا فراعنة يقول قائلهم:

«ما علمت لكم من إله غيري»

«وقد أفلح اليوم من استعلى»

«أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي»

وفي مقابل أولئك جميعاً وقف علي (عليه السلام) من الحكم - وهو أحق الناس به بعد رسول  
الله (ﷺ) كما يعتقد على الأقل، مستظهراً بالنصوص القرآنية والنبوية ومواقف  
الرسول المتكررة - موقف من ليس في نفسه ذرة من التعلق به أو التطلع إليه.

وها هو ذا يصور إقبال الناس عليه بعد طول إعراض  
 خ ٣: (فما زاعني إلا والناس إلي كعُزْبِ الضَّيِّعِ يَشْأَلُونَ عَلِيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ  
 وَشُقَّ عَطْفَايَ، بِمَجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرِبِيضَةِ الْغَمِّ).  
 ويؤكد علي (عليه السلام) أن الخلافة ليست مطمعاً ولا هدفاً له: وأن الناس اضطرروه إلى قبولها

خ ١٩٦: (والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة ولكنكم دعوتموني إليها  
 وحملتوني عليها)

ولقد حاول علي (عليه السلام) بكل ما يستطيع أن يتصل من قبول الحكم إذ عرض عليه  
 ودعي إليه وألح عليه الناس في قبوله وتحمل أعبائه وكان يستشرف ببصيرته مدى ما  
 آلت إليه الأوضاع من سوء وما انحرفت إليه النفوس من أغراض واضطراب الساحة بعد  
 أن أقصي عن تسلّم زمامها والإمساك بقيادتها ردحاً من الزمن وها هو ذا يقول:

خ ٩١: (دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمرأله وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب  
 ولا تثبت عليه العقول وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت واعلموا أنني إن أجبتمكم  
 ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلي قول القائل وعتب العاتب

وإن تركتموني فأنا كأحدهم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أموركم  
 وأنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً)

ولكن هذا الموقف من الحكم إنما يعني عدم التعلق القلبي به والبراءة من شهوة السلطة  
 وعدم التلوث بحب الهيمنة والسيطرة

ولكنه لا يعني بحال أن علياً (عليه السلام) لم يكن معتقداً بحقه في الخلافة

خ ٧٣: (لقد علمتم أنني أحق بها من غيري)

ولا يعني أنه كان شاكاً في جدارته لها

خ ٣ (وإنه ليعلم أن محلي منها محلّ القطب من الرحي ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي  
 الطير)

ولا يعني أيضاً أنه كان متردداً في قدرته على الحكم أحسن ما يكون الحكم بكتاب  
 الله وسنة رسوله وقد تحقق ذلك منه بعد أن أُلجئ إلى القبول بالخلافة

خ ١٩٦ (فلما أفضت إلي نظرت إلي كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا الحكم به فاتبعته،

وما استسنّ النبي (صلى الله عليه وآله) فاقتديته)

نعم لقد رفض علي طلب الحكم من خلال صراع طاحن ضرره أكثر من نفعه وخطره أعظم من ثمراته

خ ٣ (وظفقت أرتتي بين أن أصول بيد جداء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى وجه ربه فوجدت أن الصبر على هاتا أحجى)

ورفضه حين حاق الخطر بالدين ووقف لينصر الإسلام ويذود عن ذماره ووحدة أبنائه:

خ ك ٦٢: (فوالله ما كان يُلقى في روعي ولا يخطرُ ببالي أن العرب تزعجُ هذا الأمر من بعده ﷺ) - عن أهل بيته ولا أنهم مُنحَوهُ عني من بعده، فما راعني إلا انتيال الناس على فلانٍ يبايعونه فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد ﷺ - فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولا تيكُم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتشعُّ السحابُ، فنهضتُ في تلك الأحداثِ حتى زاح الباطلُ وزهق، واطمأن الدين وتنهه).

لقد كان همه (عليه السلام) أيضاً أن تسلم أمور المسلمين وألا ينزل بهم الجور وأن ينالوا نصيبهم من العدالة ولو على حسابه :

خ ٧٢ (والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور عليّ خاصة القماس لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفة وبهرجة)

### أهداف الحكم في الإسلام

إذا لم يكن هدفاً بذاته في الإسلام فماذا يكون؟ إنه وسيلة إلى أهداف أسمى وأعظم يسعى لتحقيقها الحاكم وينعم بذلك الشعب ولا معنى لقبوله عند علي (عليه السلام) إلا عملاً و إخلاصاً لتلك الأهداف ويمكن إجمالها فيما يلي :

١- الدفاع عن القيم :

ويتجلى ذلك في:

إقامة الحق ودفع الباطل :

خ ٣٣: (قال عبدالله بن عباس: ودخلتُ على أمير المؤمنين (عليه السلام) بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي:

ما قيمة هذه النعل، فقلت: لا قيمة لها

قال (عليه السلام): والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً وأدفع باطلاً) وحين يستتر الحق وتختلط الأمور ويموء الباطل حقيقته ما دور علي (عليه السلام) (فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبيه).

٢- بسط العدل والإنصاف :

خ ٣ (أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ألا يتقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولأفيتها دنياكم هذه أزهدي عندي من عطفة عنز) وفي الحديث عن كظة الظالم أي تخمته وسغب المظلوم أي جوعه تركيز على العدالة الاقتصادية وهي من أعظم ابعاد العدالة شائناً وأخطرها شائناً.

ولكن علياً (عليه السلام) يؤكد سعيه إلى انصاف المظلوم على الإطلاق واكمراه الظالم على أداء ما عليه من الحق :

خ ١٣٦: (وايم الله لأنصفن المظلوم ولأقودن الظالم بخزامة حتى أوردته منهل الحق ولو كارهاً)

صون الدين وإصلاح البلاد:

خ ١٣١ (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام؛ ولكن لنبرز المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك)

٣- الحفاظ على وحدة الأمة وإطفاء نار الفتن :

وعلي (عليه السلام) الذي صان وحدة الأمة وافتداها بالتخلي عن المنافسة على الحكم على الرغم من أحقيته فيه وجدارته له وقدرته عليه هو الذي علم الناس فقه التعامل مع الفتن وبادر إلى تحمل مسؤولياته على هذا الصعيد:

خ ٢٢: (مالي ولقريش والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلتهم مفتونين)

ومن ذا يجرو أن يقول ما قاله علي (عليه السلام) ويفعل ما فعله :

خ ٩٣ (أيها الناس، فأنا فقات عين الفتنة، ولم يكن ليَجْرَأُ عليها أحدٌ غيري بعد أن ما جَ غيبتها واشتدَّ كلبها)



٤ - تربية الأمة: ومن آفاق هذه التربية ان يربّي الناس على الإعانة على الحق ورد الجور. خ ١٩٧: (رحم الله إمرئاً رأى حقاً فأعان عليه، أو رأى جوراً فردّه، وكان عوناً بالحق على صاحبه).

وعلى أن يعينوا الحاكم الصالح على أنفسهم  
خ ١٣٦: (أيها الناس أعينوني على أنفسكم)

٥ - ويحذر علي (عليه السلام) الناس من الاستسلام للظلم والظالمين ليخرجهم من قابلية الإنظام ويولد فيهم المناعة ويحرض ضميرة الثورة  
خ ١٠٦) وكانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإيكم ترجع فمكنتم الظلمة من منزلتكم وأقيتم إليهم أزمتمكم وأسلمتم أمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات).

٤- دستور العلاقة بين الحاكم والمحكوم والتأسيس للحقوق المتبادلة بينهما:  
اتسمت العلاقة بين الحاكم والمحكوم على مرّ التاريخ بعدم التكافؤ عموماً وطغيان الطرف الأول وتجاهله لحقوق الطرف الثاني وممارسته ألوان من التسلط والظلم .  
وكثيراً ما تذرّع الحاكم بحقّ القوة أو تجاوز ذلك إلى استمداد شرعية مكذوبة يسميها الحق الإلهي لإلغاء كل حقوق الطرف الآخر وكان أدب الحكام المنطوق أو المكتوب منهم أو لهم يروج لهذه الأكذوبة  
ومن ها هنا كان من المنتظر من الإسلام وهو الدين الإلهي الأشمل الأكمل الذي توءم القصيدة بالسياسة نظراً لحقوق الفرد والأمة أن يعيد التوازن إلى هذه المعادلة لأنه دين العدل بأوسع معانيه

ولم يتيح لهذا التوازن معبر عنه أبلغ وأصدق وأعمق من علي (عليه السلام) ربيب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والقرآن الكريم ليرسم دستور هذه العلاقة المتوازنة العادلة وليؤكد المنبع الإلهي لها ويفصل موادها وأبعادها في خطبة له يخطها بصفين في وهج نار الحرب المستعرة يتألق فيها إيمان علي (عليه السلام) بالحق الواسع الذي تأخذ منه الرعية بنصيب يكافيء نصيب الراعي ويبين أهمية حفظ هذا التوازن في انتظام الأمور وتوطد الألفة وصلاح الزمان وبقاء الدولة وخطورة الإخلال بهذا التوازن وينتهي من ذلك إلى ضرورة التناصح والتعاون بين الحاكم والأمة على إقامة العدل لا يستثنى في ذلك أصغر أفراد الرعية قدرة، وأعظم الحكام جدارة.

خ ٢٠٧) (أما بعد فقد جعل الله سبحانه عليكم حقاً بولاية أمركم ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم فالحق أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقتها في التناصف، لا يجري لأحد الإجرى عليه، ولا يجري عليه الإجرى له...

ثم جعل سبحانه - من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض، فجعلها متكافئاً في وجوها، ويوجب بعضها بعضاً، ولا يستوجب بعضها إلا ببعض .

وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه - لكل على كل، فجعلها نظاماً لألفتهم، وعزاً لدينهم، ليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاية ولا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية.

فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدى الوالي إليها حقها عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة، ويثست مطامع الأعداء

وإذا غلبت الرعية واليها، أو أجهف الوالي رعيته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدين، وتركت محاج السنن، فعمل بالهوى وعطلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حق عطل، ولا لعظيم باطل فعل، فهنالك تذلل الأبرار وتغر الأشرار وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد .

فعليكم بالتناصح في ذلك، وحسن التعاون عليه، فليس أحد وان اشتد على رضا الله حرصه وطال في العمل اجتهاده يبالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له ولكن من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحق بينهم .

وليس امرؤ وإن عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته بفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه، ولا امرؤ وإن صغرت النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه).

إن هذه النفحات العلوية لتسبق ما قاله جان جاك روسو حول العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم وتتفوق عليه إذ هي تؤسس بدلاً من الحق الإلهي الذي ادعاه الملوك لأنفسهم، للحق الإلهي في حقوق متبادلة متوازنة متكافئة بين الحاكم والشعب لا يقوم طرف منها إلا بالآخر ولا يستوجب إلا به .

ويتكرر بعض من هذا التفصيل بأمثلة مختزلة في مقام آخر

خ ٣٤: (أيها الناس إن لي عليكم حقاً ولكم علي حق):

فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم  
وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا  
وتأديبكم كيما تعلموا  
وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة  
والنصيحة في المشهد والمغيب والإجابة حين أدعوكم  
والطاعة حين آمركم)

بين النظرية والتطبيق (عليّ) (حاكماً):

كثيراً ما تسقط النظرية عند التطبيق وكثيراً ما يكون منظر بارع مطبقاً فاشلاً ولكن علياً  
(عليّ) نموذج إنساني أسمى للتناغم بل التطابق بين النظر والتطبيق على الرغم من  
صعوبة الظروف التي حكم فيها بعد خمس وعشرين سنة من انصراف الناس إلى سواه ثمّ  
إقبالهم عليه مع اختلاف أمره وأمرهم

خ ١٣٦: (وليس أمري وأمركم واحداً إني أريدكم لله وتريدونني لأنفسكم)

وآية ذلك ما يصوره بقوله

خ ٣: (فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وفسق آخرون: كأنهم لم يسمعوا

الله سبحانه يقول:

«تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»

بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها)

ويبتلي عليّ (عليّ) فوق ذلك كله بتخاذل وتفرق وعصيان كثير من أصحابه ممّا جعله

يتوقع النتائج المرة لذلك:

خ ٢٥: (واني والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم عليّ باطلهم

وتفرقكم عن حقكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحق وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم

الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم).

ولكن علياً (عليّ) لم يجِدْ عن دربه ولم يتخل عن منهجه ولم يُخَلِّ لحظة بتقديم

النموذج الأمثل للصادق بالمعنى الأشمل أي من يطابق اعتقاده الواقع ويصدق قوله

اعتقاده ويصدق فعله قوله ليكون إمام الصادقين الذين أمر الله بأن يكون المؤمنون معهم

في كل زمان ومكان

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»

إنه حقاً الإمام الذي يجدر الأهتمام به

خ ٤٥: (الا وان لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ألا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد

أقنع من نفسي أن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون اسوة لهم في خشونة العيش )

لقد كان يعيش على مستوى أفقر أفراد رعيته ويرتقي في المعنويات إلى قمة شاهقة لا يبلغها أحد.

ويرسم لهم بقلمه الصادق صورته النموذجية:

خ ٢٣٤: (وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم سيماهم سيما الصديقين وكلامهم كلام الأبرار، عمار الليل ومنار النهار متمسكون بحبل القرآن يحبون سنن الله وسنن رسوله لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغفون ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل).

ويذكرهم بما أشاعه فيهم من العدل وما قدم لهم من الأسوة الحسنة.

خ ٨٦ (ألم أعلم فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر وركزت فيكم راية الإيمان ووقفتم على حدود الحلال والحرام، وأبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي).

ويؤكد علي (عليه السلام) دوره في تحرير الناس من الظلم وإخراجهم من الظل :

خ ١٥٨: (ولقد أحسنت جواركم وأحطت بجهدني من ورائكم وأعتقتكم من ربق الظل وفلق الضيم)

ويحض من حوله على النهل من ينبوعه وان يبادروه بالسؤال

خ ٥٧ ( فاسألوني قبل أن تفقدوني ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين )

ويحثهم على الاستماع اليه بقلوبهم والاستتارة ببصيرته الناقبة

خ ١٠٨ (فاستمعوا من ربانيكم وأحضروه قلوبكم واستيقظوا إن هتف بكم، وليصدق رائد، أهله وليحضر ذهنه فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة وقرفه قرف الصمغية.

٦- تأصيل العلاقة بين الإدارة والشعب بمختلف شرائحه تبقى معضلة الإدارة وحاجز الفساد والروتين الذي يعطل صلة الشعب بها وصلتها بالشعب قائمة على ساقها حتى في ظلال أفضل الحكام .

ولقد قدم علي (عليه السلام) لنا نموذجاً للجانب الإيجابي القائم على حرص الحاكم على تأصيل العلاقة بين إدراته عمالاً وقادة جند وحياة من جهة والشعب بمختلف شرائحه، ويمثل عهده إلى مالك الأشر واليه على مصر دستوراً رفيعاً لهذا التأصيل ليس له مثيل وهو يتناول الأبعاد الخلقية والتنظيمية والتنفيذية مما تقتضي دراسات واسعة وسيكتفي منه في هذا البحث لفقرات ذات دلالة لضيق المجال .

ك ٥٣ (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وأما نظير لك في الخلق )  
(فأعظمهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى ان يعطيك الله من عفوه وصفحة فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك)  
(أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى فإنك الاتضل تظلم)

(وليكن أحب الأمور اليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة وان سخط الخاصة يفتقر مع رضى العامة... وانما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة فليكن صفوك إليهم وميلك معهم)

(شرُّ وزرائك من كانَ للأشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام فلا يكوننّ لك بطانةً فإنهم أعوان الأئمة واخوان الظلمة)  
(ولا تنقض سنةً سالحةً عمل بها صدورُ هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية)

(ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدُهم ومعونتهم وفي الله لكلُّ سعةً )

(ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباةً وأثرةً... ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحنةً عليهم إن خالفوا أمرك أو نلموا أمانتك)

(وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد)  
(وأما بعد هذا فلا تطولنَّ احتجاجك عن رعيته فإنَّ احتجاج الولاة عن الرعيّة شعبة من الضيق وقلّة علم بالأمر).

(ثم إنَّ للوالي خاصّةً وبطانتهً فيهم استثار وتناول وقلّة إنصاف في معاملته فاحسّم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال).

(إياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحبّ الإطراء)

(وإياك والمنّ على رعيته بإحسانك، أو التزيد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتخلف فتتبع موعدك بخلفك).

ويؤكد المعاني والارشادات السالفة في قوله لمحمد بن أبي بكر

ك ٢٧ (فاخفض لهم جناحك، وأن لهم جانبك وابطسط لهم وجهك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم)  
ولقثم بن العباس وهو واليه على مكة :

(ولا تحجين ذا حاجة عن لقائك بها فإنها ان ذيدت عن أبوابك في أول ورودها لم تحمد فيما بعد على قضائها).

ولأسود به قطبة صاحب جند حلوان

(أما بعد فإن الوالي اذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء فإنه ليس في الجور عوض من العدل)

دعائم العلامة بين الحكومة والشعب :

لا بد لتجذير الثقة وتوطيد الصلة وإحكام اللحمة بين الحاكم والشعب من دعائم

وقد راح علي (عليه السلام) يرسخها في الاتجاهين

فمن جهة راح يراقب عماله مراقبة دقيقة ويتابع تفاصيل علاقتهم بالناس من خلال عيون له أمناء يأتونه بكل ما تورطوا فيه ليحاسبهم من ثم حساباً لا هوادة فيه.

ضمن كتاب له الى بعض عماله :

ك ٤٠ (أما بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك وعصيت امامك

وأخزيت أمانتك

ومن كتاب له إلى الأشعث بن قيس عامل أذربيجان :

ك ٥ (وإن عملك ليس لك بطعمة ولكنّه في عنقك أمانة وأنت مسترعى لمن فوقك. ليس لك ان تفتتات في رعيّة ولا تخاطر إلا بوثيقة وفي يدك مالٌ من مالِ الله عزوجل وأنت من خُرّانه حتى تسلمه اليّ. ولعليّ أن لا أكون شرّاً ولا تك لك والسلام. ومن كتاب له إلى بعض عماله :

ك ٤١ (فلما أمكنتك الشدّة في خيانة الأمة أسرعت الكرّة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطاف الذئب الأزلّ دامية المغزى الكسيرة..

فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرني إلى الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار. والله لو أن الحسن والحسين فعلاً مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هواده ولا ظفرا مني بإرادة )

ومن جهة أخرى راح يحض الرعيّة على القيام بدورها في النقد والمناصحة وقول الحق والبعد عن المصانعة والإطراء

خ ٢٠٧ (وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الإطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله - كذلك، ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء، وربما استحلّى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله واليكم من التقية في حقوق لم أفرغ من أدائها. وفرائض لا بد من إفضائها

فلا تكلموني بما تكلم به الجبارة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقلاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه فلا تكفوا عن مقال بحق أو مشورة بعدل )

فأعينوني بمناصحة خالية من الغش سليمة من الريب فوالله إنسي لأوفى الناس بالناس).

(ج) مميزات رؤية الإمام علي (عليه السلام) ونموذجه التطبيقي

١- رعاية الإمامة للعلاقة المتوازنة بين الحكم والشعب تنظيراً وتطبيقاً؛ وهو ما اتضح

من خلال النقاط السابقة فالإمامة كما أرادها الله تعالى حافظة للإسلام حاضنة لقيمه منافحة عن حريمه وهي عامل وحدة لا فرقة بين المسلمين. وإذا كان الحكم قد أقصي عنها إلا عاماً فإنها بقيت تتابع دورها في تنقيح المفاهيم وتدعيم القيم وهو ما يتجلى في كلام الإمام علي (عليه السلام) وكلام سائر الأئمة (عليهم السلام) على أن علياً من بينهم يختص بخير أوسع من هذا الكلام ويختص بتجربة الحكم الوحيدة للأئمة من قدم للمسلمين وللبشرية جمعاء حالة فريدة للاقتران بين النظري والتطبيقي بعد أعظم تجربة قدمها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نبي الأئمة وإمام الأنبياء

٢- تحقيق التناغم بين المنبع الإلهي للمنهج الأمثل على الصعيد السياسة والاقتصادية والاجتماعية والمصب البشري لها بما يخدم الإنسان ويرشد مسيرته ويعدده لتجاوز التجارب البشرية الفاشلة إلى دولة المثل العالمية التي يحمل رايتها آخر الأئمة (عليهم السلام)

٣- تأكيد الرفض المطلق للظلم بكل أشكاله وعلى كل صعيد والإبطال مقولات مثل: ومن لا يظلم الناس يظلم والظلم من شيم النفوس.

فإذا دار الأمر بين أن تكون ظالماً وأن تكون مظلوماً فعلي عليه السلام يقول لك:

خ ١٥١ (واقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا عليه ظالمين)

وإذا كان لا بد أن يكون أحد الطرفين الراعي أو الرعية ظالماً فعلي (عليه السلام) يخبرنا من خلال تجربته النادرة

خ ٩٦ (ولقد أصبحت الأمم تخافُ ظلم رُعاتها وأصبحت أخاف ظلم رعيتي)

ولا بدّ تجنب الظلم في أوج الانتصار على العدو الظالم

خ ١٧٠ (اللهم إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي وسددنا للحق)

٤- الحرص على كرامة أفراد الأمة جميعاً على اختلاف نحلهم وأديانهم:

فعلي (عليه السلام) يعلم الحاكم أن يفتح قلبه لسائر أفراد الأمة و يتحرق ألماً ويكاد يموت أسفاً لموقف نال به أعداء الأمة من كرامة امرأة معاهدة:

خ ٢٧ (ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبيها وقلائدها ورعائتها ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرین، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق له دم، فلو أن مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً)



## خاتمه

وتبقى العدالة السياسية عند الإمام علي (عليه السلام) أفقاً ساطعاً ترسمه كل عدالة سياسية إلى أن يرث الله الأرض وما عليها ضمن منظومة العدالة التي نظر علي لها وجسدها، قيمة إنسانية علياً تقبس من نور العدالة الإلهية المطلقة.

وتتألف العلاقة المتوازنة المتكافئة بين الحاكم والشعب في أفق تلك العدالة لتعلم كل حاكم وكل شعب كيف ينبغي أن تكون هذه العلاقة تنظيراً وتجسيداً.

ليس علي (عليه السلام) ماضياً. أضواء الزمان والمكان والانسانية والكون بنور من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فحسب (وأنا من رسول الله كالنور من النور وكالذراع من العضد)

ولكنه حاضر متألق ومستقبل مشرق وعلي المسلمين خصوصاً والبشرية عموماً أن تعاود اكتشافه وتوثق معرفتها به لأنها بحاجة إليه قولاً وفعلاً تفتح على أسمی آفاقها الإنسانية ولتصل إلى جنتها الأرضية ولتعرف محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال باب مدينة علمه وتفتح من ثم على الله سبحانه ذي الجلال والجمال

## ساقى الحوض

ساحة الشيخ، نبيل حلباوي

فطريقي شوكٌ وعبئي ثقيلُ  
وجناحي عن كلِّ أفقٍ كليلُ  
ودموعي يصدى بهنَّ الغليلُ  
لي عذرٌ والسائلُ المسؤولُ  
وإمامي وقائدي والدليلُ  
لشقائي فما عساي أقولُ  
باد تبقى وحسرة لا تزولُ  
فمع الفعل يحسن التفعيلُ  
ولأسرَّ فالجهاد دربٌ يطولُ  
لِ وأفقٌ من الجمال جميلُ  
فإذا الصبرُ دربُك الموصولُ  
يا لها عُصَّةُ فأين السؤلُ

ساقِي الحوض: هل إليك سبيلُ؟  
وقيودي يشدُّنَ للأرض خطوي  
ولهيبُ الهجير يُحرقُ صدري  
ما جهلتُ الجوابَ يوماً فيبقى  
أتراني وأنتَ أنتَ وليي  
والأباريقُ كالنجوم وأظما  
يا لها خجلةٌ إلى أبد الآ  
فلأشمر لكل فعل ولائٍ  
ولأطهر نفسي وقلبي وعقلي  
هو نفحُ القرآن في عالم القو  
ضاقَ عنكَ الزمانُ حكماً وعلماً  
وسلوني من قبل أن تفقدوني

وخصومٌ ينازعونك دُنيا  
 وسوى الحقِّ لست تعشقُ فيها  
 وجرعتَ الخذلانَ من قومٍ سوءٍ  
 حسبوها دنيا تطيب فكانت  
 يا لسيفٍ يصنّفُ الناسَ للننا  
 كنتَ تسعى إلى الشهادة حتى  
 وعلى دربك الأئمة ساروا  
 حفظوا الدين أن يزيّف أو تُجـ  
 وقفوا دونه تباعاً إلى أن  
 كم قرونٍ مرّت وللظلم فيها  
 فاستفاض الإفقار والتجهيل  
 ثم أمسى المستعمرون علينا  
 وصلبيّ حقدهم ليس يُروى  
 وأرادوا بالدين مكرّاً فأبقو  
 سطحوه وحجّموه فأمسى  
 وحسبنا أنّ المسيرة ماتت  
 فإذا النور من سناك تجلّى  
 ثورةً قادها حفيدك للنصـ  
 فإذا البغي عرشه مثلول  
 وإذا الشرقُ خيبةً وانكسارُ  
 والخمينيُّ يقدمُ الركب والد  
 حكمة في صلابة وثبات  
 وفناء في الله يدني إليه  
 وعلى الدرب خلفه علماء  
 الوليِّ الفقه والشعبُ ليث  
 فاهناً اليومَ فالمسيرة عادت  
 وأضاء الإسلام خارطة الدن

أنتَ عنها برّيتها مشغولُ  
 وعن العدلِ لستَ فيها تميلُ  
 كلُّ شلٍ منهم حقيراً ذليلُ  
 بعض موت، والخاذل المخذولُ  
 ر فصيلٌ وللجنانِ فصيلُ  
 فزت بل عانقَ الخليلَ الخليلُ  
 وعليهم من الطغاة كبولُ  
 تثّ منه فروعه والأصولُ  
 غاب مهديّهم لتقضى فصولُ  
 دولة ظلّها وبيءٌ وويلُ  
 واستمرّ التفجيع والتقتيلُ  
 ومن العلم نأبهم مصقولُ  
 لو جرت للدماء منّا سيولُ  
 ه شعاراً وعزمه مشلولُ  
 ليس عمقُ فيه وليس شمولُ  
 وعلى الحقِّ قد تراخت سُدولُ  
 عنه أفقٌ معطرٌ مطلولُ  
 ر وضجُّ التكبيرِ والتهليلُ  
 وإذا الكفر سيفه مغلولُ  
 وإذا الغربُ صعقةً وذهولُ  
 ه على الرّكب حارسٌ ووكيلُ  
 أوحدى، وموقف لا يحولُ  
 كل أمر كأنه مستحيلُ  
 لهم في الجهاد باع طويلُ  
 كَ وطعمُ الشهادة المعسولُ  
 مثلما كان خطّها المأمولُ  
 يا وعاد النهج الأصيل الأصيلُ

وزكا نَفْحُهُ عليُّ بُنا  
وفلسطين صُبْحها عن قريپ  
إنَّ وعد المستضعفين لآتٍ  
إنَّها رايةٌ بكفٍّ وليٍّ

نَ فغاصتُ في الوحل إسرائيلُ  
فتفتتُهُ حجارةٌ سجَّيلُ  
ومتاعُ المستكبرين قليلُ  
وإلى صاحبِ الزَّمانِ تؤولُ



## العدل في تجربة الإمام علي (عليه السلام)

اعداد: علي حسن مرعي

مدير عام جمعية التعليم الديني الإسلامي - بيروت - لبنان

قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه: في سورة النساء  
«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ..»  
في سورة الأنعام:

«وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ  
تَذَكَّرُونَ».

عن رسول الله، قوله:

الناس سواسية كأسنان المشط..

لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى

الحمد لله الذي هدانا للإيمان ومنحنا القوة في العقيدة و القدرة على الإضطلاع بتحمل  
المسؤولية كي نصدع بأمره ونلهج بذكره ونحمل هم الدعوة بنشر تعاليمه وأحكام دينه  
ونبشها في نفوس الناشئة ونرعها في حنايا المجتمع .

و نشكره بتلطفه علينا بحمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رسولاً وداعياً كي نقتدي به ونستتير الطريق  
بسيرته ونتخلق بصفاته ونشكره أيضاً على ما خصنا به، بآله أئمة وقادة كي نستضيء بتنوع  
أدوارهم ونستلهم العبر من مواقفهم ونهج طريقتهم .

... تحية إجلال نبعتها إلى مفجر الثورة الإسلامية المباركة الإمام روح الله الموسوي  
الخميني (قده) وإلى القائد الملهم أمل الإسلام الولي الفقيه آية الله العظمى السيد علي  
الحامنتي حفظه المولى وإلى رئيس الجمهورية الإسلامية السيد محمد خاتمي وإلى مراجعنا  
الأعلام وقادتنا الأحرار و علمائنا الأفاضل وأخص بالتحية المشرفين على هذا المؤتمر

والمؤسسين له ولا يسعني إلا أن أذكر بالخير من أتاح لي الفرصة بالمشاركة في هذا المؤتمر الكريم المستشار الثقافي الشيخ محمد التسخيري وتمنيت عليه أن أكون مستمعاً لا كاتباً.. ويشرفني أيضاً اللقاء بكم ويسرني الحديث إليكم مع اعتزازي لإنعقاد هذا المؤتمر المبارك بمشاركة أصحاب الفكر والعقول النيرة من أخواني الحاضرين المحترمين بعد السلام والتحية لكم.. يكتسب هذا المؤتمر وضعاً خاصاً ورونقاً كونه يتعرض لشخصية مميزة أبرزت بياناً وجرأة وفكراً وسياسة وبلاغة وديناً وعقلاً ومنطقاً وإدارة وخلقاً وعبادة وتواضعاً فكان

بحقّ القرآن الناطق

أسأل الله أن يوفقني لأكون في خدمة أهلي وبلادي وأمتي من خلال هذه المقالة المتواضعة كما وأسأله أن يعين جميع المشاركين بأبحاثهم ومقالاتهم لتساهم في نصرة المستضعفين في الأرض وتخفيف آلامهم وتحقيق آمالهم حتى تعم تجربة الإمام علي (عليه السلام) التي أعادت للإسلام نضارته وأرست أسس العدل والحق في السياسة والإدارة والاجتماع وفق معايير القرآن وسنة رسول الله (ﷺ)

### المقدمة :

على عتبة الألفية الثالثة يبدو الحديث عن حاكمية القيم دخولاً في عالم الغربة و سيراً بعكس المسار ولكن لو أمعنا النظر في أعماق التاريخ وإرهاصات المستقبل لوجدنا الإنسانية بآلامها وآمالها تجهز الكون لحاكمية القيم ولغة الأرقام تظهر ذلك وتؤكد قبل لغة الإيمان . إذ من المستحيل أن تستمر البشرية راضية بسيطرة ٢٠٪ على ٨٠٪ من مواردها مما

يكلف العالم بسبب سوء التغذية والجوع ما يعادل موتي هيروشيا كل يومين ...<sup>١</sup>  
يقول روجيه غاروردي : ثلاث مشكلات كبرى تبدو اليوم مستعصية على الحل هي:

١. مشكلة الجوع

٢. مشكلة البطالة

٣. مشكلة الهجرة

ثم يضيف أليست هذه المشكلات الثلاث مشكلة واحدة؟<sup>٢</sup> نقول نعم لهذه الأزمات مصدر واحد هو إفتقار العدل على المستوى الدولي والإنساني وبتكريس القوى المادية كمعيار

١. روجيه غاروردي - كيف نصنع المستقبل - ص ١٠ منشورات دار عطية - لبنان.

٢. روجيه غاروردي - كيف نصنع المستقبل - ص ١٠ - منشورات دار عطية - لبنان .

لعظمة الأمم وإنحطاطها لتصبح معايير العدل في مهب الريح تتقاذفها أمزجة الأقوياء و يحتكر تفسيرها الناطقون بأسمهم من موقع الحكم أو من موقع القانون .  
علي (عليه السلام) هو هذه الباقة المتوجهة من القيم والأفكار المخالدة المرتبطة بالسير الداخلي للفترة الإنسانية التي تمثل وجهة نظر أخرى في إدارة العالم .. على قاعدة قوة القيم في مواجهة قيم القوة...

إنه عصارة الإنسانية بعد تصنيفتها من شوائب الهوى والانحرافات .. وصوت الزمن و قد استدار كهيته أو كما قال جورج جرداق<sup>١</sup> : صوت العدالة الإنسانية الذي يضيف شارحاً علاقة علي (عليه السلام) بالعدالة : هل عرفت في موطن العدالة عظيماً ما كان إلا على حق ولو تألب عليه الخلق في أقاليم الأرض جميعاً ، وما كان عدوه إلا على باطل و لو ملأ السهل والجبل ، لأن العدالة فيه ليست مذهباً مكتسباً وإن أصبحت في نهجه مذهباً فيما بعد ، وليست خطة أوضحتها سياسة الدولة وإن كان هذا الجانب من مفاهيمها لديه وليست طريقاً يسلكها عن عمد فتوصله من اهل المجتمع إلى مكان الصدارة وإن هو سلكها فأوصلته إلى قلوب الطيبين بل لأنها في بنيانه الأخلاقي والأدبي أصل يتحد بأصول وطبع لا يمكنه أن يجوز ذاته عليها حتى لكان هذه العدالة مادة ركب فيها بنيانه الجسماني نفسه في جملة ما ركب منه فإذا هي دم في دمه وروح في روحه .

فيما سيأتي سنتحدث عن العدل في تجربة الإمام بين الجاهلية والإسلام في مباحث ثلاثة:

## ١- المبحث الأول : العدل كسبيل وحيد للتنمية

للعدل في منهج علي (عليه السلام) طريقه وأثمانه، فالنفوس بطبيعتها الأولى قاصرة عن تحمل الحق إذا لم تهجر إلى طبيعة ثانية تحبب إليها الإستقامة والقيام بالحق ، وقد استفدت من التجوال في نصوصه (عليه السلام) : أن «أثقال الحق» لا تخف إلا على من وطن نفسه على حمل الأمانة وأدائها سواء كانت على مستوى النفس أو على مستوى الأمة والقائمون بالحق هم أولئك الذين هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلنا ما استوعره أو استعوره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون<sup>٢</sup> .

ولكن على صعوبة المسلك ووحشة الطريق نجد الإمام مصراً على أن لا سبيل غير هذه

١. جورج جرداق - علي صوت العدالة الإنسانية - ج ١ ص ٤٢ و ٤٣ - منشورات دار مكتبة الحياة - لبنان .

٢. الدليل على موضوعات نهج البلاغة - ص ٤٥٤ .

السبيل محدداً لمعالم الطريق بعلمه و جهده وصبره و جهاده كأنه يشق للإنسانية طريقاً ستسلكه لا محالة بعد التيه الطويل لأنه سيكون عند ذلك حصيلة جهود الأمم للوصول إلى قيامة الإنسان والإنسانية بالحق والعدل ، من أين نبدأ : يقول الإمام (عليه السلام) : « إذا تغير السلطان تغير الزمان »<sup>١</sup> فلنبدأ إذن بصلاح الولاية ، ولنبحث عن أولئك الذين تنطبق عليهم مواصفات الوالي الصالح فنجد أن الإمام (عليه السلام) يعرفهم سلباً وإيجاباً أي بما يجب أن يكون وأن لا يكون فيقول (عليه السلام) : « و قد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أمواهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الخائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق و يقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة »<sup>٢</sup>...

وكانه (عليه السلام) يشخص أدواء الأمة وموانع العدل في كل زمان و مكان والجامع بين هذه الصفات ثلاثة أمور :

أ- ضياع الثروة (سوء استثمار و سوء توزيع)

ب - ضياع الحقوق (صعوبة إيصال الحق إلى أهله)

ج - و ضياع السنة (تعطيل الأحكام الشرعية)

والمصير واحد هلاك الأمة، والأمة كما هو معلوم ليست مطلق الجماعة وإنما هي الجماعة ذات المقصد الواحد، فهلاكها يكون بالفرقة وليس بالزوال، وهنا يظهر مفهوم جديد لمعنى بقاء الأمة واستمراريتها وترتبط حياة الأمم بحياة القيم التي تجمعها والغايات التي تحركها فالأمة الإسلامية ظهرت على صفحة الوجود بالقرآن والسنة اللذين يمثلان نفحة الروح في جسد الجماعات المتفرقة .. وبنور تلك الروح إئتلف المختلف و جمع المتفرق وذابت الفروقات العرقية والطبقية لينتج عن هذه العملية «خلق جديد» لا يمت إلى قيم الجاهلية بصلة .. و من المدهش أن نرى معالم هذه التجربة الرائدة تذوب بعد ربع قرن من وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن نجد علياً (عليه السلام) الخليفة مجبراً على سلوك درب الإصلاح من جديد و من الجذور.

فيقول (عليه السلام) : « ألا وإنّ بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيه (صلى الله عليه وآله) والذي بعثه بالحق لتبليطن بلبلة، و لتغريطن غريلة و لتساطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم أعلاكم

١. الدليل على موضوعات نهج البلاغة - ص ٤٥٥ - علي ناصر يان .

٢. الدليل على موضوعات نهج البلاغة - ص ٤٤٠ - علي ناصر يان .



وأعلاكم أسفلكم و ليسبقنَّ سابقون كانوا قصرُوا و ليقصرنَّ سابقون كانوا سبقوا»<sup>١</sup>.  
يكشف هذا النص عن أن الإسلام ليس مجرد التعاليم والمفاهيم والأحكام بل هو إنجاز مستمر للأمة تقوم به ، فيقوم بها وتظهره فيظهرها وتنصره فينصرها وإن الانحراف ممكن حتى مع وجود القرآن والسنة والإمام المعصوم .. لأن الحق حسب تعبير الإمام «كله ثقيل» ومن أولى مهام الحاكم والعالم تأهيل الأمة لحمل هذه الأثقال ولا يكون هذا إشاعة السرف والترف و تعميق الفروقات الطبقية بين صفوفها بل بالقبض على الجمر والسير في طريق الهدى مع قلة سالقيه .

يقول الإمام (عليه السلام) «فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه على الله عز وجل فليفعل فإن أطعتموني فإني حاملكم إن شاء الله على سبيل الجنة وإن كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة»<sup>٢</sup>.  
و هكذا يعرض علي (عليه السلام) مشروعته بلا مواربة: الحق والجنة والمشقة والتأسيس المستمر للعدل في مواجهة الباطل فهو لا يطالب إلا بالعمل والتضحية ولا يعد إلا بالجهد والتعب مما يساهم في تنفير العامة من السير الحثيث معه وإلى آخر الدرب .

نقول إن الحوافز في مشروع علي (عليه السلام) تكمن في النتائج حيث يبشرهم (عليه السلام) برغد العيش في ظل العدل بينما يصل بهم الترف وإيثار الراحة إلى فقدان المال والأمن والولد مع فقدان الحق والعدل فالخيار هو بين مشقة عاقبتها مسرة و بين راحة خادعة عاقبتها فتن تقبل كقطع الليل المظلم على حد تعبير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .. و يقول علي (عليه السلام) ألا وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل .. ولا يدرك الحق إلا بالجد<sup>٣</sup>.

و يقول (عليه السلام): «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو إقتبستم العلم من معدنه وإدخرتم الخير من موضعه وأخذتم الطريق من وضعه وسلكتم الحق من منهجه لإبتهجت بكم السبل وبدت لكم الأعلام وأضاء لكم الإسلام وما عال فيكم عائل ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد»<sup>٤</sup>.  
إلى هنا يظهر أن طريق الحق الشاق هو درب التنمية العادلة وأن مشروع الدولة العادلة هو مشروع ينتج باستمرار و حسب كل ظرف طالما أن الأمة تدين بالإسلام أو بالأحرى موجودة بالإسلام .. يبقى أن نبين المنطلقات الأساسية للخطة العلوية الإسلامية قبل أن نعرض الدروس المستفادة من التجربة.

١. الدليل على موضوعات نهج البلاغة - ص ٦٦١ - علي ناصريان .

٢. نفس الدليل السابق ص ٤٦٠ - علي ناصريان .

٣. نفس الدليل السابق ص ٦٧٦ - علي ناصريان .

٤. الحكيمي - الحياة ٢ ص ٤٣ .

## ٢- المبحث الثاني : المنطلقات الأساسية للخطة العلوية :

تركز فيها على ثلاثة أمور:

- أ- النظر في الحكم والسياسة لا كشأن سلطوي ثقافي .  
 ب- إصلاح المعاش والإصرار على العدل لتفادي أضرار وآثار الفروقات الطبقية والتي قد تصل بالأمة إلى حدود الكفر  
 ج- الدفاع عن حقوق الناس بالمساواة في وجه الإنحرافات المرتكزة على قيم الجاهلية وإظهار الفروقات بين منطق الجاهلية ومنطق الإسلام .  
 أ- النظر في الحكم والسياسة :

قال عبدالله بن عباس (رضي الله عنه) : دخلت على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها! فقال (عليه السلام) والله هي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً. ثم خرج فخطب في الناس وقال: أيها الناس: إن لي عليكم حقاً ولكم علي حق فأما حقكم علي فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا<sup>١</sup>.

يقابل هذا الكلام ما اشتهر عن معاوية بن أبي سفيان الذي قال: أيها الناس ما قاتلتكم لتصوموا أو لتصلوا وإنما قاتلتكم لتأمر عليكم.

بالعودة إلى نص الإمام علي (عليه السلام) يجدر التوقف عند مهمتين أساسيتين للحاكم وهما تأمين النية والتعليم، وهنا يظهر ضرورة إخضاع السلطة السياسية للأهداف العليا التي ترتفع بالأمة مادياً ومعنوياً فالسلطة السياسية وحدها عديمة القيمة إلا إذا حملت أهدافاً أعلى من مجرد الإمرة والرياسة؛ وهذا ما أحيبنا أن نسميه التعاطي مع الحكم كشأن ثقافي؛ و نعني بذلك عدم إنفكاك الحكم والسلطة عن القيم والغايات السامية للأمة التي ترتفع بها إلى مستوى القيام بمهمة الخلافة الحقيقية لله في أرضه؛ و ينتج عن هذا المنطلق الأساسي أمور منها:

- ١- عدم السعي وراء السلطة لذاتها فهي مطلوبة لغيرها «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لئلا نرد المعالم من دينك

١. الدليل على موضوعات نهج البلاغة - ص ٤٢٧ - ٤٢٨ علي ناصر بيان .

ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك»<sup>١</sup>  
 ٢- تركيز النظر على الأهداف العليا وإدارة السلطة السياسية بما يخدم هذه الأهداف ولو أدى ذلك إلى خسائر على المستوى الدينوي ليس لها تأثير كبير من منظار استقامة السير والخط العام «ولا أطلب النصر بالجور» و«الغالب بالبشر مغلوب».

٣- العمل بالعلم للإستفادة من قوة القدوة بقول الإمام علي (عليه السلام): «ألم أعلم فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر... وأبستكم العافية من عدلي وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي»<sup>٢</sup>.

ب- إصلاح المعاش والإصرار على العدل: يقول (٧) في عهده المشهور للأشتر: «إن أفضل قرّة عين الولاية استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية وإنه لا تظهر مودتكم إلا بسلامة صدورهم»<sup>٣</sup>.

و في الكلام إشارة إلى علاقة الجور بشحن النفوس بالأحقاد والأمراض النفسية الناتجة عن الفروقات الطبقيّة بين الناس وهذه الحالات النفسية تنتج فكراً خاصاً بها إما استسلاماً للظلم أو اعتراضاً عليه ففي الحالة الأولى تشيع فكرة الحظ والتشاؤم الفلسفي.. وفي الحالة الثانية تختمر الثورات في الصدور لتنفجر في أوانها براكين تزرع عروش الطغاة.  
 و في كلا الحالتين يكون الحكم إما قائماً على البطش والقهر أو مهدداً بالزوال في أية لحظة و من جهة أخرى تؤكد نصوص الإمام (عليه السلام) على ارتباط الإرتقاء المعنوي بتوفر العدل في المعاش لكي يتفرغ الإنسان لحاجاته الأسمى.

ج- الدفاع عن حقوق الناس وإظهار الفروقات بين منطقي الجاهلية و منطقي الإسلام: قال (عليه السلام) لما عوتب على التسوية في العطاء: «أتأمرني أن اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه... لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف والمال.. مال الله»<sup>٤</sup>.

لم يكن مفهوم حقوق الإنسان قد ركز في الأذهان.. فالإنتهات القبليّة والطبقيّة كانت لا تزال مصدر العزة والإفتخار على الرغم من الحرب التي شنها الإسلام عليها.. ويأتي سلوك الإمام (عليه السلام) ليعلن من جديد و بجدّة و بشدّة قيمة للإنسان بما هو إنسان بغض النظر عن أي إنتهات آخر مع علمه بالإصطدام الكبير مع منطقي الجاهلية. الذي حرص آخرون على

١. نفس المصدر السابق ص ٤٩٤.

٢. نفس المصدر السابق ص ٤٩٨.

٣. الدليل على موضوعات النهج ص ٤٩٨.

٤. نفس المصدر السابق ص ٥٠٠ - علي نصریان .

إعادة إحيائه تحت مظلة إسلامية هذه المرة وقد تنبه الإمام إلى أن هذه العملية ستؤدي إلى أسلمة السلوك والقيم الجاهلية في النهاية فكان أن نصب أعلامه وبني سداً بينها وبين الإسلام حتى لا تصبح جزءاً منه مهما علت شوكتها وطغت قيمها يقول (عليه السلام): «فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدي وهدى فأقام سنة معلومة وأمات بدعة مجهولة وإن السنن لنيرة لها أعلام وإن البدع لظاهرة لها أعلام وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضلَّ و ضلَّ به فأمات سنة مأخوذة وأحيا بدعة متروكة»<sup>١</sup>.

وقد ظهر نجاح هذا الإصرار في حوار جرى بين عكرمة بنت الأطرش و معاوية عندما أخذ عليها نصرة الإمام (عليه السلام) فقال: يقول الله جل ذكره: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم» فقال معاوية: صدقت فاذكري حاجتك: فقالت: كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد إلى فقرائنا وقد فقدنا ذلك فما يجبر لنا كسير ولا ينعش لنا فقير - فقال معاوية: هيهات يا أهل العراق نهكم علي فلن تطاقوا»<sup>٢</sup>.

### المبحث الثالث: الدروس المستفادة من التجربة

أ - على خلاف الرأي المشهور الذي يخرج الإمام (عليه السلام) من عالم السياسيين نقول أنه (عليه السلام) كان سياسياً من الطراز الأول وقضت سياسة استمالة الناس بالعدل وبما يصلحهم لا بما يفسدهم لأن قناعته أنه إذا استألمهم بما يفسدهم فسترتد عاقبة هذه السياسة عليه وسيكونون عند الشدائد حسب تعبير (عليه السلام): «شر خليل والأم خدين»<sup>٣</sup>.

ب - وعلى هذا المنوال نسج الإمام خيوط خطته القاضية بالاستفادة من موقع الخلافة للإرتفاع بالناس إلى مستوى يحققون فيه كمالهم المعنوي والديني وكان يعمل كأنه يعيش أبداً. ويبعد رؤيته كان يرى أن قيمه التي هي قيم الإسلام الأصيل ستبقى علماً فاضحاً لكل انحراف مهما طال الزمان.

ج - ولقد تمكن الإمام (عليه السلام) فعلاً من تربية جيل يعرف الحق ويعرف أهله وأودع قلوبهم وعقولهم أسرار الصبر و الصمود لكي يتمكنوا من مواجهة الترغيب والترهيب وقد ظهرت آثار هذه الوديعة فيما بعد في كل ثورة فكرية أو عسكرية شهدتها الحضارة

١. نفس المصدر السابق ص ٤٤١ و ٤٤٢.

٢. د. حسن الأمين - الإمام علي (عليه السلام) وتجربة الحكم - دار الحديث ص ٨٠.

٣. الدليل على موضوعات نهج البلاغة ص ٥٠٠ علي ناصريان.

د- إن مدرسة علي (عليه السلام) تنأى بغير الجديرين عن التصدي لمهام الحكومة بالسياسة مقام تحسين النوع الإنساني وتلتزم حتى الرمق الأخير بحقوق الإنسان بأوسع مدى لهذه الكلمة فالعربي كالإعجمي ودم المعاهد كدم المسلم والمواطن «إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق».

هـ إن الإسلام قادر على الانتصار دائماً ولو بعد حين و ينطلق هذا اليقين من ملاءمة الدين للفطرة الإنسانية السليمة، ولذلك نلاحظ أن الإمام يصر في خطبه و كلماته على استنباش الخير من القلوب ومناداة الضمائر ولا يحكم سلباً على أي إنسان إلا بعد التجربة والتحقق بعيداً عن الشك و سوء الظن ولذلك نرى بوضوح حسرته على فرص الخير التي أهدرتها الأطماع في النفوس .

ونرى في مواقفه من خصومه السياسيين تسامحاً لم نشهده إلا في مواقف رسول الله من المشركين بعد الفتح .

«وكل شيء أحصيناه في إمام مبین»

و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته





**Proceedings of the Congress**

**on**

***Imam Ali***

**&**

**Justice, Unity and Security**

**(Arabic Articles)**

**Vol. 1**

**Edited by**

**Prof. Mehdi Golshani**



**Institute for Humanities**

**&**

**Cultural Studies**

**(IHCS)**

**Tehran, 2002**





**Proceedings of the Congress  
on  
*Imam Ali*  
&  
Justice, Unity and Security  
(Arabic Articles)**

**Vol. 1**

**Edited by  
Prof. Mehdi Golshani**



**Institute for Humanities  
&  
Cultural Studies  
(IHCS)  
Tehran, 2002**

۹۶۴-۴۲۶-۱۶۲-۳ (ج ۱)  
۹۶۴-۴۲۶-۱۶۳-۱ (دوره)

۳۳۰۰ تومان